
بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢٢ - ٤١٣٢

BP135.A2 A2 2022

ابو الفتوح الرازي، الحسين بن علي بن محمد، ٤٨٠-٥٥٢ للهجرة. - مؤلف.

روح الاحباب وروح الالباب في شرح الشهاب / الشيخ الامام جمال الدين ابي الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي النيسابوري ؛ تحقيق مهدي الآشتياني. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة التحقيق، ٢٠٢٢ / ١٤٤٣ للهجرة.

٣ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١١١٧)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية ؛ ٣١٦)، (شعبة التحقيق ؛ ٤١).

يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.

١. القضاعي، محمد بن سلامة، توفي ٤٥٤ للهجرة -- شهاب الاخبار. ٢. الحديث (اهل السنة) -- القرن ٥ للهجرة. ٣. الحديث -- شرح. أ. شرح ل (عمل) : القضاعي، محمد بن سلامة، توفي ٤٥٤ للهجرة -- شهاب الاخبار. ب. الآشتياني، مهدي -- محقق. ج. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة التحقيق. -- جهة مصدرة. د. العنوان.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات

التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: روح الأحباب وروح الألباب في شرح الشهاب

تأليف: الشيخ الامام جمال الدين ابي الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي النيسابوري

تحقيق: مهدي الآشتياني

الناشر: شعبة التحقيق / قسم الشؤون الفكرية والثقافية العتبة الحسينية المقدسة.

مكان النشر: العراق، كربلاء المقدسة

المطبعة: دار الوارث.

عدد النسخ: ٥٠٠.



رَوحُ الأَحبابِ ورُوحُ الأَلبابِ

في شَرحِ الشِّهابِ

المجلّد الأوّل

تأليف

الشَّيخ الإمام قُدوة المفسّرين

جمال الدّين أبي الفتوح الحُسين بن عليّ الخُزاعيّ النّيسابوريّ الرّازيّ

تحقيق

مهدي الآشتياني

إشراف ومُراجعة وإصدار

شُعبة التّحقيق

قِسم الشُّؤون الفكريّة والثّقافيّة

العتبة الحُسينيّة المُقدّسة

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - شعبة التحقيق

الهاتف: ٠٠٩٦٤ ٧٤٣٥٠٠٠٢٣٨
www.imamhussain-lib.com
E-mail:info@imamhussain-lib.com

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّمهيدُ

الحمدلله الذي علا في توحّده، ودنا في تفرّده، وجلّ في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكلّ شيءٍ علماً وهو في مكانه، وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه، مجيداً لا يزال، ومحموداً لا يزال، وصلّى الله على الدليل إليه في الليل الأليل، والهادي إلى خير السبيل، وعلى آله الأولياء وأصحابه الأصفياء.

لا ريب أنّ علم الحديث من أهمّ العلوم الشرعيّة التي تبتني عليها سعادةُ الإنسان المؤمن في الدنيا والآخرة، ومن المعلوم أنّ أفضلَ الحديث حديثُ رسول الله عليه الصلاة والسلام، وخير الهدى هُداه، فإنّه قال ﷺ: «**أُوتيت القرآن ومثله معه**»[1]، وحكم حديثه حكم القرآن من جهة المصدر؛ لقوله تعالى: ﴿وَما يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحىٰ﴾[2] وهو بيانٌ له.

فمن تأمّل في حديثه وسيره، وجوامع كلمَه، وأدعيته وبديهات خُطبه، ومخاطبته مع وفودِ العرب، لا يشكّ ولا يرتاب في أنّ فصاحةَ النبيّ لا تقابلها

(١) مسند الشاميين للطبراني٢: ١٣٧، ح١٠٦١، وله تتمة.

(٢) سورة النجم٥٣: ٣.

فصاحةٌ، ولا يقارب أسلوبه في الحديث، والبلاغة أسلوبٌ إلّا أسلوب أئمّة الهدى؛ فإنّهم نور واحدٌ، وحديثهم حديثُ جدّهم صلوات الله عليهم أجمعين.

كان رسول الله ﷺ يخاطب الناس على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، وتباين بطونهم، وأفخاذهم وفصائلهم. يخاطب كلّاً منهم بما يفهمون، وهو: «طبيب دوارٌ بطبّه، قد أحكم مَراهِمه وأحمى مَواسمه، يَضعُ ذلك حيث الحاجةُ إليه، من قلوبٍ عُميٍ، وآذانٍ صُمٍّ، وألسنةٍ بُكمٍ، مُتتبّعٌ بِدوائه مواضعَ الغفلةِ ومواطِنَ الحيرة، لم يَستضيئوا بأضواء الحكمة، ولم يَقدَحوا بزنادِ العُلومِ الثاقِبة، فَهُم في ذلك كالأنعام السائِمةِ، والصخورِ القاسية»[1].

ولما كان كلام رسول الله ﷺ مشتملاً على أنواع المعارف والعلوم، جامعاً من الأحكام ما دقّ منها وجلّ كان لأهل الحديث مشاربُ شتّى في مصنّفاتهم الحديثيّة. فمنهم من أفرد حديث **رسول الله** مقتصراً على الأحكام الفقهيّة، ومنهم من قصرَها على سيرته، ومنهم من خصّ الرقائق، والمواعظ بالتأليف والجمع، وغير ذلك.

فقد ألّف الناس من كلامه الدواوين، وجُمعت في ألفاظها، ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازي فصاحته، ولا يباري بلاغته.

قد منَّ الله سبحانه أُمّةً من أعلام الدين والعلماء الربّانيين، وأئمّة الحديث لخدمة حديث رسول الله ﷺ فحفظوا حديثه، ودوّنوه وحرّروه، وبيَّنوا صحيحه من سقيمه، وأثبتوا كلّ حرفٍ صدرَ منه بإسناده.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

وكان من أبرز تلك الكتب التي عنيت عنايةً خاصّةً بجمع جوامع الكلم من حديث رسول الله ، كتابُ الشِّهاب، للحافظ أبي عبدالله محمّد بن سلامة القضاعيّ، فقد انتخب جملةً وافرةً من أحاديثه ذات الكلمات القليلة والمعاني الكثيرة، حتّى جاء كتاباً جامعاً لأصنافٍ من العلوم والمعارفِ والآداب.

كتاب (الشِّهاب) ومنزلته عند الإماميّة

يعدُّ كتاب الشِّهاب من الكتب المشهورة، والغنيةِ عن التعريف، فكما قال أبو الشجاع فارس بن حسين الذُهلي (ت ٤٩١ هـ):

إنَّ الشِّهابَ شِهاب يُستضاءُ به   في العلمِ والحِلمِ والآداب والحِكمِ
سَقَى القُضاعيَّ غَيثٌ كلَّما لَمَعَتْ   هٰذي المصابيحُ في الأوراقِ والكلمِ[(١)]

وقد ألّفَ كتابه هذا أوّلاً بالأسانيدِ منهُ إلى رسول الله ، ونَوّعَ فيها وتفنَّنَ، وذكر الطرق المتنوّعة لكلّ واحد من الأحاديث، لكن لمّا رأى أنّ ذلك يطول، ويصعب على العموم، قام بتجريده من الأسانيد، وسرد الأحاديث.

وهو كتابٌ لطيفٌ، جامعٌ لأحاديثَ قصيرةٍ حاويةٍ لجوامعِ الكلم، فبعد تجريد كتابه هذا من الأسانيد، سرد أحاديثه مُبوّبةً على الأبواب، مرتّبةً على الكلمات، من غير تقييد بحرف؛ تسهيلاً لحفظها وتناولها.

فقد قام القضاعيُّ بجمع أحاديث رسول الله ﷺ في موضوع الحِكم والوصايا والآداب والمواعظ والأمثال فقط، كما يقول في مقدمته:

وقد جمعت في كتابي هذا ممّا سمعته من حديث رسول الله ﷺ ألْف كلمةٍ

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٣: ١٦٩.

من الحكمة في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال، قد سلمت من التكلّف مبانيها، وبعدت عن التعسّف معانيها، وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدي النبوّة عن بلاغة البلغاء، وجعلتُها مسرودة يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، مبوّبة أبواباً على حسب تقارب الألفاظ؛ ليقرب تناولها ويسهل حفظها، ثمّ زدتُ مئتي كلمة، فصارت ألفَ كلمةٍ ومئتي كلمة[١]، وختمتُ بأدعية مرويّة عنه، وأفردت الأسانيد جميعها كتاباً يرجع في معرفتها إليه، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل ما اعتمدته من ذلك خالصاً لوجهه، ومقرِّباً من رحمته، بحوله وقدرته.

قد حظي كتاب الشِّهاب بمكانة عالية لدى أهل العلم عامّة، وأهل الحديث خاصّةً، فتصدّى لشرحه كثير من علماء السنة والشيعة منذ اشتهاره بين الناس. ثمّ إنّ بعضهم لخّص الكتاب، والآخر ذيّله، وقد استوفى صاحب كشف الظنون وغيره في ذكر ما كتب حوله[٢].

---

(١) قال أبو الوفا مصطفى المراغي في مقدّمة اللُّباب في شرح الشِّهاب: (وكنت على عزم أن أرقّم أحاديث الكتاب، ولكني عدلت عن هذا العزم؛ ... لأن القضاعيّ ذكر أنه جمع في الشهاب ألف كلمة ومائتي كلمة، فظننت أنه عني بالكلمة ا لحديث، فأحصيت الأحاديث... فوجدت أنها لا تبلغ أَلْفاً، فقلت: لعلّه دراد بالكلمة الجملةَ التّامّة، سواء كانت حديثاً مستقلاً أم جزء حديث، فوجدتها تزيد عن العدد الذي ذكره المؤلف، فأثرت ترك الترقيم حتى لا يختلف عدد الأرقام عمّا ذكره في خطبته). مقدّمة اللُّباب فى شرح الشِّهاب، ص (ك).

(٢) كشف الظنون ٢: ١٠٦٧. جامع الشروح والحواشي، عبدالله محمّد الحبشي ٢: ١١٢٧ ـ ١١٣١. ضياء الشِّهاب [بالفارسية]، مؤلف مجهول: ٤٩ ـ ٧٨.

وقد طُبع كتاب الشّهاب مرّات عديدة منفرداً أو مع شروحه، كما عُني أيضاً مشايخنا العظام المحدّثون من الإماميّة به عنايةً بليغةً، وخصّصوه بالإجازة والنقل والشرح.

قال الشّيخ منتجب الدين في فهرسته:

السيّد فخر الدين شميلة بن محمّد بن هاشم الحسيني، عالم صالح، روى لنا كتاب الشِّهاب للقاضي أبي عبدالله محمّد بن سلامة بن جعفر القضاعي عنه[١].

وقال العلّامة الحلّي في الإجازة الكبيرة لبني زهرة:

ومن ذلك [أي: ممّا أجاز العلّامة روايتَه لبني زهرة] جميع كتاب الشّهاب للقاضي أبي عبد الله محمّد بن سلامة القضاعي المغربي، وباقي مصنّفاته ورواياته عنّي، عن والدي، عن السيّد فخار بن معد الموسوي، عن القاضي ابن الميداني، عن القاسم بن الحسين، عن القاضي أبي عبدالله المصنّف[٢].

و ذكره المجلسي في بحارالأنوار بقوله:

كتاب الشّهاب و إن كان من مؤلَّفات المخالفين، لكنّ أكثر فقراته مذكورة في الخطب والأخبار المرويّة من طرقنا، ولذا اعتمد عليه علماؤنا، وتصدَّوا لشرحه[٣].

---

(١) الفهرست لمنتجب الدّين: ٧١، الرقم ١٩٢.

(٢) بحار الأنوار ١٠٤: ٧٨.

(٣) بحار الأنوار ١: ٤٢.

وقال المحدّث النوري: ربّما يُستأنس لتشيّعه[1] بأُمورٍ:

منها: توغّل الأصحاب على كتابه، والاعتناء به والاعتماد عليه، وهذا غير معهودٍ منهم بالنسبة إلى كتبهم الدينيّة، كما لا يخفى على المطّلع بسيرتهم.

ومنها: أنّه قال في خطبة الكتاب بعد ذكر النبيّ : أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، ولم يعطف عليهم الأزواج والصحابة، وهذا بعيد عن طريقة مؤلّفي العامّة غايته.

ومنها: أنّه ليس في تمام هذا الكتاب من الأخبار الموضوعة في مدح الخلفاء ـ [ولا] سيّما الشيخين والصحابة ـ خبرٌ واحدٌ، مع كثرتها، وحرصهم في نشرها، ودرجها في كتبهم بأدنى مناسبة، مع أنّه روى فيه قوله ﷺ: **«مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»**.

ومنها: إنّ جُلّ ما فيه من الأخبار موجودٌ في أُصول الأصحاب، ومجاميعهم كما أشار إليه المجلسي أيضاً، وليس في باقيه ما ينكر ويستغرب، وما وجدنا في كتب العامّة له نظيراً ومشابهاً.

وبالجملة، فهذا الكتاب في نظري القاصر في غاية الاعتبار، و إن كان مؤلّفه في الظاهر ـ أو واقعاً ـ غير معدودٍ من الأخيار[2].

جدير بالذكر أنّ القضاعي ذكر في مسند الشّهاب ٤٥ رواية عن طرق أهل

---

(١) لا ريب في أنّ القاضي القضاعي شافعي المذهب. راجع: طبقات الشافعيّة الكبرى ٤: ١٥١. سير أعلام النبلاء ١٨: ٩٣.

(٢) خاتمة مستدرك الوسائل ١: ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

البيت، عن رسول الله ﷺ[١]، وأيضاً روى في الشهاب حديث **رسول الله** ﷺ بقوله: «**مَنْ كذَّب بالشِّفاعة لَمْ يَنلها يومَ القيامة**».

وروى عنه ﷺ: «**إنَّ لكلِّ نبيٍّ دعوةً دعاها لأُمَّته، وإنِّي اخْتبأتُ دعوتي شِفاعةً لأُمَّتي يَومَ القيامة**»، وهذان الحديثان يدلّان على الشفاعة.

و قد تصدّى لشرح الشّهاب بعض المحدّثين الإماميّة، منهم:

الشّيخ أبو الفتوح الحسين بن عليّ بن محمّد الخزاعي الرازيّ في شرحه المعروف بـ: (رَوح الأحباب ورُوح الألباب في شرح الشهاب)[٢] الذي بين يديك في ٥٠٣ هـ.

ومنهم: السيّد ضياء الدين فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسني الراوندي، في الكتاب المعروف بـ: (ضوء الشّهاب)[٣] في ٥٣٦ هـ.

ومنهم: قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبدالله بن الحسين بن هبة

---

(١) أُنظر: أحاديث أهل البيت في مسند الشِّهاب، السيّد عبدالله السامرائي، علوم الحديث، العدد ١٦: ٢٧٦ ـ ٢٩٥.

(٢) قال منتجب الدّين:... له تصانيف، منها التفسير المسمّى بـ روض الجَنان ورَوح الجِنان في تفسير القرآن، في ٢٠ مجلّداً، ورَوح الأحباب وروح الألباب في شرح الشِّهاب، قرأتهما عليه. الفهرست لمنتجب الدّين: ٤٨، الرقم ٧٨. الذريعة ١٣: ٣٤٣.

(٣) الفهرست لمنتجب الدّين: ٩٦، الرقم ٣٣٤. معالم العلماء: ٢١، الرقم ٢٧. بحار الأنوار ١: ١٢. خاتمة مستدرك الوسائل ١: ٣٥٤. إيضاح المكنون ٢: ٧٤. هذا الكتاب الشريف حُقّق بيدي القاصرة في ثلاث مجلدات وطُبع في قم المقدّسة، في مؤسّسة دار الحديث الثقافيّة سنّة ١٤٣٩ هـ.

الله الراوندي، المشتهر بالقطب الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) في شرحه المعروف بـ: ضياء الشّهاب في شرح الشّهاب[1].

والسيّد فضل الله والشيخ قطب الدين الراونديين كثيراً نقلا من رَوح الأحباب دون ذكرهما المأخذ.

ومنهم: فضل الدين الشّيخ حسن بن عليّ بن أحمد المهابادي من مشايخ الشيخ منتجب الدين[2].

و منهم: برهان الدين أبو الحارث محمّد بن أبي الخير عليّ بن أبي سليمان ظفر الحمدانيّ[3].

و منهم: أبو الحسن عليّ بن زيد البيهقي، المشهور بـ: (ابن فندق)، أو (فريد خراسان ت ٥٦٥ هـ)[4].

ومنهم: أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الإصفهاني،

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٦٨، الرقم ١٨٦. معالم العلماء: ٥٥، الرقم ٣٦٨. جامع الرواة ١: ٣٦٤. أمل الآمل ٢: ١٢٦، الرقم ٣٥٦. بحار الأنوار ١٠٢: ٢٣٦. خاتمة المستدرك ١: ٣٥٤. أعيان الشيعة ٧: ٢٤٠. كشف الحجب والأستار: ٣٤١. الذريعة ١٣: ٣٤٤ و١٥: ١٢٤. الغدير ٥: ٣٨٢. هدية العارفين ١: ٣٩٢. هذا الكتاب الشريف حُقّق بيدي القاصرة وطُبع في قم المقدّسة، في مؤسّسة دار الحديث الثقافيّة سنّة ١٤٣١ هـ.

(٢) الفهرست لمنتجب الدين: ٥٠، الرقم ٩٣. خاتمة المستدرك الوسائل ١: ٣٥٤. الذريعة ١٣: ٣٤٣.

(٣) الفهرست لمنتجب الدين: ١٠٥، الرقم ٣٧٨. رياض العلماء ٥: ١٢٨. خاتمة المستدرك ١: ٣٥٤.

(٤) أعيان الشيعة ٨: ٢٤٣. الذريعة ١٣: ٣٤٤. هدية العارفين ١: ٦٩٩.

المعروف بـ: (شفروة ت ٦٤٠ هـ) في مطلع الصَّباحتين ومَجمع الفصاحتين[(١)].

والخلاصة: إنّ الكتابَ مشهورٌ، ومعروفٌ يضاف، لى ذلك كثرة الطرق إليه في إجازات الإماميّة، ففي إجازة ابن الشهيد طرق متعدّدة[(٢)].

مؤلِّف (الشِّهاب) في سطور

هو أبو عبد الله محمّد بن سَلامة بن جعفر بن علي بن حَكمون بن إبراهيم بن محمّد بن مسلم القُضاعي (ت ٤٥٤ هـ)، عالم مصري، وفقيه شافعي، نشأ في بيئة علميّة، فأحبّ العلم وكلف به. وقيل: والده سلامة بن جعفر كان عالماً مشغوفاً بالعلم، تتلمذ للمزني، وكان يحفظ ما يأخذ عنه، وكان مقرّباً إلى ابن طولون ورحل إلى البلاد في طلب العلم، ووصل إلى الحجاز، والشام والقسطنطينيّة، وسمع الحديث بمكّة، وتفنّن في علوم كثيرة.

قال تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى:

محمّد بن سلامة بن جعفر بن عليّ القاضي، أبو عبدالله القضاعي[(٣)] الفقيه، قاضي مصر، مصنّف كتاب الشّهاب، سمع أبا مسلم محمّد بن أحمد الكاتب (ت ٣٩٩ هـ)، وأحمد بن بربال [ثَرْثال] (ت ٤٠٧ أو ٤٠٨ هـ)،

---

(١) رياض العلماء ٥: ٣٠٣. الذريعة ١٤: ٢٤٧ و١٨: ٢٨١.

(٢) بحار الأنوار ١٠٦: ٥٣ ـ ٥٥.

(٣) القُضَاعي ـ بضمّ القاف وفتح الضاد المعجمة ـ: نسبة إلى قُضاعة: قبيلة معروفة. ويقال: هو مِن حِميَر، وهو الأكثر والأصحّ. اُنظر: الأنساب للسمعاني ٤: ٥١٦.

وأبا الحسن بن جهضم (ت٤١٤ هـ)، وأبا محمّد بن النحّاس (ت ٤١٦ هـ)، وآخرين.

روى عنه الحُمَيديّ (ت ٤٨٨ هـ)، وأبو سعد عبد الجليل الساوي (ت٤٩٣ هـ)، ومحمّد بن محمّد بن بركات السعيدي (ت ٥٢٠ هـ)، وسهل بن بشر الإسفَرائيني (ت ٤٩١ هـ)، وأبو عبدالله الرازيّ (ت ٥٢٥ هـ) في مشيخته والخطيب (ت ٤٦٣ هـ)، وابن ماكولا (ت ٤٧٥ أو٤٧٦ هـ)، وآخرون[١].

و روى عنه أيضاً: الخطيب علي بن إبراهيم الطوي الحسينيّ الدمشقيّ المعروف بـ: أبي القاسم النسيب (ت ٥٠٨ هـ)[٢]، وأبي إبراهيم خليل بن عبدالجبّار بن عبدالله القُرّائي القزوينيّ (كان حيّاً في ٤٨٣ هـ)[٣]، وأبي الحسن علي بن المؤمّل بن علي بن غسّان (ت ٥١٥ هـ)[٤].

وقال تلميذه ابن ماكولا: كان متفنّناً في علوم، ولم أر في مصر من يجري مجراه[٥].

و روى القضاعيّ عن: القاضي أبي عبد عبدالله أحمد بن عمر بن محمّد بن عمر بن محفوظ المصري الجيزى (ت ٣٩٩ أو ٤٠٠ هـ)[٦]،

---

(١) الطبقات الكبرى ٤: ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩: ٣٥٨.

(٣) الأنساب للسمعاني ٤: ٤٦٦.

(٤) الأعلام للزركلي ٥: ٢٧.

(٥) إكمال الكمال ٧: ١٤٧.

(٦) الأنساب للسمعاني ٢: ١٤٤.

وعن أبي عبدالله محمّد بن حسين بن عمر اليمنيّ (ت ٤٠٠ هـ)[١]، وعن أبي القاسم عبدالرحمن بن عبد العزيز بن الطبيز (ت ٤٣١ هـ)[٢]، وعن أبي الحسن على بن موسى بن سمسار الدمشقيّ (ت ٤٣٣ هـ)[٣]، وعن الفقيه أبي القاسم حمزة بن عبدالله الطرابلسي[٤].

وتشير آثاره العلميّة إلى أنّه تضلّع في علوم التفسير، والحديث والتاريخ، وقد رشّحه علمه لوظيفة القضاء فولّي قضاء مصر، ورشّحه أدبه للكتابة، فكتب للوزير عليّ بن أحمد الجَرجرائي (ت ٤٣٦ هـ)، ورشّحته سياسته، وكياسته لوظيفة السفارة، فسفِّر لمصر إلى الروم، وأقام مدّة بالقسطنطينيّة في سنة ٤٤٧ هـ، ولم تشغله السفارة بها عن العلم، فأخذ بها عن بعض علمائها، كما أخذ بعضهم عنه.

وكان الفاطميّون يعظّمونه؛ لعلمه ومواهبه، والظاهر أنّ زهده حمله على أن يولي الوعظ، والإرشاد فألّف في ذلك عدّة كتب، كما يتبيّن من ثَبَت كتبه. وتوفّي بمصر ليلة الخميس السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وصُلّي عليه يوم الجمعة بعد العصر في مُصلّى النجّار، ودُفن في قَرافة بالقاهرة[٥].

---

(١) الوافي بالوفيات ٢: ٢٨٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧: ٤٩٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧: ٥٠٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٥: ٢٠١.

(٥) وفيات الأعيان ٤: ٢١٢. سير أعلام النبلاء ١٨: ٩٢.

أمّا مؤلّفاته فهي:

١. الإنباء عن الأنبياء[١].

٢. الإنباء في الحديث[٢].

٣. المُختار في ذكر الخِطط والآثار في مصر[٣].

٤. أمالي في الحديث[٤].

٥. تفسير القرآن، في عشرين مجلّداً[٥].

٦. درّة الواعظين وذخر العابدين، مجلّد واحد على عشرين مجلساً[٦].

٧. دقائق الأخبار وحدائق الاعتبار، في الحكم[٧].

٨. شَهاب الأخبار، الكتاب الذي يتناوله الشرح الذي بين يديكم.

٩. عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، في التاريخ[٨].

١٠. مُسند الشّهاب[٩].

---

(١) هدية العارفين ٢: ٧١، والمطبوع منه باسم: (الإنباء بأنباءِ الأنبياءِ وتواريخ الخلفاء وولايات الأُمراء).

(٢) كشف الظنون ١: ١٧٢. هدية العارفين ٢: ٧١.

(٣) كشف الظنون ٢: ١٦٢٢. هدية العارفين ٢: ٧١.

(٤) المستخرج على المستدرك: ٣٨. كشف الظنون ١: ١٦٥. هدية العارفين ٢: ٧١.

(٥) مسند الشِّهاب ١: ٩. الأعلام للزركلي ٦: ١٤٦.

(٦) كشف الظنون ١: ٧٤٥. هدية العارفين ٢: ٧١. ذيل كشف الظنون ١: ٤٦٢.

(٧) مطبوع، ولاحظ أيضاً هدية العارفين ٢: ٧١.

(٨) الكتاب مطبوع باسم: تاريخ القضاعي، تحقيق جميل عبدالله محمّد المصري، بمكّة في ١٤١٥ هـ؛ كشف الظنون ٢: ١١٨٨. هدية العارفين ٢: ٧١. الأعلام للزركلي ٦: ١٤٦.

(٩) كشف الظنون ٢: ١٦٨٣.

١١. مناقب الشافعي وأخباره[١].

١٢. نزهة الألباب في التاريخ[٢].

١٣. دُستور معالم الحِكَم ومأثور مكارم الشيم، من كلام الإمام علي بن أبي طالب [٣]، قال في أوّله:

(...فإنّي لما جمعت من حديث رسول الله ﷺ ألف كلمةٍ، ومائتي كلمةٍ في الوصايا والأمثال والمواعظ والآداب، وضمنتها كتاباً، وسمّيته بالشّهاب، سألني بعض الإخوان أنَّ أجمع من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - صلوات الله عليه - نحواً من عدد الكلمات المذكورة، وأن أعتمد في ذلك على ما أرويه، وأجده في مصنّف من أثق به وأرتضيه، وأن أجعله مسروداً محذوف الأسانيد، كفعلي في كتاب الشّهاب، فاستخرت الله - جلّت قدرته - وجمعت من كلامه وبلاغته وحكمه وعظاته وآدابه، وجواباته وأدعيته، ومناجاته والمحفوظ من شعره وتمثيلاته، تسعة أبوابٍ منوّعة أنواعاً...)[٤].

(١) كشف الظنون ٢: ١٨٣٩. هدية العارفين ٢: ٧١. الأعلام للزركلي ٦: ١٤٦.

(٢) مسند الشِّهاب ١: ١٠. الأعلام للزركلي ٦: ١٤٦.

(٣) الكتاب مطبوع في مصر وقم وبيروت، ولاحظ أيضاً: المصباح للكفعمي: ٣٠٧. الأعلام للزركلي ٦: ١٤٦. أعيان الشيعة ١: ٢١٢.

(٤) دستور معالم الحكم: ١٣.

ترجمة الشّارح

جمال الدين أبو الفتوح، حسين بن علي بن أبي سعيد محمّد.

هو شيخ إمام، فقيه من الفقهاء الكرام، من علماء التفسير والكلام، وأديب من أدباء الأنام، ومن بيت الفضل والجلال، المشهورين بالعلم والكمال، من علماء الإماميّة، وصاحب المصنّف الساميّ، في علم التفسير والقرآن المسمّى بـ (روض الجنان وروح الجنان) الذي فاق أقرانه، بما يغني بيانه، فصار متداولاً في زمانه بين العوام والخواص.

وأمّا تفصيل القول في حياته:

الأوّل: نَسَبه المنيف

صرّح الشيخ الاجل أبو الفتوح الرازيّ في تفسيره الكبير بأنّ (نافع بن بُدَيل بن ورقاء) من آبائه[1] وقد اختلف في شجرته إلى نافع بن بديل على ثلاثة أقوالٍ، فنقول:

المطلب الأوّل: إمّا موضع الاتّفاق من شجرته

فإنّ الذين بحثوا عن شجرته لم يختلفوا حتّى الشخص التاسع فيها، وهو هاشم بن شجاع. وأمّا سلسة النسب إليه، فقد تستفاد من كلماتٍ مبثوثةٍ في عدّة مواضع.

فقال منتجب الدين الرازي ـ الذي هو من تلامذة أبي الفتوح ـ في ترجمة أبي بكرٍ أحمد: أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري

(١) روض الجنان ٥: ١٤٨ ـ ١٤٩، وج ١٧: ٣٥٤، وج ٢٠: ٤٤٠.

الخزاعي، نزيل الريّ والد الشيخ الحافظ عبدالرحمن عدل عين دَيِّن قرأ على السيدين المرتضى والرضي، والشيخ أبي جعفر الطوسيّ رحمهم الله له الأمالي في الأخبار أربع مجلدات، وكتاب عيون الأحاديث والروضة في الفقه والسّنن، والمفتاح في الأصول والمناسك أخبرنا بها الشيخ الإمام السعيد ترجمان كلام الله تعالى جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن على بن محمّد بن أحمد الخزاعي الرازي النيسابوري، عن والده، عن جدّه، عنه[١].

فقد ثبتت قطعة من نسب أبي الفتوح وهي: (أبو الفتوح الحسين بن علي بن أبي سعيد محمّد بن أبي بكر أحمد).

وكان لأبي سعيد محمّد أخٌ اسمه أبو محمّد عبدالرحمن ـ المعروف بالمفيد النيسابوريّ ـ الذي يصير عمّاً لوالد أبي الفتوح، كما هو المستفاد من كلام منتجبِ الدين في هذا الموضع.

والمفيد أنَّ النيسابوريّ كان مشهوراً في زمانه، فقال ابن حجر عن نسبه: عبدالرحمن بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن الفضل بن شجاع ابن هاشم أبو محمّد الخزاعي النيسابوري[٢].

فقد ثبتت قطعةٌ أُخرى من نسب أبي الفتوح وهي: (أبو الفتوح الحسين بن علي بن أبي سعيد محمد بن أبي بكر أحمد بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن الفضل بن شجاع بن هاشم).

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٣٢.

(٢) لسان الميزان ٣: ٤٠٤.

المطلب الثّاني: موضع الاختلاف من شجرته

فقد اختلف بعد هاشم على ثلاثة أقوالٍ:

الأوّل: قال المحدّث الكبير الميرزا حسين النوري : أبو الفتوح الرازيّ المنتهي نسبه الشريف إلى عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي[١].

لكن لا يستفاد من كلامه أنّه كيف تتّصل سلسلة النسب إلى عبدالله بن بديل، وهل هو والد هاشم، أوغيره فإنّه مسكوت في كلامه.

الثاني: المحقّق الشهير محمّد القزوينيّ قال: هاشم بن نافع بن بديل بن ورقاء[٢]. وقال أيضاً كان لبديل سبعة أبناء هم: نافع، عبدالله، عبد الرحمن، سلمة، عمرو، عثمان، محمّد[٣].

و ردّ قول المحدّث النوري بإنّه خلط بين الأخوين يعنى نافع، وعبدالله ابنا ورقاء، واشتبه عليه أحدهما بالأخرى[٤].

فإنّ القزويني لا يرى منزلةً لهذا القول مع التصريح من أبي الفتوح بأنّه من نسل نافع بن بديل.

و كلام الذهبي الآتي أيضاً ـ خلاف قول القزويني.

الثالث: شمس الدين الذهبيّ: قال: عبدالرحمن بن أحمد بن الحسين

(١) خاتمة المستدرك ٣: ٧٢.

(٢) خاتمة الطبع: ٦١٧. ومجموعة آثار مؤتمر أبي الفتوح الرازي ٣: ١٧٥، وج٣: ١٨٣.

(٣) خاتمة الطبع: ٦١٧. ومجموعة آثار مؤتمر أبي الفتوح الرازي ٣: ١٧٥، وج٣: ١٨٣.

(٤) مجموعة آثار مؤتمر أبي الفتوح الرازي٣: ١٧٣. ترجمته: ناش من طغيان القلم ولا غير خلط بين الأخوين واشتبه عليه أحدهما بالأخرى.

بن أحمد بن إبراهيم بن الفضل بن شجاع بن هاشم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن بديل بن ورقاء بن نوفل أبو محمّد الخزاعيّ النيسابوريّ الشيعيّ[١].

فعلى هذا يتّصل هاشم بواسطتين ببديل بن ورقاء، والحال أنّه في قول المحقّق القزوينيّ يتّصل بواسطة واحدة، وهو مسكوت في كلام المحدّث النوري.

وبعض المحقّقين الذي يظهر منه أخذه بكلام الذهبي، أخذ هذا القول وردّ القولين السابقين، ووجّه تصريح أبي الفتوح ـ بأنّ نافع بن بديل جدّه ـ فيتقد بان نافع بن بديل عمّ لأجداده لا جدّ لأبي الفتوح[٢].

فإنّ هذه الأقوال الثلاثة لا يمكن الترجيح بينها والله العالم.

ومن الجدير التوجّه إلى إشكالٍ نشأ من تعبير منتجب الدين في فهرسته.

فإنّه في ترجمة أبي محمّد عبدالرحمن المعروف بالمفيد النيسابوريّ ـ الذي هو في الواقع عمّ لوالد أبي الفتوح ـ عبّر بأنّه عمّ لأبي الفتوح، والحال أنّه نفسه صرّح في ترجمة أبي بكر أحمد الذي هو جدّ بعيد لأبي الفتوح على خلافه، فقال: أخبرنا بها الشيخ الإمام السعيد ترجمان كلام الله تعالى جمال

(١) تاريخ الإسلام ٣٣: ١٥١.

(٢) الخزاعيون ودورهم في تشيع إيران ــ رسول جعفريان. ترجمته: طبقاً على ما صرّح العلماء في قضيّة إبراهيم بأنّه سمّى عمّه أباً.

الـدين أبـو الفتـوح الحسـين بـن علـي بـن محّمـد بـن أحمـد الخزاعـيّ الـرازيّ النيسابوريّ، عن والده، عن جدّه، عنه[١].

وقال الأفنديّ: إنّ كتاب تفسيره الكبير كتاب مشهور متداول، وقد رأيت الربع الأول من تفسيره هذا في أصبهان، وكانت النسخة عتيقةً جدّاً، وقد كتبت في زمانه، وعلى ظهرها خطّه الشريف، وإجازته لبعض تلامذته، وكان تاريخُ إجازته له سنةَ اثنتين وخمسين وخمسمائة، وعبر عن نسبه هكذا: الحسين بن عليّ بن محمّد بن أحمد الخزاعيّ[٢]، فإنّ هذا التصريح هو الصّحيح[٣].

وفي الختام نقول وهكذا فإنّ نسب أبي الفتوح على ما قرّره المحقق القزويني يصير: أبو الفتوح الحسين بن علي بن أبي سعيد محمّد بن أبي بكر أحمد بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن الفضل بن شجاع بن هاشم بن نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ.

الثاني: أصله ومولده ووفاته

وأمّا أصله:

فهو من قبيلة خزاعة العربية، فأصله عربيٌّ، فقد كان الخزاعيين من شيوخِ العرب، وعلمائِها، ولهم منزلةٌ خاصّة في العلم، ومن هنا نوجّه

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٣٢.

(٢) رياض العلماء ٢: ١٥٧.

(٣) مجالس المؤمنين لقاضي نور الله التسترى ١: ٤٨٩.

النظر إلى حركة الخزاعيين في المناطق المختلفة حتّى نصل إلى أبي الفتوح الرازيّ.

كانت خزاعة من قبائل العرب الجنوبية، وعلى الرواية المشهورة تكوّن فرعاً من أزد[١]. كما كان الحكم في مكّة بيد الخزاعيّين قبل تسلّط قريش عليها، وعلى الرواية المشهورة: إنّ قصيّ بن كلاب سلّط قريش على مكّة بعد استبعاده خزاعةَ عن الحكم. لكنّ الخزاعيّين كانوا من القبائل المهمّة في مكّة حتّى ظهر نور الإسلام، فصار الخزاعيّون كثيري التأثير في صدر الإسلام، وما بعده[٢].

ونشير هنا إلى جملةٍ ممّا ورد في شأن الخزاعيّين وخصوصاً من كان من نسب أبي الفتوح:

١. محمّد بن بديل، وعبدالله بن بديل حيث كانا من وكلاء رسول الله إلى اليمن[٣].

٢. اشترك عمرو بن بديل بن ورقاء من الأمراء في قضية الثورة على عثمان[٤].

قد عُدّ محمّد بن بديل، وعبدالله بن بديل ممَّن كان في جيش

---

(١) الصحاح ٣: ١٢٠٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ١: ٦٩. عمدة الطالب لابن عنبة٢٦.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩، الرقم ٣٩٨. الاصابة ٦: ٥، الرقم ٧٧٧٤. الاستيعاب ٣: ٨٧٢، الرقم ١٤٨١.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٤٠٢.

أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل وصفيّن، وكان عبدالله قائداً للمشاة[١].

ومن جملةِ ما يُقال في شأن الخزاعيّين أنّ لهم تأثيراً كبيراً في التغييرات، وبعضهم كان قائداً في فتوحات بعض مدن إيران، فقد افتتح عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ همذان، وأصبهان في سنة ٢٣[٢]. وبعد ذلك صار بعضهم حاكماً على مختلف المناطق في إيران، واستوطن منهم جماعةٌ كثيرةٌ في مناطق مختلفةٍ. ويمكن الإشارة هنا إلى جملةٍ من الأمكنة التي يرى فيها أثرُ الخزاعيّين وهي أصبهان، وخراسان ونيسابور، وسبزوار، وجرجان[٣]. والظاهر أنّ أجداد أبي الفتوح هاجروا إلى إيران، واستقرّوا في نيسابور، وسبزوار في القرن الأول، والثاني من الهجرة[٤].

يُستفاد من فهرست منتجب الدين، وتتبع حياة الخزاعيّين في القرن الخامس، والسادس من الهجرة، أنهم استوطنوا بدء الأمر في نيسابور، ومن ثمّ لقبوا بالرازي. فعلى هذا يمكن أن يُقال أنّ مسكنهم كان في نيسابور. وفي أواخر القرن الرابع، أوالخامس هاجروا إلى الرّيّ بالتدريج، ولعلّهم هاجروا إلى هناك؛ لتقوية التشيّع وتبليغه.

---

(١) الجمل للشيخ المفيد١٨٢. رجال الطوسي٤٩، الرقم ٣٩٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٧.

(٣) أُنظر: الأنساب ١: ٢٩٨، وج ٢: ٣٥٨. روض الجنان، المقدمة: ٢٣.

(٤) خاتمة الطّبع٦١٧.

ويجب التنبه إلى أنّ علماء هذه القبيلة كانوا يترتحلون إلى مناطق مختلفة؛ لطلب العلم، فقد نُقل عن سيرة عبدالرحمن بن أحمد المفيد النيسابوريّ: سمع من هناد النسفيّ، وابن المهتديّ وابن النقور، ورحل إلى الشام والحجاز، وخراسان[١].

هاجر أبوبكر أحمد بن الحسين، وهو الجدّ الثاني لأبي الفتوح، إلى الرّيّ في زمن صيرورة الرّيّ مركزاً للشّيعة[٢]. وأنجب أولاده فيها، ومن جملتهم أبو الفتوح المولود، والمتوفى فيها، والمدفون في ترابها.

مولده

لم يذكر المترجمون عن ولادته شيئاً، لكنّ الشواهدَ تشير أنّ ولادته كانت قبل سنة خمسمائة؛ لأنّ أبي الفتوح يروي عن أبي علي الطوسي الذي كان حيّاً في سنة ٥١١، ومن جهةٍ أخرى منتجب الدين الرازيّ المولود في سنة ٥٠٤ أو ٥٠٥ يعبّر عن أبي الفتحِ بعنوان شيخه وأستاذه[٣]. فعلى هذا يجب تقدير مولده بحث يمكن له الرواية عن أبي علي الطوسي، ويمكن لمنتجب الدين التعبير عنه بالتجليلِ، والعظمةِ والشيخوخة.

و لذا قال أحد المحقّقين: إنّ أبا الفتوح يروي عن أبي علي الطوسيّ،

(١) لسان الميزان ٣: ٤٠٤.

(٢) الفهرست لمنتجب الدين: ٣٢.

(٣) الفهرست لمنتجب الدين: ٣٢.

وكان وفاته حوالي سنة ٥٠٠ من الهجرة، فمن اللّازم أن يكون أبو الفتوح في سنين من عمره يمكن له الرواية عنه ويقدر بعشرين سنة، فعلى هذا يقال إنّ مولده كان قبل سنة ٤٨٠[١].

لكنّ الظاهر أنّ هذا الاحتمال لا تساعده الشواهد، فهو مبنيٌّ على ما قال ابن حجر في لسان الميزان : مات في حدود الخمس مئة[٢]، والحالَ أنّ الطبريّ في بشارةِ المصطفى في موارد متعدّدة يروي عن أبي عليّ الطوسيّ ويقول:

يَقولُ مُحمّدُ بنُ أَبي القَاسِمِ رَحِمَهُ الله فِي الدَّارَيْنِ: حَدَّثَنَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْمفِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الطُّوسِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِمَشْهَدِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى ذُرِّيَّتِه[٣].

ويقول المحدّث النوريّ أنه كان حيّاً إلى سنة ٥١٥[٤].

وأمّا وفاته

تاريخ وفاته أيضاً مبهمٌ كما تاريخ ولادته، لكنْ يمكن تعيين سنة قريبة لوفاته.

---

(١) روض الجنان، المقدمة: ٤٥.

(٢) لسان الميزان ٢: ٢٥٠.

(٣) بشارة المصطفى: ٢، ٥، ١١، ٢٢، ٣٩، ٤١.

(٤) خاتمة المستدرك ٣: ١٢٤.

فالشواهد تشير إلى أنّ وفاته كانت بين سنة ٥٥٢ إلى ٥٥٦.

يستفاد مما نقله الأفنديّ في رياض العلماء عند البحث عن نسخةٍ من تفسير أبي الفتوح كونه حيّاً حتّى سنة ٥٥٢، قال:

قد رأيت الربع الأوّل من تفسيره هذا في أصبهان، وكانت النسخة عتيقةً جدّاً، وقد كتبت في زمانه وعلى ظهرها خطّه الشريف، و إجازته لبعض تلامذته، وكان تاريخ إجازته له سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة[١].

وفى نسخةٍ من كتاب الفهرست للنّجاشيّ الموجودة في مكتبة فخر الدين النصيريّ بطهران التي جاءت في أوّلها إجازة من أبي الفتوح سنة ٥٥١ لولده تاج الدين ونصّها: حكاية ما وجد على الأصل المنقول منه هذا الفرع: سمع هذا الكتاب منّي بقراءة من قرأ الولد النّجيب تاج الدّين ابو جعفر محمد بن الحسين بن على بن محمّد ـ أدام الله توفيقه ـ وقد أجزت له روايته عنّى، ورواية ما يصحّ عنده من مجموعاتي ومسموعاتي على الشّرط المعلوم فى ذلك من اجتناب الغلط، والتّصحيف. كتبه الحسين بن علىّ بن محمّد الخزاعىّ بخطّه فى شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وخمسين وخمس مئة حامداً لله تعالى، ومُصلّيا على النّبى وآله ومسلّما. وكتب هذا مالك الكتاب نجم بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن حسن بن نجم الحسينىّ الشّامىّ السكيكىّ فى النجف الشّريف يوم الثلاثاء ثانى ذى الحجة

(١) رياض العلماء ٢: ١٥٧.

الحرام خاتمة شهور سنة اثنتين وثمانين وتسع مئة من هجرة سيّد المرسلين الطّيبين الطّاهرين[١].

وأما كون وفاته قبل سنة ٥٥٦، فهو بقرينةِ كتاب النقض لعبد الجليل القزوينيّ، ومن المعلوم أنّ القزويني ابتدأ في تأليف كتابه سنة ٥٥٦، وقد ذكر اسم أبي الفتوح في أماكن مختلفةٍ، وفي جميعها نقل كلمات دعائية يستفاد منها أنّ أبا الفتوح توفي قبله[٢].

وأمّا مرقده الشريف

دفن الشيخ أبو الفتوح الرازيّ في مدينة الريّ ولنا على ذلك شواهدُ متعددّةٌ:

أوّلا: لأنّه في مدّة حياته الشريفة كان في هذه المدينة، ولا داعي لانتقال جسده الشريف إلى موضعٍ آخر.

وثانياً: لم يذكر التاريخ هجرة أحد أولاده إلى مدينة أصبهان حتّى يكون ذلك داعياً لدفنه هناك، بل كون الرّيّ مركزاً للشيعة يكون سبباً قوياً لدفنه في هذه المدينة.

يقول حمد الله المستوفي (ت٧٥٠هـ) في نزهة القلوب: دفن في مدينة

---

(١) روض الجنان ١: ٥٨. تهذيب المقال للأبطحي ١: ١٤٠.

(٢) يقول ميرزا محمّد صادق الآزاداني الأصبهاني في كتاب شاهد صادق إن سنة وفاته كان في ٥٤٠ وهذا القول لا أساس له ووجّه كلامه المحدث الأرموي. أُنظر: تعليقات النقض ١: ١٥٧.

الرّيّ كثيرٌ من أهل البيت، ومن الأكابر والأولياء، منهم إبراهيم الخواص... والشيخ جمال الدين أبو الفتوح[١].

وصرّح تلميذ الشيخ ، وهو الشيخ نصير الدين ابو طالب عبدالله بن حمزة بن عبدالله بن حمزة فى كتابه إيجاز المطالب فى إبراز المذاهب، وأيضاً فى كتابه الآخر الهادي إلى النجاة من جميع المهلكات بأنّه كان حاضراً فى الرّيّ عند وفاةِ أستاذه، وأنّه دفن بقرب مرقد السيد الكريم عبد العظيم الحسني، وهذا التصريح من هذا الشيخ يوجب الاطمئنان[٢].

لكن أخطأ القاضي نور الله التستريّ (م١٠١٩هـ) بقوله: سمعت من بعض الثقات أنّ قبره الشريف وقع في أصبهان، والله تعالى أعلم[٣].

و علّة الخطأ كما صرّح به صاحب الروضات: من جهة أن قبر أبي الفتوح العجليّ العالم الشافعيّ في أصبهان واشتبه قبره على الناس[٤].

---

(١) نزهة القلوب٥٤. وقد نقل في كتاب حديقة الشيعة المنسوب إلى المحقق الأردبيلي هذا القول عن ابن حمزة.

(٢) أُنظر: حديقة الشيعة ٢: ٨٠٢.

(٣) مجالس المؤمنين ١: ٤٩٠.

(٤) روضات الجنات ٢: ٦.

الثَّالث: أولاده وأعلام أسرته

أبناؤه العلماء

كتب التاريخ ذكرت ولدين لأبي الفتوح، وكليهما كانا من العلماء، والأتقياء في زمانهما.

أحدهما: تاج الدين محمّد بن الحسين الخزاعيّ

قال منتجب الدين عنه: الشيخ الإمام تاج الدين محمد بن الشيخ الإمام جمال الدين أبي الفتوح الحسين بن على الخزاعى فاضل ورع[(١)].

قد وردت إجازة من أبي الفتوح لولده تاج الدين، وهي في ابتداء نسخة من فهرست النجاشيّ الموجودة في مكتبة فخر الدين النصيري بطهران، وقرأ أبو الفتوح تفسيره لتاج الدين، وأجازه روايته عنه[(٢)(٣)].

وقد وقع في ذيلها هكذا: سمع هذا الكتاب من أوّله إلى آخره الشّيخ الإمام الرئيس العالم تاج الدين محيي الأمة أبو جعفر محمّد، ابن سيدنا الشيخ الرئيس الإمام الأجلّ جمال الدين قطب الإسلام تاج الأئمّة أبي الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعيّ أدام الله علوهما، وكبت حسدهما، وعدوهما.

فيظهر من هذه الإجازة أوّلاً أنّ تاج الدين كان ذا منزلةٍ مثل أبيه، ولذا عُبّر

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين١١٣.

(٢) أعيان الشيعة ٦: ١٢٥.

(٣) تهذيب المقال للأبطحي ١: ١٤١.

عنه بـ(الشيخ الإمام الرّئيس العالم).

وثانياً: يظهر منها وجود حُسّاد، وأعداء لأبي الفتوح، ولولده تاج الدين فدعى لهما بقوله: (كبت حسدهما وعدوهما).

ثانيهما: صدر الدين علي بن الحسين الخزاعيّ

قال الشيخ منتجب الدين بما لفظه: الشيخ صدر الدين عليّ بن الشيخ الإمام جمال الدين أبي الفتوح الحسين بن عليّ رحمهم الله، فقيه دَيِّن[١].

أعلام أسرته

يُستفاد من دراسة حياته أنّ بيته وبيت أبيه، وأجداده كان من بيوت العلماء، والمشايخ في زمانهم، وقد قِيل في شأن عمِّ أبيه عبدالرحمن المفيد النيسابوريّ: (شيخ الأصحاب بالرّيّ)[٢].

وقال الأفنديّ عند الكلام عن أبي الفتوح: وكان هو رحمه الله، وولده الشيخ الإمام تاج الدين محمّد ووالده، وجده القريب، وجده الأعلى الشيخ أبو بكر أحمد، وعمّه الأعلى، وهو الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ أبي بكر أحمد المذكور كلّهم من مشاهير العلماء. وبالجملة هؤلاء سلسلة معروفة من علماء الإماميّة،

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٨٥.

(٢) الفهرست لمنتجب الدين٧٥.

ولكلّ واحد منهم تأليفات جياد وتصنيفات عديدة حسان[١].

أمّا أجداده فنشير إلى بعضهم:

الأوّل: بديل بن ورقاء

قد أسلم في يوم فتح مكة، ويشير أبو الفتوح إليه في تفسيره الكبير[٢]. وشارك في غزوة حنين تحت لواء **رسول الله** وتوفي قُبيل استشهاد **رسول الله** وكان له من العمر ۹۷ سنة[٣].

كان له سبعةٌ من الأبناء كلّهم كانوا من صحابة **رسول الله**، وكان أكثرهم مشاركاً في وقعة صفيّن مع **أمير المؤمنين**، واستشهدوا فيها[٤]. ونافع ابنه أسلم قبل أبيه بديل، واستشهد في يوم بئر معونة في السنة الرابعة من الهجرة[٥].

الثّاني: أبو بكر أحمد بن الحسين

هو الجدّ الثّاني لأبي الفتوح، قال عنه منتجبُ الدين: الشيخ الثقة التقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعيّ نزيل الرّيّ والد الشيخ الحافظ عبدالرحمن، عدلٌ عينٌ دَيّنٌ قرأ على

(١) رياض العلماء ٢: ١٥٨.

(٢) روض الجنان ٢: ٤٣٩ ـ ٤٤٦.

(٣) الامالی للطوسي٢٣٩. وذكر أخبار إصبهان ١: ٦٣. الإصابة ٥: ٤٨.

(٤) الاستيعاب ٢: ٨٢٣.

(٥) الاستيعاب ٤: ١٤٨٩.

السيدين المرتضى والرضيّ، والشيخ أبي جعفر الطوسيّ رحمهم الله، له الأمالي في الأخبار أربع مجلدات، وكتاب عيون الأحاديث، والروضة في الفقه والسنن، والمفتاح في الأصول والمناسك، أخبرنا بها الشيخ الإمام السعيد ترجمان كلام الله تعالى جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمّد بن أحمد الخزاعي الرازيّ النيسابوريّ عن والده عن جده عنه[١].

وجاء فى كتاب أعيان الشيعة: وفي المقاييس عنه عند تعداد تلامذة الشيخ الطوسيّ: ومنهم الشيخ الثقة العدل العين الجليل النبيل أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوريّ الخزاعيّ الرازيّ الذي هو من أجلاء تلاميذ السيدين المرتضى، والرضي أيضاً، ومن أعيان المصنفين في الفقه، وغيره ولم أقف على كتبه. انتهى.

وذكره الشيخ محمد بن علي بن حسن بن محمّد بن صالح العاملي ٥١٢ الجباعي من أجداد الشيخ البهائي في مجموعته فقال: هؤلاء جماعة من مشائخ الشيعة، ومصنفيهم الذين تأخر زمانهم عن زمان الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسيّ، ثم ذكر المترجم وجماعة غيره نقلنا أسماءهم عنه في أبوابها.

فقال في حق المترجم: عدل عين قرأ على السيدين المرتضى والرضيّ،

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٣٢.

والشيخ أبي جعفر ثمّ ذكر مؤلّفاته كما ذكرها منتجب الدين، وكأنّه نقل ترجمته عنه[(١)].

الثالث: أبو سعيد محمد بن أحمد النيسابوري

هو جدّ الشيخ أبي الفتوح الرازيّ، قال مُنتجب الدين: الشيخ المفيد أبو سعيد محمّد بن أحمد بن الحسين النيسابوريّ، ثقة عين حافظ، له تصانيف منها الروضة الزهراء في تفسير فاطمة الزهراء، الفرق بين المقامين وتشبيه علي بذي القرنين، كتاب الأربعين عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب منى الطالب في إيمان أبي طالب، كتاب المولى، أخبرنا بها شيخنا الإمام جمال الدين أبو الفتوح الرازيّ الخزاعيّ سبطه عن والده عنه[(٢)].

كان معاصراً للشيخ الطوسيّ[(٣)] ويقال أنّه كان تلميذاً له[(٤)] ولا تنافي بينهما.

الرابع: الشيخ المفيد أبو محمّد عبدالرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابوريّ الخزاعيّ

قال منتجب الدين عنه: شيخ الاصحاب بالرّيّ، حافظ بالرّيّ واعظ،

---

(١) اعيان الشيعة ٢: ٥١٢.

(٢) الفهرست لمنتجب الدين: ١٠٢.

(٣) الذريعة ١٩: ٢٤.

(٤) مدينة المعاجز ١: ٣٩٢.

سافر في البلاد شرقاً وغرباً، وسمع الأحاديث عن المؤالف والمخالف، وله تصانيفٌ، منها سفينة النجاة في مناقب أهل البيت، العلويات الرّضويات، الأمالى، عيون الأخبار، مختصرات في المواعظ والزواجر، أخبرنا بها جماعة منهم السيدان المرتضى، والمجتبى ابنا الدّاعي الحسينيّ، وابن اخيه الشيخ الإمام جمال الدين أبو الفتوح الخزاعيّ عنه رحمهم الله، وهو قد قرأ على السيدين علم الهدى المرتضى، وأخيه الرضى، والشيخ أبى جعفر الطوسيّ، والمشايخ سلار وابن البراج والكراجكيّ رحمهم الله جميعاً[1].

قال أبو الفتوح الرازيّ في روض الجنان: رأيت في الأمالي لعميّ الشيخ المفيد السعيد أبو محمّدٍ عبدالرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابوريّ قدس الله روحه وقد كتب بخطه[2].

الخامس: زين الدّين أبو الحسن علي بن محمّد الرازيّ المتكلم

كان متكلّما، مناظراً، مدرّساً قديراً، أخذ عن علماء عصره، وبرع في الكلام، وتصدّى للتّدريس، فالتفّ حوله روّاد العلم.

قال مُنتجب الدين عنه: (أستاذ علماء الطائفة في زمانه، وله نظمٌ رائقٌ في مدايح آل الرسول ومناظراتٌ مشهورةٌ مع المخالفين، وله: مسائل في المعدوم، والأحوال، وكتاب الواضح، ودقائق الحقائق شاهدته

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٧٥.

(٢) روض الجنان ٣: ١٦١.

وقرأت عليه)[١].

احتمل البعض اتّحاده مع عليّ بن محمّد بن أحمد بن الحسين الخزاعيّ النيسابوريّ الرازيّ، والد الشيخ أبي الفتوح الحسين الخزاعيّ.

و يمكن أن يُجاب عنه بعدم إشارةِ منتجب الدين إلى كونه والد أبي الفتوح، و إهمال ذكر نسبه الخزاعيّ مع أنّه كثيراً ما يذكر هذا النسب عند ترجمة أعلام هذه الأسرة[٢]، الذين أقاموا بنيسابور ثمّ بالريّ.

استظهر هذا الاحتمال صاحب الرياض، والمحقق الخوانساريّ، والعلّامة الطهراني[٣].

وقال الخوانساريّ في توجيه النسبة: (و ذلك لأنّ دأب السّلف كان فى الأغلب السّكوت عن بيان قرابة بعض الرّجال مع بعض، وذكر كيفيّة نسبة بعضهم إلى بعضٍ، كما لا يخفى على من تتبّع مُتون فهرستاتهم بخلاف المتأخّرين الملاحظين فى الاشارة إلى هذا المعنى فوائد كثيرة، فليتبصر ولا يغفل)[٤].

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين٧٩.

(٢) أُنظر: فهرست منتجب الدين، التراجم: ١، ٧٨، ٢١٩، ٣٦٠.

(٣) رياض العلماء ٤: ٢٠٧. روضات الجنات ٦: ٧٨. طبقات اعلام الشيعة ٢: ٢٠٢.

(٤) روضات الجنات ٦: ٧٩.

السّادس: أبو سعيد أحمد بن محمّد بن أحمد الخزاعيّ

قال مُنتجب الدين: الشيخ الإمام فخر الدين أبو سعيد أحمد بن محمّد بن أحمد الخزاعى، ابن أخ الشيخ الإمام جمال الدين أبى الفتوح. عالم، صالح ثقة[١]. وهو الملقّب بـ (الجملكي)[٢].

أورده صاحب الرياض، وقال: قد كان من أجلّاء العلماء، وكان ابن أخت الشيخ العدل زين الدين عليّ بن أحمد بن محمّد، كما قاله الشيخ مُنتجب الدين في الفهرس في طيّ ترجمة الشيخ زين الدين عليّ، ولا يخفى أنّ الذي وجدته في النسخة التى عندي من الفهرس المذكور قد وقعت كلمة ابن بين فخر الدين وبين أبي سعيد، ولكنْ في نسخة أمل الآمل للشيخ المعاصر لم تكن كلمة ابن موجودةً بينهما في ترجمة الشيخ زين الدين علي المذكور؛ ولذلك أوردناه في باب الألقاب، وفي باب الألف أيضاً. وعلى هذا لا وجه لعدم عقد الشيخ المعاصر على حدة ترجمة له في أمل الآمل أصلاً.

ثمّ أقول: لا يبعد عندي اتّحاد الشيخ فخر الدين أبو سعيد أحمد بن محمّد بن أحمد الخزاعيّ أخي الشيخ أبي الفتوح الرازي، وحينئذ تكون كلمة ابن بينهما من غلط النّساخ، ويظهر من ذلك الوجه في ترك الشيخ المعاصر أيضاً ترجمة له في باب الألقاب

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٣٧.

(٢) أعيان الشيعة ٦: ١٢٥.

أصلاً، فتأمل[١].

الرابع: منهجه العلمي و بعض آرائه

يظهر من نقل الأفندي، وتعبيره بشمس الشريعة، ومفتي الشيعة أنّه كان محلّاً لرجوع الناس.

ويمكن الاستشهاد بـ:

١. نقل استفتاءات من حضرته الشريفة[٢]. ومن اللّطيف أنّ السائل في سؤاله عبر عن أبي الفتوح بـ (مفتي الشرق والغرب).

٢. تداول كتّاب تفسيره، وتعدّد نسخ الكتّاب بين الناس كما نقله القزويني في كتاب النقض[٣].

وكانت له شخصيةٌ اجتماعيّةٌ، والدليل على ذلك:

١. إنَّ أبي الفتوح كان مشغولاً بالوعظ، والخطابة للناس في خان معروف بـ (خان علّان) حتّى سعى عليه بعض الحساد عند الوالي فمنعه الأخير، لكنّه بعد قليل عقد مجلسه بوساطةٍ ممّن كانت له منزلةٌ عند الوالي، فعقد مجلسه بتأييد منه[٤]. فيظهر من هذه

(١) رياض العلماء ٥: ٤٦٠.

(٢) جاء في حواشي نسخة من نهاية الشيخ الطوسي التي كان تاريخ كتابتها في ٥٥٤ (مكتبة العتبة الرضوية المقدسة، ش ٤٩٢٧٧) عدة سؤالات فقهية من أبي الفتوح وأجاب عليها. من افادات صديقنا العزيز المحقق سيد محمد حسين حكيم.

(٣) النقض٥١ ـ ٥٢، و١٩٢، و٢٨٢، و ٢٩٩، و٣٠٤، و٣١٩، و٥٦٥.

(٤) رياض العلماء ٢: ١٦١.

القضـــيّة أنّ شخصـــيّته كانـــت شخصـــيّةً اجتماعيّـــةٌ حتّـــى صـــار محسوداً عليها.

٢. هذه القضيّة نقلها أبو الفتوح هكذا: (وقد وقع لي مثل هذا كنت في أيّام شبابي أعقد المجلس في الخان المعروف بخان علّان، وكان لي قبولٌ عظيمٌ، فحسدني جماعةٌ من أصحابي فسعوا بي إلى الوالي، فمنعني من عقد المجلس، وكان لي جارٌ من أصحاب السلطان، وكان ذلك في أيّام العيد، وكان قد عزم على أن يشتغل بالشرب على عادتهم، فلّما سمع بذلك ترك ما كان عزم عليه، وركب واعلم الوالي ن القوم حسدوني وكذبوا علي وجاء حتى أخرجني من داري وأعادني إلى المنبر وجلس في المجلس إلى آخره فقلت للناس هذا ما قال النبي أنَّ الله ليؤيد هذا الدّين بالرجل الفاجر)[1].

فيتين لنا من هذه القضيّة أنّ أبا الفتوح ـ وإنْ كان غير معروفٍ عند الحاكم ـ انتشرت شهرته بعد هذه السّعاية.

و إنّ المترجَم له كان مقبولاً عند العلماء؛ ولهذا أيضاً شواهد كثيرة، منها:

١. تداول تفسيره بين العلماء كما نقله القزويني في النقض[2].

٢. جعل تفسيره أصلاً لبعض التفاسير ممن جاء بعده، أو كان معاصراً له[3].

---

(١) رياض العلماء ٢: ١٦١.

(٢) النقض: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) رياض العلماء ٢: ١٦٣.

٣. قد رحل أبو الكرم عبد السلام بن محمّد الأندرسبانيّ العالم المعتزلي في المئة السادسة إلى الرّيّ وأخذ إجازة من أبي الفتوح الرازيّ[١]، وهذا يكشف عن منزلة أبي الفتوح بين العلماء، وكونه شيخاً ذا منزلةٍ يقصد لأخذ الإجازة منه.

اما بعض آرائه:

منها: النظريّة التقريبيّة بين المذاهب

كان حُكم الريّ في عصر أبي الفتوح في يد أهل السّنّة، والوضع السياسيّ الحاكم كان يدعو الشيعة إلى الحذر، وعدم الخوض فى المسائل الخلافية. وقد لُمست هذه الفكرة من خلال مطالعة الكتب المكتوبة في ذلكَ العصر[٢].

وتفسير روض الجنان ـ الذي هو من مؤلفاته القيّمة ـ يثبت لنا ذلك حيث أنّه اهتمّ بتفاسير أهل السّنّة ويعكس آراء، ونظريات علماء أهل السّنّة في تفسير القرآن. وفي بعض مواضع الكتاب يتمادى كثيراً في هذا المجال حتّى يورد آراء المفسرين السّنّة فقط. أضف إلى ذلك أنّه أصرّ على نقل فتاوى علماء السّنّة في الآيات المشيرة لحكم فقهيٍّ[٣].

---

(١) أُنظر: الأربعين لأبي الكرم الأندرسباني.

(٢) أُنظر: عقيدة التفاهم المذهبي في القرن السادس والسابع الهجري ـ رسول جعفريان.

(٣) أُنظر: المفسّرون حياتهم ومنهجهم٤٨٩.

وهذا يدلّ على رأيه التقريبيّ بين المذاهب.

يضاف على ذلك :

١. استفادته من مصادر أهل السّنّة[١].

٢. مجموع الرّوايات التي أوردها في تفسيره من النبي كانت ١٨٢٠ رواية، وجميع ما نقله من روايات الأئمة هي ٢٠٠ رواية[٢].

٣. الراوي لأكثر الروايات النبويّة ينقلها من أشخاص مقبولين عند أهل السّنّة[٣].

٤. نقل روايات في شأن الصحابة عند بحثه عن بعض الآيات[٤].

٥. مضافاً إلى نقل الروايات في شأن الصحابة، عقّب لبعضهم بجملات يخبرنا عن توجهه التقريبيّ في هذا الموضوع[٥].

طريقته الأخلاقيّة والعرفانيّة

لُمِست هذه الحالة في حياة أبي الفتوح، فمنذ شبابه بدأ بوعظ الناس

---

(١) كما هو الظاهر في مواضع مختلفة من تفسير أبي الفتوح.

(٢) التحقيق في تفسير أبي الفتوح ٢: ٢٥.

(٣) من جملتهم: أبو هريرة، عبدالله بن مسعود، ابن عبّاس، أبي بن كعب، عبدالله بن عمر، سعيد بن جبير، حسن البصري، الشعبي، عبدالله بن سلام، كعب الأحبار، وهب بن منبه، ابن جريج، محمّد بن كعب القرظي، عمرو بن العاص، وغيرهم.

(٤) روض الجنان ١: ٤٩ ـ ٥٠.

(٥) روض الجنان ٣: ٧٠ و٢٤٥، و٥: ٢٧٨، و٧: ٥، و٩: ٢٥٢ -٢٥٣، و١٠: ٨٤، و٢٠: ١٥.

في خان علّان[١]، حتّى آخر عمره الشريف الذي ألف فيه تفسيره وملئه من القصص الأخلاقيّة، والعرفانيّة في ذيل الآيات، سيما القصص التي فيها المواعظ والحكم الدينيّة.

ويمكن أن يكون قصده من نقل الحكايات هو تنزيل المعارف الإلهيّة العميقة إلى حدٍّ يفهمه عامّة الناس أو كان قصده تبيين مصداق الآية من خلال الحكايات، والقصص.

ومن الجدير بالذّكر أنّ أبا الفتوح يراعي أحيانا آراء العرفاء والمتصوفة، ويوجّه الآية على وجه تطابق آراءهم، ويبين مسائل من المواعظ تحت عنوان (أهل الإشارات).

المنهج التسامحيّ في النقل

يمكن تقسيم العلماء، والمحققين على قسمين: قسم منهم يصرّ على نقل الروايات، والأقوال الصّحيحة ويجتنب عن نقل الروايات الضّعيفة[٢].

ومنهم من لا يرتضي هذا المنهج، ويتّخذ طريقاً آخر، ويتساهل في قبول الروايات كما كان هو منهج الشيخ أبي الفتوح الرازيّ[٣].

---

(١) رياض العلماء ٢: ١٦١.

(٢) قال ابن الغضائري في ذكر أحوالات البرقي: طعن القمّيون عليه، وليس الطعن فيه، إنّما الطعن في من يروي عنه؛ فإنّه كان لا يبالي عمّن يأخذ، على طريقة أهل الأخبار. وكان أحمد بن محمّد بن عيسى أبعده عن قم، ثمّ أعاده إليها واعتذر إليه. الرجال لابن الغضائري: ٣٩.

(٣) روض الجنان ٢٠: ٣٤١ ـ ٣٥٧.

الخامس: مشايخه وأساتذته

ذكر في المصادر والمؤلفات عدّة من المشايخ أبي الفتوح الرازيّ منهم:

الأوّل: أبو الوفاء عبد الجبّار بن عبدالله بن عليّ المقرئ الرازيّ المفيد

قال مُنتجب الدين: فقيه الأصحاب بالرّيّ، قرأ عليه في زمانه قاطبة المتعلّمين من السادة والعلماء، وهو قد قرأ على الشيخ أبي جعفر الطوسيّ جميع تصانيفه، وقرأ على الشيخين سالار وابن البرّاج، وله تصانيف بالعربية والفارسية في الفقه أخبرنا بها الشيخ الإمام جمال الدين أبو الفتوح الخزاعي رحمهم الله[1].

و وقع أبو الفتوح في طريق إجازة الشهيد الثاني، للشيخ شمس الدين أبي جعفر محمّد بن الشيخ تاج الدين التى تنتهي بالشيخ الطوسيّ رحمهم الله جميعاً[2].

وكان له مدرسةً عظيمةً في الرّيّ، وفيها جمعٌ غفيرٌ من الفقهاء، والمتكلمين من أقصى العالم، وكانوا مشتغلين بالتدريس والتعليم[3].

الثّاني: المفيد الثّاني، الشيخ أبو علي الحسن بن شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ

الفقيه الجليل الذي تنتهي أكثر إجازات الأصحاب إليه: أبو علي الحسن

---

(١) فهرس لمنتجب الدين ١٠٩. رياض العلماء ٤: ١٨٨.

(٢) بحار الأنوار ١٠٤: ١٩٧.

(٣) النقض: ٤٧ و١٨٢.

بـن شـيخ الطائفـة أبـي جعفـر محمّـد بـن الحسـن الطوسـيّ، العـالم الكامـل، المحدّث النبيل، صاحب الأمالي، الدّائر بين سدنة الأخبار، ويعبّر عنه تارةً بأبي عليّ، أو أبي عليّ الطوسيّ، وأخرى بالمفيد، أو المفيد الثاني[(١)].

وصرّح ابن شهر آشوب برواية أبي الفتوح عن أبي عليّ الطوسيّ بقوله فى المناقبِ ما هذه لفظه:

فأمّـا أسـانيد كتـب أصـحابنا فأكثرهـا عـن الشـيخ أبـي جعفـر الطوسـيّ، حـدّثنا بـذلك أبـو الفضـل الـدّاعي بـن علـيّ الحسـينيّ السـرويّ، وأبـو الرّضـا فضـل الله بـن علـيّ الحسـينيّ القاشـانيّ، وعبـد الجليـل بـن عيسـى بـن عبـد الوهـاب الـرازيّ، وأبـو الفتـوح الحسـين بـن علـي بـن محمـد الـرازيّ، ومحمّـد وعلـيّ ابنـا علـيّ بـن عبـد الصّـمد النيسـابوريّ، ومحمّـد بـن الحسـن الشوهانيّ، وأبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ، وأبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسن الحلبيّ، ومسعود بن علي الصوابيّ، والحسين بن أحمد بن طحـال المقـداديّ، وعلـيّ بـن شهرآشـوب السـرويّ، والـدي كلهـم عن الشيخين المفيدين أبي عليّ الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسيّ، وأبي الوفـا عبـد الجبـار بـن علـي المقـريّ الـرازيّ عنـه، وحـدّثنا أيضـاً المنتهـى بـن أبـي زيـد بـن كبـابكي الحسـينيّ الجرجـانيّ، ومحمّـد بـن الحسـن القتّـال النيسابوريّ، وجدي شهرآشوب عنه أيضاً سماعاً، وقراءةً ومناولةً، و إجازةً بأكثر

(١) مستدرك الوسائل، الخاتمة ٣: ١٢٤.

كتبه، ورواياته[١].

الثّالث: الشّيخ عليّ بن محمّد بن أحمد بن حسين الخزاعيّ النيسابوريّ الرازيّ

هو والد الشّيخ ابى الفتوح يروي الشّيخ عنه عن جده. كما صرّح به مُنتجب الدين فى ترجمة الشّيخ أبي بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوريّ الخزاعيّ بقوله:

... له الأمالي في الأخبار أربع مجلداتٍ، وكتاب عيون الأحاديث، والروضة في الفقه والسنن، والمفتاح في الأصول والمناسك، أخبرنا بها الشيخ الإمام السعيد ترجمان كلام الله تعالى جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن عليّ بن محمّد بن أحمد الخزاعيّ الرازيّ النيسابوريّ عن والده عن جدّه عنه[٢].

وأيضاً فى ترجمة الشّيخ الصائن أبي القاسم عبد العزيز بن محمّد بن عبد العزيز الإماميّ النيسابوريّ بقوله: شيخ الأصحاب، وفقيههم في عصره، وله تصانيف في الأصولين أخبرنا بها الشّيخ الإمام جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن عليّ الخزاعيّ عن والده عن جدّه عنه (رحمهم الله)[٣] وأيضاً فى ترجمة الشّيخ العدل المحسن بن الحسين

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١: ١٢.

(٢) الفهرست لمنتجب الدين٣٢.

(٣) الفهرست لمنتجب الدين٧٩.

بن أحمد النيسابوريّ الخزاعيّ، والشيخ المفيد أبو سعيد محمّد بن أحمد بن الحسين النيسابوريّ[١].

و في أعيان الشيعة نقلاً عن الرياض: يروي المترجم عن والده عن جدّه المذكورين، وعن والده عن جدّه المذكور وهو الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعيّ نزيل الرّيّ عن السّيدين المرتضى والرضيّ، وعن الشّيخ الطّوسيّ وفي العبارة إغلاق، ويمكن أن يريد أنّ المترجم تارةً يروي عن والده عليّ عن جدّه محمّد، وتارةً عن والده عليّ عن جدّ والده أحمد بن الحسين، ويروي جدّ والده عن المرتضي، والرضي وعن الشيخ الطوسيّ، وفي الروضات يروي أبو الفتوح عن أبيه عليّ بن محمّد، وعن عمه عن جدّه ثمّ عن جدّه عن والد جدّه المشار إلى اسمائهم مميزاتهم، وهو يريد ما أراده صاحب الرياض: فجاء بعبارة كعبارته في الأغلاق، وهؤلاء يريدون أن يكتبوا بالعربية ولا يجيدونها، فتقع عباراتهم مغلقة، والظاهر أنَّ مراده أبا الفتوح يروي عن أبيه وعن عم أبيه، وهو عبدالرحمن بن أحمد بن الحسين المتقدم ذكره في كلامه، فيكون راوياً عن عمّ أبيه كما روى عن أبيه[٢].

الرابع: الشيخ المفيد أبو محمّد عبدالرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابوريّ الخزاعيّ

وهو عمّ أبيه، قال منتجب الدين عنه: شيخ الأصحاب بالرّيّ، حافظ

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين١٠٢.

(٢) اعيان الشيعة ٦: ١٢٥.

بالرّيّ واعظ، سافر في البلاد شرقاً وغرباً، وسمع الأحاديث عن المؤالف والمخالف، وله تصانيف منها: سفينة النجاة في مناقب أهل البيت ، العلويات الرضويات، الأمالى، عيون الأخبار، مختصرات في المواعظ والزواجر، أخبرنا بها جماعة ...»[١].

الخامس: القاضي عماد الدين أبو محمّد الحسن بن محمّد بن أحمد الأسترآبادي، قاضي الرّيّ

كان من فقهاء الحنفية، ولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وقدم بغداد سنة ستّ وسبعين وأربعمائة وتفقّه على القاضي أبي عبد الله الدامغاني حتّى برع في الفقه، وسمع من أبي نصرٍ، وأبي الفوارس ابني محمّد بن علي الزينبيّ، وعاصم بن الحسن، وابن خيرون، وأبيه محمّد، وأبي الحاجب الأَسترآبادي. واستنابه القاضي محمّد بن نصر الهرويّ في قضاء حريم دار الخلافة سنة اثنتين وخمسمائة، توفّي بالرّيّ سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.

وقد ذُكر الأَسترآبادي في كتب الشيعة، وروى عنه السيّد فضل الله الراوندي، وأبو الفتوح الحسين بن علي الخزاعيّ الرازيّ، وابن شهر آشوب المازندراني، ومنتجب الدين ابن بابويه الرازيّ، في (الأربعون حديثاً) في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام توفّي بالرّيّ سنة إحدى وأربعين وخمسمائة[٢].

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٧٥.

(٢) طبقات أعلام الشيعة ٢: ٦٥. موسوعة طبقات الفقهاء ٦: ٧٨.

وقال صاحب المعالم: أنّه يروي كتاب غرر الفوائد، ودُرر القلائد للسّيد المرتضى عن والده عن محمّدٍ بن جعفر عن عبدالله بن جعفر الدوريستي عن جده عن جده عن المصنف، ويروي أيضاً الجزء الأوّل منه عن والده عن الشيخ أبي الحسن علي بن يحيى الخيّاط عن السيد الأجل الشريف شرفشاه بن محمّد بن الحسين بن زيارة الأفطسيّ عن شيخه الفقيه جمال الدين أبي الفتوح الحسين بن علي الخزاعيّ عن القاضي الفاضل حسن الأستراَبادي عن ابن قُدامة عن السّيد المرتضى(١).

السادس: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الخوارزميّ الزمخشريّ

من أئمّة العلم ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ، وسافر إلى مكّة، فجاورها زمناً، ولقّب بجار الله، ثمَّ تنقّل في البلدان ليعود إلى الجرجانيّة من قرى خوارزم، وتوفي فيها سنة ٥٣٨ هـ. من أشهر كتبه الكشّاف في تفسير القرآن الكريم، وأساس البلاغة، والجبال والأمكنة والمياه، وغير ذلك الكثير(٢).

وعبّر عن أبي الفتوح في عدّة مواضع من تفسيره قائلاً: شيخنا أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ(٣)، ولا يعلم أنّ الزمخشريّ سافر إلى الرّيّ، أو أبا

---

(١) أُنظر: مستدرك الوسائل، الخاتمة ٣: ٩٧.

(٢) وفيات الأعيان ٢: ٨١. ولسان الميزان ٦: ٤.

(٣) روض الجنان ١٦: ١٧١.

الفتوح إلى بخارى.

السادس: تلامذته والراوون عنه

المعروف أنَّه صرف جميع عمره الشريف في طريق التحصيل، والتدريس والتأليف، والوعظ والإرشاد، واستفاد منه جمٌّ من علماء عصره، كما تتلمذ عليه وروى عنه، واعتمد على حديثه جمعٌ من فضلاء عصره، ومنهم:

الأوّل: عليّ بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه الرازيّ القمّيّ، الملقّب بمنتجب الدين (كان حيّاً في ٦٠٠ هـ)

أقبل على طلب الحديث منذ صغره، وأفنى عمره الطويل في ذلك، فسمع من مشايخ بلدته ريّ، ورحل فسمع بأصبهان وقزوين وبغداد، وخوارزم ونيسابور وغيرها، وبرع في هذا الشأن، حتّى صار من مشاهير حفّاظ عصره.

قال تلميذه عبد الكريم الرافعيّ الشافعيّ في التدوين في أخبار قزوين:

شيخ ريّان من علم الحديث سماعاً وضبطاً، وحفظاً وجمعاً، يكتب ما يجد، وسمع ممّن يجد، ويقلّ من يدانيه في هذه الأعصار في كثرة الجمع والسماع، والشيوخ الذين سمع منهم، وأجازوا له ...[(١)].

ووصفه عبدالله أفندي التبريزيّ في رياض العلماء بالعالم الفقيه

---

(١) التدوين في أخبار قزوين ٣: ٣٧٨- ٣٧١.

المحدّث، وقال: كان بحراً من العلوم لا يُنزف، سمع عمّن دبّ ودرج من مشايخ مذهبه، ومشايخ سائر المذاهب الإسلاميّة[١].

قد قرأ عند الشيخ أبي الفتوح الرازيّ تفسيره، وكتاب رَوح الأحباب، وأخذ الإجازة منه[٢].

الثّاني: رشيدالدين أبوجعفر محمّدبن عليّ بن شهرآشوب السرويّ المازندرانيّ(ت ٥٨٨ هـ)

من أعلام الطائفة، وروى عن جمع من مشايخ الفريقين، وتفقّه وبرع في علوم القرآن والحديث، والعربية وغيرها وصنّف فيها.

وروى عن: عليّ بن عليّ بن عبد الصّمد التميميّ، ومحمّد بن الحسن المعروف بالفتّال النيسابوريّ، وأبي المحاسن مسعود بن عليّ بن أحمد الصوابيّ، والسيّد أبي الرضا فضل الله بن عليّ الحسنيّ الراونديّ والمفسّر جار الله الزمخشري المعتزلي، وأبي عبد الله محمّد بن أحمد النطنزيّ، وغيرهم.

قال الصفدي في حقّ المترجم: أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة، كان يُرحل إليه من البلاد، ثمّ تقدّم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيّام المقتفيّ

---

(١)أمل الآمل ٢: ١٩٤. رياض العلماء ٤: ١٤٠. وتنقيح المقال ٢: ٢٩٧.

(٢) الفهرست٤٨.

ببغداد، فأعجبه وخلع عليه[١].

و أخذ إجازة رواية تفسير أبي الفتوح من مصنفه[٢].

الثّالث: الشيخ الإمام نصير الدين أبو طالب عبدالله بن حمزة بن عبدالله الطوسي الشارجي المشهدي

من عيون علماء الطائفة في عصره روى عن السيّد فضل الله بن علي الحسينيّ الراونديّ، ومحمّد بن الحسين بن جعفر الشوهانيّ، والمفسّر أبي الفتوح الخزاعيّ الرازيّ، فقيهاً جليل القدر، وكان مشهوراً ببلده وله مؤلّفات قيّمة، منها: الهادي إلى النجاة، والوافي بكلام المثبت والنافي بالعربية، و إيجاز المطالب في إبراز المذاهب بالفارسية.

وقال العلّامة النوري: و هذا الشيخ عظيم الشأن جليل القدر من أعيان علماء الإماميّة، قال محمد بن الحسن القطب الكيدري تلميذه في كتاب كفاية البرايا في معرفة الأنبياء، والأوصياء: حدّثني مولاي وسيدي الشيخ الأفضل العلّامة قطب الملّة والدين نصير الإسلام والمسلمين مفخر العلماء، ومرجع الفضلاء عمدة الخلق ثمال الأفاضل عبدالله بن حمزة بن

(١) الوافي بالوفيات ٤: ١١٨. أُنظر أيضاً: معالم العلماء: ١١٩. وجامع الرواة ٢: ١٥٥. وأمل الآمل٢: ٢٨٥. وروضات الجنّات ٦: ٢٩٠.

(٢) المناقب ١: ١٢. ومعالم العلماء: ١٤١.

عبدالله بن حمزة الطوسيّ أدام الله ظلّ سموّه، وفضله للأنام وأهله ممدوداً، وشرع نكته، وفوائده لعلماء العصر مشهوداً، قراءة عليه بساتر واربهق في شهور سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة[١].

قال الشيخ الأفندى صاحب الرياض بقوله: ويروي عنه أيضا جماعةٌ: منهم الشيخ نصير الدين أبو طالب عبدالله بن حمزة الطوسيّ[٢].

الرّابع: صفيّ الدين أبو محمّد حسن بن أبي بكر بن سيار الحيرويّ

قال الأفندي: وقد رأيت بخط بعض الأفاضل على ظهر بعض نسخ كتاب رجال النجاشيّ كما سننقله في ترجمة الشيخ تاج الدين محمّد بن الشيخ جمال الدين أبي الفتوح الحسين بن عليّ الخزاعيّ ما يدلّ على أنّ الشيخ صفيّ الدين هذا قد كان شريك الدرس للشيخ مُنتجب الدين صاحب الفهرس في قراءة ذلك الكتاب على الشيخ أبي الفتوح المذكور في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٤٧٢- ٤٧٣.

(٢) أُنظر: الفهرست لمنتجب الدين: ١٢٥. رياض العلماء ٢: ١٥٨. أمل الآمل ٢: ١٦١. الذريعة ٢: ٤٨٧. طبقات أعلام الشيعة ٢: ١٦٣. معجم رجال الحديث ١٠: ١٧٧. حدائق الحقائق ٣: ١٢٣٣.

(٣) رياض العلماء ١: ١٤١.

واستدرك المحقق الطهرانيّ بقوله:

الشيخ الإمام صفيّ الدين أبو محمّد الحيرويّ[١] كذا وجد في صورة إجازة كتبها الشيخ أبو الفتوح الحسين بن عليّ الرازيّ على ظهر نسخة من (رجال النجاشيّ) الذي يرويه عن شيخه عبد الجبار بن عبدالله المقريّ، الذي هو مجاز عن مؤلّفه النجاشي، قد كتب تلك الإجازة جمع قرؤوا عليه رجال النجاشي منهم صاحب الترجمة، فهو غير الحسن بن ابراهيم بن بندار المذكور في فهرس منتجب الدين، والصورة الفتوغرافية لتلك الإجازة على نسخة النجاشيّ موجودة في مكتبة أمير المؤمنين، فهو غير الجيروي بالجيم المذكور في فهرس المنتجب، لا يصح أيضاً ما احتمله صاحب الرياض من كونه بالخاء المعجمة[٢]. والله العالم.

الخامس: عماد الدين أبوالفرج على بن الحسين الراونديّ

ترجم له منتجب الدين وقال:

الشيخ الإمام عماد الدين أبو الفرج عليّ بن الشيخ الإمام قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الرّاونديّ، فقيه، ثقة. هو يروي عن أبيه، وعن السيّد فضل الله الراونديّ، وأبي الفتوح الخزاعيّ المفسّر وأبي عليّ الطبرسيّ صاحب مجمع البيان، وعن الشيخ المتكلّم سديد

---

(١) لعلّه نسبة إلى الحيرة جنوب النجف.

(٢) طبقات أعلام الشيعة ٣: ٥٢.

الدين محمود الحمصيّ الرازيّ، وعن الشيخ عبد الرحيم بن أحمد المعروف بإبن الأخوة البغداديّ ـ نزيل أصفهان المتوفّى سنة ٥٤٨ هـ ـ وعن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن المحسن الحلبيّ.

وفي أمل الآمل أنّه روى عن أبي عليّ الطوسيّ، ولكنّ الشيخ أبا عليّ بن الشيخ الطوسيّ كان حيّاً سنة ٥١٥ هـ، ويستبعد إدراك عماد الدين له، ويمكن أنّ الطبرسيّ صُحّف إلى الطوسيّ.

ومن تلمّذه عند هؤلاء يبدو أنّ ولادته كانت في أوائل القرن السادس، وكان حيّاً سنة ٦٠٠ هـ.

روى عنه وقرأ عليه نصير الدين عبدالله بن حمزة الطوسيّ صاحب الوسيلة، والشيخ جعفر بن نما الحلّي، والسيّد حيدر بن محمّد الحسيني صاحب غرر الدُّرر، وأسعد بن عبد القاهر الأصفهانيّ مؤلّف كتاب رشح الولاء[1].

كنّاه السيّد ابن طاوس في فتح الأبواب: (أبا الفرج) وروى عن محمّد بن نما، وأسعد بن عبد القاهر عنه[2].

---

(١) فهرست منتجب الدين ٥٤، الرقم ٢٧٥. وله ترجمة في أمل الآمل ٢: ١٧١. تعليقة أمل الآمل: ١٨٥ و١٩١. الثقات العيون: ١٩٠. معجم رجال الحديث ١٢: ٣٩. روضات الجنّات ٤: ٧.

(٢) فتح الأبواب: ٢٣٨.

السّادس: السّيد عز الدّين شرفشاه بن محمّد بن الحسين بن زبارة الحسينيّ الأفطسيّ النيسابوريّ

المعروف بزيارة من سادات آل زيارة في نيسابور التي تعد من أكبر قبائل السادات المقيم في خراسان.

قال المُنتجب الدين عنه: (السيد عز الدين شرفشاه بن محمّدٍ الحسينيّ الافطسيّ النيسابوريّ المعروف به زيارة المدفون بالغريّ على ساكنه السلام، عالمٌ فاضلٌ له نظمٌ رائق ونثر لطيف)[١].

وروايته عن الشيخ المفسر أبي الفتوح الرازيّ موجودة فى إجازة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني لنجم الدين السيد محمّد الحسينيّ المعروفة بالاجازة الكبيره بقوله:

و ذكر أنّه يروي كتاب غرر الفوائد، ودُرر القلائد للسيد المرتضى عن والده عن محمّد بن جعفر عن عبدالله بن جعفر الدوريستيّ عن جدّه عن جدّه عن المصنف، ويروي أيضاً الجزء الأوّل منه عن والده عن الشيخ أبي الحسن عليّ بن يحيى الخيّاط عن السيد الأجل الشريف شرفشاه بن محمّدٍ بن الحسين بن زيارة الأفطسيّ عن شيخه الفقيه جمال الدين أبي الفتوح الحسين بن عليّ الخزاعيّ عن القاضي الفاضل حسن الأسترآباديّ عن ابن قُدامة عن السيد المرتضى[٢].

---

(١) الفهرست لمنتجب الدين٧٠.

(٢) بحار الانوار ١٠٦: ٤٧.

السّابع: تاج الدين محمّد الخزاعي

هو إبن أبي الفتوح وتلمذ عند أبيه، وقد تقدّم شرح حاله في البحث عن أثرته.

الثامن: ابو الكرم عبد السلام بن محمد بن حسن بن علي الاندرسباني الخوارزمي

و هو من علمآء المعتزلي في القرن السادس. وصاحب التصانيف منها كتاب الاربعين وقال فيه :

... أخبرني الإمام أفضل الزمان أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي بمدينة الري إجازة رحمه الله أخ الفقيه الزاهد الحسن بن بابا الأذّوني - قرية بقصران في الري، وقصران ناحية بالري من أعمال فارس وقراهم - أخ أبو بكر طاهر بن الحسين بن علي السمّان أخ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين الرازي الحياكة.

قال رضي الله عنه: وأخبرني عالياً الحافظ أبو منصور الديلمي رحمه الله إذناً أخ الحافظ عبد الرحيم بن محمد بن المرزبان الصيدلاني في كتابه إليّ من الري أخ أبو سعد هذا أخ أحمد بن محمد بن محمود بتستر بقرائتي عليه ... قال رضي الله عنه: ...وأورده الإمام المحقق أبو سعد السمّان رحمه الله في كتاب مأئتي مجلس وشيخي هذا أبو الفتوح إمام أهل الري في علم اللغة والإعراب والحديث والتفسير، سمعت عليه بعضاً من كتاب الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، وأجاز لي كتاب مأتي مجلس وهو كتاب عزيز المتن؛ لأنّه قيل ما لفظ الزمان برجل جمع الف

علم الحديث إلى علم الكلام مثل أبي سعد السمّان رحمه الله.

له التصانيف الحسان مثل معجم الشيوخ، ومعجم البلدان، ودلائل الإيمان وغيرها. مات سنة خمس وأربعين وأربعمائة، ودفن بجبل طبرك بقرب محمد بن الحسن رحمة الله عليهما[١].

السابع: مؤلّفاته وآثاره

وله تصانيفٌ تشهد بفضله، وغزارة علمه، وتُنبئ عن علوّه وكماله، وجمعه بين موروث المجد ومكتسبه، وفهرست مؤلّفاته على ما ذكره الأعلام، والمترجمون له هكذا:

١. روض الجنان، وروح الجنان في تفسير القرآن

وأمّا البحث عن خصوصياته، فقد أكثروا من البحث فيها، ونحن نشير إلى عدّةٍ من الجهات إجمالاً:

١. إنّ تأليف التفسير باللّغة الفارسيّة كان مألوفاً من القرن الثالث، وأمّا أبو الفتوح، فقد بلغه إلى كماله من جهة الكمية والكيفية.

٢. يتبع في تفسيره منهجاً وصورته هكذا: يأتي بآيةٍ بعد آية مع ترجمةٍ لفظيّةٍ في ذيلها، ثمّ يأتي بآية بعد ذكر (قوله تعالى)، ويبحث عنها من جهة لغتها، وصرفها ونحوها مع الشواهد عليها وينقل حديثاً، أو حكاية

---

(١) أُنظر: مقالات الاستاد الدكتور حسن الانصاري القمي.

باقتضاء المقام، ويبحث أحياناً عن وجهتها الفقهيّة والأصوليّة والكلاميّة، ويؤدّي حقه حسب وسعه وطاقته، ويبحث أيضاً عن المباحث المرتبطة بالقراءات، وكل ما يذكره في الكتاب يأتي له بشاهد.

٣. في تفسيره يتبع ما كان متعارفاً في التفاسير القصصيّة قبله، وكان فى متناول يده أمثلة ممتازة مثل تفسير الطبريّ، وتفسير السورآباديّ، فمن هذه الجهة توجه أبو الفتوح إلى ما أُلّف قبله.

٤. استفاد المؤلف كثيراً من تفسير التبيان لشيخ الطائفة الطوسيّ، وتفسير ابن جرير الطبريّ، وتفسير الكشف والبيان للثعالبيّ[١].

٥. أثّر تفسيره في التفاسير الفارسية الشيعيّة التي جاءَت بعده منها تفسير كازر تأليف أبي المحاسن الجرجانيّ، وتفسير منهج الصادقين تأليف ملّا فتح الله الكاشانيّ[٢].

كثرة المدح، والإطراء عليه من جانب، وكثرة الإجازات في نقل هذا التفسير إشارةً لإستحسانه من قبل العلماء، نشير إلى بعضها:

قال ابن شهر آشوب: له كتاب روض الجنان، وروح الجنان في تفسير القرآن فارسيّ إلّا أنّه عجيب[٣].

وقال المولى القاضي المرعشيّ في مجالس المؤمنين عند ذكره:

(١) أُنظر: مجموعة المقالات لمؤتمر الشيخ أبي الفتوح الرازي ١: ٨٥ ـ ١٣١.

(٢) أُنظر: مجموعة المقالات لمؤتمر الشيخ أبي الفتوح الرازي ١: ١٩٨ ـ ٢١٨.

(٣) معالم العلماء: ١٢٨.

وتفسيره الفارسيّ ممّا لا نظير له في وثاقة التحرير، وعذوبة التقرير، ودقّة النظر قال: والفخر الرازيّ في تفسيره الكبير قد أخذ منه، وبنى عليه أساسه، ولكن لأجل دفع الانتحال أضاف بعض التشكيكات[١].

وقال الأفندي: و أمّا تفسيره الفارسيّ، فهو من أجل الكتب، وأفيدها وأنفعها وقد رأيته، فرأيت منه بحراً طمطاماً... وبالجملة مآثر فضله، ومساعيه الجميلة في تفسيره كتاب الله العظيم وأبطال التأويلات السقيم من المخالفين الأثيم، وتعنفات غير المستقيم المبتدعين الرجيم لا يخفى على الجماهير.. وتفسيره الفارسيّ ممّا لا نظير له في وثاقة التحرير، وعذوبة التقرير ودقّة النظر[٢].

وقال أيضاً: وقد نسب إليه بعض متأخريّ العلماء كتاب تفسير آخر بالعربي أيضاً، وقد صرّح نفسه قده في أوّل تفسيره الفارسيّ الكبير بأنّه وعد لأصحابه تفسيرين أحدهما بالفارسيّة والآخر بالعربيّة[٣] وأنّه قدّم الفارسيّ في التأليف على العربي، فالظاهر أنّه قد ألّفه أيضاً[٤].

وقال العلّامة النوريّ في فوائد المستدرك عند ذكره لتفسيره:

---

(١) مجالس المؤمنين ١٠١.

(٢) رياض العلماء ٢: ١٥٨و ١٦٢.

(٣) روض الجنان ١: ٢.

(٤) رياض العلماء ٢: ١٦٣.

وهذا التفسير العجيب في عشرين مجلّداً، وفيه أخبارٌ كثيرةٌ تناسب أبواب كتابنا هذا، إلّا أنّه لكونه بالفارسيّة، ويحتاج نقله إلى الترجمة ثانياً بالعربيّة، ويخاف منها فوات بعض مزايا الأخبار، لم نرجع إليه إلّا قليلا، وقد ينقل الخبر بمتنه ثم يترجمه، فأخرجناه سالما والحمد لله... ينتفع من تفسيره الفقيه، والمفسّر والأديب والمؤرّخ والواعظ، وطالب الفضائل والمناقب، والفاحص عن المطاعن والمثالب[1].

٢. رَوح الأحباب ورُوح الألباب في شرح الشهاب

محتوى الكتاب على ما نقله السيد محسن الأمين هكذا: ألّفه باسم تاج الدين، والشهاب هو جمعه القاضي القضاعي من كلام النبيّ في الأحكام والمواعظ، والآداب والحكم[2].

قد صرّح جماعة بصحّة نسبة الكتاب إليه، منهم: عبد الجليل القزوينيّ في النقض، مُنتجب الدين في فهرسته، وابن شهر آشوب في معالم العلماء، شمس الدين محمّد بن عليّ الجباعيّ في مجموعته، والعلامة المجلسيّ في بحار الأنوار، والأفندي في رياض العلماء، والمحدث النوري في المستدرك والسيّد إعجاز حسين في كشف الحجب والأستار، والسيد

---

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الخاتمة ١: ١٧٨.

(٢) أعيان الشيعة ٦: ١٢٦.

محسن أمين في أعيان الشيعة[1] والأردبيليّ في جامع الرواة والشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل، والشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني في منتهى المقال[2].

قال مُنتجب الدين عنه: له تصانيف منها التفسير المسمى بروض الجنان في تفسير القرآن عشرين مجلدا ورَوح الأحباب ورُوح الألباب في شرح الشّهاب قرأتهما عليه[3].

وقال صاحب الرياض: قد رأيت نسخة شرح الشّهاب له في طهران وأخرى في الهراة، وهي حسنة الفوائد. قال الشيخ ابو الفتوح الرازيّ هذا في شرح الشّهاب المذكور عند شرح قوله ﷺ: «**إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**» بعد نقل مؤلفة قلوبهم حجة على قوله ما هذا لفظه: وقد وقع لي مثل هذا، كنت في أيام شبابي أعقد المجلس في الخان المعروف بخان علّان، وكان لي قبولٌ عظيمٌ، فحسدني جماعة من أصحابى فسعوا بي الى الوالي فمعنى من عقد المجلس، وكان لي جارٌ من أصحاب السلطان، وكان ذلك في أيام العيد، وكان عزم

(١) النقض٤٦. والفهرست لمنتجب الدين٤٨. ومعالم العلماء ١٧٥. وأعيان الشيعة ٦: ١٢٤، عن الجباعي. وبحار الأنوار ١٠٢: ٢٢١. ورياض العلماء ٢: ١٥٨. وخاتمة المستدرك ٣: ٧٣. وكشف الحجب والأستار: ٢٩٣.

(٢) جامع الرواة ١: ٢٤٩. وأمل الآمل ٢: ١٠٠. ومنتهى المقال ٣: ٦٣.

(٣) الفهرست لمنتجب الدين ٤٨، جامع الرواة ١: ٢٤٩، بحار الأنوار١٠٢: ٢٢١.

على أن يشتغل بالشرب على عادتهم، فلما سمع ذلك ترك ما كان عزم عليه وركب، وأعلم الوالي أن القوم حسدوني، وكذّبوا عليّ وجاء حتى أخرجني من داري، وأعادني إلى المنبر وجلس في المجلس إلى آخره، فقلت للنّاس: هذا ما قال النبي «إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[١]».

وهذه القضيّةُ موجودةٌ فى شرح الشّهاب الموجود بايدينا.

تمّ الشرح بيد مؤلّفه الشريف يوم الجمعه في أواخر جمادي الآخر سنة ثلاث وخمسمئة هجريّة، كما في خاتمة المخطوطة هذه.

المؤلفات المختلف فيها

هذه الرسائل ذكرها أوّل مرّة الأفنديّ في رياض العلماء، لكن يلوح منه ـ على ما في تعبيره بـ (على ما نسب إليه) ـ أنه نقل هذه النسبة من آخرين، ولا يعلم من هو أوّل شخص نسب هذه الرّسائل إليه. وهي ثلاثة رسائل:

١. رسالة يوحنا

قد عُبّر عنه بأسماء مختلفة، منها: منهاج المناهج، ورساله يوحناى إسرائيلي، وكتاب يوحنا، و إمامت، ورساله كلامي، ورساله اي در حقانيت شيعه[٢].

---

(١) رياض العلماء ٢: ١٦١.

(٢) الذريعة ٢٣: ١٧٦.

محتوى الرسالة على ما قاله الأفنديّ هكذا: رسالةٌ جيّدةٌ لطيفة معروفة مشتملة على بطلان المذاهب الأربعة وتصحيح المذهب الجعفريّ أعنى مذهب الإماميّة، وأجرى الكلام فيها على لسان يوحنا الذمي الانجيليّ النصرانيّ على أنّه كان كافراً، ثمّ أسلم وتفحص وبحث عن المذاهب، فاختار مذهب الشيعة، على نهج الطرائف لابن طاوس في الإمامة حيث تكلّم فيه على لسان عبد الحميد الذميّ[١].

لم يثبت انتساب الرسالة عند العلم العلامّة الآغا بزرك كما هو عند الأفنديّ، فقال: هي مثل الحسنيّة تنسب إلى أبي الفتوح الرازيّ صاحب تفسير روض الجنان كما عن رياض العلماء، ولكن أقدم نسخة من الحسنيّة هي التي أتى بها الملا إبراهيم استرآبادي أو الملا ضياء الدين من دمشق إلى ايران في سفر حجّه ٩٥٨ فترجمها بالفارسيه[٢].

٢. الرّسالة الحُسنِيّة

محتواها على ما قال الأفنديّ هكذا: «رسالة مشهورة جيدة نفيسة، وكانت بالعربيّة، وقد ترجمها بعضهم بالفارسيّة، في مسألة الإمامة، ووضعها على لسان جارية اسمها حسنيّة، وقد كانت كافرة، ثمّ أسلمت وقد تكلمت بحضرة هارون الرشيد في مذهب الشيعة، وإبطال

(١) رياض العلماء ٢: ١٥٩.

(٢) الذريعة ٢٥: ٢٩٦.

مذاهب أهل السّنّة، وهي أيضاً حسنة الفوائد[١].

وقال العلامة الطهرانيّ: الرسالة المعروفة في الإمامة المنسوبة إلى بعض بنات الشيعة، للمولى إبراهيم بن ولى الله الاسترآبادي، ذكر في أول الترجمة أنه لما حجّ في (٩٥٨ هـ) ظفر في دمشق عند بعض السادة على نسخة هذه الرسالة، فحملها إلى بلاده، فالتمس منه بعض الأخيار ترجمته إلى الفارسيّة؛ تكثيراً للمنفعة[٢].

ويظهر من كلام هذين العلمين أنّ أصل الرسالة كانت لشخص، وأتى بها الملا إبراهيم الاسترآبادي، ولا نعلم لأيّ سبب نسبة إلى أبي الفتوح الرازيّ.

٣. تبصرة العوامّ

محتواها على ما قال الأفنديّ هكذا: تبصرة العوام في الملل والنحل بالفارسيّة..على ثمان وعشرين باباً وقد ذكر فيه ذم الصوفية أيضا[٣].

وقد نسب هذا الكتاب إلى عدّة من العلماء:

١. السّيد الشّريف مرتضى علم الهدى (ت٤٣٦هـ)[٤].

---

(١) رياض العلماء ٢: ١٥٩.

(٢) الذريعة ٤: ٩٧. وأُنظر أيضاً: الذريعة ٧: ٢٠.

(٣) رياض العلماء ٢: ١٥٩.

(٤) نسبها إلى جماعة المحقق إقبال الآشتياني في مقدمة كتاب تبصرة العوام، ولعل منشأه ما نقله التستري في مجالس المؤمنين من السائل الهمداني. أُنظر: مجالس المؤمنين ٣: ١٦٢.

٢. السّيد المرتضى الثاني، أبو أحمد عدنان بن السّيد الرضيّ محمّد بن الحسين الموسويّ (ت٤٤٩هـ)[١].

٣. السّيد صفي الدين مرتضى بن الداعي بن قاسم الحسني الرازي (ت٥٠٥هـ)[٢].

٤. أبو الفتوح الرازيّ (ت ٥٥٤هـ)[٣].

٥. جمال الدين المرتضى محمّد بن الحسين بن الحسن الرازيّ (كان حيّاً بعد ٦٣٠هـ[٤]).

لكنّ الآن لم يبق شكّ عند المحقّقين أنّ هذا الكتاب من مؤلّفات جمال الدين الرازيّ لعدّة شواهد الأوّل: تصريح المترجم في النسخة المعرّب ـــ

(١) مجالس المؤمنين ٣: ١٦٣.

(٢) رياض العلماء ٢: ١٥٩. خاتمة المستدرك ٢: ٤٣٠.

(٣) نقله الأفندي في رياض العلماء ٢: ١٥٩. ونقله السيد محسن الأمين هكذا: رأيت منه نسخة في مكتبة الشيخ فضل الله النوري في طهران من خط شيخ الاسلام في أصفهان ميرزا قاضي وهذه عبارته: وقد ذم الشيخ أبو الفتوح الحسين بن علي الخزاعي الرازي الحسين بن منصور الحلاج في كتابه الموسوم بتبصرة العوام، وقد رأيت هذا الكتاب بخطه. أعيان الشيعة ٦: ١٢٦.

(٤) هذا ما اعتقده السيد إعجاز حسين في كشف الحجب: ٩٦، وتبعه العلم النحرير الطهراني في أواخر كتابه الذريعة وقد عدل عما اعتقده في أوائل كتابه وقال: (قد أخطأنا عند ذكرهما في (ذ ٣: ٣١٨ - ٣٢٠ و١٦: ٢٣٩) فنسبناهما إلى المرتضى الداعي الرازي تبعا لما أصر عليه صاحب الرياض) الذريعة ٢٤: ١٢٣. فما نسبه بعض من العلماء الأعلام إلى صاحب الذريعة لا يناسبه. أُنظر: كتاب جرعه اي از دريا ١: ٢٩.

الذي فرغ من الترجمة في ٦٥٨ ـــ بأنّ الأصل لجمال الدين المرتضى محمّد بن الحسين بن الحسن الرازيّ[١].

الثاني: إنّ مؤلّف نزهة الكِرام هو جمال الدين هذا، وهو يصرّح في هذا الكتاب بأنّه ألّف تبصرة العوام وينقل عنه في الكتاب مراراً[٢].

والثالث: إن الكتاب قد حوى شواهد تثبت أنّ الكتاب قد ألّف بين سنة ٦٠٠ إلى ٦٥٣ ولا ينطبق هذا التاريخ إلّا على جمال الدين الرازيّ[٣].

الثامن: ذكره العاطر فى كتب التراجم

للمترجم له ذكرٌ جميل مشفوعا بالثناء والتبجيل في كتب التراجم والرجال وتعظيمه والإعجاب بسعة باعه في الفقه والحديث والتفسير و إليك نبذة من كلماتهم:

ذكره الشيخ عبد الجليل القزوينيّ الرازيّ(م ٥٦٠هـ) في كتاب النقض، فقال: الإمام أبو الفتوح الرازيّ مصنف عشرين مجلداً في تفسير القرآن. وقال في موضعٍ آخر: للشيخ الإمام أبي الفتوح الرازيّ عشرون مجلداً في تفسير القرآن من مصنفاته، والأئمّة والعلماء من جميع الطوائف

---

(١) أُنظر: الذريعة ٢٤: ١٢٣.

(٢) أُنظر أيضاً: الذريعة ٢٤: ١٢٣.

(٣) أُنظر: تبصرة العوام ـ مقدمة المحقق إقبال الآشتياني، وكتاب جرعه‌اى از دريا ١: ٢٠.

راغبون فيه[١].

وقال تلميذه الشيخ مُنتجب الدين عليّ بن بابويه الرازيّ (توفى بعد ٥٨٥هـ):

عالمٌ واعظٌ مفسرٌ دَيّن له تصانيف منها التفسير المسمى بروض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن عشرين مجلداً، ورَوح الأحباب، ورُوح الألباب في شرح الشهاب قرأتهما عليه[٢].

وقال تلميذه الآخر ابن شهر آشوب السرويّ المازندرانيّ(م٥٨٨هـ): عالمٌ، له كتاب روح الجنان، وروح الجنان في تفسير القرآن فارسي إلّا أنّه عجيب، شرح الشّهاب[٣].

وأيضاً مدحه القاضي نور الله التستريّ (ت١٠١٩هـ) في مجالس المؤمنين في فصل مختص ما معناه: إنّ قدوة المفسرين الشيخ أبا الفتوح الحسين بن عليّ بن محمّد بن أحمد الخزاعيّ الرازيّ، كان من علماء التفسير والكلام، وعظماء أدباء الأنام ومن أهل بيت الفضل والجلال، ومن أولاد بديل بن ورقاء الخزاعيّ الذي كان من أكابر أصحاب الرسول، ومن كبار خزاعة[٤].

وقال العلّامة مير مصطفى التفريشيّ (ت ١٠٤٤هـ) في نقد الرجال: عالمٌ

(١) النقض٥١ ـ ٥٢، وص١٩٢، وص٢٨٢، وص ٢٩٩، وص٣٠٤، وص٣١٩، وص٥٦٥.

(٢) الفهرست لمنتجب الدين٤٨.

(٣) معالم العلماء١٢٨.

(٤) مجالس المؤمنين.

فاضـلٌ ديـن ثقـه عـين واعـظ مفسّـر، لـه تصـانيفٌ منهـا التفسـير المسـمّى بروض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن عشرين مجلّدة[١].

وقـال الميـرزا عبـدالله الأفنـدي صـاحب ريـاض العلمـاء (ت١١٣٠هـ): الشيخ الإمام السعيد قدوة المفسرين ترجمان كلام الله... الفاضل العالم الفقيه المفسر الكامل المعروف بالشيخ أبي الفتوح الرازيّ صاحب التفسير الفارسيّ الكبير المشهور، من أجلّة علماء الإماميّة وعظمائهم... ورأيت فى بعض المواضع في مدحه: الشيخ الإمام السعيد المفيد جمال الدين قطب الإسلام فخر العلماء شرف الدولة شمس الشّريعة، مفتي الشيعة أبو الفتوح ـ... الخ. ثمّ أقول: إنّ كتاب تفسيره الكبير كتابٌ مشهورٌ متداولٌ.. وقال بعض تلامذة الشيخ عليّ الكركيّ في رسالته في ذكر أسامي مشايخ الشّيعة: ومنهم الشيخ الفقيه أبو الفتوح الرازيّ، أحد الأئمّة المشهورين ـ انتهى. وأمّا تفسيره الفارسيّ، فهو من أجل الكتب وأفيدها وأنفعها، وقد رأيته فرأيت منه بحراً طمطاماً، وأدرجه الأستاد الاستناد أيده الله أيضا في بحار الأنوار، وكذلك شرح الشّهاب المذكور، وقد رأيته في طهران أيضاً. وله قده ميل إلى التصوف، وكلام الصوفية على ما يظهر من تفسيره الفارسيّ، وشرح الشّهاب المذكورين، وكان رحمه الله كثيرُ العلم وافر الفضل، غزير الرواية عن العلماء والمشايخ جامعاً للفضائل[٢].

---

(١) نقد الرجال: ١٠٨.

(٢) رياض العلماء ٢: ١٥٦.

وقال المحقّق محمّد باقر الخوانساريّ (م١٣١٣هـ) في روضات الجنّات: كان ـ يرحمه الله ـ من أعلام علماء الفقه والكلام أعاظم الأدباء المهرة الاعدام، وأفاخم يلغ الناقلين لأحاديث الإسلام. صاعداً عليّاً ذروة سنام للأصالة والنجابة، اللتين قلّ ما يتّفق مثلهما في بيت ليس هو من أهل البيت؛ وذلك لأنّه كان من جملة أحفاد البديل بن ورقاء الخزاعيّ الصحابيّ الجليل المشهور، وبنو خزاعة كانوا من شيعة آل محمّدٍ ومحبيهم الأصفياء عن القديم[1].

وقال المحدّث الخبير ميرزا حسين النوريّ (م١٣٢٠هـ) في خاتمة المستدرك: الشيخ الإمام السعيد قدوة المفسرين، ترجمان كلام الله جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن عليّ بن محمّد بن أحمد الخزاعيّ الرازيّ النيسابوريّ، الفاضل العالم، الفقيه المفسّر، أديب العارف، الكامل البيلغ المعروف بأبي الفتوح الرازيّ[2].

التاسع: منهج العمل في الكتاب

ومن الجدير بالذكر ان اول من نبه بنسخة الكتاب خلال تحقيقاته الانيفة الثمينة، الاستاد الدكتور حسن الانصاري القمي ونحن اتبعنا فى تدقيقاته وعثرنا بحمد الله على نسخة القيمة.

---

(١) روضات الجنات ٢: ٣١٤.

(٢) خاتمة المستدرك ٣: ٧٢.

أمّا النسخ الموجودة بأيدينا من رَوح الأحباب:

١. مخطوطةٌ نفيسةٌ موجودةٌ في مكتبة دار الافتاء السعوديه في الرياض رقم ١٥٠/٨٦ تفضّل عليّ بصورة منها الصديق الكريم الشيخ عبدالله الغفرانيّ (دام عزّه) مشكوراً.

أوّلها: بسم الله الرّحمن الرّحيم، وبه نستعين الحمد لله الّذي هدانا بفضله للإسلام، ودعانا بنفسه إلى دار السّلام، وأنزل علينا كتاباً مشتمِلاً على ما فيه صلاحُ ديننا ودنيانا من الأحكام، فارقاً بين الحلال والحرام، وأرسل إلينا نبيّاً اختاره من سائر الأنام محمّداً المصطفى عليه أفضلُ الصّلاة والسّلام، وعلى آله البَرَرةِ الكرامِ وأصحابِه أنجُمِ الظّلامِ، ما تَتابَعَ مُرورُ السّنينِ والأعوامِ بكُرور اللّيالي والأيّامِ. وبعدُ، فقد سأَلني الولد النّجيب تاجُ الدّين محمّدُ بن الحسين بن عليّ بن محمّد بنِ أحمدَ ـ أدام الله توفيقَه وسَهَّل له إلى اقتباس العلوم طريقَه ـ أنْ أكتبَ له كتاب الشِّهاب للقاضي القُضاعيِّ ـ رحِمَه اللهُ ـ وأشرحَ له شرحاً مُقتِصداً بين الإطناب والإقلال.

آخرها: تمَّ الكتاب في شرح أخبار بحمد الله والصلاة على محمد وآله وعترته، وكنت لمّا شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب وتأمّلتُ أحاديثه، فوجدتها ظاهرة غير محتاجة إلى شرحٍ وتأويل وتفسير، وندمتُ بعض الندامة، غير أنّي لمّا شرعتُ فيه رأيتُ الشروع كالملزم، فدرتُ حواليها وأخذتُ من حواشيها، وما كان له بالحديث بعض النسبة من الأخبار والآثار والأمثال والأشعار. وما كان ظاهره مخالفاً للعدل والتوحيد، تأوّلته

تأويلا ناوياً يطابق أدلّة العقل؛ على أنّ هذه الأخبار أخبار آحاد لا توجب علماً، وإن أوجبت عملاً عند بعض العلماء، فلا خلاف أنّها لا توجب علماً إلّا ما حكي عن الجاحظ ولم يكن هذا العلم من شأنه مع ادّعائه التفتّن في العلوم أعني أُصول الفقه، وإن وجد في هذا الكتاب خبرٌ مكرر أو بيت مُعادٌ فإنّما يكون ذلك سهواً ونسياناً لا قصداً واعتماداً، فإنّ أكثرها ممّا كتبته غير حفظي وظهر قلبي، ولأنّي كنتُ أشتغلُ به يوماً وعنه شهرا المدافعات الزمان ومماطلات الأيّام لئلاّ يأخذ عليَّ من نظرٍ فيه، والله تعالى بمنّه وفضله ينفعنا بما جمعناه، ويوفّقنا للعمل بما فيه ولما فيه محبّته ورضاه، إنّه القادر عليه وهو ذو الفضل والكرم، والمُنعِم علينا بضروب النّعَم، وفرغت من جمعه في أواخر جمادي الآخر سنة ثلث وخمس مئة هجريّة.

المخطوطة هذه بخطّ: محمّد بن الحسن الأستر آبادي في يوم الخميس سادس عشر شهر رجب المرجب ست وسبعين وسبعمائه.

و هي من تملّكات عبدالله بن شمس الدين الأردكاني.

و هي النسخة الأساس، والأصل التي اعتمدنا عليه، وأشرنا اليها برمز (أ).

٢. مخطوطةٌ موجودةٌ في مكتبة المحدّث الأرمويّ في مركز إحياء ميراث إسلاميّ رقم ٤١٧٣ تعرف بضوء الشّهاب في الفهرس، تفضّل بصورةٍ منها الصديق الكريم الشيخ محمّد حسين الدرايتي (دام عزّه) مشكوراً.

الخطبة ساقطة من المخطوطة.

اوّلها الموجودة: ممّا سمعتُه من حديث رسول الله ﷺ ألْفَ كلمة من

الحكمة في الوصايا، والآداب والمواعظ والأمثال، قد سلِمتْ من التكلّف مبانيها... .

آخرها: ويوفّقنا للعمل بما فيه ولما فيه محبّته ورضاه، إنّه القادر عليه وهو ذو الفضل والكرم، والمُنعِم علينا بضروب النّعَم.

وتمّ تحريرها في يوم الخميس الثالث والعشرين شهر جمادي الآخر سنة تسع وثمانين بعد الف من الهجرة النبويّة المصطفويّة.

والمخطوطة منخرمةٌ غير تامّةٍ في كثير من أوراقها، ولانعرف ناسخها. وأشرنا اليها برمز (ب).

٣. مخطوطةٌ موجودةٌ في مكتبة ملك في طهران برقم ٥٦٩٦ تعرف بضوء الشهاب في الفهرس.

أوّلها: قال فدخل في أوصافه الكاف إلى أن يقال.

آخرها: وهو ذوالفضل والكرم، والمنعم علينا بضروب النعم ووقع الفراغ من تحرير، والمخطوطة غير مؤرّخة منخرمة، غير تامّة في كثير من أوراقها، ولانعرف ناسخها، وأشرنا إليها برمز (ج).

٤. الرابعة والخامسة: النسختان الموجودتان تحت رقم ٩٥٨٤[١] وأيضاً تحت رقم ١٢٤٠ في مكتبة البارلمان الإيراني، يُعرفن بضوء الشّهاب في الفهارس[٢].

---

(١) فهرست مجلس ٣: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) فهرست مجلس ٤: ٤٣ ـ ٤٤. طبعت هذه المخطوطة ملتبسة بضوء الشِّهاب في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدّسة، بتصحيح الشيخ عقيل عبد الحسن الربيعي فى ١٤٣٥هـ.

المخطوطة الأولى مورّخة في ١٣١٨ هـ الثانية في ١٣١٩ هـ وهما منخرمتان غير تامتان في كثير من الأوراق. وأشرنا إليهما برمز (د) و(ه).

النسخ التى لم نعثر عليها، والنسخ المنسوبة

لم نعثر على نسخةٍ أكمل ممّا وجدناه في المخطوطات التي وصلت إلينا وهى:

١. النسخة الموجودة في مكتبة سيد على شبر في نجف على مشرفها السّلام. قال عنها الشيخ الطهراني:

شرح شهاب الأخبار للقاضى القضاعي، لبعض الأصحاب، رأيته فى كتب السيد على شبر فى النجف ولما ضمن خطبة الشهاب آية التطهير قال الشّارح عند شرح الآية ما لفظه: ليس المراد أنّه كان هناك رجس أذهبه الله تعالى عنهم، بل المراد بيان امتناعهم عن الرجس بالاختيار من لطف الله تعالى وتوفيقه. ثمّ ذكر نزول الآية فى بيت أم سلمة عند تغطية **النبى** وآله بالكساء الخيبري .. إلى أن قال: وذكر أبو عبد الله الدامغانى صاحب كتاب (سوق العروس)، وهو من أئمّة أصحاب الحديث. هذا الخبر فى كتابه بالإسناد وذكر ما قاله الشعراء فى أشعارهم.

هذه المميزات موجودة بعينها في رَوح الأحباب لأبي الفتوح الرازيّ الموجودة بايدينا الآن.

٢. النسخة الموجودة في مكتبة شيخ الاسلام الميرزا فضل الله الزنجانيّ، ذكرها الاستاذ الفقيد الدكتور حسين علي محفوظ في معهد المخطوطات.

وجـدير بالـذكر أنّ النسـخة الموجـودة فـي مكتبـة جامعـة طهـران باللّغـة الفارسـية، ورقـم ١٢٧ فـي مجموعـة الاسـتاذ السـيد محمّـد مشكاة ليست رَوح الأحباب كما ظنّ الاستاذ الفقيد دانش پژوه في فَهرَسَته لمكتبة جامعة طهران، واستفاد منه الأستاذ الشيروانى في تصحيح ترك الأطناب.

و أيضاً مخطوطة أخرى بمكتبة جامعة طهران تحت رقم ٧٣٧٣ كما قال في الفهرست.

و أيضاً مخطوطة موجودة في مكتبة المحدّث الأرمويّ في مركز إحياء ميراث إسلاميّ برقم ٢٨٧٤ كما ادّعى ذلك بعض الأفاضل(١).

اعتمدنا في تحقيق الكتاب على النسختين: أوّلاً السعودية، والأرمويّة ثانياً، وفي حالة عدم العثور على الكلمة الصحيحة اعتمدنا على سائر النسخ والمصادر وصحّحناها، وأشرنا إلى ذلك في الهامش.

كما وخرّجنا الأحاديث التي نقلها المصنّف عن طريق الخاصّة، والعامّة من المصادر، وقد بذلنا ما بوسعنا في تخريج الأقوال والآراء من مصادرها، وإسناد الكلام إليها، وفي موارد اليأس عن ألفاظ الروايات بعينها، حاولنا جهد الإمكان نقل الأحاديث الأُخرى الواردة

(١) أُنظر: لتفصيل دلائله: (درنگى در ضوء الشِّهاب ونسخه هاىِ آن)، آيينۀ پژوهش، مهدى سليماني الآشتياني، العدد ١٣٥ـ ١٣٦ و(شناسايى نسخه هاى روح الأحباب ورَوح الألباب)، مهدى سليماني الآشتياني، كتاب شيعه، العدد ٥.

بهذا المعنى؛ كي يتعرّف القارئ الكريم على مضمون الرواية المنقولة.

مع علمنا أنّ الباع قصير، والأمر عسير فاتعبنا انفسنا، وبذلنا وسعنا، فالحمد لله الذي أعاننا، وله الشكر على كلّ حال.

شكرٌ وتقديرٌ

وأخيراً من اللّازم أن أقدّم شكري الجزيل إلى كلِّ من ساعدني في انتاج هذ العمل القليل، وإخراج هذا السفر الجليل إلى عالم النور، وأتوجّه ببالغ الامتنان للإخوة الأعزّاء والأساتذة، لا سيّما الأُستاذ الدكتور حسن الانصاري القمي، والشيخ المحقق عبدالله الغفرانيّ، والأخ الفاضل السيد محمّد حسن المؤمني، والأخ الفاضل الشيخ محسن الجيريايي.

وأشكر الأصدقاء الأعزاء الذين لم يبخلوا علي بكل مساعدة ممكنة، فعلى الله أجرهم جميعاً: منهم الشيخ الفاضل محمّد حسين الدرايتي، والأخ الفاضل محمّد هادي الخالقي، والأخ الفاضل محمّد بورصباغ، والشيخ مهدي الغفورى الشم آبادي والشيخ مصطفى الإمامي الاهوازي، والشيخ جواد الفاضل وأيضاً الإخوة محمّد كطران كشمر (أبو نور)، وحسين أفخميان الأردكاني، اللّذان قامان بنضد الحروف. وختاماً أُقدّم شكري المتواصل وثَنائي العاطر إلى الأُستاذِ الأديب الدكتور علي زاهدبور والأخ الفاضل الشّيخ قاسم شيرجعفري حيث قاما بمراجعة الكتاب النهائيّة، وأيضاً

رعاية العتبة الحسينية المقدسة من خلال شعبة التحقيق قسم الشؤون الفكرية، والثقافية المتمثلة بالأخ الأستاذ أحمد الشيخ جاسم الساعدي، وبالتعاون مع السيد حسين عدنان الرضوي.

و أرجو من الله سبحانه وتعالى لهم الصحّة وطول العمر، وأن يزيد في تأييدهم وتوفيقهم، ونسأله أن يتقبّل منّا ويغفر لنا ولوالدينا ولمن وجب حقّه علينا، إنّه بالإنعام حقيق والتفضّل جدير.

قم المقدّسة

رمضان المبارك ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢ م

مهدي الآشتياني

نَمَاذِجُ مُصَوَّرَةٌ مِنَ المَخْطُوطَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا بفضله للإسلام ودعانا بنفسه إلى دار السلام وأنزل
علينا كتابا مشتملا على ما فيه صلاح ديننا ودنيانا من الاحكام فارقا بين الحلال
والحرام وأرسل إلينا نبيا اختاره من سائر الأنام محمد المصطفى عليه أفضل
الصلوة والسلام وعلى آله البررة الكرام وأصحابه الخيرة الأعلام ما تتابع مرور السنين
والأعوام بكرور الليالي والأيام وبعد فقد سألني الولد النجيب
تاج الدين محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الحسني أدام الله توفيقه وسهل
له إلى اقتباس العلوم طريقه أن أكتب له كتاب الشهاب للقاضي القضاعي
رحمه الله وأشرح له شرحا مقتصدا بين الإطناب والإقلال إطنابا لا يؤدي
إلى الإملال وإقلالا لا يفضي إلى الإخلال وأشير إلى أصول الكلمات واشتقاقاتها
وإلى نبذ من التصريف وطرف من الإعراب دون التعمق والإغراب فأجبته
إلى ملتمسه ومبتغاه وأسعفته لحاجته ومتوخاه راجيا أن ينفعه الله به ويطلبه
طلبته من أنواع العلوم ويوفقه لحفظها والعمل عليها وما يقوي دواعيه إليها
ويلطف له ولنا فيما يقربنا من طاعاته ويزلفنا إلى مرضاته بفضله ورحمته إنه
على ما يشاء قدير وهو عليه سهل يسير وبدأت بشرح الخطبة على ما شرطت ثم أتبعه
إن شاء الله تعالى بشرح الأحاديث والأخبار مستمدا من الله المعونة والتوفيق
فما المعونة إلا به وما التوفيق إلا من عنده بسم الله الرحمن الرحيم وبه الثقة
قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة ابن جعفر بن علي القضاعي
رحمة الله عليه الحمد لله القادر الفرد الحكيم الفاطر الصمد الكريم باعث نبيه محمد
[illegible] وسلم بجوامع الكلم وبدائع الحكم و[illegible]

صورة صفحة الأولى من نسخة «أ»

شرعت

والصلوة على محمد وآله وعترته وكنت لما شرعت في تصنيف هذا الكتاب وتأملت احاديثه

فوجدتها ظاهرة غير محتاجة الى شرح وتفسير وتأويل فندمت الندامة غير اني لما شرعت فيه رايت

الشروع فيه كالملتزم فلازمت حواليها ولفقت عن حواشيها واوردت فيه ما كان له بالحديث بعض النسبة

من الاخبار والآثار والامثال وما كان ظاهره مخالفا للعدل والتوحيد تاولته تاويلا يطابق ادلة

العقل على ان هذه الاخبار اخبار آحاد لا توجب علما ولئن اوجبت عملا عند بعض العلماء فلا خلاف انها

لا توجب علما الا ما حكي عن الجاحظ ولم يكن هذا العلم من شانه مع ادعائه التفنن في العلوم اعني اصول

الفقه ولئن توجد في هذا الكتاب حرف مكرر او بيت معاد فانما يكون ذلك سهوا ونسيانا لا قصدا وتعمدا

فان اكثرها مما كتبته غير حفظي وخاطر قلبي لاني كنت اشتغل به يوما دون شهر لمدافعات الزمان

ومماطلات الايام لئلا يأخذ علي من نظر فيه والله تعالى بمنه وفضله ينفعنا بما جمعناه ويوفقنا

للعمل بما فيه ولما فيه محبته ورضاه انه القادر عليه و

هو ذو الفضل والكرم والمنعم علينا بضروب النعم وفرغت

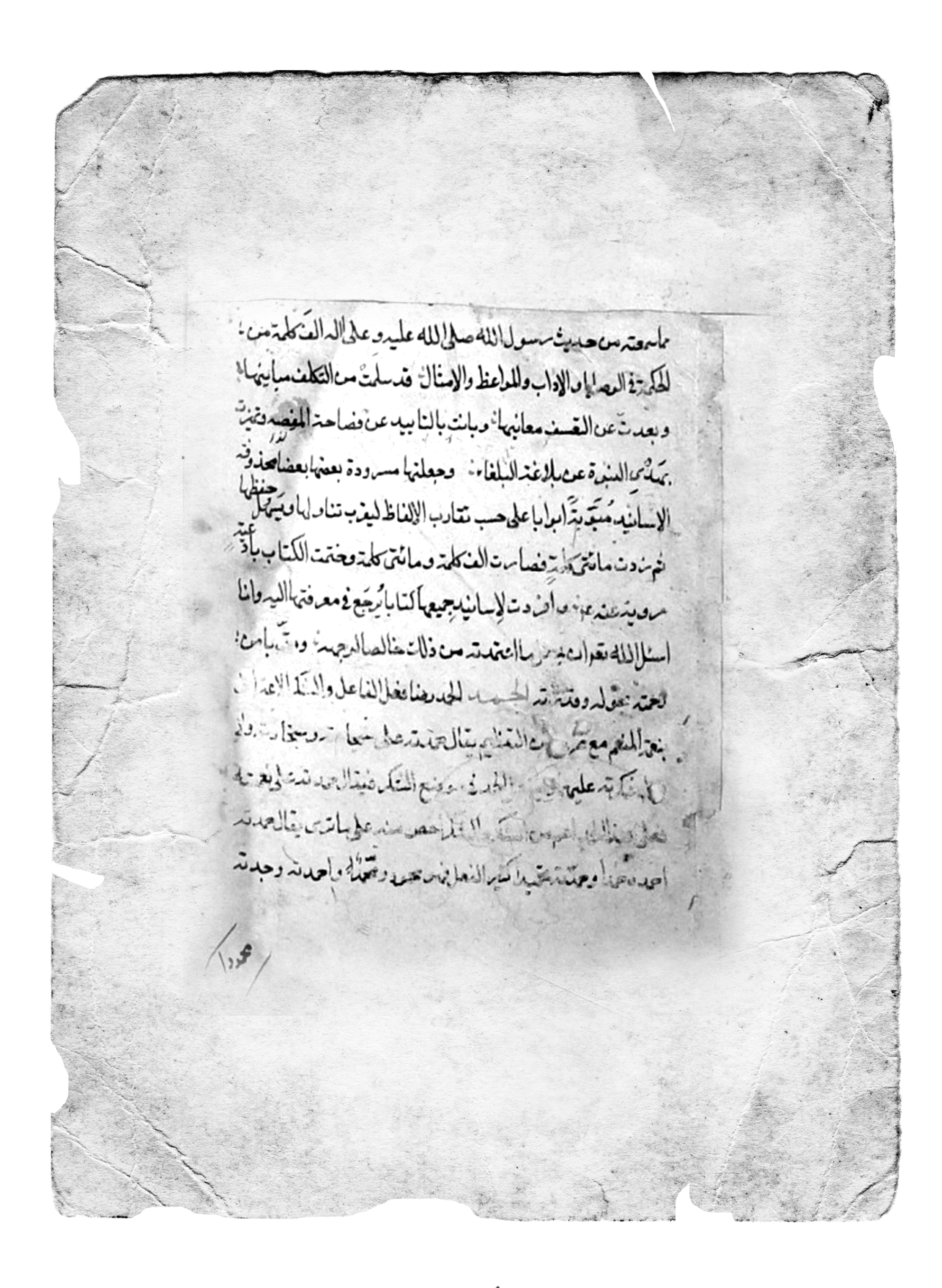
من جمعه في اواخر جمادى الآخر سنة ثلث وخمسمائة هجرية

ووقع الفراغ من تسويده يوم الخميس سابع عشر

شهر الله المرجب تاريخ سنة ست وسبعين وسبعمائة

كاتبه محمد بن الحسن الاسترابادي

صورة صفحة الأخيرة من نسخة «أ»



مما سمعته من حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ألف كلمة من
الحكم في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال قد سلمت من التكلف مبانيها
وبعدت عن التعسف معانيها وبانت بالتأييد عن فصاحة المنطقين وتميزت
بما أوتي النبوة عن بلاغة البلغاء وجعلتها مسرودة بعضها بعضا محذوفة
الأسانيد مبوبة أبوابا على حسب تقارب الألفاظ ليقرب تناولها ويسهل حفظها
ثم زدت مائتي كلمة فصارت ألف كلمة ومائتي كلمة وختمت الكتاب بأدعية
مروية عنه [illegible] وأفردت الأسانيد جميعها كتابا يرجع في معرفتها إليه وأنا
أسأل الله تعالى أن [illegible] ما اعتمدته من ذلك خالصا لوجهه و[illegible]
[illegible] الحمد [illegible] الفاعل [illegible]
بنعمة المنعم مع [illegible] يقال حمدته على [illegible]
[illegible] عليه [illegible] الحمد [illegible] الشكر [illegible]
[illegible]
[illegible] وحمدته [illegible] وجدته

صورة صفحة الأولى من نسخة «ب»



صورة صفحة الأخيرة من نسخة «ب»

قال فدخلني أصافيه الكاف لا أن يقال نعني عن كاف التشبيه يقال
كرم يكرم كرماً فهو كريم وفعيل في فعل بمعنى فاعل قياس مطرد كالكريم والظريف
والعظيم و والكبير وغير ذلك باعث نبيه البعث الإرسال والإحياء وله
ألفاظ فمن الأول قوله فبعث الله النبيين ومن الثاني قوله وأن الله يبعث
من في القبور ومن الثالث قوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم وقد فسر قوله
فبعث الله غرابا بالإلهام وعلى التسليط في قوله بعثنا عليكم عبادا لنا أي سلطنا
عليكم لقرينة على ويسمى هذا النوع في علم البيان التضمين كأنه ضمنه معنى سلطنا
والنبي فعيل بمعنى فاعل أي مرتفع الدرجة من النباوة وهي الرفعة ولا يجوز أن
يكون هذا اللفظ من النبأ الذي هو الخبر لقوله عليه لا تنبزوا باسمي أي لا تهمزوا
ليكون من النباوة لا من النبأ لأنه اسم مدح محمد هو اسم علم لرسول الله صلى
الله عليه وعلى آله ومعناه البليغ في كونه محموداً لما بينا أن التفعيل للمبالغة
وروي أن اسمه محمدا اشتق من اسم الله عز وجل وهو المحمود ولهذا قال حسان
ابن ثابت وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد صلى الله عليه
الصلاة من الله بمعنى الرحمة ومن الملائكة بمعنى الاستغفار ومنا بمعنى الدعاء
واشتقاق هذه اللفظة من الصلي وهو اللزوم يقال صليت النار وبالنار
ومنه قوله ولست بصال بحر الحرب جانيها وقوله تعالى لا يصلاها
إلا الأشقى وعلى آله لا بد من إعادة حرف الجر لكان بمنزلة العطف على بعض الكلمة
لأن ضمير المجرور مع الجار بمنزلة شيء واحد فلو لم يعد حرف الجر لكان بمنزلة
العطف على بعض الكلمة إنما يقال وبزيد لهذه العلة فأما إذا كان
الاسم ظاهراً فالأولى أن لا يعاد حرف الجر لا يقال مررت بزيد وبعمرو ولسانه
عن حرف الجر فالجمع بين العوض والمعوض عنه ضعيف في الفصيح الذي عليه كلام

صورة صفحة الأولى من نسخة «ج»

عملا عما يعرض للعلماء من اختلاف انها لا توجب علما الا ما حكي عن الجاحظ فلم يكن هذا

العلم من شانه مع ادعائه السبق في العلوم اعني اصول الفقه وان وجد في هذا الكتاب

خير   معاد فانما يكون ذلك سهوا ونسيانا لا قصدا واعتمادا فان اكثرها ما

وظهر قلبي كاني كنت استقل به بديعا وعند شهر الملاقيات الزمان وما طالت

لئلا ياخذ علي من خطر فيه ما سترته بمنه وفضله ينفعنا بما جمعنا ويوفقنا

للعمل بما فيه ولما فيه محبته ورضاه انه القادر عليه وهو ذو الفضل والكرم

والمنعم علينا بضروب النعم ودفع العناء من [illegible]

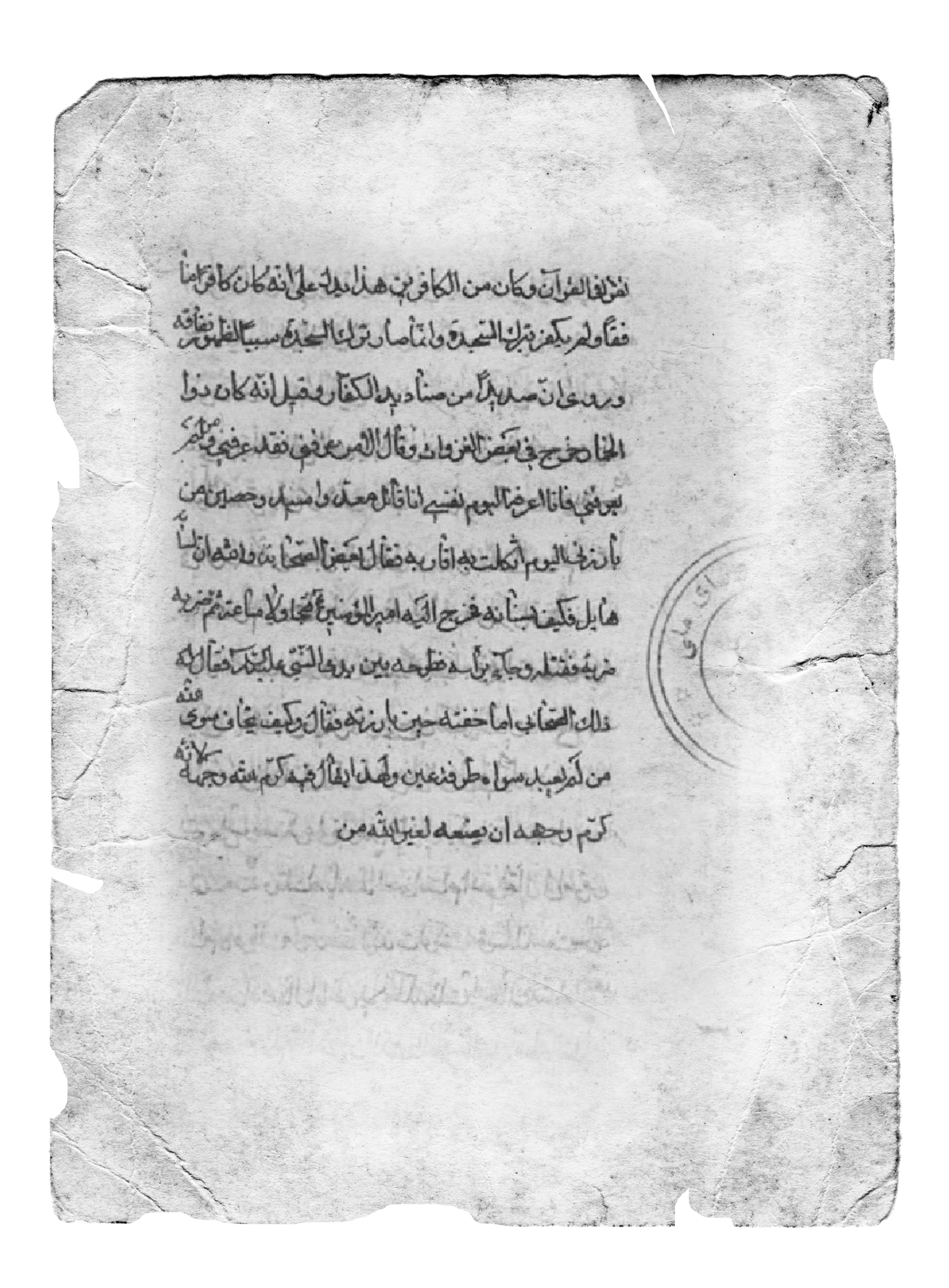


صورة صفحة الأخيرة من نسخة «ج»

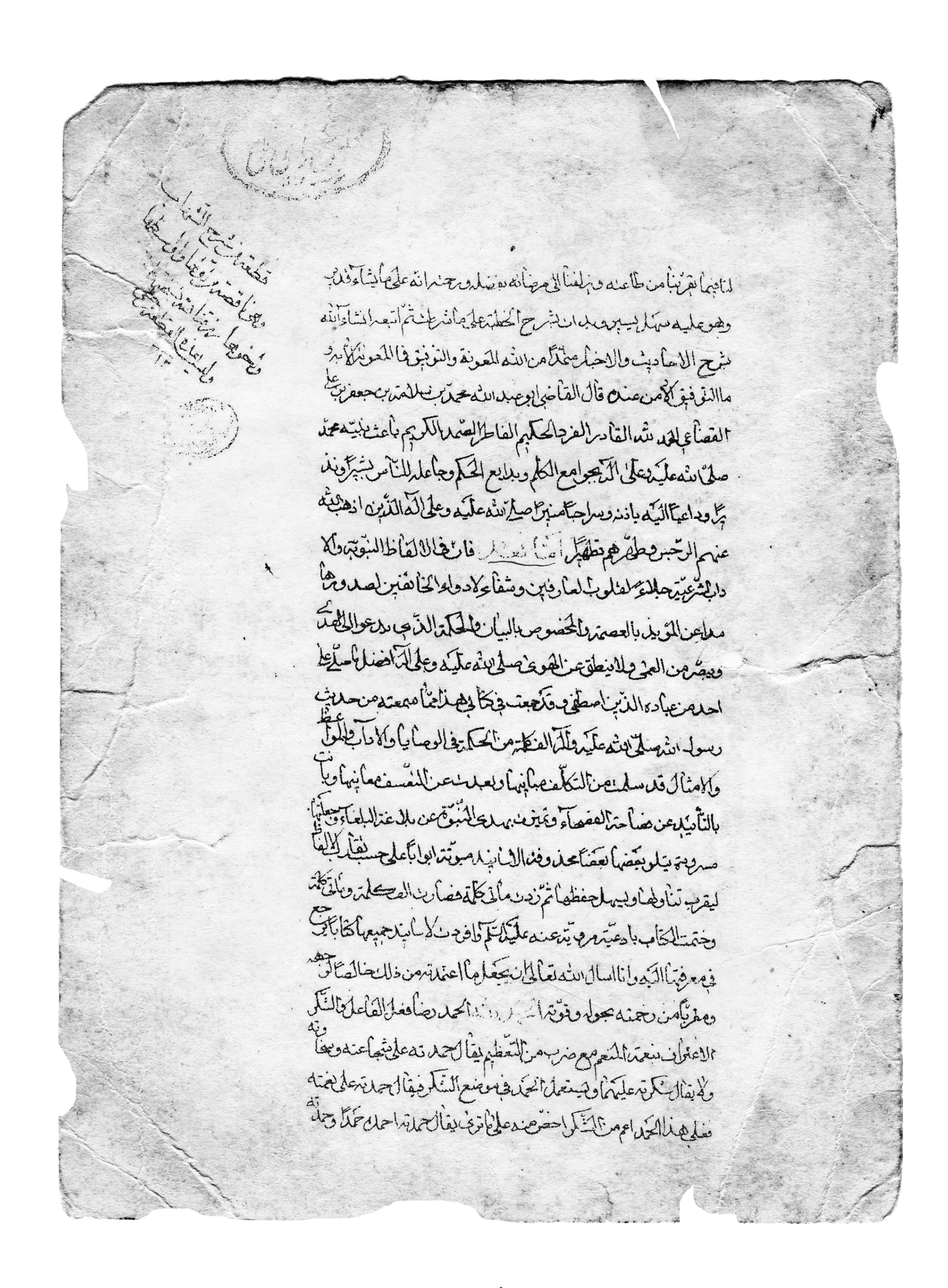
لنا فيما يقربنا من طاعته ويزلفنا إلى رضوانه بفضله ورحمته إنه
على ما يشاء قدير وهو عليه سهل يسير وبدأت بشرح الخطبة على
شرطي ثم أتبعها إن شاء الله بشرح الأحاديث والأخبار مستمدًا من الله
المعونة والتوفيق فما المعونة إلا به وما التوفيق إلا من عنده قال القاضي
أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي الحمد لله الفرد
الفرد الحكيم الفاطر الصمد الكريم باعث نبيه محمد صلى الله عليه وآله
بجوامع الكلم وبدائع الحكم وجاعله للناس بشيرًا ونذيرًا وداعيًا
إليه بإذنه وسراجًا منيرًا صلى الله عليه وآله الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرًا أما بعد فإن في الألفاظ النبوية والآداب
الشرعية جلاءً لقلوب العارفين وشفاءً لأدواء الخائفين
لصدورها مدا عن المؤيد بالعصمة والمخصوص بالبيان والحكمة
الذي يدعو إلى الهدى ويبصر من العمى ولا ينطق عن الهوى صلى
الله عليه وآله أفضل ما صلى على أحد من عباده الذين اصطفى

وقد

صورة صفحة الأولى من نسخة «د»



صورة صفحة الأخيرة من نسخة «د»



صورة صفحة الأولى من نسخة «هـ»

يبكي فخفت منه ولم تقف ثم دنوت منه وقلت له يا هذا أجني أنت أم
انسي فقال لي أمؤمن أنت أم كافر قلت مؤمن فقال كذبت لو كنت مؤ
منا لما خفت سوى الله قلت له من أنت قال أنا طريد الملائكة قلت يا
سبحان الله لم لم تسجد لآدم سجدة ولم تتخلص من اللوم والطرد قال
لي يا سليم القلب لما نقل في القرآن وكان من الكافرين هذا يدل
على أنه كان كافرا منافقا ولم يكفر بترك السجدة وإنما صار ترك السجدة
سببا لظهور نفاقه وروي أن صنديدا من صناديد الكفار قيل
إنه كان ذا الخمار في بعض الغزوات وقال ألا من عرفني فقد عرفني
ومن لم يعرفني فأنا أعرفه اليوم نفسي أنا قاتل معاذ وأبيه وحصين
من بارزني اليوم أثكلت به أقاربه فقال بعض الصحابة والله إن
لسانه هائل فكيف لسانه فخرج إليه أمير المؤمنين فتحا ولا ساعة
ثم ضربه ضربة فقتله وجاء برأسه فطرحه بين يدي النبي عليه السلام فقال
له ذلك الصحابي أما خفت حين بارزته فقال وكيف أخاف الله من لم
يعبد سواه طرفة عين ولهذا يقال فيه كرم الله وجهه لأنه كرم وجهه
أن يضع لغير الله من

صورة صفحة الأخيرة من نسخة «هـ»

الخُطبَةُ

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم وبِه نَستَعينُ

الحمد لله الّذي هدانا بفضله للإسلام، ودعانا بنفسه إلى دار السّلام، وأنزل علينا كتاباً مشتمِلاً على ما فيه صلاحُ ديننا ودنيانا من الأحكام، فارقاً بين الحلال والحرام، وأرسل إلينا نبيّاً اختاره من سائر الأنام محمّداً المصطفى عليه أفضلُ الصّلاة والسّلام، وعلى آله البَرَرةِ الكرامِ وأصحابِه أنجُمِ الظَّلامِ، ما تَتابَعَ مُرورُ السّنينِ والأعوامِ بكُرور اللّيالي والأيّامِ.

وبعدُ، فقد سأَلني الولد النّجيب تاجُ الدّين محمّدُ بن الحسين بن عليّ بن محمّد بنِ أحمدَ - أدام الله توفيقَه وسَهَّل له إلى اقتباس العلوم طريقَه - أنْ أكتبَ له كتاب الشِّهاب للقاضي القُضاعيّ وأشرحَ له شرحاً مُقتِصداً بين الإطناب والإقلال، إطنابٍ لا يؤدّي إلى الإملال، وإقلالٍ لا يُفضي إلى الإخلال، وأُشيرَ إلى أصول الكلمات واشتقاقاتها، وإلى نُبَذٍ من التّصريف وطُرَفٍ من الإعراب دون التّعمّق والإغراب، فأجبتُه إلى مُلتَمَسه ومبتغاه، وأسعفتُه لحاجته ومُتَوخّاه، راجياً أن

يَنفعَه اللهُ به، ويُطلِبَه طَلِبتَه[١] من أنواع العلوم، ويُوفِّقَه لحفظها والعمل عليها، وما يُقوّي دواعِيَه إليها، ويَلطُف له[٢] ولنا فيما يُقرِّبُنا من طاعته، ويُزْلِفُنا إلى مرضاته بفضله ورحمته، إنّه على ما يشاء قديرٌ، وهو عليه سهْلٌ يسيرٌ.

وبدأتُ بشرح الخطبة على ما شرطتُ، ثمّ أُتبِعُه ـ إن شاء الله **تعالى** ـ بشرح الأحاديث والأخبار مستمِدّاً من الله المعونةَ والتّوفيقَ، فما المعونةُ إلّا به، وما التّوفيقُ إلّا مِن عندِه.

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم وبه الثّقة

قال القاضي أبو عبدالله محمدُ بنُ سلامةَ بنِ جعفرِ بنِ عليٍّ القُضاعيُّ:

الحمد لله القادر الفرد الحكيم الفاطر الصّمد الكريم، باعثِ نبيّه محمّد بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، وجاعلِه للنّاس بشيراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، صلّى الله عليه وعلى آله[٣] الّذين أذهبَ اللهُ عنهم الرِّجْسَ وطَهَّرَهم تطهيراً.

أمّا بعدُ، فإنّ في الألفاظ النّبويّة والآداب الشّرعيّة جِلاءً لقلوب العارفين، وشِفاءً لأدْواء الخائفين، لصدورها عن المؤيَّد بالعصمة، والمخصوص

(١) الطَّلِبَة: الحاجة. و الإِطْلَاب: إنجازها و قضاؤها. يقال: طَلَبَ إليّ فأَطْلَبْتُه: أي أسعفته بما طَلَبَ. النهاية٣: ١٣١ (طلب).

(٢) الجزء الأوّل من الخطبة سقط من جميع النسخ التي بايدينا، ونقلناها من نسخة (أ).

(٣) في مسند الشِّهاب ا: من دون (آله).

بالبيان والحكمة، الّذي يدعو إلى الهدى، ويُبصِّر مِن العَمى، ولا ينطِق عن الهوى صلّى الله عليه وعلى آله[١] أفضلَ ما صلّى على أحدٍ من عباده الّذينَ اصْطفى.

وقد جمعت في كتابي هذا ممّا سمعتُه من حديث رسول الله أَلْفَ كلمة من الحكمة في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال، قد سلِمتْ من التكلّف مبانيها، وبَعُدَتْ عن التّعسّف[٢] معانيها، وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزتْ بهَدْي النبوّة عن بلاغة البلغاء، وجعلتُها مسرودةً[٣] يتلو بعضُها بعضاً، محذوفةَ الأسانيد، مُبوّبةً أبواباً على حسب تقارُب الألفاظ؛ ليَقرُب تناولُها ويسهُل حفظُها، ثمّ زِدتُ مائتَي كلمة، فصارت ألَفَ كلمةٍ ومائتَي كلمة، وخَتمتُ الكتاب بأدعية مرويّة عنه ، وأفردتُ لأسانيدِ جميعها كتاباً يرجع في معرفتها إليه، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل ما اعتمدتُه من ذلك خالصاً لوجهه ومقرِّباً من رحمته بحوله وقوّته[٤].

الحمدُ؛ رضا فعل الفاعل، والشكر: الاعتراف بنعمة المنعم مع ضرب من التعظيم، يقال: حمدته على شجاعته وسخاوته، ولا يقال: شكرتُه

---

(١) في مسند الشِّهاب ١: (وسلّم) بدل (وعلى آله).

(٢) العَسْفُ: السير على غير هدى، و ركوب الأمر من غير تدبير، و ركوب مفازة بغير قصد، و منه التعسُّف. كتاب العين١: ٣٣٩ (عسف).

(٣) المسرودة: الدرع المثقوبة. لسان العرب٣: ٢١١ (سرد).

(٤) مسند الشِّهاب ١: ١٣.

عليهما. ويُستعمل الحمدُ في موضع الشكر، فيقال: حمدته على نعمته. فعلى هذا، الحمدُ أعمُّ من الشكر، والشكر أخَصّ منه على ما ترى. يقال: حمِدته أحمَدُه حمداً، وحمّدته تحميداً ـ لتكثير الفعل ـ، فهو محمود ومحمّد. وأحمدته؛ أي: وجدته محموداً. واستحمدته؛ أي: طلبتُ منه الحمدَ أو كان عندي وفي ظنّي محموداً، واللّام لاستغراق الجنس[١].

لِلَّهِ؛ اللّام فيه معناه التخصيص والاستحقاق، وما كان من جنسها يكون لله تعالى خاصّاً خالصاً، وهو مستحِقٌّ لها. الله اسمُ مَن يقدر على أصول استحقّ منه العبادة، وأصله: (إلاه)، فِعال بمعنى مفعول، يعني المعبود، كالكتاب والحساب بمعنى المكتوب والمحسوب، فأُدخِل عليه لام التخصيص، فصار الإلاهَ، فاستَثقَل اجتماع الهمزتين، فحُذفت التي هي فاء الفعل، فاستَثقَل اللّامان، فأُدغم إحداهما في الأُخرى، فصار «اللهَ»، فهذا أحد قولَي سيبَويهِ[٢].

والقولُ الآخَر له أنّ أصل الكلمة (لاه)، من قول الشاعر: يسمعها لاهُه الكُبارُ[٣].

---

(١) أُنظر: النهاية١: ٤٣٧ (حمد). الفروق في اللغة: ٣٩ / الفرق بين الشكر و الحمد.

(٢) أُنظر: معاني القرآن٢: ٣٩٩.

(٣) ديوان الأعشى٧٢ وتمام البيت:

كحَلْفةٍ مِن أبي رَباحٍ يسمعها لاهُه الكُبارُ

فأُدخل عليه لامُ التخصيص التي تسمى لامَ التعريف في غير هذا الموضع، فصار «الله»[١].

وقد جاء مستعمَلاً على الأصل في الشعر كثيراً، منها قوله:

مَعاذَ الإلهِ أنْ تكونَ كظَبْيةٍ ولا دُمْيَةٍ ولا عَقيلةَ رَبْرَبِ[٢]

وقيل: اشتقاقه من (الإلاهة)، وهي العبادة، ومنه قراءة ابن عبّاس: ﴿ويَذَرَكَ و إلِهَتَك﴾[٣]؛ أي: عبادتَك[٤].

وقيل: اشتقاقه من (الأَلَه)، وهو الفزع؛ لأنّ الخلق يَفزَعون إليه في الحوائج[٥].

وقيل: اشتقاقه من (الوَلَه)، وهو التّحيّر[٦]؛ لأنّ العقول تَوْلَهُ في ذاته وصفاته، وقيل وجوه آخر تركناها خشيةَ التّطويل[٧].

---

(١) أُنظر: الصحاح٦: ٢٢٤٨ (ليه). كتاب العين٤: ٩٠ (أله). مجمع البيان١: ٥٠.

(٢) خزانة الأدب٢: ٢٤٣، والبيت للشاعر البعيث بن حريث. شرح الرضي على الكافية١: ٣٨٢ / باب نداء المعرَّف بالألف واللام. الدُّمية ـ بالضم ـ: الصورة المنقوشة من العاج ونحوه، وعقيلة كلِّ شيء: أكرمُه، والرَّبرَب: السِّرْب من بقر الوحش. استعاذ بالله من تشبيه الحبيبة بهذه الأشياء التي جرتْ عادة الشعراء على تشبيه المحبوبة بها. الحاشية على الكشّاف للجرجاني: ٣٥.

(٣) سورة الأعراف٧: ١٢٧. وقراءة حفص عن عاصم: (ويذرك وءالِهَتك).

(٤) التبيان في تفسير القرآن١: ٢٨. تفسير ابن أبي حاتم٥: ١٥٣٨. يقول الثعلبيّ في تفسيره: ويقال: أَلَه إلاهةً كما يقال: عَبَد عبادة. وقرأ ابنُ عبّاس: ويذرك وإلهتك؛ أي: عبادتك. فمعناه: عبادتَك المعبودَ الذي تَحِقُّ له العبادةُ، ١: ٩٦.

(٥) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن١: ٢٨. تفسير الثعلبي١: ٩٦.

(٦) مجمع البيان١: ٥٢. إملاء ما منّ به الرحمن١: ٥.

(٧) أُنظر: التفسير الكبير للرازي١: ١٤٧ / باب في المباحث المتعلقة بقولنا: (الله).

«**القادر**»؛ هو من صحّ منه الفعل، وقال بعضهم: على بعض الوجوه، والصحيح أنّه لا يحتاج إلى هذا التقييد لِما ذُكر في كتب الأصول، وشرح ذلك يطول لا يليق بهذا الكتاب. يقال: قدرتُ على الشيء أقدِر قُدرةً ومقدرةً[١]. وقدّرت الشيء (من التقدير) أُقدِّره. وقَدَرتُ على عِيالي قَدْراً [وقدَراً]؛ أي: ضيّقتُ[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَأَمَّا إذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[٤]. وقتر بمعنى قدر[٥]، ومنه قوله: ﴿وكانَ الْإِنْسانُ قَتوراً﴾[٦]، وقدّر وقتّر لتكثير الفعل، أَقتَرَ الرّجلُ فهو مُقتِر إذا افتقر، والقتير: رؤوس مسامير الدِّرْع[٧]. ويشبه به الشيب، يقال: وَخَطَه القتيرُ إذا ظهر في شَعْره البياضُ[٨].

«**الفرد**»؛ هو المتفرّد بالإلهيّة والقِدم، أو المتوحّد بصفة لا يشاركه فيها غيره[٩]، يُقال: فلانٌ فردٌ في صنعته. وفريدٌ ومُتَفرِّد ومنفرد بمعنى واحد

(١) بالدال المثلّثة.

(٢) أُنظر: المصباح المنير٢: ٤٨٩ (قتر). التبيان في تفسير القرآن٦: ٤٧١، سورة الإسراء.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٣٠.

(٤) سورة الفجر٨٩: ١٦.

(٥) أُنظر: لسان العرب٥: ٧٢ (قتر).

(٦) سورة الإسراء١٧: ١٠٠.

(٧) المفردات: ٣٩٢ (قتر).

(٨) أُنظر: النهاية٥: ١٢ (قتر).

(٩) الفروق في اللغة: ١٣٢ / الفرق بين الواحد والفرد.

والفارد بمعناه[١] إلّا أنّه قلّ استعماله، قال: (... وأَصْغَتْ خَدَّ من هو فاردُ)[٢].

«الحكيم»؛ اختلفوا فيه[٣]، فقال بعضهم: هو من صفات النفس، ومعناه: العالم بدقائق الأمور، وقال بعضهم: هو من صفات الفعل ومعناه المُحكِم لأفعاله[٤]، فعيل بمعنى مُفعِل[٥] كسميع بمعنى مُسمع في قول الشاعر:

أمِن رَيحانةَ الدّاعي السّميعُ يُؤرّقُني وأصحابي هُجوعُ[٦]

---

(١) أُنظر: الصحاح٢: ٥١٨. كتاب العين٨: ٢٤ (فرد).

(٢) البيت لعبّاس بن مِرداس السُّلَمي، وتمامه:

إذا طالتِ النّجوى بغير أولي النُّهى أضاعتْ وأصْغَتْ خَدَّ مَن هو فاردُ

ديوان الحماسة بشرح المرزوقي١: ٤٣٧، ح ١٥٠ـ العبّاس بن مِرداس. جاء في شرح البيت: (إذا طالت المناجاةُ وامتدّت الاستشارةُ مع غير أرباب الآراء القويّة، ضَيّعت المستشيرَ وأمالت خدَّه، وصار في الانفراد بما يُعانيه بمنزلة مَن لا ناصرَ له ولا مُشيرَ، لوقوع التّشاور على غير حدِّه، وتقصير المشير في القيام بواجبه).

(٣) في نسخة (د): (في الحكيم).

(٤) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٦: ٣٣٠. مجمع البيان١: ١٥٦. سورة البقرة: ٣٣.

(٥) النهاية١: ٤١٩ (حكم). تهذيب اللغة٤: ٧٠.

(٦) تهذيب اللغة٢: ٧٤. الصحاح٣: ١٢٣٢ (سمع). التوحيد: ١٩٩. والبيت لعمرو بن مَعْدِي كَرِبَ. توضيح البيت: (ريحانة اسم امرأة، والداعي مبتدأ، والسميع صفته، ويؤرّقني صفة بعد صفة... وأرّقني فلانٌ تأريقاً أي: أسهَرَني، والهُجوع النوم ليلاً وبالفتح صفة... والمراد بالداعي داعي الشوق، كأنه يدعوه ويناديه بحيث يسمعه ويوقظه حالَ استراحة أصحابه واشتغالِهم بالنوم. كأنه يقول متعجّباً من شدّة ما لَحِقه من حبّ ريحانةَ: إنّ داعيَ الشوق الذي يفعل به هذه الأمورَ هل يفعل ذلك كلَّه من أجل ريحانةَ وبسبب حُبّي إياها؟!... وقالوا: السميع فيه بمعنى المُسمع؛ لأن داعيَ الشّوق ليس بسامع وإنما هو مُسمع لدعائه وندائه؛ وكذا التأريقُ إنما يكون من المُسمع لا من السامع). حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي٢: ٢٥٢.

أي: المُسمِع، وأصله المنع من حَكَمة اللّجام[١]؛ لأنّ الحِكمة تمنع صاحبها عن كثيرٍ من القبائح.

ومنه قول الشاعر:

أبني حنيفةَ، حَكِّموا سُفهاءَكم إنّي أخاف عليكُمُ أن أَغضِبا[٢]

يقال: حكمتُ لفلان على فلان بكذا، وأحكمتُ الأمرَ إحكاماً، وحكّمت فلاناً: جعلته حاكماً، واستحكم الأمرُ؛ أي: صار محكماً، والحَكَم: الحاكم، والحُكم: القضيّة، ومنه المثل: (في بيته يُؤتَى الحكَمُ)؛ أي: الحاكم[٣].

«الفاطر»: الخالق المبدئ، والفَطْر: الخلق، والفَطْر: الشَّقّ أيضاً، والفَطْر: عَجْن الدّقيق، ومنه الفطير فعيل بمعنى مفعول، وأصله الشَّقّ[٤]؛ كأنّ اللهَ فطر العدمَ، فأَخرج منه الموجوداتِ ـ على نوع من التّوسّع والمجاز ـ قال الله: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ فاطِرِ السَّماواتِ والْأَرْضِ﴾[٥]. والفِطْر: اسم للإفطار[٦]؛ لأنّه شَقٌّ للصَّوم، وأفطر: إذا خرج عن كونه صائماً، وفطّر غيرَه

(١) حَكَمَة اللجام: ما أحاط بحنكيه سمي به لأنها تمنعه من الجري. و كلّ شيء منعته من الفساد فقد حَكَمْتَه، و حَكَّمْتَه و أَحْكَمْتَه؛ كتاب العين٣: ٦٧ (حكم).

(٢) ديوان جرير: ٤٧. جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتّاب١: ٥٩٨ / باب في الوعيد والإنذار. (حكِّموا) أي: اِمنعوا، اُنظر: معجم المقاييس اللغة٢: ٩١ (حكم).

(٣) اُنظر: الصحاح٥: ١٩٠٢ (حكم). المخصص١٢: ٢١٤ / الحُكْم بين الخصمين.

(٤) اُنظر: المفردات: ٦٤٠. كتاب العين٧: ٤١٨ (فطر).

(٥) سورة فاطر٣٥: ١.

(٦) اُنظر: تهذيب اللغة١٣: ٢٢٥ (فطر).

تفطيراً، ومنه الحديث: «**من فطّر صائماً، فله مثلُ أجره**»[1]. والفِطْرة: الخلقة[2]، ومنه الحديث: «**كلُّ مَولود يولَد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانِه ويُنصِّرانه ويُمَجِّسانه**»[3].

«**الصّمد**»؛ السيّد المصمود؛ أي: المقصود المفزوع إليه في المُلمّات، فَعَل بمعنى مفعول. والصَّمْد: القصد، يقال: صَمَدَ صَمْدة؛ أي: قصد قَصْدةً، والصّمَد: الشّيء المُصْمَد غير المجوَّف، ومنه قول طَرَفَةَ:

صَفائحُ صُمٌّ في صفيحٍ مُصَمَّدِ[4]

---

(١) سنن الترمذي٣: ١٧١، ح٨٠٧، عن زيد بن خالد الجهني. تهذيب الأحكام٤: ٢٠٢ / كتاب الصيام، باب فضل التّطوّع بالخيرات، ح٥٨٢، عن حَمَّادِ بْنِ زَيْد، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه ، عن رسول الله. الكافي٤: ٦٨ / كتاب الصيام، باب من فطّر صائماً، ح١، عن أبي الصباح الكناني، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) معجم المقاييس اللغة ٤: ٥١٠ (فطر).

(٣) مسند ابن حنبل٢: ٢٧٥. صحيح البخاري٢: ١٠٤ / باب ما جاء في عذاب القبر، وكلاهما عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كتاب من لا يحضره الفقيه٢: ٤٩ / أبواب الزكاة، باب الخراج والجزية، قطعة من ح١٦٦٨، عن فضيل بن عثمان الأعور، عن الإمام الصادق عليه السلام، وباختلاف يسير.

(٤) يصف قبرين لشخصين: جواد وبخيل، وتمام البيت: ترى جُثْوَتَينِ مِن ترابٍ عليهما / صفائحُ صُمٌّ مِن صفيحٍ مُنَضَّدِ. البيت لمعلقته الشهيرة، وما قبله: أرى قبرَ نَحّامٍ بخيلٍ بماله / كقبرِ غَويٍّ في البَطالة مُفسِد. ديوان طرفة٢٤. (النحّام: البخيل والغَويّ: المبذِّر لماله. الجُثوة: التراب المجموع، وأراد هنا ما على القبر من التراب، الصفائح: الحجر العِراض، والمنضّد: الذي نُضِّد على القبر، أي: جعل بعضه على بعض. يقول: الشحيح والمبذِّر لماله يصيران إلى الموت، ويستويان فيه، ولا يفرق بين قبريهما). الشرح مقتبس من ديوان طرفة بن

«**الكريم**»؛ فعيل بمعنى مُفعِل؛ أي: مُكرِمٌ مِن عباده مَن يستحقّ الإكرامَ. وقيل: الكريم اسم جامع لجميع المحامد والفضائل، ولقد أحسنَ مَن قال:

لقد جَلّ في أوصافهِ وخَطابه عن الكاف إلّا أن يقالَ كريمُ[1]

يعني عن كاف التشبيه، يقال: كَرُمَ يَكرُم كرَماً فهو كريم، وفعيل في فَعُلَ بمعنى فاعل قياس مُطّرد كالكريم والظّريف والعظيم والصّغير والكبير وغيرِ ذلك.

(**باعث نبيّه**)؛ البعث: الإرسال والإحياء[2] والإيقاظ[3]، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾[4]، ومن الثاني قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[5]، ومن الثالث قوله: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾[6]، وقد فسّره في

العبد شرح الأعلم الشَّنْتَمَريّ١: ٤٨.

يذكر أنه راجعتُ ثلاث طبعات من ديوان طرفة، ففي جميعها (منضّد) بدل (مُصَمَّد) والذي جاء به النص. والطبعات هي: ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشَّنْتَمَريّ١: ٦٤. كذلك في جَمهَرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد القرشي ٣٢٨.

(١) معجز أحمد (شرح لديوان المتنبي) للمعري ٤١٧، واستشهد بالبيت ولم يذكر قائله. يقصد الشعر أن ممدوحه ذو صفات عالية، ويأبى ان يصفه بأنه كـ...؛ إذ دخول الكاف منقصة؛ لأنه إذا قال إنه كـ...، جعل له نظيراً، ولا نظير له.

(٢) تهذيب اللغة٢: ٢٠١. كتاب العين٢: ١١٢. لسان العرب٢: ١١٧ (بعث).

(٣) النكت في القرآن ٤١١، سورة يس.

(٤) سورة البقرة٢: ٢١٣.

(٥) سورة الحج٢٢: ٧.

(٦) سورة الكهف١٨: ١٩.

قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾[١] بالإلهام[٢]، وعلى التسليط في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[٣]؛ أي: سلّطنا عليكم[٤][٥]، لقرينة (على)، ويسمّى هذا النوع في علم البيان التضمين، كأنّه ضمّنهُ معنى سلّطنا[٦].

والنبيّ فعيل بمعنى فاعل؛ أي: مرتفِع الدّرجة، من النَّباوة وهي الرِّفعة[٧]، ولا يجوز أن يُهمَز هذا اللّفظُ من النبأ الذي هو الخبر، لقوله عليه الصلاة والسلم: «**لا تَنبِزوا باسمي**»[٨]؛ أي: لا تَهمِزوا، لِيكون من النباوة لا من النّبأ؛ لأنّه اسمُ مدح.

ومحمّد اسمُ علمٍ لرسول الله ﷺ، ومعناه البليغُ في كَونه محموداً؛ لِما بيّنّا أنّ التفعيل للمبالغة، وروي أنّ اسمه محمّداً اُشتُقّ من اسم الله عزّ وجلّ وهو المحمود[٩].

---

(١) سورة المائدة٥: ٣١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن٦: ٦١٥، سورة الإسراء.

(٣) سورة الإسراء١٧: ٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن٣: ٤٩٩، سورة المائدة.

(٥) سقط من اول الكتاب الى هنا فى نسخة (ج).

(٦) الوجوه والنظائر١: ١٥١ / تفسير البعث على سبعة أوجه.

(٧) اُنظر: النهاية٥: ٣ (نبأ).

(٨) روض الجنان٦: ١٢، سورة النساء.

(٩) مجمع البيان٢: ٤٠٣. السيرة الحلبية١: ١٢٨.

ولهذا قال حسّان بن ثابت:

وشَـقّ لـه مـن اسـمه لِيُـجِلَّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ[١]

(صلّى الله عليه)؛ والصّلاة من الله تعالى: بمعنى الرحمة، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار، ومِنّا بمعنى الدّعاء[٢]، واشتقاق هذه اللّفظة من الصِّليّ[٣] وهو اللّزوم. يُقال: صَلِيتُ النّارَ وبالنّار[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿لا يَصْلاها إِلّا الْأَشْقَىٰ﴾[٥]. وقول الشاعر:

.... وَليسَ يَصلىٰ بِحَرِّ[٦] الحرْب جانيها[٧]

(وعلى آله)؛ لا بدّ من إعادة حرف الجرّ في الآل؛ لأنّ ضمير المجرور مع الجار بمنزلة شيء واحد، فلو لم تُعَدْ حرف الجرّ، لكان بمنزلة العطف على بعض الكلمة، لا يقال: مررت به وزيدٍ، إنّما يقال: (وبزيدٍ) لهذه العلّة، فأمّا إذا كان الاسم ظاهِراً، فالأولى أن لا يُعادَ حرف الجرّ، لا يقال: مررت بزيد

---

(١) ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ١: ٣٠٦. مناقب ابن شهرآشوب ١ : ١٦٥. وفي كثير من المصادر نسب هذا البيت إلى **أبي طالب** ، منها: الإحتجاج١: ٢٣٤ .

(٢) الصحاح٦: ٢٤٠٢ (صلا). الفروق في اللغة ١٢١، الفرق بين الهمّ والهمّة.

(٣) في نسخة (أ): (الصلاة).

(٤) أُنظر: جمهرة اللغة٢: ٨٩٨ (صلي).

(٥) سورة الليل٩٢: ١٥.

(٦) وفي النسخة (بحبل) بدل من (بحر).

(٧) صدر البيت: الشّرُّ يَبدؤه في الأصل أصغرُه. مجمع الأمثال للمَيَداني ١: ٣٧٨. أي: يبدأ الشّرّ في من الأمور الصغار، والحرب أحياناً قد تصيب من لم يوقدها ومن أوقدها يَسلم من لهيبها.

وبعمرو؛ لنيابة الواو عن حرف الجرّ، فالجمع بين العِوض والمعوَّض عنه ضعيف. فالفصيح الذي عليه كلام العَرَب: اللَّهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّد، ولو قلت: وعلى آل محمّد، لابدّ أن تقدِّر محذوفاً، فتقول: وصلِّ على آل محمّد، فيصير الكلام حينئذٍ جملتين، وهو أبلغ في علم البيان؛ لأنّك استأنفتَ لِلآل صلاةً مجدّدة مستأنَفة[1].

والآل والأهل بمعنى واحد، فالهمزة بدل من الهاء لكونهما من حروف الحلق، إلّا أنّ الآل في العرف أجلّ وأرفع من الأهل، يُقال: أهل الدار وأهل البلد ولا يقال: آل البلد وآلُ الدار، إنّما يقال: آلُ الأمير وآلُ السلطان[2]، قال الله تعالى: ﴿آلُ موسىٰ وآلُ هارُونَ﴾[3] و﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾[4] لمِلكِهِ وجَبْرِيّته في الأرض وتسلّطِه فيها. والآل السّراب[5]، قال:

.... لِرَقراقِ آلٍ فَوقَ رابيةٍ صَلْدِ[6]

---

(١) اتبع هذا القول أبو الرضا الرّاوندي في ضوء الشِّهاب و تعقب الشيخ تقي الدين الكفعمي في حاشية المصباح. أُنظر: اقناع الرافض لجواز عطف الظاهر على المحفوض من دون اعادة الخافض للسيّد حسن الحسيني آل المجدد الشيرازي، تراثنا، العدد ٤٨، ص ٢٦٨.

(٢) سورة البقرة٢: ٤٩ و ٥٠.

(٣) أُنظر: المفردات ٩٨ (آل). الفروق في اللغة٢٧٥ / الفرق بين الأهل و الآل.

(٤) سورة البقرة٢: ٤٩ ـ ٥٠.

(٥) النهاية١: ٨١ (آل). المحيط في اللغة١٠: ٣٧٧.

(٦) البيت للعُدَيل بن الفَرْخ، وتمامه مع اختلاف المصادر فى كلمه (جلد) بدل (صلد):

فكُنْت كمُهْريقِ الذي في سِقائِهِ لِرَقْرَاقِ آلٍ فَوقَ رابيةٍ جَلْدِ

أُنظر: لسان العرب١٠: ٣٦٧ (هرق). خزانة الأدب٩: ٢٨١. أي: أنا كمن يصُبّ ماءً مُعَدّاً في زِقِّه

وآلَ يَـؤولُ إذا رجـع، والأوْل: الرّجـوع، والإيالَـة: السياسـة، يقـال: أُلْنـا وَإيلَ عَلَينا؛ أي: سُسْنا وساسَنا غيرُنا[١].

(بجوامع الكَلِم)؛ والجوامع جمع جامعةٍ[٢] وفواعل في جمع فاعِلةٍ قياسٌ مُستمِرٌّ، قال الله تعالى: ﴿ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ﴾[٣]؛ أي: الكافرات[٤]، وإنّما يجيء في جمع (فاعل) في أحرف معدودة حيث لا يكون مشتقّاً من الفعل[٥] كحاجِب وحواجب وفارس وفوارس وناكس ونواكس وغارب ـ لأعلى الموج[٦] ـ وَغَوارِبَ وكذلك لأعلى السِّنام[٧]. يقال في المثل: (فلانٌ يَفتِل في الغارب والسَّنام)[٨]، يُضرَبُ في الخادع المختال.

على الأرض ظنّاً أنّ الذي رآه خافقاً فوق الرابية، ماءً. (رقراق) بمعنى الاضطراب والخفَقان، الرابية: الرملة المرتفعة، الصّلْد: الشديد الأملس.

(١) الصحاح٤: ١٦٢٨. معجم المقاييس اللغة١ : ١٦٠ (أول). النهاية١: ٨٥ (أيل).

(٢) أُنظر: المفردات ٢٠٢ (جمع).

(٣) سورة الممتحنة٦٠: ١٠.

(٤) أُنظر: المصباح المنير٢: ٥٣٥ (كفر). مجمع البيان٩: ٤١٢، سورة الممتحنة.

(٥) أي: فواعل لا تأتي جمعاً لصيغة الفاعل إلا في كلمات معدودة، وتلك الكلمات جامدة.

(٦) إشارة إلى أحد معاني كلمة (الغارب) وهو: أعلى الموج.

(٧) وهذا معنى آخر لكلمة (الغارب).

(٨) لفظ هذا المثل الذي عثرنا عليه في المصادر: (ما زال فلانٌ يَفْتِلُ من فلانٍ في الذّروة والغارب). أُنظر: الصحاح٥: ١٧٨٨ (فتل). الفائق في غريب الحديث١: ٣٩٨ (ذرو).
الغارب: مُقَدَّم السَّنام؛ والذُّروةُ: أعلاه. أراد: أنه ما زال يُخادعها ويتلطَّفها حتى أجابتْه؛ والأصل فيه: أنّ الرّجل إذا أراد أن يُؤَنِّس البعيرَ الصَّعْبَ، لِيَزُمَّه ويَنقادَ له، جَعَل يُمِرُّ يدَه عليه، ويَمسَحُ غاربَه، ويَفتِلُ وَبَرَه حتى يَستأْنِس، ويَضَعُ فيه الزِّمامَ. لسان العرب١: ٦٤٤.

والكَلِم جمع كَلِمة عند الخليل[١] وغيرِه[٢]. وقال سيبَويهِ: اسم واحدٌ وُضع للجمع، نحو: النّفَر والرَّهْط والقوم[٣].

(وبدائع الحكم)؛ جمع بديعة، وفعائل في جمع فعيلة قياسٌ مطّرد، نحو: فضيلة وفضائل، وسريرة وسرائر، وصغيرة وصغائر، وكبيرة وكبائر.

(والحِكَم)؛ جمع حِكْمة كفِكرة وفِكر، ودِرَّة ودِرَر، وبِدْعة وبِدَعٍ، وأصل الكلمة واشتقاقها من الإبداع، وهو الإتيان بأمر بديع؛ أي: عجيب أو مُبتَدأ[٤]، والبديعة: الكلمة المُبتَدَأة التي لم يَقتدِ قائلُها بأحدٍ، والابتداع والابتداء بمعنى واحد، من الإبدال[٥]؛ لأنّ الهمزة والعين من حروف الحلق، ومثلها المَدْح والمَدْهُ[٦].

(وجاعلِه للنّاس بشيراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً)؛ صلّى الله عليه وعلى آله، هو من قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً * وَداعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنيراً﴾[٧]، شاهداً؛ أي: يشهد للهِ على النّاس[٨] لقوله:

(١) كتاب العين٥: ٣٧٨ (كلم).

(٢) معجم مقاييس اللغة٥: ١٣١ (كلم). الصحاح٥: ٢٠٢٣ (كلم).

(٣) أُنظر: كتاب سيبويه٢: ١٦٤. الصحاح٥: ٢٠٢٣. لسان العرب ١٢: ٥٢٣ (كلم).

(٤) أي: الأول من نوعه.

(٥) أي: اختلاف بعضهما عن بعض بسبب الإبدال وإلا فمعناهما واحد.

(٦) كتاب العين٤: ٣٢ (مده).

(٧) سورة الأحزاب٣٣: ٤٥ ـ ٤٦.

(٨) أُنظر: تفسير ابن كثير٣: ٥٠٥، سورة الأحزاب.

﴿وَجِئْنا بِكَ شَهيداً عَلَى هَؤُلاءِ﴾[١]، وبشيراً؛ أي: مبشِّراً، فعيل بمعنى مُفعِلٍ، والبشارة: كلّ خبرٍ يَظهر أثرُ مَسرّته على بَشَرة الوجه، وحقيقتها في الخير، وتُستعمل في الشّرّ على سبيل المجاز في نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليمٍ﴾[٢] من حيث إنّ أثر الحزن يظهر أيضاً معها في البشرة، غير أنّ العرف حقّقها بالمسرّة، وجعلها في الحزن كالمنسوخ، والحكم للطّارئ والعرف طارئٌ على أصل الوضع[٣].

(والنذير)؛ المنذر، فعيل بمعنى مُفعِل، والإنذار: إعلامٌ مع التخويف، ومن ذلك يقال للنّاعي: منذِرٌ، فالمُنذر والنّذير أخصّ من المُعلِم، والمُعلِم أعمّ منهما[٤].

(والدّاعي)؛ فاعل الدعوة، يقال: دعا فلانٌ فلاناً إلى كذا، ودعا فلان إلى أبيه؛ أي: انتسبَ إليه دِعوةً ـ بالكسر ـ، ودعا القومَ إلى طعامه دَعوة ـ بالفتح ـ، ودعا فلانٌ لفلانٍ بالخير وعليه بالشرّ[٥]، قال الله تعالى: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٦]. والادّعاء: الانتساب، ومنه قول الشاعر:

وتَدَّعي في أسدٍ نسبةً　　　لا تَثبُتُ الدّعوى بلا شاهد[٧]

---

(١) سورة النحل١٦: ٨٩.

(٢) سورة آل عمران٣: ٢١.

(٣) أُنظر: تفسير الماتريدي٢: ٣٤٠، سورة آل عمران. تلخيص البيان: ١٦٨، سورة هود.

(٤) أُنظر: النهاية٥: ٣٩ (نذر). كشف الأسرار وعدّة الأبرار٦: ٤٨. تفسير أبي السعود٤: ١٩٩.

(٥) أُنظر: كتاب العين٢: ٢٢١ (دعو).

(٦) سورة النحل١٦: ١٢٥.

(٧) يتيمة الدهر٣: ٣٥٢، البيت لعبدان الأصبهاني في هجو أبي العلاء الأسديّ.

وقال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ﴾[١]؛ أي: أُنسُبوهم إلى آبائهم[٢]. ودعا فلاناً إذا صاح به وناداه، قال الله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾[٣]؛ أي: لا تقولوا: يا محمّدُ، يا أحمدُ، ولكن قولوا: يا رسولَ الله، ويا نبيَّ الله[٤].

(وسراجاً منيراً)؛ سمّاه الله سراجاً؛ لأنّه تعالى بعثه في ظَلام الشرك وظلمة الكفر لِيهتَدي الناسُ به كاهتداء السّاري في ظلمة اللّيل بالسِّراج. سُئِلَ وقيل: لِمَ سُمّي عليه الصلاة والسلم سراجاً ولم يُسَمَّ شمعاً ومِشعلةً وهما أضْوَءُ وأكثر نوراً؟ أُجيب وقيل: لأنّه اختار المسكنة والفقر في قوله: «**اللَّهُمَّ أَحْيِني مِسْكيناً وَأَمِتْني مِسْكيناً وَاحْشُرْني في زمرة المَساكينِ**»[٥].

والسراج آلة للفقراء، والشمع والمَشعلة آلة الأغنياء والجبابرة[٦]. والمنير: النّيّر، مُفعِل من النور، يقال: أنارَ إنارَةً إذا أضاء[٧].

---

(١) سورة الأحزاب٣٣: ٥.

(٢) معاني القرآن٢: ٣٣٦. مجمع البيان٨: ٥٢٧، سورة الأحزاب.

(٣) سورة النور٢٤: ٦٣.

(٤) تفسير القمي٢: ١١١. تفسير جوامع الجامع٣: ١٢٢. تفسير ابن أبي حاتم٨: ٢٦٥٥.

(٥) روضة الواعظين٢: ٤٥٤ / مجلس في ذكر فضل الفقر والقوت وما أشبه ذلك. سنن الترمذي٤: ٨ ، ح٢٤٥٧. سنن ابن ماجة٢: ١٣٨٢، ح٤١٢٦.

(٦) أُنظر: المناقب لابن شهر آشوب١: ٢٣١.

(٧) أُنظر: جمهرة اللغة٢: ٨٠٦. كتاب العين٨: ٢٧٥ (نور).

«صَلّى الله عليه وعلى آله الّذين أذهَبَ الله عنهم الرِّجسَ وطهَّرَهم تطهيراً»؛ فإذهاب الرِّجس عبارة عن ألطافٍ فعلها الله لهم، فامتنعوا عندها عن سائر المعاصي اختياراً لا إجباراً، وهو الذي يُقال له (العصمة) في اصطلاح أهل الكلام.

واللّطفُ ما يختار المكلّفُ عنده الطاعةَ ويكون مُقرِّباً له منها، أو يختار عنده الامتناعَ من القبيح، أو يكون أبعدَ منه، فإذا فعل المكلّف عنده الطاعةَ باختياره، سُمّيَ توفيقاً، وإذا امتنع عنده من المعاصي باختياره، سُمّي عصمة، وإنّما حظّه التقريبُ والدعوةُ دون الإلجاء والإجبار، لا أنّ هناك كان رجساً فأذهبه الله عنهم[١]، وكذلك معنى التطهير، وروَت العامّة والخاصّة أنّ الآية نزلت في بيت أُمّ سلمةَ، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دخل بيت أُمِّ سلمةَ وكانت النَّوبةُ لها، وكانت تتّخذ لرسول الله حَيْساً[٢]، فنام رسول الله، فدخل الحسن والحسين عليهما السلام، فجلسا عند رِجله، ثمّ دخلت فاطمة عليها السلام، فجلست عند رأسه، ثمّ تبِعهم علي، فجلس عندهم. فلمّا انتَبَه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ونظر إليهم، تَهلّل واستَبشَر وَسُرَّ بمقدَمهم. فقام وكان هناك كِساء خيبريّ، فغطّاهم به وقال: **«اللَّهُمَّ إنّ لكلّ نبيّ أهلَ بيت وهؤلاء أهلُ بيتي، فأذهِب الرِّجس عنهم وطهِّرهم تطهيراً»**. فنزلت الآيةُ: ﴿إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾[٣].

(١) أُنظر: الذخيرة في علم الكلام ١٨٦ / باب الكلام في اللطف.

(٢) الحَيْسُ: الخلط، وهو تمر يُخلَط بسمَنٍ وأَقِطٍ، الصحاح ٣: ٦٢٠ (حيس).

(٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

فقالت أُمّ سلمةَ رحمة الله عليها: يا رسولَ الله، ألستُ من أهل بيتك؟ فقال: «**إنّك إلى خير، وإنّما أهلُ بيتي هؤلاء**»[١].

فقال الشعراء في ذلك أشعاراً، وذكر أبو عبد الله الدّامغانيّ صاحب كتاب سوق العروس ـ وهو من أئمّة أصحاب الحديث ـ هذا الخبرَ في كتابه بالإسناد، وذكر هذه الأبيات:

إن يوم الطَّهور يوم عظيمٌ — فاز بالفضل فيه أهلُ الكساء

قام فيه النبيّ مُبتهِلاً ضا — رِعاً إلى ربه بحُسن الرجاء

قال يا ربِّ إنهم أهل بيتي — فاستجب فيهمُ إلهي دعائي

أذهِب الرّجس عنهُمُ وعن الأبـ — ـناء عنهم وعن بني الأبناء

رحمة الله والسلام عليكم — وصلاةُ الأبرار والأتقياء[٢]

وإنّما أوردتُ هذا الخبر ليتوضّح به معنى إذهاب الرِّجس ومعنى التطهير.

(أمّا بعدُ): (أمّا) كلمةٌ بعدَ تقدُّمِ كلامٍ، وهو متضمِّنٌ معنى الشرط

(١) المعجم الكبير٣: ٥٤، ح٢٦٦٦. تاريخ بغداد١٠: ٢٧٨، الرقم ٥٣٩٦. تنبيه الخواطر١: ٢٣، باختلاف.

(٢) روض الجنان١٥: ٤٢٠، سورة الأحزاب، باختلاف. ذكر آقا بزرك الطّهرانيّ الأبيات المذكورة في المتن في ذيل كشف الظنون ٥٥، ونقلاً عن سوق العروس لأبي عبد الله الدّامغانيّ. والدّامغانيّ هو حسين بن محمّد بن إبراهيم توفى ٤٧٨: فقيه حنفي، نسبته إلى دامغان (بين الري ونيسابور) له كتب، منها: الوجوه والنظائر في علوم القرآن، مبوب على حروف المعجم، منه مخطوطة في الأزهرية، و سوق العروس وأنس النفوس في المواعظ. أُنظر: الاعلام للزركلي ٢: ٢٥٤. كشف الظنون ٢: ١٠٦٧. هداية العارفين٦: ٧١.

والجزاء، ولذلك يجاب بالفاء، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ * وَأَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١]. و(بَعدُ) مبنيّ على الضّم بناءً عارضاً بُني لِما حُذف منه المضاف إليه، والتقدير: بعد ما تَقدّم من الكلام، ويسمّيه الكوفيّون رفعاً على الغاية، ومثله قوله تعالى: ﴿لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[٢].

(**فإنّ في الألفاظ النّبويّة**)؛ الألفاظ جمع لفظ وهو ما يُلفَظُ؛ أي: يُرمىٰ مِن الفَم، واللّفظ: الرّميُ إلّا أنّه اُختُصّ بالعرف بما يُلفَظ من الفم[٣].

والنبويّة منسوبَةٌ إلى النُّبوّة أو إلى النبيّ.

(**والآداب الشرعيّة**)؛ جمع أدب وهو ما يُدعىٰ إليه، فَعَلٌ بمعنى مفعول كالقَبَض والنَّقَض، ومنه المأدُبة: المدَعاةُ للضيافة[٤]، وقال:

نحن في المَشتاة ندعو الجَفَلىٰ لا ترى الآدِبَ فينا يَنتَقِرْ[٥]

والجفَلىٰ: دعوة العام، والنَّقَرى: دعوة الخاص[٦]. والأدب: كلّ خَصلةٍ

(١) سورة الضحى٩٣: ٩ ـ ١١.

(٢) سورة الروم٣٠: ٤.

(٣) اُنظر: كتاب العين٨: ١٦١. النهاية٤: ٢٦٠ (لفظ).

(٤) اُنظر: كتاب العين٨: ٨٥. المصباح المنير٢: ٩ (أدب).

(٥) ديوان طَرَفة ٥٥. أدب الكاتب ١٦٣. المَشتاة: الشِّتاء أو وقت الشِّتاء، الآدِب: صاحب المأدُبة. يصف الشاعر قومه بالجود، فيقول: لا ترى الداعي فينا يدعو قوماً دون قوم، بل يدعو جميعاً وهذه الدعوة العامة أيضاً في الشتاء وهو مَظِنّة قلّة الشيء وكثرة احتياج من يُدعى.

(٦) اُنظر: المصباح المنير٢: ١٠٣ (جفل). المفردات ٨٢١ (نقر). الأمالي للمرتضى١: ٣٥٤.

من خصال الخير حقيقةٍ[١] بأن يُدعى إليها.

والشرعيّة منسوبة إلى الشرع، والشرع: طريقة الإسلام والدِّين، ومنه شريعة الماء للطريق الذي يشرع إليه، يقال: شرعتِ الدّوابُّ في الماء، وأشرعتها أنا. وشرعت في الأمر شروعاً إذا خُضتُ فيه. وأشرعت باباً إلى الطريق إشراعاً إذا فتحتَه. وأشرعت الرُّمْح قِبَلَهُ إذا سوَّيتَه إليه[٢]، والشِّرعَة: الطّريقة المشروعة وهي والشريعة بمعنى[٣]؛ فإنّهما فِعلة وَفَعيلة بمعنى مفعولةٍ، قال الله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهاجاً﴾[٤]. وهُم في هذا الأمر شَرَعٌ؛ أي: سَواء. وشرْعُك من رجلٍ زيداً؛ أي: حسبك[٥].

(جِلاءً لقلوب العارفين): الجِلاء مصدر جَلَوتُ المِرآةَ والسّيف إذا نقَّيتهما عن الصّدَأ جِلاءً، وجلا القوم عن منازلهم جَلاءً إذا خَرجُوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ﴾[٦]. وأجْلَوا عن القتيل إجلاءً[٧]، وجلوتُ العروس جَلْوةً. وأصل الباب الكشف والإظهار؛ لأنّ جميع الأبنية فيه معنى الإظهار[٨].

---

(١) أي: جديرة.

(٢) أي: سدّده نحوه.

(٣) أُنظر: روض الجنان ١٧: ٢٣٠.

(٤) سورة المائدة ٥: ٤٨.

(٥) أُنظر: النهاية ٢: ٤٦٠. كتاب العين ١: ٢٥٢ (شرع).

(٦) سورة الحشر ٥٩: ٣.

(٧) أي: ابتعدوا وانفرجوا عن القتيل.

(٨) أُنظر: كتاب العين ٦: ١٧٩. جمهرة اللغة ٢: ١٠٤٤. معجم مقاييس اللغة ١: ٤٦٨ (جلو).

والقلب: الفؤاد[١]، وقيل سمّي القلب قلباً لتقلّبه، وقال: (ما سُمِّي القَلبُ إلّا مِن تقلُّبِه)[٢].

والقلب مصدر قَلَبتُ الثوبَ والأمرَ قَلباً[٣]. والقَليبُ: البئر[٤]. والقَلوب: الذي لا تثبت على حالةٍ. والقُلاب: داءٌ في القلب[٥]. والقَلَبَةُ: داءٌ في حافر الدّابة يحتاج معه إلى تقليبه للدواء، يُقال: ما بها قَلَبةٌ؛ أي: داء[٦]، قال:

ولم يُقلِّب أرضَها البيطارُ ولا لِحَبْلَيه بها حَبارُ[٧]

أي: أثر والقلب نوعٌ من السِّوار لِتقلّبه في اليد[٨]. والقُلُب ـ بضمّتين ـ جمع القليب[٩].

---

(١) النهاية٣: ٤٠٥ (فأد).

(٢) تمام البيت:

ما سُمِّي القَلْبُ إلا مِن تَقَلُّبِهِ والرأي يُصرَفُ والإنسان أطوارُ

كتاب العين٥: ١٧١ (قلب).

(٣) معجم المقاييس اللغة٥: ١٧ (قلب).

(٤) كتاب العين٥: ١٧١. معجم المقاييس اللغة٥: ١٧. النهاية٤: ٩٨ (قلب).

(٥) المفردات ٨٦٢ (قلب).

(٦) أُنظر: النهاية٤: ٩٨ (قلب).

(٧) أدب الكاتب لابن قتيبة الدّينوري ٥٢، والبيت لحميد الأرقط يصف فرساً. معجم مقاييس اللغة٥: ١٧ (قلب). أي: لم يُقلّب البيطارُ قوائمَها من علّةٍ بها ولم يَشُدَّها بحبلَيه فيؤثّرا فيها، وحبلاه: الزّيار والشّكال والبيت لحميد الأرقط.

(٨) أُنظر: النهاية٤: ٩٨ (قلب). كتاب العين٧: ٢٨٩ (سور).

(٩) لسان العرب١: ٦٨٩ (قلب).

والمراد بالعارفين المحصّلين معرفةَ الله تعالى ومعرفة أنبياءه ورسله وما يجب عليهم تحصيلُه من المعارف ليكونوا به مؤمنين عارفين، والمعرفة والعلم بمعنىً إلّا أنّ العلم أعمُّ والمعرفة أخصُّ؛ فالمعرفة علمٌ يحصل بعد أن لم يكن، ولذلك يوصف القديم بأنّه عالم ولا يقال له عارف. والعلم ما اقتضى سكونَ النفس، والعلم ضدّ الجهل، والمعرفة ضدّ النّكِرة، والعُرف ضدّ النُّكْر، والمعروف خِلاف المنكر[١].

(وشِفاءً لأدواء الخائفين)؛ الشِّفاء مصدر شفاه الله من مرضه يَشفيه شِفاءً. وشَفا البِئْر ـ مقصوراً ـ حرفه وجانبه. وأشفى على كذا؛ أي: أشرَفَ، وشَفيتُه من فلان فاشتَفىٰ، وأصل الباب من شَفَا البئر[٢].

والأدواء جمع داء[٣]. وأدويتُه فدوِيَ إذا آلَمتَه فتَألَّمَ. والمراد بالخائفين الذين يخافون عقاب الله.

(لصدورها عن المؤيَّد بالعصمة)؛ الصدور والصدر: الرجوع عن الماء والورود ضدّه. والوِرْد: الماء المورود[٤]. والمرادُ بالمؤيَّد: الموفّق، ومعناه المقوّىٰ، من الأيْد وهو القوّة[٥]، قال الله تعالى: ﴿داوُودَ ذَا الْأَيْـدِ﴾[٦]، وبيّنّا

(١) أُنظر: الفروق اللغوية ٧٢ الفرق بين العلم و المعرفة.

(٢) أُنظر: كتاب العين٦: ٢٨٨ (شفو) و٢٩٠. النهاية٢: ٤٨٨ (شفي).

(٣) أُنظر: المصباح المنير٢: ٢٠٥ (دوي).

(٤) أُنظر: المفردات ٨٦٥ (ورد).

(٥) كتاب العين٨: ٩٧. النهاية١: ٨٤ (أيد).

(٦) سورة ص٣٨: ١٧.

حقيقة التوفيق والعصمة، فلا وجه لإعادته؛ يعني لأنّها صدرت من جِهة النبيّ الموصوفِ بهذه الصفات. ومن صفاته أنه:

(المخصوص بالبيان والحكمة)؛ والبيان مصدر بان الشيءُ إذا تَبيَّن، وأَبَنتُه أنا وبَيّنته إذا أوضحتَه وكشفتَه، وبان إذا بَعُد من هذا الباب[1]؛ لأنّه إذا بعُد عنه، تَمَيّز منه وبانَ الفرقُ بينهما. والبَين: الفِراق والوِصال وهو من الأضداد[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾[3]؛ أي: وَصلُكم، فيمن قرأ بالرفع[4]. وبينهما بَونٌ بعيد؛ أي فرق ظاهرٌ. وقد بيّنّا معنى الحكمة وحقيقتها واشتقاقها فلا وجه لتَكراره.

(الذي يدعو إلى الهدى، ويُبصِّر من العمى، ولا ينطق عن الهوى)؛ ومن صفته أنّه يدعو الناس إلى الهدى وهو الإسلام، والهدى[5] جاء في القرآن على معانٍ مختلفة وسيجيء شرحهُ في موضعٍ آخر من هذا الكتاب إن شاء الله.

وَيُبصِّرُ من العمى: مجاز واستعارة وتمثيل كنّى عن الإرشاد والهداية بالتبصير وعن الجهل والغفلة بالعمى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ

---

(١) أُنظر: النهاية١: ١٧٥ (بين).

(٢) الأضداد ٧٥. الصحاح٥: ٢٠٨٢ (بين).

(٣) سورة الأنعام٦: ٩٤.

(٤) معاني القرآن١: ٣٤٥. كتاب العين٨: ٣٨٠ (بين). التبيان في تفسير القرآن٤: ٢٠٥. تفسير الطبري٧: ٣٦٤ سورة الأنعام.

(٥) هنا في نسخة (د) و نسخة (هـ) سقط يشمل شرح فقرة من مقدمة الشِّهاب.

لا يُبْصِرونَ بِها﴾[١]، وقوله: ﴿وَما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾[٢]، ومثله في عكس لفظ الكتاب قول الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكنْ لا حياةَ لِمَن تُنادي[٣]

﴿ولا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ﴾[٤]، ولذلك ائتمنَه الله على وحيه، وكان أمينَ الله في الأرض كما أنّ جبرئيلَ أمينُه في السّماء، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ * لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[٥]. وكان ذاتَ يوم ينزل عليه الوحي، فاستعجل ذلك حِرصاً عليه، فنزلت عليه: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[٦][٧].

(صلّى الله عليه وعلى آله أفضل ما صلّى على أحدٍ من عباده الّذين اصطفىٰ)؛ أفضل: أفعل التفضيل، تقول: فلانٌ فاضل وهو أفضل منه. وما مصدريّة، التقدير: أفضل صلاة صلّاها على أحدٍ من الأنبياء والرّسل. المراد بأحد ممّن اصطفاهم الله الأنبياءُ من قوله: ﴿وسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذينَ اصْطَفىٰ﴾[٨]، ولو أتى بالشرح لقال: اصطفاهم، فحُذف ضمير المفعول

(١) سورة الأعراف ٧: ١٧٩.

(٢) سورة النمل ٢٧: ٨١.

(٣) الأغاني ١٥: ٨٢. المفردات: ٢٦٨، والبيت لعبد الرحمن بن الحكم.

(٤) أُنظر: سورة النجم ٥٣: ٣.

(٥) سورة الحاقّة ٦٩: ٤٤ ـ ٤٥.

(٦) سورة طه ٢٠: ١١٤.

(٧) أُنظر: تفسير القمي ٢: ٦٥. مجمع البيان ٧: ٥٦، سورة طه.

(٨) سورة النمل ٢٧: ٥٩.

من الكلام كما في قوله: ﴿أَ هذَا الَّذي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾[١]، والتقدير: بعثه الله رسولاً[٢].

(**وقد جمعتُ في كتابي هذا ممّا سمعتُه من حديث رسول الله ألْفَ كلمةٍ من الحكمة**)؛ الحديث بمنزلة الاسم العلم لأخبار النبيّ ، ومنه سُمّي أصحابُ الأخبار أصحابَ الحديث، فصار بالعرف مختصاً بأحاديث النبيّ . والحديث ضد القديم فعيل بمعنى فاعل وهو والمُحدَث بمعنى واحد. والفرق بين الحديث والحادث أنّ الحادث يُستعمل في الذي تَجَدّد حدوثُه، والحديث والمُحدَث يجريان على ما وُجد بعد أن كان معدوماً وإن تطاول الزمانُ على حدوثه[٣]. وحدُّ الكلمة كلّ لفظة دلّتْ على معنى مفرد بالوضع. والألْف تضاف إلى ما بعدَه ومميّزه يكون مفرداً، وكذلك المئةُ إلى الألْف.

(**في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال**)؛ الوصايا جمع وصيّةٍ كمنيّة ومنايا وبليّةٍ وبلايا، وَوَصّى وأوصى بمعنىً[٤]، وقيل في المثل:

إذا كنتَ في حاجة مُرسِلاً فأرسِلْ حكيماً ولا توصِهِ[٥]

---

(١) سورة الفرقان٢٥: ٤١.

(٢) مجمع البيان٧: ٢٦٩. تفسير القرطبي١٤: ٣٥ سورة الفرقان.

(٣) أُنظر: لسان العرب٢: ١٣١ (حدث).

(٤) أُنظر: كتاب العين٧: ١٧٧. المصباح المنير٢: ٦٦٢ (وصي).

(٥) الأغاني١٧: ٢١٤. يتيمة الدّهر٣: ٤٧٠. جمهرة الأمثال١: ٩٨، نسبه للزبير بن عبد المطلب. أي: الحكيم مستغن بحكمته عن الوصية.

وقيل أيضاً: أرسِلْ حكيماً وأوصِهِ[١]. والآداب جمع أدبٍ، وقد مرّ تفسيره. والمواعظ جمع مَوعِظة، وهي مصدَرُ وَعَظ إلّا أنّهُ جعله اسماً ثمّ جمعه؛ فإنّ المصادر لا تُثَنّىٰ ولا تُجمَع. يُقال: وعظه وَعْظاً وَعِظَةً ومَوعِظةً. والموعظة أيضاً اسمٌ لما يوعَظ به الرّجلُ. والأمثال جَمْعُ مَثَلٍ وهو والمِثْل بمعنىً كشِبْه وشِبَهٍ، هذا في اللّغة، فأمّا في العرف، فهي كلّ ما تُمَثَّل به الحالُ وتُشَبَّهُ به.

(قد سَلِمت من التّكلّف مبانيها)؛ يُقال سَلِمَ من كذا، وسلّمه اللهُ. والإسلام والتّسليم بمعنى، يُقال: أسلمتُه لِكذا وسلّمته له وإليه؛ فإن اللام وإلى تتعاقبان، يقال: هدَيته لكذا وإلى كذا. والتّكلّف تفعّلٌ من الكُلفة وهي المشقّة وهو مطاوِعُ كَلّف، تقول: كلّفتُه كذا فَتَكَلّفَ[٢]، والتفعّل في مطاوعة التفعيل قياسٌ مُطّرد. والمباني جمعُ مبناة ومَبنىً، وهما موضعا البِناء.

(وبَعُدَت عن التّعسّف معانيها)؛ التعسّف تفعّلٌ من عَسفَ إذا أخَذَ على عَسْفٍ. والعسَوُف الظّلوم التارك للعدل. والعسيفُ الأجيرُ لِما عليه من المشقّة، فعيلٌ بمعنى فاعل أو مفعول. والعاسف البعير إذا قارَبَ الموتَ. والمعاني جمع معنىً وهو ما يُعنَى ويُقصَد بالكلام[٣].

---

(١) مجمع الأمثال للمَيَداني١: ٢٧٧. أي: وإن كان حكيماً، فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك.

(٢) المصباح المنير٢: ٥٣٨ (كلف).

(٣) أُنظر: الصحاح٤: ١٤٠٢. تهذيب اللغة٢: ٦٤ (عسف).

(وبانتْ بالتأييد عن فَصاحة الفصحاء)؛ بان الشّيءُ وأبان إذا تَبيّن، وأبان إذا أظهر، وبان إذا بَعُد؛ لأنّه إذا بعُد عنه فقد بَيَّنَ وتَمَيَّزَ عنه. والتأييد تفعيل من الأيْد وهو القوّة. قال الله تعالى: ﴿داوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾[١]؛ أي: ذا القوّة[٢]. والفصاحة الظهور والبيان. يُقال: أفصح الرّجل عمّا في ضميره، وأفصَحَ الأعرابيُّ[٣]، وفَصُح اللسانُ[٤].

(وتَمَيَّزتْ بهَدْي النُّبوّة عن بلاغة البلغاء)؛ والتّميُّز مطاوع التّمييز، يقال: ميّزتُه فتميَّزَ. والهَدْي: الطريقة[٥]. والبَلاغة مصدر البليغ، والبليغ البالغ على طريق المبالَغة والتوكيد، يقال: بليغ بيِّن البلاغة، وهي بمعنى الفَصاحة، وفُعَلاء في جمع فعيل بمعنى فاعل قياسٌ مطَّردٌ ككريمٍ وكُرَماءَ وظريفٍ وظُرَفاءَ.

(وجعلتُها مسرودةً يتلو بعضُها بعضاً محذوفةَ الأسانيد)؛ أي: منظومة مؤلَّفة، والسّرْد: النظم[٦]، قال الله تعالى: ﴿وقَدِّرْ في السَّرْدِ﴾[٧]؛ أي: في النظم؛ أي: لا تجعل المسامير دِقاقاً فتُقلَقَ ولا غِلاظاً فتُكسَرَ الحَلَقُ[٨]،

---

(١) سورة ص (٣٨): ١٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن٨: ٥٤٩. تفسير الطبري٢٣: ٨٦ سورة ص.

(٣) هنا سقط من نسخة (ب) عدة اوراق.

(٤) أُنظر: النهاية٣: ٤٥٠ (فصح).

(٥) لسان العرب١٥: ٣٥٦ (هدي).

(٦) كتاب العين٧: ٢٢٦. النهاية٢: ٣٥٨ (سرد).

(٧) سورة سبأ٣٤: ١١.

(٨) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٨: ٣٧٩. تفسير الطبري٢٢: ٨٣، سورة سبأ.

وقولهم في الأشهُر الحُرُم: واحدٌ فرْدٌ ـ يَعنون رجباً ـ وثلاثةٌ سَرْدٌ؛ أي: مُتتابِعة، يعنون ذي القَعدة وذي الحِجّة والمحرّم[١]. يتلوه: يتبع. يقال: تلوتُ الرجل إذا تبِعْتَه، وتلوت القرآن تِلاوةً من هذا؛ لأن التالي يقصد بتلاوته تتبُّعَ الحروف[٢].

والمحذوفة: المتروكة. والأسانيد جمع إسناد جعله اسماً ثم جمعه، وأسناد الأخبار: طُرقهم التي توصِل الحديث إلى **النبيّ** من أسماء الرواة والمخبرين.

(مُبَوَّبةً أبواباً على حسب تقارُب الألفاظ، لِيَقرُب تناولُها ويَسهُلَ حفظُها)؛ أي: فصّلتها باباً باباً على مقتضى مُقارَبة الألفاظ، كما تراه في الكتاب من باب الأمر، وباب النهي، وباب رُبَّ، وباب نِعْمَ وبِئْسَ، لِيَسهُل على من أراد حفظَها ولا يُختَلَط عليه. والتّناول: الأخذ والإدراك[٣].

(ثمّ زدتُ مائتي كلمةٍ فصارتْ أَلْفَ كلمةٍ ومائتَي كلمةٍ)؛ كأنّه وَضع الكتاب على أَلْف حديثٍ، ثم ظهر له أخبارٌ تَليقُ بكلّ باب، فزاد على الأَلْف مائتَي حديث، فجعلها على هذا العدد. وختم الكتابَ بالدعاء كما افتتح بالحمد والثناء تبرّكاً بذلك وتيمّناً، ثمّ وعد باستئنافِ كتابٍ لأسانيد هذه الأخبار، فجاء بالحديث على ما سمعه من طريق أو طريقَين أو طرقٍ

---

(١) جمهرة اللغة٢: ٦٢٨. التبيان في تفسير القرآن٤: ٣١، سورة المائدة. تفسير الثعلبي٥: ٤٣.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة١: ٣٥١. كتاب العين٨: ١٣٤ (تلو).

(٣) كتاب العين٤: ٢٩٨ (أخذ). المخصص٤: ٥٩.

مختلفة؛ فإنّ الإسناد حجّةٌ على صحّة الأخبار، وهذا العلم أعنى[١] علمَ الأخبار و إن كان متروكاً في عصرنا فهو علم جليل خصوصاً معرفةَ الرجال وطبقاتِهم والعلمَ بجَرحهم وتعديلِهم، وصُنّف في ذلك تصانيفُ؛ فإنّ الشريعة تُعرَفُ بها بعد كتاب الله؛ إذ لا طريقَ للعقل إلى معرفتها، وما جاء من ذلك في كتاب الله مجملاً، فبيانُه يؤخَذ من الأخبار. وأكثر العلماء على أنّ خبرَ الواحد وإن لم يوجِب العلمَ فهو موجِبٌ للعمل بطريق الظّنّ، وفي الناس من قال: إنّه يوجب العلمَ[٢]، وليس ذلك بمعتَمَدٍ.

واللهَ تعالى أسال التّوفيقَ والتّسديدَ، فما التَّوفيقُ إلا مِن لديه، وما الاعتمادُ إلا عليه، وهو حسْبُنا ونِعْمَ الوكيلُ.

---

(١) في نسخة (د): (اعلى).

(٢) أُنظر: الرسائل للمرتضى١: ٤٨، ٥٠. معارج الأصول ١٤٠، ويحكى هذا القول عن أهل الظاهر.

اَلبَابُ الأَوَّلُ

[الأحاديث المُصَدَّرَةُ بالمبتدأ معرَّفاً أو نكرة مسوَّغة][1]

١. قوله ﷺ: الأَعمْالُ بِالنِّيَّاتِ[2].

هذا حديث متّفَقٌ على صحته، لا أظنّ أحداً يُنكره إلّا مَن قَلَّ نظرُه في علم الأصول، وذلك لأنّ الفعل إذا كان ذا وجوه، يصحّ أن يوقَعَ على كلّ وجهٍ من وجوهه، ولا يُختَصُّ بالوجه المقصود إلّا بقصدٍ و إرادةٍ، وهو اقترانُ النّيّة به؛ مثلاً إذا أراد أن يؤدّيَ فريضةَ الظهر، لابدّ أنْ ينوِيَ الأداءَ لِتَتَميَّز به من

---

(١) لم يجعل مؤلف كتاب شهاب الأخبار و شارحه عناوين خاصة لأبواب الكتاب، بل قال المؤلف بشكل عام: الباب الأوّل حتي الباب الخامس عشر.

ثم بدأ بعرض الأبواب من غير عنونة كل باب بشكل منفرد، لكننا سجلنا لكل باب عنواناً في الهامش، ومضمون العنوان الذي اخترناه هو مما استفدناه من الباب أو اقتبسناه من شروح الشهاب.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٥ ، ح١ وح٢. صحيح البخاري١: ٢. سنن أبي داود١: ٤٩٠ / باب فيما عنى به الطلاق والنيات، ح٢٢٠١، عن عمر بن الخطاب. تهذيب الأحكام١: ٨٣، ح٢١٨.

القضاء، والفرضَ لِتَتَميَّزَ به من النَّفْل، والظُّهْرَ لِتَتَميَّز به من سائر الصلوات، وأن ينوِيَ القربةَ والعبادة لِتَتَميَّزَ من العادة والرّياء وغير ذلك.

ولذلك قلنا: وقوع الفعل على وجه دون وجهٍ يدلّ على كون فاعله مُريداً، وهي من باب الإرادة، وهي كلّ إرادة بالقلب وكانت مفعولةً به متعلِّقةً بفعل فاعلها، وتسمى انطواءً وضميراً[١].

والطِّيّة والنِّيّة واحدة في اللغة[٢]، وإذا كانت متقدِّمةً على الفعل، سُمِّيتْ عزماً وتوطيناً للنفس، وإذا كانت مقارِنةً للفعل، سُمِّيتْ قصداً وإيثاراً واختياراً بشرط أن تكون من فعل المريد[٣].

والياء الأوّل في النِّيّة منقلبةٌ عن الواو، والأصل (النِّوْيَةُ)، فقُلِبت الواوُ ياءً لِكَسرة النّونِ ووقوعِ الياء بعدَها، ثمّ أُدغمتْ في الياء، فصارت نيّةً؛ بدَلالة نوى ينوي فهو ناوٍ، والأمر منوِيٌّ عليه.

الأعمال جمع عمل، وهو كلّ فعل فيه بعض الأحكام ويُلحِق فاعلَه المشقَّةَ في فعله، ولذلك لا يجري على الله تعالى.

وللفعل أحوالٌ تختلف عليه الأسماءُ لاختلافها، أعمُّها الفعل وهو ما وُجِد بعد أن كان مقدوراً، ثمّ الصُّنع وهو الفعل المُحكَم، ولذلك يقال للمحترفة: صُنّاع؛ لأنّهم يُحكِمون الصِّناعاتِ، وقد يجري على الله تعالى

(١) أُنظر: الرسائل العشر للطوسي٧٧.

(٢) الصحاح٦: ٢٤١٥ (طوى).

(٣) أُنظر: الرسائل العشر للطوسي٧٦.

وعلينا، ثمّ الخَلْق وهو إخراج المقدور من العدم إلى الوجود على ضرْبٍ من التقدير، ولا يُطلَق إلّا على الله تعالى، لِمنْعٍ سمعيٍّ، ويُستَعمل فينا مقيَّداً، يقال: فلان خالقُ الأديمِ فِعلاً؛ أي: مُقدِّرُه[١]، قال الله تعالى: ﴿فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقينَ﴾[٢]. قال الشاعر:

ولَأَنتَ تَفْري ما خَلقْتَ وبَعضُ الـ ـقومِ يَخْلُقُ ثمّ لا يَفْري[٣]

وقال آخر:

ولا يَئِطُّ بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالقِ إلّا جَيِّدُ الأَدَمِ[٤]

ومثله الرّبّ في أنّه لا يطلق إلّا على الله تعالى، ويستعمل فينا مقيَّداً، يقال: فلانٌ ربّ الدار وربّ الضَّيْعَة[٥]، وقال لأعرابيّ: أربُّ إبلٍ أنت أم ربُّ غنمٍ؟ فقال: مِن كلٍّ آتانيَ اللهُ تعالى فأَكثَرَ وأَجزَلَ[٦].

---

(١) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٤: ٥٠٧، سورة الأعراف.

(٢) سورة المؤمنون٢٣: ١٤.

(٣) كتاب الجيم٣: ٤٩. تهذيب اللغة١٥: ١٧٤ (فرى). كنز الفوائد١: ٨٦، والبيت لزُهَير بن أبي سُلْمى. تفري: تقطع، خلقت: قدّرت. يقول: مخاطباً الممدوحَ: أنت تقطع ما قدرّت؛ أي: إذا تهيّأت لأمر أمضيتَه، والآخرون يقدّرون ثم لا يقدرون على تنفيذه؛ أي: غيرك يعزم ولا يفعل.

(٤) التبيان في تفسير القرآن٦: ٣٦٩. تمهيد الأوائل للباقلانيّ ٣٥٠. البيان والتبيين١٢٦، والبيت لابن هَرْمة، والمعنى: لا يصوّت بأيدي الدّبّاغين المَهَرة والدّبّاغات الماهرات إلا الجَلدُ الجيّد.

(٥) التبيان في تفسير القرآن١: ٣٢، سورة الحمد.

(٦) مسند ابن حنبل٤: ١٣٦. مسند الحميدي٢: ٣٩٠. المعجم الكبير١٩: ٢٨٣، باختلاف يسير.

ثم الكسب وهو كلّ فعل يُجَرُّ به النّفعُ، ويقال لجوارح الطير كواسبُ[١]، قال لبيد:

.... غُبْسٌ كواسبُ ما يُمَنُّ طعامُها[٢]

ولا يجري عليه تعالى لاستحالة النفع.

فأما الإحداث والإيجاد والإنشاء، فيجري على الله تعالى وعلينا.

وأما الاختراع، فلا يجري إلا على الله تعالى من طريق اصطلاح أهل الكلام[٣]. وأما في اللغة، فيجري علينا وعليه جلّ جلاله.

والباء تتعلق بمحذوف، والتقدير: وقوع الأعمال موقعَ الصحة والقبول بالنيات، أو الأعمال واقعةٌ موقعَ الصحة بالنّيّات. ورفعُه بالابتداء وخبره ـ على التحقيق ـ هو الذي تَعلّقَ حرفُ الجرِّ به، وتقديره: الأعمال واقعة أو صحيحةٌ بالنّيّات، فالجارّ والمجرور في موضع الرفع لوقوعه موقعَ خبر المبتدأ. والباء ههنا هي التي في قَولةِ قصيرٍ لِلزَّبّاءِ: (إنّمَا المرءُ بأصغَرَيه: قلبِه ولسانِه)[٤]، يعني إنّما المرءُ مرءٌ بأصغَرَيه.

---

(١) معجم الفروق اللغوية١٧٠ / الفرق بين الجوارح والأعضاء.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة١٧١. التبيان في تفسير القرآن١: ٣٢٢. وتمام البيت:

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنازَعَ شِلْوَه غُبْسٌ كواسبُ ما يُمَنُّ طعامُها

المعفَّر: ما سُحب في التراب، القهد: أبيض، غُبس: ذئاب أو كلاب ذات لون أغبر، ما يُمَنُّ طعامُها: إما بمعنى ما أحدٌ يمُنّ عليها بإطعامها بل تعتمد على جهدها أو بمعنى: لا ينقص طعامها.

(٣) أُنظر: الرسائل للمرتضى١: ١٣٧.

(٤) أنساب الأشراف١٢: ١٢٩. الشعر والشعراء٢: ٦٢٢، عن شِقّةَ بنِ ضَمْرةَ التّميميّ.

وقيل: إن الخبر وَرَد على سبب، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة، أمر أصحابه بالهجرة، فهاجروا، فهاجر بعضهم من نيّة صادقة متابعة لأمر الله وموافقة لرسوله، وبعضهم هاجر لغرض دنيويّ من تجارة أو نكاح امرأة، فلما اطَّلع **رسول الله** ﷺ على ذلك قال: **«الأعمال بالنّيّات، وإنّما لكلِّ امرئٍ ما نَوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأةٌ يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»**[١]. والأولى حمله على العموم. ومعنى الخبر أنّ الأعمال لا تُقبَل إلا بالنّيّة على ما بيّنّاه.

٢. قوله: المَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ[٢].

المجالس جمع مجلس، وهو موضع الجلوس، والباء تتعلق بمحذوف.

يعني: قِوام المجلس وصلاح المجالس، بالإضافة على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه، وهذا كثير في القرآن وكلام العرب، حيث لا يَلتبسُ[٣] المعنى، قال الله تعالى: ﴿واسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[٤]؛ يعني أهلَ

---

(١) صحيح البخاري٣: ١١٩. سنن الترمذي٣: ١٠٠، ح١٦٩٨. عوالي اللئالي١: ٨٢، ح ٣.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٧، ح٣، عن ضميرة، عن الإمام عليّ . سنن أبي داود٢: ٤٤٩ / باب في نقل الحديث، قطعة من ح٤٨٦٩. الأمالي للطوسي: ٥٣، قطعة من ح٧١، عن جابر بن عبد الله. الكافي٢: ٦٦٠ / كتاب العشرة، باب المجالس بالأمانة، ح٢، عن زرارة، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٣) في نسخة (د): (تلبس).

(٤) سورة يوسف١٢: ٨٢.

القرية[١]، ﴿وَجاءَ رَبُّكَ﴾[٢] يعني أمرُ ربِّك[٣]، وقال:

حَسِبْتَ بُغامَ راحلتي عَناقاً ... وما هيَ ـ وَيْبَ غيرِكَ! ـ بالعَناق[٤]

أراد صوتَ عَناقٍ.

والأمان والأمانة واحد، وكذلك الأمن، تقول: أمِنت أمْناً وأماناً، والأمانة يُستعمل في الشيء المودَع عند أمين[٥]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها﴾[٦]، جعلَها اسماً ثم جمَعَها، والأصل المصدر.

وروي في الخبر زيادة وهي: **«المجالس بالأمانة إلّا ثلاثةً: مجلسٌ سُفِكَ فيه دمٌ حرامٌ، أو استُحِلَّ فرْجٌ، أو اقتُطِع مالٌ»**[٧].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن٩: ٣١٤، سورة الفتح. تفسير الطبري١١: ١٥٤، سورة يونس. المفردات٦٦٩ (قرى).

(٢) سورة الفجر٨٩: ٢٢.

(٣) معاني الأخبار: ١٣ / باب معاني ألفاظ وردت في الكتاب والسنة في التوحيد، قطعة من ح٣، عن الحسن فضال، عن الإمام الرضا عليه السلام. التبيان في تفسير القرآن٩: ٣١٤، سورة الفتح. تفسير الفخر الرازي٥: ٢٣٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة١: ٢٧١ (بغم). التبيان في تفسير القرآن١: ٣٥٥. تفسير الطبري١: ٧٨٥ والبيت لـ (ذي الخِرَق الطُّهَويّ) يخاطب ذئباً. بُغام: صوت الظّبية أو النّاقة، العَناق: الأنثى من المَعْز، وَيْب: ويل، والخطاب للذئب؛ أي: حسبتَ ناقتي عَناقاً وبُغامَها بُغامَ عَناق، ويلٌ لك! ليست هي عَناقاً.

(٥) أُنظر: كتاب العين٨: ٣٨٩ (أمن).

(٦) سورة النساء٤: ٥٨.

(٧) الأمالي للطوسي:٥٣ / المجلس الثاني، ح٧١. مسند ابن حنبل٣: ٣٤٣. سنن أبي داود٢: ٤٤٩ / باب في نقل الحديث، عن جابر بن عبد الله.

وقال ﷺ: **«المجالس ثلاثةٌ: غانم وسالم وشاجب»**[١]. يعني أهلَ المجالس، فالغانم: الذاكر، والسالم: الساكت، والشاجب: المُغتاب أو المُفشي، من الشَّجَب، وهو الهلاك؛ لأنّ من أفشى ونقل ما جرى هنالك، ربّما أدى إلى هلاكه في الدنيا، وهلاكُه في الآخرة معلومٌ إلّا إذا تاب.

ويروى: **«المجالس بالأمانة، ومن الخيانة أن يُحدِّث الرّجلُ أخاه ويقولُ له: أُكتُمْه عليَّ، فيُفشيهِ»**[٢]، وربما كان يجري في تلك المجالس أسرارٌ يجب حفظُها، فإنْ أُفشِيتْ، أدّى إلى هلاك نفوسٍ وتلفِ أموالٍ. وقيل: حفظ السِّرِّ من أعظم البِرِّ، وإفشاء السِّرِّ من أقبح الشَّرِّ[٣]، وقيل: صُدورُ الأحرار قبور الأسرار[٤].

وقال مسكينٌ الدارميُّ:

وفِتيانِ صِدْقٍ لَستُ مُطلِعَ بعضِهم ... على سِرِّ بعضٍ كان عندي جِماعُها

لِكلِّ امْرئٍ شَعْبٌ من القلب فارغٌ ... ومَوضعُ نَجوًى لا يُرام اطِّلاعُها

يَبيتون شتَّى في البلاد وسِرُّهُم ... إلى صخرةٍ أعيَا انْصداعُها[٥]

---

(١) الأمالي للشجري١: ٨٤، ح٣١٥، عن أنس بن مالك.

(٢) أُنظر: الكافي٢ : ٦٦٠ / كتاب العشرة، باب المجالس بالأمانة.

(٣) أُنظر: إحياء العلوم٥: ١٧٨. سراج الملوك١: ١٠٥.

(٤) حلية الأولياء١٠: ٢٤٣. التمثيل والمحاضرة١: ٣١٧. الرسالة القشيرية١: ١٢٥، وهو من كلام ذي النّون المصريّ.

(٥) شرح ديوان الحماسة١: ٣٤٢. الزهرة٧٢٧. الأمالي للقالي٢: ١٧٨، مع اختلاف فيهما.

ولِآخرَ في معناه:

مـا يَكـتُمُ السِّـرَّ إلّا كُـلُّ ذي خطَـرٍ والسِّـرُّ عنـد كِـرام النّـاسِ مكتـومُ

والسِّرُّ عنـديَ فـي بَيـتٍ لـه غَلَـقٌ قد ضَلَّ مِفتاحُه والبابُ مختومُ[(١)]

ولِآخَر:

ومستودعي سِرّاً تَضَمَّنتُ حِفظَها فبوّأتُـه صـدري فصـار لـه قبـرا

وزَلَّـةَ جـارٍ فـاجرٍ قـد سـترتُها ولَوْ مِثلَها منّي رَأى هَتَّكَ السِّترا[(٢)]

ومثله لأبي الشِّيص:

ولا تَـأمنَنَّ علـى سِـرّي وسِـرِّكُمُ غَيـري وغيـرَك أو طـيِّ القـراطيس

أو طـائراً سـأُحلّيه وأَنعَتُـه مـازال صـاحبَ تنقيـرٍ وتأسـيس

سُـوداً بَراثِنُـه مـيلاً ذَوائبُـه صُفْراً حَمالِقُه في الخلق طاووس

قـد كـان هـمَّ سـليمانٌ لِيَذبَحَـه لـولا سِـعايته يومـاً ببلقـيس[(٣)]

(١) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ ٤٠٣، وفيه في الشطر الأول من البيت الأول: لا تُودِعِ السِّرَّ إلّا عند ذي كرمٍ. المحاسن والمساوئ١: ١٦٧، مع اختلاف يسير فيهما.

(٢) قوت القلوب٢٧٩، باختلاف يسير. لم نعثر على مصدر فيه الشطر الثاني.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة١: ١٠٠، وفيه: (في الحُسن مغموس) بدل (في الخلق طاووس). (طيّ القراطيس) أي: غير طيّ القراطيس. وفي ديوان أبي الشيص: أو طائرٍ... سودٍ... ميلٍ... صُفْرٍ، وذلك لأن (طائر) معطوف على (طيٍّ)، والكلمات الأخرى كل واحدة منها عطف على الكلمة السابقة لها. قال محقق الديوان في هامش البيت الثاني: (وصواب "تأسيس": تدسيس، وهو الدّسّ والإدخال، يدخل منقارَه في الأرض بحثاً عن قوتِه). كما شرح المحقق بقية الكلمات هكذا: (ذوائبه: ريش تاجه، حمالِقه: جُفونه). ثم جاء المصراع الأخير في الديوان هكذا: (لولا سعايته في مُلك بلقيس). أُنظر: أشعار أبي الشِّيص الخزاعي وأخباره٦٩.

وقد أكثرَ الشعراء في هذا المعنى.

المجالس مرفوع بالابتداء، وخبره المحذوف الذي تَعَلق حرف الجرّ به؛ أي: المجالس محفوظة مرعيّة بالأمانة. ومعنى الخبرين: الأمر بالنّيّة، وأداء أمانة المجالس بحفظ ما يُسمع فيها، وصيانته عن الإذاعة والإفشاء.

٣. المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ[١]. يروى: والمستشير مُعانٌ[٢]

وهو[٣] الذي يَطلب منك المَشْوَرَةَ، والمستشار من تَطلب منه المَشُورةَ، يقال: استشرتُ فلاناً في كذا، وشاورتُه، فأشار عليّ بما كان عنده من الرّأي. وأصل الكلمة: الاستخراج، من قولهم: شُرتُ العسلَ وأَشَرتُه واشْتَرتُه[٤]، قال عَدِيٌّ:

في سَمَاعٍ يَأْذَنُ الشيْخُ لَه وحَديثٍ مثْلِ مَاذِيٍّ مُشارْ[٥]

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٨، ح٤، عن سمرة بن جندب و٣٩، ح٥، عن ابن عبّاس. سنن أبي داود٢: ٥٠٤ / باب في باب في المشورة، ح٤٨٦٩. سنن الترمذي٤: ١٤ / باب ما جاء في معيشة النبيّ ﷺ وأهله، ح٢٤٧٤، عن أبي هريرة. المحاسن٢: ٦٠١، ح٢٠، عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) روض الجنان٥: ١٢٧. الإعجاز والإيجاز٣١، ح٤١.

(٣) أي: المستشير.

(٤) اُنظر: كتاب العين٦: ٢٨٠. المفردات٤٦٩ (شور).

(٥) كتاب العين٦: ٢٨٠. تهذيب اللغة١١: ٢٧٧ (شور). الأمالي للمرتضى٢: ٨١. و (يأذَن) أي: استمع مُعجَباً. (الماذيّ): العسل الأبيض. المُشار: من أشرتُ العسلَ إذا جنَيتَه. (وأَنكرها الأَصمعيّ وكان يروي هذا البيتَ: (مثلِ ماذِيِّ مَشارْ) بالإضافة وفتح الميم. قال: والمشار: الخليّة يُشتار منه). لسان العرب٤: ٤٣٤ (شور).

أي عسل مستخرج، والسين في اللفظين للطلب.

وقوله: (**مُعانٌ**)، يعني يجب أن يُعانَ بالرأي والإشارة إلى الصواب.

وقوله: (**مؤتمَن**)؛ أي: ينبغي أن يُؤتمَن فيما يشير إليه.

وقيل: معناه: لا تستشِرْ إلّا مَن كان أميناً عندك وفي ظنّك، فإن ظننته خائناً، فلا تَستشِرْه.

وفي خبر آخر: (**المستشار بالخيار، إن شاء قال وإن شاء سكت، فإن قال فَلْيَنصَحْ**)[١]. وقد أمر الله تعالى نبيَّه بالمَشُورةِ، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٢]، فاستشار **النبيُّ** أصحابَه في باب الأَسارى[٣]، فأشار عليه أبو بكرٍ بالاستبقاء، وعمرُ بالاستئصال، فصار إلى رأي أبي بكر بعد ما نزل عليه الوحيُ بالاستبقاء؛ وإنما فعل ذلك[٤] لإدخال السرور عليهم، ولِيَعلموا أنهم عنده في العداد، وإلا فما حاجته إلى استشارة أحد مع نزول الوحي عليه[٥].

---

(١) أُنظر: البيان والتبيين: ٢٢٣. الجامع لابن وهب: ٣٩٦، ح٢٨٤. اللطائف والظرائف: ١١٨. يذكر أن كلمة (المشورة) لها ضبطان: المَشُورَة والمَشْوَرَة.

(٢) سورة آل عمران٣: ١٥٩.

(٣) بفتح الهمز وضمّها.

(٤) أي: استشارة مع أبي بكرٍ وعمرَ.

(٥) أُنظر: أحكام القرآن للجصاص٣: ٩٣. مسند ابن حنبل١: ٣١. المصنف لابن أبي شيبة٨: ٤٧٤، ح٣٢.

وقال بعضهم:

شاوِرْ صديقك في الخفيّ المشكل واقبَـلْ نصـيحةَ ناصـح مُتَفضِّـلِ

فـاللهُ قـد أوصـى بـذاك نبيَّـه فـي قولـه: شـاوِرهُمْ وتَوَكَّـلِ[1]

وقال ﷺ: «ما من قومٍ كانت لهم مَشوَرةٌ، فحضر معهم مَن اسمُه محمّدٌ أو أحمدُ، فأدخَلوه في مَشُورتهم إلّا خار الله لهم»[2].

وقال أبو الفتح البُستيّ في وصف المستشار:

خصـائصُ مَـن تُشـاوِرُه ثـلاثٌ فخُـذْ منهـا جميعـاً بالوثيقـهْ:

وِدادٌ خـالصٌ ووُفـورُ عقـلٍ ومعرفـةٌ بحالـك فـي الحقيقـهْ

فمَن حصلت لـه هـذي المعاني فتـابعْ رأيَـه والـزَمْ طريقَـهْ[3]

وقال الشيخ الإمامُ أبو القاسم محمودُ بنُ عُمرَ الزّمخشريُّ في إنسان كان يُلَقَّب بمؤتَمَن الملك، وقد أحسنَ كلَّ الإحسان وصنعه على طريق المعنى:

امتَحَنوه فكان مؤتمَناً ثمّ استشاروه بعد ما امتَحَنوا

ثمّ دَعَوه فكان مؤتمَناً لِلمُلك والمستشارُ مؤتمَنُ[4]

---

(١) تفسير الثعلبي٣: ١٩٢، والبيت لأبي سلمة المؤدِّب.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٩، ح٣٠. تفسير الثعلبيّ٣: ١٧٧، باختلاف يسير.

(٣) وجدناه باختلاف يسير في: غرر الخصائص الواضحة: ١٢٤. تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: ١٨٧. مجمع الحكم والامثال ٥: ٤٥٤، ولكن نسبها إلى الأرجائي.

(٤) روض الجنان٥: ١٢٧، سورة آل عمران.

٤. العِدَةُ عَطِيَّةٌ[١].

٥. العِدَةُ دَينٌ[٢].

العِدة مصدر وَعَدَ يَعِدُ وَعْداً وَعِدَةً، مثل: وزَن يـزِن وزناً وَزِنةً، والوعد إذا كان مطلقاً، كان الموعودُ به خيراً، و إذا كان مقيَّداً، فهو صالح للخير والشّرّ، تقول: وعدتُه خيراً وشرّاً. فأما أوعد من الوعيد، فلا يستعمل إلا في الشّرّ، لا يقال: أوعدته خيراً[٣].

وقيل: «**الكريم إذا وعد وفىٰ، و إذا أوعد عفا**»[٤]. قال:

و إنّـي و إنْ أوعـدتُـه أو وعـدتُه لَمُخلِفُ إيعادي ومُنجِزُ مَوعِدي[٥]

وهذا غاية الكرم في الواحد منّا.

فإن قيل: إذا كان الله لا يُخلف الميعاد، فهل يجوز أن يُخلف الإيعادَ ليكون في غاية الكرم كما قلتم؟

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٩، ح٦، عن عبد الله. الصمت وحفظ اللسان: ٢٣٥ / باب الوفاء بالوعد، ح٤٥٣. المراسيل لأبي داود: ٣٥٢، ح٥٢٢، عن الحسن.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٠، ح٧، عن علقمة والأسود، عن الإمام عليّ . المعجم الأوسط٤: ٢٣، عن عبد الله بن مسعود.

(٣) أُنظر: الصحاح٢: ٥٥١. المحكم والمحيط الأعظم٢: ٣٢٨ (وعد).

(٤) غرر الحكم١: ٣٩٤، ح١٥٢٨، وفيه (توعد) بدل (أوعد). تفسير الفخر الرازي٢٨: ١٧٠، سورة ق.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل: ٥٨. تهذيب اللغة٣: ٨٦. الصحاح٢: ٥٥١ (وعد). تفسير الثعلبي٢: ٢٧٠، والبيت لعامر بن الطفيل.

قلنا: لا يجوز؛ لأن الخُلْف كذب، سَواءٌ كان للميعاد أو للإيعاد، إلا أنّا نقول: مَن عفا اللهُ عنه وغَفَر له، فالوعيدُ لم يتناولْه في سابقِ علم الله، ولم يدخل في عموم قوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ﴾[1]؛ لأن العموم لا صيغة له تختصّ به، بل هي صالحة للعموم والخصوص بدِلالة حسن الاستفهام؛ لأنّ العاقل إذا قال: من دخل داري أكرمتُه، يَحسُن أن يُستَفهم فيُقال: أمِن العلماء أم من عامّة الناس؟ ومن دفع حُسنَ هذا الاستفهام، كان مُكابِراً.

والعطيّة اسم الإعطاء[2]؛ ولأنّ الفعل منه أعطى يعطي، والثلاثيُّ منه عطا يَعطو إذا أخذ، قال امرُؤ القيس:

وتَعطو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنه أساريعُ ظبيٍ أو مَساويكُ إسْحِلِ[3]

وأعطاه أي: مكّنه من الأخذ، من باب حفرتُ بئراً وأحفرتُ زيداً بئراً إذا مكّنتَه من الحفر وجعلتَه حافراً.

ومعنى الخبر على وجهين:

يجوز أن يريد أن من وعد أحداً شيئاً، أدخَلَ عليه سُروراً، ويَستحِقّ عليه

(١) سورة النساء٤: ١٤.

(٢)كتاب العين٢: ٢٠٨. المصباح المنير٢: ٤١٧ (عطو).

(٣) كتاب العين٢: ٢٠٨(عطو). خلق الإنسان١٧. تهذيب اللغة٢: ٥٤ (سرع). والرَّخْص: الناعم. الشَّثْن: الغليظ الخشن. الأساريع: دودٌ بِيض الأجساد حُمْرُ الرؤوس يكون في الرمل تُشبَّه بها أصابعُ النّساءِ، ويوجد هذا الدود في وادٍ بتهامةَ يُعرفُ بظَبْيٍ. الإسحِل: شجر لطيف تُتّخَذ منه المساويك، تُشبِّه العربُ بنانَ المرأةِ بها. أي: تأخذ تلك المرأةُ بأصابع ناعمة غير غليظة وهي مثل أساريع وادي ظبي أو المساويك المتَّخَذة من شجر الإسحِل.

المدحَ والثوابَ، كما أنه إذا أعطاه، سُرَّ به واستَحَقَّ الثوابَ عليه.

ويجوز أن يكون المعنى أن الوعد من الرجل الصادقِ اللهجةِ بمنزلة العطاء، من حيث إنه عَلِم أنّ خُلف الوعد من خُلق الوَغْد[١] يوجب على نفسه الوفاءَ به، فإذا وعده على هذا الوجه، فكأنّما أعطاه؛ لأنّ العرب تسمي الآخذَ في الشيء والمبتدئَ به فاعلاً لذلك الفعل، ومثله قوله تعالى حكايةً عن إبراهيمَ : ﴿إِنِّي أَرى في الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[٢]؛ أي: أشتغل بذَبحك وآخِذٌ في مقدَّماته و إعداد أسبابه.

وقيل: إنّ الخبر ورد على سبب، وهو أنّ سائلاً سأل **رسولَ الله** ﷺ شيئاً، فقال: «**ما عندنا شيءٌ**»، قال: عِدْني، فقال : «**العِدة عطيّةٌ**»[٣].

ويروى: «**الوَأْيُ**[٤] **مثلُ الدَّين أو هو أفضلُ**»[٥].

و**قال** ﷺ: «**إن الرجل إذا وعد أخاه شيئاً فلم يَفِ له به وفي نيّته الوفاءُ، فلا إثمَ عليه**»[٦].

---

(١) أُنظر: زهر الآداب وثمر الألباب٤: ١٠٨٠. التمثيل والمحاضرة: ٤١٩. الوَغْدُ: الدَّنِئُ مِنَ الرِّجَالِ و الجَمْعُ: أَوْغَادٌ. المصباح المنير٢: ٦٦٦ (وغد).

(٢) سورة الصّافّات٣٧: ١٠٢.

(٣) المراسيل لأبي داود: ٣٥٢، ح٥٢٢. مكارم الأخلاق للخرائطي: ٨٢ ح٢٠٦، عن الحسن.

(٤) قيل: الْوَأْيُ. التّعريض بالعدة من غير تصريح. و قيل: هو العدة المضمونة، النهاية٦: ١٤٤ (وأي).

(٥) الصمت وآداب اللسان: ٢٣٥، ح٤٥٤، عن ابن لهيعة. الأموال لابن زنجويه٣: ١٢٣٠، ح٢٣٤٣.

(٦) سنن أبي داود٢: ٤٧٦، ح٤٩٩٥. سنن البيهقي١٠: ١٩٨. المعجم الكبير٥: ١٩٩، عن زيد بن أرقم باختلاف يسير.

وقوله ﷺ: «**العِدة دَينٌ**»؛ يعني: يجب الوفاءُ به كوجوب قضاء الدَّين في قضية العقل، وقال:

إذا قلتَ في شيء "نَعَم" فأتِمَّهُ   فإنّ نَعَمْ دَينٌ على الحُرِّ واجبُ
وإلّا فقُل: "لا" فاسترِحْ وأرِحْ بها   لِكَيلا يقولَ الناسُ إنّك كاذبُ[١]

وقال آخر:

وإذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارمٍ   ديناً أَقَرَّ به وأُحضَرَ كاتبا
وإذا منعتُ منعتُ منعاً بيِّناً   وأرَحتُ مِن طول العناء الراغبا[٢]

والخبران واردان في إنجاز الموعد، وأن يراه الواعد كالعطاء المعطى والدَّيْن الذي يجب قضاؤه عقلاً وشرعاً.

٦. الحَرْبُ خُدْعَةٌ[٣].

الحرب اسم للمحاربة، ويجوز أن يكون مصدر حَرَبه ـ إذا سلبه ـ حَرْباً وحَرَباً، والحربُ: الشّيء المحروب، فَعْلٌ بمعنى مفعول كالسَّلْب بمعنى

---

(١) الديباج للختلي: ١٠٤، نسبه لأحمد بن يوسف. العقد الفريد١: ٢٠٥، نسبه لابن أبي حازم.

(٢) أنساب الأشراف١١: ١١٦. الأغاني١٢: ٤٨٩، والبيت لأبي الأسود.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤٠، ح٨، عن كعب وح٩. صحيح مسلم٥: ١٤٣. صحيح البخاري٤: ٢٤، عن جابر وفي نفس المصدر، عن أبي هريرة. تهذيب الأحكام٦: ١٦٢ / باب أنّ الحرب خدعة، قطعة من ح٢٩٨، عن إسحاق بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه.

المسلوب؛ لأنّ غرضهم في المحاربة في أغلب الأحوال السّلْب والغنيمة، ثم اختُصَّ بالعرف بالمقاتلة والضرب والطّعن[١]، ألا ترى إلى قول بعضهم:

وكُـنَّ إذا أغَـرْنَ علـى جَنـابٍ وأعْـوَزَهنّ نهْـبٌ حيـث كانـا

أغَرْنَ من الضّباب على حلول وضَـبّةَ إنّـه مـن حـان حانـا

وأحيانـاً علـى بَكْـرٍ أخينـا إذا مـا لـم نجـدْ إلّا أخانـا[٢]

إلّا مَن حملتْه عزّةُ النّفْس وأريَحيّةُ الكرم على التعفُّف عن ذلك، كما قال الطّائيُّ في ممدوحه:

إنّ الأُسـودَ أُسـودَ الغَـابِ هِـمَّتُهَا يومَ الكريهةِ في المسلوب لَا السَّلَبِ[٣]

---

(١) أُنظر: المفردات٢٢٥. المصباح المنير٢: ١٢٧ (حرب).

(٢) شرح ديوان الحماسة٢٥٣. عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٢٨٨، باختلاف يسير. الشاعر هو عُميرٌ التّغلِبيُّ ولقبه القطاميّ (بفتح القاف وضمها). (كنَّ) أي الخيل. جَناب: ناحية. أعوَزَهنّ نهْبٌ أي تَعَسَّرَ عليهنّ النّهْبُ والغنيمة. الضّباب: عدة قبائل منها: ضَبّةُ وحَسْلٌ. و(الحلول) جمع حالّ ـ مثل سُجود وهو جمع ساجد ـ وهم الذين يكونون في مكان واحد. حان حانا أي: من هلك بغزْوِنا فقد هلك حقّاً، أو من حان أجلُه هلك. وفي الكلام تقديم وتأخير، فأصله: أغرن على حُلول من الضّباب وضَبَّةَ. على بكر: متعلق بفعل مُضمَر دلّ عليه قبلَه، كأنه قال: وأحياناً أغَرنَ على بَكرٍ. يصف اعتيادهم للغارات، وأنهم يغيرون أبداً على القبائل الكبار نحو: ضَبّةَ بن أد وبَكرِ بنِ وائلٍ، وأنهم يثقون بأن من حان أجلُه مات، ما تَقدَّم أو تَأخَّرَ، لا يَجبُنون ولا يخافون، فإذا لم يجدوا مَن يُغِيرون عليه من أعداءهم، أغاروا على مَن يليهم مِن أدانيهم؛ لأنهم لا يصبرون عن الغارة.

(٣) ديوان أبي تمّام١٧. يتيمة الدّهر١: ١٦٤.

وكما فعل أمير المؤمنين عليه السلام يوم قتل عمرو بن عبدِ وُدٍّ، ولم يَسلُبْه تكرّماً وتعفّفاً، وقال في ذلك أبياتاً منها:

فصددتُ حينَ تركتُه مُتَجَدِّلاً ... كالجِذعِ بينَ دَكادِكٍ ورَوابي

بيـنَ دَكـادِكٍ ورَوابـي

وعففتُ عن أثوابِه ولو أنّني ... كنتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّني أَثْوابي[1]

فقال بعض الصحابة[2]: هلّا سلبتَه؟! فقال: استحييتُ أن أكشف عن سَوءةِ ابن عمّي[3].

والخَدعة: المرّة من الخِداع، والخُدعة ما يُخدعَ به الصّبيُّ كأنه مخدوع بها[4]، ومنه قوله عليه السلام في كتاب له إلى معاوية: «**وأمّا تلك التي تريد، فإنّها خدعةُ الصّبيِّ عن اللبنِ في أوّل الفصالِ**»[5]. وقيل[6]: هما لغتان، وكذلك

---

(١) الإرشاد١: ١٠٤. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا٦٩، ح١٩٥. السيرة النبوية لابن هشام٣: ٧٠٩.

(متجدِّلاً): لاصقاً بالأرض. (الدكادك): جمع دكداك: الرّمل الليّن، وهو جمع منتهى الجموع وممنوع من الصرف، لكنه هنا انصرف حفاظاً على الوزن. (الرّوابي): جمع الرابية: ما ارتفع من الأرض. (المُقَطَّر): مَن صُرِع صرعةً شديدةً. (بَزَّ): سَلَبَ. ويقول البيت الأخير: قتلته ولم أفكّر في سلَبه، ولو كان هو الذي قتلني، لَأَخَذَ أثوابي.

(٢) القائل: عمر بن الخطاب.

(٣) الإرشاد١: ١٠٤. المستدرك على الصحيحين٣: ٣٣.

(٤) أُنظر: كتاب العين١: ١١٥. تهذيب اللغة١: ١١١ (خدع).

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ٦٤.

(٦) من أوّل الكتاب إلى هنا سقط من نسخة (ج).

الخُدَعةُ[١]. وقيل: الفتح لغة أهل الحجاز، والضمّ لغة سائر العرب. والخُدَعَةُ قبيلة من بني تميم[٢]. والأخدع عِرقٌ في سالفة العنق[٣]. ورجلٌ مخدوع أي مقطوع منه ذلك. ودينار خادع أي ناقص[٤]. وفي الحديث في أشراط السّاعة: «**سِنونَ خدّاعة**»[٥] وهي التي يَكثُر مطرُها ويَقِلّ رَيعُها. والخَدْعُ: السَّترُ، ومِنهُ المخدَع[٦] لبيتٍ يَخدَع فيه المتاعُ[٧]، وقيل: أصله الفَسادُ[٨] من قول الشاعر:

أبيضُ اللَّونِ لذيذٌ طعمُهُ طَيِّبُ الرّيقِ إذا الرّيقُ خَدَعْ[٩]

---

(١) في ضبط (الخدعة) في عبارة (الحرب خدعة) ثلاثة وجوه: الخُدْعَة، والخَدْعَة، والخُدَعَة. والأخيرة صيغة المبالغة بمعنى الكثير الخِداع.

(٢) الأغاني١٨: ٣٤٣. المُخَصَّص / السفر الثالث: ٨٠. معجم مقاييس اللغة٢: ١٦١ (خدع).

(٣) معجم مقاييس اللغة٢: ١٦١. الصحاح٣: ١٢٠٢. (خدع).

(٤) معجم مقاييس اللغة٢: ١٦١ (خدع).

(٥) المعجم الأوسط٣: ٣١٣. المجازات النبوية٥٦، ح٢٣، باختلاف يسير، عن **رسول الله** . قيل الخدّاعة: القليلةُ المطر، من خَدَع الرّيقُ إذا جَفَّ. النهاية٢ :١٤ (خدع). اُنظر: المجازات النبوية٤٢، ذيل ح٢٣.

(٦) بالميم المثلثة.

(٧) غريب الحديث للخطابي٢: ١٦٤.

(٨) تهذيب اللغة١: ١١٢ (خدع).

(٩) الصحاح٣: ١٢٠١ (خدع).

والبيت لسُوَيد بن أبي كاهل من رائيّته الشهيرة مطلعها، يصف ثغْرَ امرأة. والمقصود من (إذا الريق خدع) نَتْن الرّيق وقت السحر. أي: تلك المرأة ليس ريقها نتن حتى في وقت السحر الذي يَيبِس فيه الريق عادة ويَنتِنُ.

أي: فسد.

وقولهم: وَاحرَباه! قيل فيه قولان:

أحدهما: أنّه لمّا مات حَرب بنُ أُميّةَ، صاحتِ النِّسوةُ عليه، فقلن: واحرْباهُ! ثمّ ثُقِّلَ، فقيل: وَاحَرَباه![1] وهذا الوجه ضعيف.

والوجه الثاني هو الوجه، وهو أنّ الحَرَبَ: المال المحروبُ[2]، فإذا أُغير على حيٍّ وحُرِبَ مالُهم، قالوا: واحرباه! أي وامَحروباه! يعني المالَ المحروبَ[3].

ومعنى الحديث أنّ الحرب لا يكون بالشّدّة والجَلادة والقهر والشَّجاعة، وإنّما هو بالحزم والرأي والعلم، كما قال أبوالطيّب:

الرّأيُ قبل شَجاعة الشُّجْعانِ ... هو أوّلٌ وهْي المحلُّ الثاني

فإذا هُمَا اجتَمَعا لِنفْسٍ مرّةً ... بلغتْ من العَلياء كلَّ مكانِ

ولَرُبّما طَعَن الفتى أقرانَه ... بالرّأي قبل تَطاعُن الأقرانِ

لولا العقولُ لَكان أدنى ضَيغمٍ ... أدنى إلى شَرفٍ من الإنسان[4]

٧. النَّدَمُ تَوْبَةٌ[5].

النَّدمُ مصدر نَدِمتُ على كذا أندَمُ نَدَماً، قيل هو من باب

(١) أنساب الأشراف٥: ٣. أخبار مكة للفاكهي٣: ١٩٠.

(٢) أي: المسلوب.

(٣) أُنظر: القاموس المحيط١: ٧٠. لسان العرب١: ٣٠٤ (حرب).

(٤) يتيمة الدهر١: ٢٦٠.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٤٢، ح١٣، و٤٣، ح١٤. سنن ابن ماجة٢: ١٤٢٠ / باب ذكر التوبة، ح٤، عن عبد الله بن مسعود. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٠، ح٥٨١١.

الاعتقاد[١]، وقيل هو من باب العِلم؛ لأنّه إذا فعل فِعلاً ثمّ بدا له بعد ذلك أنّ له في ذلك الفعل ضرراً أو فوتَ منفعةٍ، نَدِم على ما فعله، وقيل هو التّحيّرُ، وقيل هو معنىً برأسه[٢].

وقد حَدّ المتكلّمون التَّوبةَ بأنّها نَدَمٌ على ما مضى وعزْمٌ على أن لا تعود إلى مثله لِقُبحه أو لوجه قبحه ـ على اختلاف فيه بينهم ـ[٣]، وعلى هذا يترتّب أنّ الرّجل إذا تاب من بعض الكبائر وأصرّ على بعضها، هل تصحّ توبته أم لا؟ فعند أبي علي تصحّ، وإلى هذا ذهب شيخنا أبو جعفرٍ الطّوسيُّ[٤]. وعند أبي هاشم لا تصحّ، وإلى هذا ذهب المرتضى و هو الصحيح[٥].

والتَّوبة فَعْلة من تاب إذا رجع، يقال: تاب وآبَ وآلَ وآض وأنابَ إذا رجع، إلّا أنّ التوبة والإنابة اختُصّتا بالعرف والشرع بالرجوع عن المعصية إلى الطّاعة[٦]، فأمّا الأَوْب والأَوْل والأَيْض، فهي عامّة في كلّ رجوع، وقد تَجري على الله تعالى وعلينا، فالعبد تائب واللهُ توّاب؛ يعني إن العبد يتوب إلى الله، والله يتوب على العبد، فالفرق بينهما يتبيّن بالصّلة، ففِعلُنا يُعدّى بإلى، وفعل الله يُعدّى بعلى.

---

(١) أُنظر: شمس العلوم١٠: ٦٥٤٤ (ندم).

(٢) أُنظر: الفروق في اللغة٢٣٠.

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن١: ١٧٠. مجمع البيان١: ١٧٦.

(٤) أُنظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٥٦٦ـ٥٧٠. التبيان في تفسير القرآن١: ١٧١.

(٥) أُنظر: الشافي في الإمامة٤: ٣٣٤.

(٦) أُنظر: المفردات١٦٩ (توب). روض الجِنان١: ٢٢٩.

وإنّما اقتصر في التوبة على النّدم دون العزم؛ لأنّ النّادم إذا أخلصَ ندمَه، لابدّ من أن يكون عازماً على أن لا يعود إلى مثله[١]، فأمّا إذا كان مُصرّاً غير مُقلِعٍ، فإنّه لا يكون نادماً على الحقيقة. وعن ابن عمر: كنّا نَعُدّ لرسول الله في المجلس الواحد سبعين مرّةً: **«اللّهمّ اغفرْ لي وارحمْني وتُبْ عليّ إنَّك أنت التّوّابُ الرّحيمُ»**[٢].

وروي أنّ رجلاً[٣] أتى النبيَّ فقال: يا رسولَ الله، إنّي رجلٌ مِقرافٌ للذّنوب، **فقال** صلى الله عليه وآله وسلم: **«تُب إلى الله»**، قال: يا رسولَ الله، إنّي أتوب ثمّ أعُود، قال: **«كلّما أذنبتَ فتُبْ»**، قال: إذاً تَكثُرُ ذنوبي؟! قال: **«عفْو الله أكثر من ذنوبك»**[٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«المؤمن واهٍ راقِعٌ[٥]، فالسّعيد من هلك على رَقْعه»**[٦].

---

(١) قال أبو الرضا الرّاوندي ذيل هذه الرّواية: لمّا كانت (التوبة) هي الإقلاع عن الذنب، و الندم على ما أسلف، و الإضمار لئلاّ يعود إليه أبدا، و لم يُتصوّر العزم على ترك المعاودة في المستقبل إلاّ بعد تقدُّم الندم على الماضي، كان الندم ركنا قويّا من أركان التوبة، فجعل الندم وحده توبةً لذلك. ضوء الشِّهاب ١: ١٢٣.

(٢) مسند ابن حنبل٢: ٦٧. الأدب المفرد١٣٧، ح٦٤٢. المعجم الكبير١٢: ٣١٧، وفيها (مئة) بدل (سبعين).

(٣) هو: حبيب بن الحارث.

(٤) المعجم الأوسط٥: ٢٦٠، ح٥٢٥٧. تفسير الثعلبي٢: ٩٣. معرفة الصحابة لأبي نعيم٢: ٦٣٧، ح١٧٠٨، عن عائشة.

(٥) أي يهي دينه بمعصيته، ويرقعه بتوبته، من رقعت الثوب إذا رممته، النهاية٢: ٢٥١ (رقع).

(٦) المعجم الأوسط٢: ٢٤٣. شعب الإيمان٥: ٤١٩، ح٧١٢٣، عن جابر.

وقال ﷺ: «**لم أرَ شيئاً أحسنَ طلباً ولا أحسنَ إدراكاً من حسنةٍ حديثة لذنبٍ قديم**»، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[1] .[2]

وعن ابن مسعودٍ، **عنه** ﷺ أنّه قال: «**من أخطأ خطيئةً أو أذنب ذنباً ثمّ ندِم، فهو كفّارةٌ له**»[3].

٨. الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالفُرْقَةُ عَذَابٌ[4].

يعني: إنّ اجتماع المسلمين على كلمةٍ واحدة وعلى رأيٍ واحد سبب الرّحمة، وافتراقهم واختلاف كلمتهم سبب العذاب وعلامته؛ لأنّ ذلك إنّما يكون بتوفيقٍ من الله ولطف، وإذا تفرّقتْ جماعتهم، واختلفتْ كلمتهم، وتشتّتَتْ آراؤهم، تنازَعوا وتَخالَفوا ولم يستقمْ لهم أمرٌ، كما قال الشاعر:

وتَشَعَّبوا شُعَباً فكلُّ جزيرةٍ فيها أميرُ المؤمنين ومِنبرُ[5]

وهذا إنّما يكون بمعنى اتّفاق الآراء في الحروب والخروج إلى العدوّ،

(١) سورة هود١١: ١١٤.

(٢) المعجم الكبير١٢: ١٣٥، عن ابن عبّاس. الورع لابن أبي الدنيا٩٦، ح١٤٣. الزهد لأحمد بن حنبل٢٠٧، ح١٤٣٤، عن فضيل بن زيد الرقاشي من دون إسناد إليه.

(٣) شعب الإيمان٥: ٣٨٧، ح٧٠٣٣، باختلاف يسير.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٣، ح١٥. مسند ابن حنبل٤: ٢٧٨. السنة لابن أبي عاصم٤٤، ح٩٣، عن النعمان بن بشير.

(٥) تاريخ اليعقوبي٢: ٢٦٣. تفسير القرطبي١٦: ٣٤٥، باختلاف يسير، والبيت لمُساورِ بن هند بن قَيسٍ.

أو المقام على ما هو أصلح في الحال بإماراتٍ توجب غَلَبة الظنّ.

وقيل: أراد بالجماعة إجماعَ المسلمين على شيء، وبالفُرقة اختلافَهم فيه، والجماعة بمعنى الاجتماع، والفُرقة بمعنى الافتراق.

والمعنى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه؛ يعني أنّ الجماعة علامةُ الرّحمة وسببها، والفُرقةَ علامةُ العذاب أو سببُه.

٩. الأَمَانَةُ غِنىً[١].

يعني: أنّ الأمانة سبَبُ الغنى[٢]، على حذف المضاف، وهي مصدر كالسَّماحة والشَّجاعة، يُقال: أمِن يأمَن أمْناً وأماناً وأمانةً، وضدّها الخيانة[٣]، وإنّما كان كذلك؛ لأنّ الرّجل إذا عُرِفَ بالأمانة، رغِب النّاس في معامَلته ومبايَعته، فقال: إنّ الأمانةَ هي عَينُ الغنى على سبيل المبالغة، ومثله قولهﷺ: **«الأمانة تَجُرّ الرِّزق، والخيانة تَجُرّ الفقرَ»**[٤].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٤، ح١٦، عن أنس بن مالك. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا٩٢، ح٢٨٠، عن مسلم البطين. ثواب الأعمال١٠٢ / ثواب قارئ القرآن، عن معاوية بن عمار، عن الإمام الصادق .

(٢) النهاية١: ٧١ (أمن).

(٣) أُنظر: كتاب العين٨: ٣٨٨ (أمن).

(٤) مسند الشِّهاب١: ٧٢، ح٦٣. الكافي٥: ١٣٣ / كتاب المعيشة، باب أداء الامانة، ح٧ عن السكوني، عن الإمام الصادق. تحف العقول٤٥، باختلاف يسير.

١٠. الدِّينُ النَّصِيحَةُ[١].

الدِّين جاء في القرآن وكلام العرب على معانٍ مختلفة؛ منها: الجزاء[٢]، كقولهم في المَثل: «**كما تَدين تُدانُ**»[٣]؛ أي: كما تفعل تُجازَى، فسُمِّي الأُولى جزاءً على سبيل المُزاوَجة، كما قال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[٤]، والثاني لا يكون اعتداءً، ومثله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٥]، والثانية لا تكون سيّئةً؛ لأنّ جزاء السيّئة عدلٌ[٦]، وعلى الجزاء فُسِّر قولُه تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٧] على أحد القولين. والقولُ الآخر: أنّه بمعنى الحساب[٨]، وعلى هذا قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٩]؛ أي: الحساب

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٥، ح١٩ عن ابن عمر، وح١٨ و٤٤، ح١٧. سنن أبي داود٢: ٤٦٥ / باب في النصحية، ح٤٩٤٤، عن تميم الداري. سنن الترمذي٣: ١٧ / باب في النصيحة، ح١٩٩٠، عن أبي هريرة.

(٢) كتاب العين٨: ٧٣ (دين). الصحاح٥: ٢١١٨. غريب الحديث لأبي عبيد٣: ١٣٦.

(٣) المصنّف لعبد الرزّاق١١: ١٧٨، قطعة من ح٢٠٢٦٢، عن أبي قلابة. الخصال٣٣٢، قطعة من ح٣٠، عن محمّد بن سالم، رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام. الكافي٢: ١٣٨ / كتاب الايمان والكفر، باب القناعة، قطعة من ح٤، عن عمرو بن أبي المقدام، عن الإمام الصادق عليه السلام نقلاً عن التوراة.

(٤) سورة البقرة٢: ١٩٤.

(٥) سورة الشورى٤٢: ٤٠.

(٦) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٢: ١٤٨، سورة البقرة.

(٧) سورة الفاتحة١: ٤.

(٨) معاني القرآن١: ٦٢. التبيان في تفسير القرآن٢: ٤١٨، سورة آل عمران. تفسير ابن أبي حاتم١: ٢٩، سورة الحمد.

(٩) سورة التوبة٩: ٣٦.

المستقيم[١]. والدِّين الملّةُ في قوله: ﴿دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهيمَ حَنيفاً﴾[٢]. والدِّين: القهر والغلبة. والدِّين: الطاعة. والدّين: المَذلّةُ[٣]، وقال ثعلبٌ: الكلمة من الأضداد، واستشهد بقول أعشى بنِ ثعلبةَ:

هُو دانَ الرِّبابَ إذْ كَرِهُوا الدِّيـ ـنَ دِراكاً بِغَزوةٍ وصِيالِ

ثُمَّ دَانتْ بَعْدُ الرِّبابُ وكانتْ كعذابٍ عُقوبةُ الأطفال[٤]

---

(١) التبيان في تفسير القرآن٥: ٢١٥. تفسير ابن أبي حاتم٦: ١٧٩٢، سورة التوبة.

(٢) سورة الأنعام٦: ١٦١.

(٣) أُنظر: أحكام القرآن٣: ١١٧. الصحاح٥: ٢١١٩-٢١١٧ (دين).

(٤) الزاهر٢٠٦. تهذيب اللغة١٤: ١٢٨. الصحاح٥: ٢١١٨(دين) وفيها (الأقوال) بدل (الأطفال). جاء في لسان العرب في توضيح الشعر: قال الأعشى يمدح رجلاً: هو دان الرِّبابَ يعني أذَلَّها، ثمّ قال: ثمّ دانتْ بعدُ الرَّبابُ؛ أَي: ذَلَّتْ لَهُ وأَطاعتْه). جاء البيتان في ديوانه بمسافة، فالأوّل هو البيت المرقم ٦٣ والثاني٦٧. وهما من قصيدة في مدح الأسود بن المُنذر اللَّخْمي بمطلع: ما بُكاءُ الكبيرِ بالأطلال / وسُؤالي فهل تَرُدُّ سؤالي؟! (أي: فيم وقوفُ الرجل الكبير يبكي ويتساءل بالأطلال؟!). وكلمة (الأطفال) إضافة إلى عدم مفهومها في هذا السياق لم ترد في ديوانه ولا في المصادر اللغوية الموثوق بها والتي نقل البيت. فما جاء في ديوانه وكذلك في الصحاح ولسان العرب وتاج العروس هو (الأقوال) بمعنى الملوك ومرادف لـ(الأقيال) جمع قَيْل. وأما معنى الكلمات في البيتين: (الرِّباب) هم خمسُ قبائلَ تَجمَّعوا فصاروا يداً واحدةً: ضَبَّةُ، وثَوْرٌ، وعُكلٌ، وتَيْمٌ وعَدِيٌّ. (لسان العرب١: ٤٠٣ (ربب)). (الصيال): المُواثَبة. (دِراكاً): تتابُعاً. والمعنى: حمل الرِّبابَ على الطاعة، حين كرِهوا الطاعةَ، بغزوة وصِيالٍ. ثم لم تجد الرِّباب بُدّاً من الطاعة، بعد ما أصابهم من عقوبة وعقوبة الملوك كالعذاب.

وبمعنى الطّاعة في قول الشاعر:

لئـنْ حَلَلْتَ بِجَـوٍّ في بنـي أَسَـدٍ ... في دِينِ عَمْرو، وحالَتْ بيننا فَدَكُ[١]

والدين: العادَة في قول المثقّب العبديّ:

تَقولُ وقد دَرَأتُ لها وَضيني ... أهـذا دينُه أبـداً وديـنـي؟![٢]

أي: عادته وعادتي.

والنّصيحة والنُّصح: إخلاص القول والنّيّة للخير، وهو الإصلاح أيضاً، ومنه يقال للخيّاط: النّصّاح، والنِّصاحة: الخياطة[٣].

والمراد بالدّين في الخبر ملّةُ الإسلام، وعن مكحولٍ قال: قيل لأبي إسحاقَ الفزاريّ: ما النصيحة؟ قال: أن تحبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك، حتّى لو أنّ الرّجل أهوى إليك بسيفه وعلى جانبه بئرٌ وهو لا يراه، فتقول: البِئرَ! اِحذَرْه![٤]

وقيل: هي أن تقول له ما لو قال لك لَسَرَّك.

---

(١) كتاب الجيم١: ٢٦٧ (دين). جمهرة الأمثال١: ١١٦. الأغاني١٠: ٤٥٦؛ والبيت لزُهَير بن أبي سُلْمى.

جَوّ: موضع في ديار بني أسد، يدلّ على ذلك قول زهير: لئن حللت... وأيضاً موقع في ديار طيّء، معجم ما استعجم٢: ٤٠٧ (جو).

(٢) المفضليات٢٩٢. الصحاح٥: ٢١١٨ (دين). التبيان في تفسير القرآن١: ٣٦. الوضين للجمل بمنزلة الحِزام من الفرس.

(٣) معجم مقاييس اللغة٥: ٤٣٥ (نصح).

(٤) لم نعثر عليه في المصادر. في نسخة (د): (احذَرها).

ورويَ أنّ **رسول الله** ﷺ قال: «**الدِّين النصيحة**»، قيل: لمَن؟ قال: «**لله ولرسوله وللأئمّة وعامّة المسلمين**»[١].

فأمّا النصيحة لله، فأداء طاعاته، واجتناب معاصيه، وإخلاص العمل له. ونصيحة الرسول الاقتداء بأفعاله وأقوالِهِ والاستنان بسنّته، قال الله تعالى: ﴿وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٢].

وأمّا نصيحة الأئمّة، فهي أن تطيعوهم في الصلاح ولا تطيعوهم في المعصية؛ لأنّه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق. وأمّا نصيحة العامّة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشّفقة عليهم والدّعاء لهم وكفّ الأذى عنهم[٣].

قال جريرُ بنُ عبد الله: بايَعْنا رسولَ الله ﷺ على السّمع والطّاعة والنصيحة لكلّ مسلم[٤].

١١. الحَسَبُ المَالُ، وَالكَرَمُ التَّقْوى[٥].

الحسب: ما يَحسِبه الرّجلُ من مفاخِرِهِ ومفاخر آباءه، فَعَل بمعنى

---

(١) صحيح مسلم١: ٥٣. سنن أبي داود٢: ٤٦٥ / باب في النصحية، ح٤٩٤٤، عن تميم الداري. روضة الواعظين: ٤٢٤ ، باختلاف يسير.

(٢) سورة النور٢٤: ٥٤.

(٣) أُنظر: تفسير القرطبي٨: ٢٢٧. تنبيه الغافلين: ١٦٩ و١٨٥. شرح صحيح مسلم للنووي٢: ٣٨.

(٤) المعجم الكبير٢: ٣٥٠.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٤٦ ، ح٢٠، عن بريده وح٢١. سنن ابن ماجة٢: ١٤١٠ / باب الورع والتقوى، ح٤٢١٩، عن سمرة بن جندب. معاني الأخبار٤٠٥، ح٧٦، عن الوليد بن العبّاس، عن الإمام الصادق عليه السلام.

مفعول، كالقَبَض والنَّفَض، ويُستعمل في النّسب لهذا المعنى؛ لأنّهم يَحسبون النّسبَ في مفاخرهم، يُقال: حَسُبَ الرَّجُل يحسُبُ حَسابةً فهو حسيبٌ، وَحَسَبْتُ الحِساب أحسِبُهُ حِساباً وحُسْباناً[١]، قال الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾[٢]؛ أي: بحِسابٍ[٣]، فأنا حاسبٌ، وَحَسِبتُ الشيءَ ـ إذا ظننتَهُ ـ أحسِبهُ وأحسَبُهُ حِسباناً، وقُرِئ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً﴾[٤] بكسر السّين وفتحها.

وأمّا ما ذكره أبوسُليمانَ الخَطّابيُّ مِن أنّ الحسَبَ أهلُ الرّجل ووُلدُه وقرابتُه مستدِلّاً على ذلك بأنّ رسول الله ﷺ لمّا غزا بني هوازِنَ وَغَنَم أموالَهم وسَبىٰ نساءَهم وذُرارِيَهم، فوفدوا على رسول الله، وكلّموه في السَّبْي، فخَيَّرهم رسولُ الله ﷺ بين المال والسَّبْي، فقالوا: أمّا إذا خيّرتَنا، فإنّا لا نختارُ على الحَسب شيئاً. فردّ عليهم النساءَ والصّبيانَ[٥]، فظنّ أبوسليمانَ أنّ الحَسَب في النساء والصّبيان لكَثرة عددهم[٦]، فهذا وَهَمٌ منه وغلَطٌ؛ وذلك أنّهم أرادوا بالحسب ما يَحسِبهُ الرجُل من مَفاخره ويَعُدُّهُ من مآثره، أرادوا إنّا لا نختار شيئاً على مفاخرنا وما يُحسَبُ علينا

---

(١) أُنظر: الصحاح١: ١١٠. كتاب العين٣: ١٤٨ (حسب).

(٢) سورة الرحمن٥٥: ٥.

(٣) معاني القرآن٢٩٠.

(٤) سورة إبراهيم١٤: ٤٢.

(٥) المصنَّف لعبد الرزاق٥: ٣٨١، ح٩٧٤١، عن عروة بن الزبير مع اختلاف.

(٦) أُنظر: الفائق في غريب الحديث١: ٢٤٦. النهاية١: ٣٨٢.

من الأنَفةِ والحميّة، وإنّا لا نُؤثِر المالَ على النّساء والأولاد، فإنّا لو اخترنا المالَ، لبطل حَسَبُنا، وقصُرتْ ألسِنتُنا عن المفاخر، فالحسب في قولهم ما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث.

ومعنى الخبر: هو ما بيّنَهُ **النبيُّ** صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الآخر: «**ألا إنّ أحسابَ أهل الدّنيا هذا المالُ**»[١]؛ يعني أهلُ الدُّنيا وطالبوها لا يفاخرون إلّا بالمال، فذلك جُلّ مفخَرِهم ومنتهى هِمَمِهم، فهُم في دِناءة الهمّة، كما قال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلَاحِ:

اِستغْنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْك ذو نسبٍ ... مِن ابن عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ
إنّي مُقيمٌ على الزَّوراء أعمُرُها ... إنّ الحبيب على الإخوان ذو المالِ
كلّ النّداء إذا ناديتُ يَخذُلُني ... إلّا النّداءَ، إذا ناديتُ، يا مالي[٢]

ومثله للرّياشيّ:

غضْبانُ يعلم أنّ المال ساقَ له ... ما لم يَسُقْه له دينٌ ولا خُلُقُ
فمن يكنْ عن كرام النّاس يسألُني ... فأكرَمُ النّاس من كانت له وَرِقُ[٣]

ومثله لابن المعتزّ:

إذا كنتَ ذا ثروة أو غنًى ... فأنت المُسَوَّد في العالم

---

(١) سنن النسائي٦: ٦٤. مسند ابن حنبل٥: ٣٦١. المستدرك على الصحيحين٢: ١٦٣، عن بريدة باختلاف يسير.

(٢) مجمع الأمثال للمَيَداني٢: ٩٨. معجم البلدان٣: ١٥٥. العقد الفريد٢: ٣٤٧، مع اختلاف. و(الزّوراء) هنا (أرض كانت لأحيحة بن الجلاح). (معجم البلدان٣: ١٥٥ (الزوراء)).

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٤٦. العقد الفريد٢: ٣٤٦، وفيه (حيران) بدل (غضبان).

وحسْبُك مِن نسبٍ صورةً　　تُخَبِّرُ أنّك مِن آدمِ[(١)]

ولبعض القدماء:

أُنبِئتُ والأيّامُ ذاتُ تجاربٍ　　وتُبدي لك الأيّامُ ما لَستَ تعلمُ

بأنّ ثَراءَ المال ينفع ربَّه　　ويَثني عليه الحمدَ وهْو مُذَمَّمُ[(٢)]

وإنّ قليل المال لِلمرء مُفسدٌ　　يَحُزُّ كما حَزَّ القطيعُ المُحَرَّمُ[(٣)]

يَرى درجاتِ المجد لا يستطيعها　　ويقعُدُ وسْطَ القوم لا يتكلّمُ[(٤)]

وقال آخَرُ:

متى ما يَرَ النّاسُ الفقيرَ وجارُه　　غنيٌّ يقولوا: عاجز وجليدُ

---

(١) التمثيل والمحاضرة : ٣٩٢. اللطائف والظرائف ٩٠.

(٢) هناك ثلاثة وجوه في ضبط الياء في (يثني): (ويثني عليه الحمدَ ـ بفتح الياء ـ أي: يَعطِف الحمدَ عليه وهو مُذَمَّمٌ، وهذا أحسنُ ما تُؤُوِّلَ به. وقيل: يُثني عليه الحمدُ؛ أي: المال يثني عليه الحمدَ والثّناءَ، وقيل: يُثنَى عليه الحمدُ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وقيل: يبني عليه الحمد من البِناء، والأول أحسنُ). شرح الحماسة لأبي عليٍّ الفارسيّ٣: ٣٤ / باب الأدب: الثاني من الطويل والقافية من المتدارك.

(٣) القطيع: السَّوط، سُمّي بذلك لقطعه من الجَلْد أو العَقَب، والمحرَّم: الذي لم يُمرَّنْ ولم يَلِنْ. ومعنى يَحُزُّ: يؤثّر في النفس حزناً ويقطع، أي: الفقر شديدٌ على النفْس مؤثّر فيها تأثيرَ السَّوط الشّديد). شرح الحماسة للأعلم٢: ٦٨٥.

(٤) معجم الشعراء٣٥٧. شرح ديوان الحماسة للتبريزي٣١، باختلاف يسير.

أي: يرى الفقيرُ مراتبَ العزّ والشرف، لكنه لا يقدر على نَيلها، ويقعُدُ وسط القوم ساكتاً لا يتكلم، إمّا من الذُّلّ أو من الهمّ.

وليس الغِنى والفقرُ من حيلة الفتى ولكـنْ أحـاظٍ قُسِّـمت وجُـدودُ[١]

وقد أكثَرَ الشّعراءُ في هذا المعنى، وهذا أمرٌ مَركوزٌ في طباع بني آدمَ؛ أعني حبَّ المال وتفضيلَه على كلّ فضيلةٍ، رزقنا اللهُ القَناعة والعافيةَ!

الكَرَمُ التَّقْوىٰ:

قال بعض الحكماء: الكَرَمُ خَصلة جامعة لِخِصال الخير. وقيل: الكرم مَجمَع المفاخر. يقال: كَرُم الرّجلُ فهو كريمٌ، وأكرمته إكراماً وكرّمته للمبالغة وتكثير الفعل، واستَكرمتُهُ، أي: كان عندي كريماً، وتَكرَّم إذا تكلّف الكرمَ[٢].

والتقوى: الاتّقاء، يعني اتّقاءَ معاصي الله أو اتّقاءَ عقابِه[٣]، ومرجِع هذا إلى الأوّل، وأصل تَقْوى: وَقْوىٰ[٤] ـ من الوقاية ـ، فأَبدَلوا الواوَ تاءً، كما فعلوا في تَولَجٍ[٥] والأصل: ووَلَجٌ مِن الوُلوج، وتُراثٍ والأصل: وُراثٌ من الوِراثة،

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٥٤. شرح ديوان الحماسة للتبريزي٢: ١٨، ونسبه إلى رجل من بني قُرَيعٍ. جاء فيه: الجليد: الصبور، ومعنى البيتين: بلغ من جهل الناس أنهم إذا رأَوُا الغنيَّ وجارُه الفقيرُ، يقولون: هذا من جَلادته وتَصَبُّرِه أتاه الغِنى، وهذا من عجزه أتاه الفقرُ، وهذا افتراءٌ بل الغنى والفقر أمران لم يكن حصولُهما بالتدبير والعِلاج، وإنما هذه حظوظٌ قسّمها اللهُ تعالى بين عباده في الحياة الدنيا.

(٢) أُنظر: كتاب العين٥: ٣٦٨. النهاية٤: ١٦٦ (كرم).

(٣) شمس العلوم٢: ٧٥٨ (التقوى).

(٤) كتاب العين٥: ٢٣٩ (وقي).

(٥) التَّوْلَجُ: كناس الظبي أَو الوحش الذي يلج فيه، التاء فيه مبدلة من الواو. لسان العرب٢: ٢١٩ (تلج).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، وقد أكثَرَ العلماءُ في التّقوى ذَكرتُ أكثرَها في التفسير[2] في قوله: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]. وَسُئِل **أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب**عليهما السلام عن التّقوى، فقال: «**هو أنْ لو وُضِعَ عملُك على طبَقٍ ولم يُجعَلْ عليه غِطاءٌ وطيفَ به على أهل الدُّنيا، لَما كان فيه شيءٌ تَستحيي منه**»[4].

وقال بعضهم:

وليس بِتقوى اللهِ طولُ عبادةٍ ... ولكنّما التّقوىٰ مُجانَبةُ الشُّبَهْ

وأنْ يُخلِصَ الإنسانُ سِرَّ ضميرِهِ ... وأنْ يُبرز الإبريزَ في مَعْرِض الشُّبَهْ[5]

وسُئل بعضهم عن التقوى، فقال: هل سلكتَ طريقاً ذا شَوكٍ؟ فقال السّائل: نعم، قال: ما صنعتَ؟ قال: كنتُ أتحرّزُ من الشّوك أنْ يُصيبَ رِجْلي، قال: فكُن في دين الله كذلك لِتنالَ درجةَ المتّقين[6].

وقد نظَم ابنُ المعتزِّ هذا المعنى فقال:

خَلِّ الذّنوبَ صغيرَها ... وكبيرَها فهو التُّقىٰ

واصنعْ كماشٍ فوق أر ... ضِ الشَّوكِ يَحذَرُ ما يرىٰ

---

(١) سورة الحجرات٤٩: ١٣.

(٢) أُنظر: روض الجنان١: ١٠٠.

(٣) سورة البقرة٢: ٢.

(٤) روض الجِنان١: ١٠٢، سورة البقرة.

(٥) لم نعثر عليه.

(٦) روض الجنان٣: ١١٦.

لا تَحقِــــرنَّ صـــــغيرةً   إنّ الجبالَ مِن الحَصا[١]

وقال آخَرُ:

أيـا فاعـلَ الشّـرِّ، مَـه! لا تَعُـدْ   ويا فاعلَ الخَير عُد ثُمّ عُد

فمـا سـاد عبـدٌ بغيـر التُّقـى   ومَن لم يَسُدْ بالتُّقى لم يَسُدْ[٢]

واعلـم أنّ هـذه الأحاديـثَ الثلاثـةَ أعنـي **قولـه**ﷺ: «**الـدِّينُ النّصـيحةُ، والحَسَبُ المالُ، والكَرَمُ التَّقوىٰ**» فيهـا سِرٌّ مـن أسـرار علـم البيـان، وهـو جَعْـل المبتـدأ والخبـر معرفتَين، وهـو أنّـه يُستفاد مـن موضـوع هـذا الـنظم الإثبـاتُ والنّفـيُ، فكأنّـه قَصَـد إلـى أن يجعـل الـدِّينَ النّصـيحةَ، والحسـبَ المـالَ، والكـرمَ التّقـوى لا غيـرُ علـى طريـق المبالَغـة، فكأنّـه جعـل الـدِّين بأسْـره النّصـيحةَ، والحسـبَ الّـذي هـو المَفخـرُ بأجمَعِـه المـالَ، والكـرمَ بجُملتـه التّقوىٰ، كما تقول: زيدٌ الرّجلُ، تعني هو عَين الرّجل وكُلَّ الرّجل حتّى كأنّه لا رَجُل غيرُه. وكذلك لو قلت: الرّجلُ زيدٌ، يُفهَم من هذا الـنظم أنّه الرّجـلُ ولا رجلَ غيرُه. ولو أدخل هو الذي سُمّي الفَصلَ أو العمادَ، لكـان أوضـح لهـذا المعنـى، تقـول: زيـدٌ هـو الرجـل، فـأراد أن يفضِّـل النصـيحة علـى خصـال الـدِّين، فبـالَغَ فيـه فقـال: هـي الـدِّين كلّـه، أو الـدِّين هـي لا غيـرُ، وكـذلك الخبران، يعني «**لا حَسَبَ إلّا المال ولا كرم إلّا التقوى**» على طريـق المبالغـة، فافهمْه! فإنّه من لطائف علم البيان.

---

(١) شعب الإيمان٥: ٤٦٥. مجمع البيان١: ٨٣، سورة البقرة.

(٢) تاريخ دنيسر١: ١٣٥.

١٢. الخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ[1].

أراد ﷺ أنّ فعْل الخير عادة، يعني إذا اعتاد الإنسانُ فِعلَ الخير وواظَبَ عليه، وفّقه الله ولَطَف له حتّى استمرّ عليه، فيصير عادَةً لهُ وسجيّةً، فقد قال الحكماء: العادة طبيعةٌ خامسةٌ[2] أشاروا إلى هذا، فكما أنّ الإنسان لا يخرج من طبيعتهِ فكذلك من عادتهِ على طريق التّوسّع والمبالغة[3]. وليس الشرّ كذلك؛ فإنّه إذا كان شِرّيراً وكان الشّرُّ دَيدَنه، فذلك من لَجاج طبعه وسوء اختياره وغرور الشّيطان. ومن ذهب إلى أنّ الخَير والشّرّ مِنَ الله سَواءً، وقال: هما من فِعل الله أو من قضاء الله أو بإرادة الله، وكلّ ذلك موجِبٌ للفعل عندهم، لا يكون للخير معنًى عندهم. ولا فرقَ على هذه الطريقة بين الخير والشّرّ، ولا فائدة في تقسيمه وإضافة الخير إلى العادة والشرّ إلى اللّجاجة؛ إذ هما جميعاً من قِبل الله. تعالى علوّاً كبيراً عن أن يضاف إليه ما هو عيبٌ لنا وعارٌ علينا من الشرارة وكونِ فاعلها شرّيراً!

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٧، ح٢٢. سنن ابن ماجة١: ٨٠ / باب فضل العلماء والحثّ على طلب العلم، ح٢٢١. صحيح ابن حبّان٢: ٨. المعجم الكبير١٩: ٣٨٥، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) إحياء علوم الدين٦: ١٨٤. مجمع الأمثال٢: ٣٠٥. بدائع الصانع٥: ٤٧.

(٣) في العبارة اضطراب في التقديم والتأخير. يبدو أنّ ترتيب اجزاءها هكذا: (وما قال الحكماء من أنّ العادة طبيعة خامسة إشارة إلى هذا ـ على طريق التّوسّع والمبالغة ـ فكما أنّ الإنسان لا يخرج من طبيعته، فكذلك من عادته).

١٣. السَّمَاحُ رَبَاحٌ، وَالعُسْرُ شُؤْمٌ[١].

السماح: سهولة الخُلق، من قولهم: فلانٌ سَمْح الخُلق؛ أي: سهل الخلق. وسَمَح الرّجلُ يَسمَحُ سَماحةً إذا لانَ جانبُه وسهُل خُلقه، والسَّماحة التي هي السّخاء من هذا الباب[٢]؛ لأنّه إذا سُئِل، لا يَمتنع على السّائل، ولا يُحرّم سائلَه نائلَه، ويعطيه بطيبة نفسٍ وسَجاحة خُلق، ألا ترى إلى قول الطّائيّ:

هو البحرُ من أيّ النواحي أتيتَه ... فَلُجّتهَ المعروف والجود ساحلُهْ

تَعَوَّدَ بسْطَ الكفّ حتى لو أنّه ... ثناها لقبضٍ لم تُجِبْهُ أنامِلهْ

ولو لم يكن في كفّه غيرُ روحه ... لجاد بها فلْيتّقِ اللهَ سائلُهْ[٣]

والمقصود هذا البيت الأخير.

ومعنى الخبر: أنّ الرّجل إذا كان سَهْلَ الجانب يُسامح الناسَ ويقاربهم، كَثُرَ معامِلوهُ، ورغِبَ الناس في معامَلَته، فيربَحُ ويَكثُر رِبحُه.

«**والعُسر شؤم**»؛ نقيض الحديث الأوّل في المعنى؛ لأنّه إذا كان عَسِرَ الخُلق مستقصياً في الأمور، نَفَرَ النّاس عنه وعن معاملته.

وقيل: دخَلَ أبو العَيناءِ السُّوقَ يَطلبُ ثَوباً يشتريه، فقال له بعض أهلِ السُّوق: تعالَ أُقارِبْكَ، قال له: إنْ لم تُقارِبْني أُباعِدْكَ[٤].

---

(١) مسند الشّهاب١: ٤٨، ح٢٣، عن ابن عمر.

(٢) كتاب العين٣: ١٥٥. النهاية٢: ٣٩٨. المصباح المنير٢: ٢٨٨ (سمح).

(٣) ديوان المعاني١: ٢٥. المحاسن والأضداد٩١.

(٤) أُنظر: أنساب الأشراف١١: ١١٢. التذكرة الحمدونية٢: ٣٣٣. الأمالي للسيد للمرتضى١: ٢١٤.

١٤. الحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ[١].

الحزم: الاحتياط والحذر من النّاس، وأصله: الجمع والشّدّ. ومِنهُ الحُزمة من الحَطَب والكُتب وغيرهما، فُعْلةٌ بمعنى مفعولةٌ. والحازم: الجامع الرّأي السّديد[٢].

ومعنى الحديث: أنّه إذا كان سيّئَ الظّنّ يحتاط في الأمور ولا يتّكل على كلّ أحدٍ ولا يثق به، بل يستوثق ويُعمِل الاحتياط من الشّدّ والإغلاق والختم والتّيقّظ؛ و إذا كان حَسَنَ الظّنّ، يعتمد على مَن أحسَنَ الظّنَّ به، فربّما يكون على خلافه.

وقيل[٣]: علامات الحُمْق ثلاث: سُرعة الجواب، وكثرة الالتفات، والثّقة بكلّ أحد[٤]. وكان فيما مضى من الزّمان حُسن الظّنّ من حُسن العبادة، فأمّا في زماننا هذا، إنّ مَن أحسَنَ الظّنَّ بأبناء الزمان، أوقعَ نفْسَه

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٨، ح٢٤. المراسيل لابن أبي حاتم ١٢٤، ح٤٤٥، عن عبد الرحمن بن عائذ. مداراة الناس لابن أبي الدنيا٩٩، ح١١٤، عن الحسن وفيه (إنّ من الحزم سوء الظنّ بالناس). تحف العقول٧٩، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) أُنظر: كتاب العين٣: ١٦٥. النهاية١: ٣٧٩ (حزم). في نسخة (د): (السديدة).

(٣) والقائل في بعض المصادر: الأحنف من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وفي بعض الآخر: أبو حاتم، ابن حبان.

(٤) نثر الدر٤: ١٣٥. مجمع الأمثال٢: ٤٢٥. روضة العقلاء١١٩.

في التّلف والخسران. ولقد أحسن أبو الطّيّب في قوله:

وَصِرتُ أشكّ فيمن أصطفيه لِعِلمي أنّه بعضُ الأنامِ[١]

قال بعض العلماء: عاملتُ الناس ستّين سنةً بسوء الظنّ، فما رأيت إلّا خيراً.

ولقد أحسن من قال في هذا المعنى:

لا تَترُكِ الحزم في شيءٍ تُحاولُهُ فإن سلمتَ فما بالحَزم من بأسِ

والعَجزُ ذِلٌّ وما بالحزم من ضررٍ وأحزم الحزم سوءُ الظنّ بالنّاس[٢]

وقال آخر:

وحُسن الظنّ يَحسُنُ في أمور ولكن في عواقبه نَدامهْ

وسوءُ الظّنّ يَسمُجُ في أمور وفيه على سَماجته حَزامهْ[٣]

والحزامة: الحزم، وقال:

وأنّ الحزامة أنْ تَصرِفوا لِحيٍّ سِوانا صدورَ الأَسَلْ[٤]

وفي المثل: (رَوِّ بحزمٍ، فإذا استوضحتَ فاعزِمْ)[١]. والحزم غُصّةٌ

(١) يتيمة الدهر١: ١٦٣. اللطائف والظرائف١٥٢.

(٢) تاريخ بغداد٥: ١١٤، والبيت لأحمد بن القاسم. روضة العقلاء٢١٧، باختلاف يسير.

(٣) روضة العقلاء١٢٧، والبيت للأبرش. سَمُجَ الشيء بالضم سَمَاجَةً فهو سَمِجٌ: أي قبح فهو قبيح. النهاية٢: ٣٩٨ (سمج).

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٤٠٩.

في الحلق، يقال: حَزِم الرّجلُ يَحزَم حَزَماً إذا غُص[٢] بهذه الغصّة.

والحزم الذي هو الشّدّ[٣] يمكن أن يكون من هذا؛ لأنّ الغُصّة تشتدّ في الحلق والصدر، ومنه حِزام الدابّة لِما يُشدّ على بطنه.

١٥. الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ[٤].

الولد لفظٌ يَصلُح للواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث، وهو فَعَل بمعنى مفعول كالقَبَض والنَّفَض. وقد جاء في جمعه وُلد وأولاد ووِلدان[٥]، والصحيح أنّ الوُلْد كالوَلَد في صلاحه للواحد والجمع وهو فُعْل بمعنى مفعول كالخُبز والجُعْل والأُكْل. وقُرِئ[٦]: مالُهُ وَوُلْدُه وَوَلَدهُ[٧].

والمَبخلَة والمجبَنَةُ يجوز أن تكونا مصدرين كالمعدلة على تقدير

---

(١) غريب الحديث للخطابي١: ١١٩. عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٩١. كنز الفوائد١٤٧.

(٢) في نسخة (د): (اغص).

(٣) إذا كان أصل الحزم الجمع والشدّ، يمكن أن يحمل هذا الحديث على بيان أنّ جمع المال وشدّه كما هو شأن المحتاطين في أمور الدُّنيا خوفاً على هلاك النفس عند فقده، هو سوء الظنّ بالله تعالى في رزاقيّته، فإنّ مَن أحسَنَ الظّنَّ به تعالى في ذلك، يُغنيه التوكّل عليه عن أمثال ذلك.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٩، ح٢٥، و٥٠، ح٢٦. مسند ابن حنبل٤: ١٧٢. المستدرك على الصحيحين٣: ١٦٤، عن يعلى العامري و٢٩٦، عن الأسود بن خلف. المجازات النبوية١٥٧، باختلاف يسير.

(٥) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٦: ١٤٣. كتاب العين٨: ٧١. المفردات٨٨٣ (ولد).

(٦) في القرآن الكريم: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾. سورة نوح٧١: ٢١.

(٧) أُنظر: الاشتقاق٨٠. المخصص، السفر الثالث٢١٧، سورة نوح.

حذف المضاف؛ أي: هم سبب البُخل والجُبن، ويجوز أن تكونا بمعنى الموضع؛ أي: هم مَوضع البُخل والجُبن؛ يعني أنّ أبا الأولاد يَبخَلُ، فلا يُعطي شيئاً خوفاً على أولاده من الفقر، ولا يرغب في جهاد العدوّ خوفاً مِن يُتْم أولاده.

ورَوَت خَولةُ بنتُ حكيم أنّ **رسول الله** خَرَج وهو محتضِنٌ حسناً أو حسيناً وهو يقول: «**أنتم تُجبِّنون وتُجهِّلون وتُبخِّلون، و إنّكم لَمِن ريحان الله**»[1]. يعني: تحملون آباءكم على الجُبن والجَهل والبُخل على [ما] ذكرنا[2]. يقال جَبُن الرّجلُ وَجَبنتُه وأجْبَنتهُ، وبَخِل وبخّلتُهُ وأبخلتُهُ إذا جعلته كذلك. ورَيحان الله: رَحمته، قال الله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾[3]. وقال الشاعر:

سلامُ الإلهِ ورَيحانُه ورحمتُه وسماءٌ دَرَرْ[4]

١٦. البَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ[5].

البذاء والبذاءة: خُبث اللّسان وفُحشه، وأن يكون الرّجل شتّاماً لعّاناً،

---

(١) المجازات النبوية٦١. مسند ابن المبارك١٥٧، ح١٦٨. العيال٣٤٤، ح١٨٢. مسند ابن حنبل٦: ٤٠٩.

(٢) النهاية٥: ٢٠٠ (وطأ).

(٣) سورة الواقعة٥٦: ٨٩.

(٤) الصحاح١: ٣٧١. تهذيب اللغة٥: ١٤٢ (روح)، باختلاف يسير، والبيت لنَمِر بن تَولَب.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٥٠، ح٢٧. صحيح ابن حبّان١٣: ١٠، عن أبي بكره. الكرم والجود٤١، ح٢٥، عن الحسن. الكافي٢: ٣٢٥ / كتاب الايمان والكفر، باب البذاء، ح٩، عن أبي عبيدة، عن الإمام الصادق عليه السلام.

يُقال: بَذُوَ فلانٌ يَبذُو بَذاءةً فهو بذيءٌ. وفلان بذيءُ اللّسان إذا كان مُؤْذياً سَبّاباً[١].

والجفاء: النُبُوّ والارتفاع، من قوله: ﴿تَتَجَافىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[٢]. وَصَفهم بقيام اللّيل، وأنّ جُنوبَهم لا تستقرّ على الفُرُش. ويُستعمل في (ترك الزيارة)[٣]، وفي حديث المقتل أنّ **النبيّ** قال **لعليّ** و**الحسن** و**الحسين**: **«كيف بكم إذا كنتم صَرعًى وقبوركم شتّىً؟!»**[٤] ـ إلى آخر الحديث. ثمّ قال: «**فإذا كان ذلك، فلا تَجْفونا** ـ أي: لا تَترُكوا زيارتَنا ـ **فقد جُفينا أحياءً فلا تجفونا أمواتاً**».

ومنه قول ابن دُريد في مقصورته:

.... لمّا جَفا أجفانَها طَيفُ الكَرى[٥]

وقال ﷺ: «**لو كان الفحشُ رجلاً، لكان رجلَ سوءٍ**»[٦].

وقال ﷺ: «**إنّ الله يُبغِض الفاجرَ البَذيءَ**»[٧].

---

(١) أُنظر: الصحاح٦: ٢٢٧٩. معجم مقاييس اللغة١: ٢١٧ (بذا).

(٢) سورة السجدة٣٢: ١٦.

(٣) في نسخة (أ) و نسخة (ج): الزيادة.

(٤) الإرشاد٢: ١٣١، إلى هنا من الحديث ورد في المصدر، ولم نعثر على الجزء الآخر.

(٥) الأمالي للمرزوقيّ٢٨٧، وتمام البيت: (واتّخذ التّسهيدُ عيني مألَفاً / لما جفا أجفانها طيف الكرى).

(٦) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ٣٩، ح٨٩. المعجم الأوسط١: ١٠٧. مسند الطَّيالِسي ٢٠٩، عن عائشة.

(٧) الكافي٢: ٣٢٥ / كتاب الإيمان والكفر، باب البَذاء، ح١١، عن جابر. صحيح ابن حبان١٢: ٥٠٦، ح٥٦٩١، عن أبي الدرداء وفيها (الفاحش) بدل (الفاجر).

وقال ﷺ: «**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة، والبَذاء من الجَفاء والجَفاء في النار**»[١].

وقال الأحنف بن قيس: ألا أُخبِركم بالدّاء الدويّ؟ قيل: وما هو؟ قال: اللّسان البذيء والخُلق الرّديء[٢].

١٧. القُرْآنُ هُوَ الدَّوَاءُ[٣].

لقوله ﷻ: ﴿ونُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُو شِفاءٌ ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وشِفاءٌ لِما في الصُّدُورِ﴾[٥].

وقال ﷺ: «**فاتحة الكتاب شِفاءٌ من كلّ سَمٍّ**»[٦].

وروى أبو سعيد الخُدْرِيُّ قال: كنّا في رِفْقةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، فمَرَرنا بحيٍّ من أحياء العرب، فقالوا لنا: إنّ فتًى منّا قد جُنّ وصُرِع، فهل

(١) سنن الترمذي٣: ٢٤٧ / باب ما جاء في الحياء، ح٢٠٧٧. مسند ابن حنبل٢: ٥٠١، عن أبي هريرة. سنن ابن ماجة٢: ١٤٠٠ / باب الحياء، ح٤١٨٤، عن أبي بكرة.

(٢) الصمت١٨٣، ح٣٣٨. أدب الدنيا والدين٢٤٢، باختلاف يسير.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٥١، ح٢٨. سنن ابن ماجة٢: ١١٥٨ / باب الاستشفاء بالقرآن، ح٣٥٠١، عن الحارث، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٤) سورة الإسراء١٧: ٨٢.

(٥) سورة يونس١٠: ٥٧.

(٦) تفسير الثعلبي١: ١٢٨. تفسير الفخر الرازي١: ١٧٦. شعب الإيمان٢: ٤٥٠، ح ٢٣٦٨، عن أبي سعيد الخدري.

فيكم من دواءٍ له؟ قلنا: نعم، فأتيناه فإذا هو مصروعٌ، فجعل أحدُنا يقرأ فاتحةَ الكتاب ويجمع ريقَه في فيه، ثمّ أبلعَهُ إيّاه، فبَرِئَ بإذن الله وقام كأنّما أُنشِط من عقالٍ[١]. فأعطَونا طعاماً، فقلنا: لا نأكل حتّى نَسألَ **رسولَ الله**، هل يَحِلُّ لنا هذا؟ فسأله القارئُ، فقال : «**نعم، مَن أكل بِرُقْيَة باطلٍ، فقد أكلتَ بِرُقْيَةِ حقٍّ**»[٢].

وشكا رجلٌ إلى **الصادق**عليه السلام الحُمّى، فقال: «**اقرأ إذا أصبحتَ قبلَ أنْ تُكلِّم أحداً فاتحة الكتاب سبعَ مرّات، فإن لم تُشْفَ، فاجعلْها سبعين مرّةً، وأنا ضامنٌ بالشِّفاء إلّا أن يكون حُمَّى الموت**»[٣].

---

(١) أَنشطْت الحبلَ أَي مدَدْتُه حتى ينحَلَّ... ويقال للآخِذ بسُرعة في أَيّ عملٍ كان، وللمريض إذا بَرِئَ، وللمَغْشِيّ عليه إذا أَفاق، وللمُرْسَل في أَمر يُسرِع فيه عزيمتَه: كأَنما أُنْشِط من عِقال. لسان العرب٧: ٤١٤ (نشط).

(٢) صحيح البخاري٣: ٥٣. سنن أبي داود٢: ١٢٨ / باب في كسب الأطباء، ح٣٤١٨. المستدرك على الصحيحين١: ٥٥٩، مع اختلاف.

(٣) لم نعثر على هذا الحديث في المصادر، ولكن وجدناه بصورة أخرى: عن الإمام الصادق عليه السلام: أنه دخل عليه رجلٌ من مواليه، وقد وَعَكَ، وقال: «مالي أراكَ مُتَغَيّرَ اللون؟» فقلت: جُعلتُ فداكَ! وَعَكتُ وعْكاً شديداً منذ شهر، ثم لم تنقلع الحُمّى عنّي، وقد عالجتُ نفسي بكلّ ما وصفه لي المُتَرفِّعون [أي: الأطبّاء]، فلم أنتفعْ بشيء من ذلكَ. فقال له الصادق عليه السلام: «حُلّ أزرارَ قمصيكَ، وأدخِل رأسكَ في قمصيكَ، وأذِّنْ وأقِمْ واقرَأْ سورةَ الحمد سبعَ مرّاتٍ». قال: ففعلت ذلكَ، فكأنما نشطتُ من عقالٍ. طبّ الأئمّة لابني بسطام٥٢. وروي عن العالم عليه السلام: «من نالتْه عِلّةٌ، فلْيقرأْ في جنبه أمَّ الكتاب سبعَ مرّاتٍ، فإنْ سكنتْ، وإلّا فليقرأْ سبعين مرّةً، فإنّها تسكن». فقه الرضا٣٤٢ / باب الأدوية الجامعة بالقرآن.

ويُروى أنّ من كان به صُداعٌ، فليكتبْ على رقعة: بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المُعافي، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هو شِفاءٌ ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنين﴾[١]، ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيّا * إلى قوله: وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[٢]، وليعلِّقْها على رأسه، يُشفَ بإذن الله[٣].

وقد وردت أخبارٌ في كلّ داءٍ بآية مخصوصة تركنا ذكرها خشيةَ التطويل.

وقوله: «**هو الدواء**»، يسمّي البصريّون «**هو**» هذا فصلاً، والكوفيّون عماداً[٤]، وإنّما قيل له فصل؛ لأنّه يَفصِل بين الصّفة والخبر؛ فإنّ الرّجل إذا سمع إنساناً يقول زيد المنطلق يجوّز أن يكون المنطلقُ صفةً لزيد وينتظر الخبرَ، فإذا قال زيدٌ هو المنطلق، علم أنّه خبرٌ لدخول الفاصلة بينه وبين زيد، والصّفة لا تُفصل من الموصوف بحال. وسمّاه الكوفيّون عماداً؛ لأنّه كالعماد بين المبتدأ وخبره[٥]، وما ذكره البصريّون أصحّ وأوضح.

وتُستعمل «**هو**» هذه للبيان، وهو قولك: زيد هو المنطلق، تقول هذا لمن علم أنّ منطلقاً قد انطلق ولا يدري من هو، فتقول: زيد هو المنطلق؛ يعني هو المنطلق الذي علمتَ بانطلاقه، وهذا من علم البيان.

---

(١) سورة الإسراء١٧: ٨٢.

(٢) سورة مريم١٩: ١ ـ ٤.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر.

(٤) أُنظر: مجمع البيان١٠: ٥٤.

(٥) أُنظر: الأصول في النحو٢: ١٢٥. المفصل في صنعة الإعراب١٧٢.

١٨. الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ[١].

بيّنّا أنّ الدّعاء أصلُه النّداءُ والصِّياحُ، يقال: دعوته ودعوت به إذا ناديتَه وصِحْتَ به[٢]، قال الله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾[٣]، ودعوت له بالخير وعليه بالشرّ، والدّعيّ: المدّعي لنَسبٍ لا يكون منه[٤]، قال الشاعر:

وأنتَ دعيٌّ نيطَ في آل هاشمٍ كما نيط خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[٥]

والعبادة والتعبّد: التذلّل، من قولهم: طريقٌ مُعبَّد؛ أي: مُذَلَّل موطوءٌ بالأقدام[٦]. قال طَرَفَةُ:

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٥١، ح٢٩ و٥٣، ح٣٠. سنن أبي داود١: ٣٣٢ / باب الدعاء، ح١٤٧٩. سنن الترمذي٤: ٢٧٩، ح٤٠٤٩، عن النعمان بن بشير . قال ابو الرضا الراوندي: هذا الحديث من المئتين المزيدة الملحَقة، و لم يكن في النسخة المقروءة على القضاعي . ضوء الشِّهاب ١: ١٤١.

(٢) أساس البلاغة٢٧٢.

(٣) سورة النور٢٤: ٦٣.

(٤) كتاب العين٢: ٢٢١ (دعو).

(٥) جمهرة أشعار العرب٣٥. تفسير الثعلبي١٠: ١٣. التبيان في تفسير القرآن١٠: ٧٧. والبيت لحسّان بن ثابت.

(٦) الصحاح٢: ٥٠٣. المفردات٣١٩ (عبد).

وظيفاً وظيفاً فوق مَورٍ مُعَبَّدِ[١]

وبعيرٌ مُعبّدٌ: إذا كان مَطليّاً بالقطران[٢]. قال طَرَفَةُ أيضاً:

إلى أنْ تَحامَتْني العشيرةُ كلُّها   وأُفـرِدتُ إفرادَ الـبعيرِ المُعبَّدِ[٣]

ومورده مورد الخبر المقدّم، كأنّه جعل الدّعاءَ أصلَ العبادة أو العبادةَ نفسَها، قال الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ﴾[٤]، وما من عبادة بعد الفرائض وقراءة القرآن أفضلَ من الدّعاء.

وروي أنّ الرجلَ إذا صلّى رَكعتَينِ ولم يسأل اللهَ شيئاً من حوائج الدِّين والدنيا، قال الله تعالى للملائكة: «**كأنّ عبدي قد استغنىٰ عنّي**»؛ وإذا دعا لنفسه ولم يَدْعُ لإخوانه المؤمنين، يقول الله تعالى: «**ملائكتي، يَظُنّ عبدي أنّه يسأل بخيلاً**»؛ وإذا دعا لنفسه وللمؤمنين، قالت الملائكةُ: «**بدأ الله بك، فمِن حقّك أنْ تَدعُوَ للمؤمنين لِتَدعُوَ لك الملائكةُ؛ فإنّ دعاءَهم أقربُ إلى الإجابة من دعائك**»[٥].

---

(١) جمهرة أشعار العرب٣٠٩. الزاهر ٨٤. المخصص، السفر الثالث عشر٩٦، وتمام البيت: تباري عتاقا ناجيات، وأتبعت... وظيفا وظيفا فوق مور معبّد. والمَور: الطريق. المُعبَّد: المُذلَّل الذي ظهر فيه أثرُ المشْي.

(٢) الصحاح٢: ٥٠. تهذيب اللغة٢: ١٣٨(عبد).

القطران: عُصارةُ شجرٍ معروف، وفيه خُثُورة [أي: غلظة] يُداوىٰ به دَبَرُ أي: القرح البعير، ولا يُطلىٰ به الجَرَبُ. وشجرُه ينبت في جبال الشام، يقال له: العَرْعَر. تهذيب اللغة٦: ٢٩١(خض).

(٣) معاني القرآن للنحاس١: ٦٤. معجم مقاييس اللغة٤: ٢٠٦ (عبد).

(٤) سورة الغافر٤٠: ١٤.

(٥) بحار الأنوار٨٢: ٣٢٥، ح١٨، مع اختلاف نقلاً عن الاختيار لابن باقي.

١٩. الدَّيْنُ شَيْنُ الدِّينِ[١].

الدَّيْن ما لِلرّجل على غيره، وأصله من الدِّينِ الّذي هو الذّلّة والقهرُ، من باب فَعْلٍ وفِعْلٍ باتّفاقٍ معنىً؛ لأنّ مَن عليه الدَّينُ ذليلٌ مقهورٌ[٢]. يُبيّن هذا قولَه ﷺ: «**إيّاكم والدَّيْنَ! فإنّه هَمٌّ باللّيل ومَذلّةٌ بالنّهار**»[٣]، وقوله ﷺ: «**أقِلَّ من الدَّين، تَعِشْ حُرّاً**»[٤].

وعلى هذا قال بعض المحدّثين:

أكثِرْ من الدّرهم والعَينِ كَيما تعِشْ حُرّاً من الدَّينِ
فقوّةُ العين بإنسانها وقوّةُ الإنسان بالعينِ[٥]

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٥٣، ح٣١ عن معاذ بن جبل. معرفة الصحابة لأبي نعيم٥: ٢٤٦٩، ح٦٠١٧، عن مالك بن يخامر. كتاب من لا يحضره الفقيه٣: ١٨١، ح٣٦٨٠، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام باختلاف يسير.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٢: ٣٢٠ (دين).

(٣) علل الشرائع: ٥٢٧ / باب العلّة التي من أجْلها يُكرَه الدَّينُ، ح / ١، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام. تفسير الثعلبي٢: ٢٨٩. مسند الشِّهاب٢: ٩٦، ح٩٥٨، عن أنس بن مالك.

(٤) التوبة لابن أبي الدنيا٣٨، ح١٩. شعب الإيمان٤: ٤٠٤، ح٥٥٥٧. معجم ابن الأعرابي٢: ٤٤٧، ح٩٤٦، عن ابن عمر.

(٥) يتيمة الدّهر٤: ٣٨٢، والبيت لأبي الفتح عليِّ بنِ محمدٍ الكاتبِ البُستيّ باختلاف في البيت الاول وهو:

أَشفِقْ على الدّرهم والعَينِ تَسلَمْ مِن العِينة والدَّينِ

و(العين) هنا الدينارُ. وأما الضبط الآخر: (أشفِق على)؛ أي: خَفْ على الدرهم والدينار؛ أي: لا تُنفِقْهما لِتَسلَمَ من الدَّينِ.

تقول: أدَنتُ الرّجلَ إذا بِعتَه بدَيْنٍ، ودِنتُ أنا وأدنتُ إذا أخذتَهُ بدَينٍ[١].

والشَّيْنُ: خِلافُ الزَّينِ، وهو العار والشَّنارُ، يقال: شانه يَشينُه شَيْناً[٢].

جعل الدَّينَ عارَ الدِّين وعَيبَه؛ لأنّ لِصاحب الدَّين أنْ يَحبِسَه ويمنَعَه من الجمعة والجماعة وحضورِ مجالس الذِّكر وأداء الصّلاة بأوقاتها وأوراد العبادة والحجّ والجهاد. وقال ﷺ: «**الدّينُ رايةُ الله في الأرض، فإذا أراد أن يُذِلّ عبدَه، ابتلاه بالدَّين وجَعَلَه في عُنُقه**»[٣].

وقال ﷺ: «**ما مِن خطيئةٍ أعظمُ عند الله بعد الكبائرِ مِن أن يموتَ الرّجلُ وعليه دَينٌ لا يوجَد له قضاءٌ**»[٤].

وروي أنّ بعض الصحابة مات وكان عليه دَينٌ: ثلاثةُ دراهمَ أو خمسةُ دراهمَ، فلم يُصَلِّ عليه **النّبيُّ** حتّى ضَمِن عنه بعضَ الصّحابة[٥].

وقال ﷺ: «**أعوذ بالله من الكفر والدَّيْنِ**». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، أيَعدِلُ الدَّيْنُ بالكفر؟ قال: «**نعم**»[٦]. وذلك محمول على الرّجل الذي اسْتَدان ونوىٰ أنْ لا يَقضِيَه مُستحِلاًّ لذلك.

---

(١) أُنظر: تهذيب اللغة١٤: ١٣٠. معاني القرآن١: ٣١٣.

(٢) الصحاح٥: ٢١٤٧. كتاب العين٦: ٢٨٦. تهذيب اللغة١١: ٢٨٥ (شين).

(٣) علل الشرائع: ٥٢٩ / باب العلّة التي من أجلها يكره الدين، ح١٠ . تفسير الثعلبي٢: ٢٨٩، عن عائشة. المستدرك على الصحيحين٢: ٢٤، عن ابن عمر.

(٤) تفسير الثعلبي٢: ٢٨٩، عن أبي هريرة. الفردوس٤: ٤٣، ح٦١٣٥، عن أبي موسى.

(٥) أُنظر: الكافي٥: ٩٣ / كتاب المعيشة، باب الدَّيْن، ح٢. الفقيه ٣: ١٨٢، ح ٣٦٨٣.

(٦) الخصال: ٤٤ / باب الاثنين، التعوُّذ من خصلتين، ح٣٩. السنن الكبرى للنسائي٤: ٤٥٣ ، ح٧٩٠٨. مسند ابن حنبل٣: ٣٨ ، عن أبي سعيد الخدري.

٢٠. التَّدْبِيرُ نِصْفُ العَيْشِ[١].

التدبير: الفكرُ في إدبار الأمور وعواقبها[٢]، ومن دبّر فيما يُنفقه ويكتسبه ولا يُسرفْ في النّفقة ويُراعِ «**القصدَ**» الّذي هو واسطةٌ بين الإسراف والتقصير، فهو يحتاج إلى نصفِ ما يحتاج إليه مَن لم يفعلْ ذلك. وأراد بالعيش المعيشةَ.

والإفراط والتفريط مذمومان في جميع الأشياء، وخيرُ الأمور أوساطها[٣]، قال الله تعالى: ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطينِ﴾[٤].

وقال الشاعر:

عليكَ بالقَصْدِ فيما أَنْتَ فاعِلُهُ   إِنَ التَّخَلُّقَ يَأْتي دُونَه الخُلُقُ[٥]

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٥٤، ح٣٢، عن عبد الله بن الزبير. الأمالي للطوسي٦١٤، ح١٢٦٩، عن الحسين بن علوان الكاتب، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، باختلاف يسير. الخصال٦٢٠، قطعة من ح١٠. المعجم الأوسط٧: ٢٥، عن ابن عمر.

(٢) كتاب العين٨: ٣٣ (دبر). الفروق اللغوية١٢١ / الفرق بين التدبير والتقدير.

(٣) الإرشاد٢: ٢٣٤، عن ابن عمار، عن الإمام الكاظم عليه السلام. المصنَّف لابن أبي شيبة٨: ٢٤٦، ح٨، عن مطرف من دون إسناد إلى أحد من أهل البيت .

(٤) سورة الإسراء١٧: ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) جَمهَرة الأمثال١: ٢٠. شرح ديوان الحماسة٣٨٠. بَهجة المَجالس وأنس المُجالس١: ٦٥٧، والبيت لسالم بن وابصةَ.

٢١. التَّوَدُّدُ نِصْفُ العَقْلِ[١].

التـودُّد تَفعّـلٌ مـن الـوُدّ، وفـي هـذا البنـاء نـوع مـن التكلّـف كالتّصـنُّع والتّخلّق، يقول: مَن تَوَدَّدَ إلى النّاس فيما يُعاشِرُهم ويُعامِلُهم بما يَوَدّونه، كان كمَن استعملَ نصفَ العقلِ، ومِثله قولهﷺ: «**رَأْسُ العقلِ بعدَ الإيمان بالله التّودّدُ إلى النّاسِ**»[٢].

ومـن قضـيّة العقـل أنّ الرجـلَ يكتسـب الإخـوانَ والأصـدقاء والأوليـاء مـا اسـتطاع ليكونـوا أعوانـاً لـه علـى نوائـب الـدّهر ونَكَبـات الزّمـان، ألا تـرى إلى قول الشاعر:

تَكَثَّرْ مِن الإخوانِ ما استطعتَ إنّهم ... عِمـادٌ إذا اسـتَنجَدتَهم وظُهـورُ

وليس كثيراً ألْفُ خِلٍّ وصاحبٍ ... وإنّ عـدوّاً واحـداً لَكثيـرُ[٣]

وقال آخَرُ:

مَن لم يَنَلْ كَنْزَ مالٍ في تَقَلُّبِه ... فَلْيستفِدْ مِن كرام النّاس إخوانا

ما ضَرَّ مَن نالَ إخواناً ذوي كَرَمٍ ... ألّا يُفيـد مـع الإخـوان عِقيانـا

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٥٤، ح٣٢، عن عبد الله بن الزبير، عن الإمام عليّ ؑ. المعجم الأوسط٧: ٢٥، عن ابن عمر. الكافي٢: ٦٤٣ / كتاب العشرة، التحبب إلى الناس والتودد إليهم، ح٤، عن السكوني، عن الإمام الصادق ؑ. نهج البلاغة / الحكمة١٤٢.

(٢) عيون أخبارالرضا ٢: ٣٥ / باب فيما جاء من الأخبار المجموعة، ح٧٧. الإخوان١٩٤، ح١٤٠. المعجم الأوسط٦: ١٥٦، عن أبي هريرة.

(٣) اللطائف والظرائف١٤٤. الصداقة والصديق١١٣.

الـوُدُّ يزكـو علـى الإخـوان بِذلَتُـهُ والمـال يُعقِبـه الأيّـامُ نقصـاناً
والمـال بيـتٌ وصَرفُ الدّهر يهدمُهُ والْوُدُّ أحكَـمَ مـا شـيّدتَ بنيانـا[١]

وقال آخَرُ:

ومَـا المـرءُ إلّا بإخوانـه كمـا تُقبَضُ الكفُّ بالمِعصَـمِ
ولا خيـرَ فـي الكفِّ مقطوعـةً ولا خيرَ في السّاعِد الأجذمِ[٢]

وفي المثل: بَساطٌ من الإنسانِ خيرٌ من بَساط من العِقيان[٣].

٢٢. الـهَمُّ نِصْفُ الـهَرَمِ[٤].

الهَمّ والغَمُّ واحد معنىً وبِناءً؛ لأنّ الهاء والغين من حروف الحلق، ولو قيل: إنّه من الإبدال كالمدح والمدْهِ، لم يَبعُدْ. يقول: من يَهتمُّ ويَكثُرُ همُّه وغمُّه بالأمور، يُسرِعُ إليه المشيبُ قبل أن يَشيب أقرانُه بنصف تلك المدّةِ. ومنه **قَولُه**ﷺ: «**شيّبَتْني سورةُ هودٍ وأخواتُها**»،

(١) لم نعثر على هذه الأبيات في المصادر.

(٢) روضة العقلاء٨٦. الصداقة والصديق٢١٦، والبيت لمحمّد بن عِمرانَ الضّبّي. المستطرف في كلّ فن مستظرف ١: ١٣٠. التذكرة الحمدونية ٤: ٣٥٧.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٥٤، ح٣٢، عن عبد الله بن الزبير، عن الإمام عليّ عليه السلام. الخصال٦٢٠، قطعة من ح١٠، عن أبي بصير. من لا يحضره الفقيه٤: ٤١٦، قطعة من ح٥٩٠٤، عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام. نهج البلاغة / الحكمة ١٤٢٣.

قيل: وما شَيَّبكَ منها؟ قال: قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[١][٢]؛ فإنّه كان يَهتمُّ بأنه هل استقام كما أُمِر.

وقيل: كَثرة الهمّ من عُلُوِّ الهمّة، ألا ترى إلى قول بعض الأكابر، وقيل هو للصاحب إسماعيل بن عَبّادٍ:

وقائلةٍ: لِمْ عَرَتْكَ الهمومْ وأمرُكَ مُمتثَلٌ في الأُمَمْ؟

فقلتُ: ذَريني على همّتي فانّ الهُمومَ بقدر الهِمَمْ[٣]

٢٣. قِلَّةُ العِيَالِ أَحَدُ اليَسَارَيْنِ[٤].

وذلك أنّ مَن قَلّ عِيالُه، قَلَّ إنفاقُه، فلا يحتاج في النّفقة إلى ما يحتاج إليه الكثيرُ العِيالِ، فتبقى ذاتُ يده في يده، وذلك أحد يسارَيه، واليَساران: أحدهما كَثرة المال، والآخر قِلّة الخَرج لِقلّة العِيال.

---

(١) سورة هود١١: ١١٢.

(٢) المفردات١٢٢. شعب الإيمان٢: ٤٧٢، ح٢٤٣٩، عن أبي علي السري. تفسير الثعلبي٥: ١٩٢، عن ابن عبّاس وليس فيه ذيله.

(٣) يتيمة الدهر٣: ٣٢٢. البصائر والذخائر٩: ١٤٥. خاص الخاص١: ١٦٠، مع اختلاف وفيها (غصتي) بدل (همّتي).

(٤) مسند الشِّهاب١: ٥٤، ح٣٢، عن عبد الله بن الزبير، عن الإمام عليّ عليه السلام. النفقة على العيال لابن أبي الدنيا٢٤٩، ح١٠٣، عن سعيد بن المسيب. الأمالي للصدوق٥٣٢، قطعة من ح٧١٨، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن الإمام الجواد عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام.

وقيلَ: من قلَّ عِيالُه، كثُر مالُه، وحسُنت حاله، وأمِنَ اختلالُه، وطاب مَنالُه، وسَعُد مآلهُ[١].

واليَسار: اليُسر، وهو عبارةٌ عن كثرة المال وحسن الحال.

٢٤. حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ العِلْمِ[٢].

أراد بالسّؤال مسألةَ الرّجل للاستفادة؛ وذلك أنّ مَن أحسَنَ السّؤالَ وأتقَنَه، كان ذلك دليلاً على أنّه غيرُ أجنبيٍّ من تلك المسألةِ، فإذا أُجيبَ عنها، أسرَعَ ذلك إلى فهمه؛ فكأنّه عَلِم نصفَ الجواب، وأراد بالعلم ههنا العلمُ بجواب السّؤال.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«العلم مخزونٌ ومفتاحُهُ السّؤالُ، فاسألوا ـ رحِمكم الله! ـ فإنّه يُؤجَر فيه أربعةٌ: السّائل والمسؤول والمتَكلّم والمستمعُ»**[٣].

وقال بعضهم في الحثِّ على السّؤال:

شِفاءُ العَمىٰ حُسن السّؤال وإنّما تَمامُ العَمىٰ طولُ السّكوت على الجهل[٤]

(١) لم نعثر على قائله.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٥٥، ح٣٣. المعجم الأوسط٧: ٢٥، عن ابن عمر. تحف العقول٥٦.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٨ ، ح ٣١، باب فيما جاء، عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة، ح٢٣. ديوان المعاني١: ١٤٨. حلية الأولياء٣: ١٩٢، باختلاف يسير.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ١٣٩. جامع بيان العلم١: ٨٩. كفاية الأثر٢٥٣، وفيها (طول) بدل (حسن) ونسب في بعض المصادر للرياشي.

٢٥. السَّلامُ قَبلَ الكلامِ[(١)].

هذا من باب الأدب؛ فإنّ من آداب الشّرع والعرف أن يَبدأ الرّجلُ بالسّلام علـى مـن أراد مُكالَمَتَـه، ثـمّ يـتكلّم بمـا أراد، فـإنْ تَكَلّـم ثـمّ سَـلَّم، كان خارجاً عن العرف والشّرع. ومن حُسن الأدب إذا دخل الرّجلُ مجلساً وفيه عالمٌ أو فقيه أو أحد من أهل التّمييز أنْ يَعُمَّهم بالسّلام ويَخُصَّه بالتحيّة احتراماً له[(٢)].

٢٦. الرَّضاعُ يُغَيِّرُ الطِّباعَ[(٣)].

الرِّضاع مصدر رضع الصّبي يرضع، فهو راضع ورضيع[(٤)]، وفي المثل: (أَلأَمُ مِـن راضِـعٍ)[(٥)]، وذلك أنّ اللّئيم ـ البخيل ـ لا يَحلِبُ الشّاةَ لـئلّا

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٥٦، ح٣٤. سنن الترمذي٤: ١٦١ / باب السلام قبل الكلام، ح٢٨٤٢. مسند أبى يعلى٤: ٤٨ ، ح٢٠٥٩، عن جابر بن عبد الله. الكافي٢: ٦٤٤ / كتاب العشرة، باب التسليم، ح٢، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام، باختلاف يسير. تحف العقول٢٤٦، عن الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) أُنظر: وسائل الشيعة١٢: ٥٥ / كتاب الحج أبواب أحكام العشرة في السفر و الحضر، باب استحباب الابتداء بالسلام و تقديمه على الكلام و كراهة العكس.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٥٦، ح٣٥، عن ابن عبّاس. قرب الإسناد٩٣، قطعة من ح٣١٢، عن الحسين بن علوان، عن الإمام الصادق ، عن أبيه ، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٤) أُنظر: المفردات٣٥٥. النهاية ٢: ٢٢٩ (رضع).

(٥) الفائق في غريب الحديث٢: ٤٢.

يَسمعَ أحدٌ صوتَ شَخْبِه[١]، فيَستميحَه، بل يُرضِعُ بفيه. ويجوز أن يكون اسماً للإرضاع.

والمعنى: أنّ الصّبيَّ إذا أُرضع بلبنِ ظِئْرٍ، يَتَخلّق بخلقها دون خُلق الأبوين. هذا حكم الرِّضاع من جهة العرف والطبع، وله حكم من جهة الشرع، وهو انتشار الحرمة بين الصبيّ الرّضيع وبين مَن يتقرّب إليه من جِهة النَّسب عندنا، حتّى تصيرَ المُرضِعةُ أُمَّ الصّبيّ المُرتَضِعِ، والفحْلُ الذي هو صاحب اللبن أباه، وأبوه جدَّه، وأُمُّه جدّتَه، وأُختُه عمّتَه، وأخوه عمَّه، وكلُّ ولدٍ له فهُم إخوةٌ لهذا المرتضِع[٢]. وبه قال عليّ عليه السلام[٣] وابنُ عبّاسٍ وعطاءٌ وطاووسٌ ومجاهدٌ، وفي الفقهاء مالكٌ والأوزاعيُّ واللّيثُ بنُ سعدٍ وأبو حنيفةَ وأصحابُه والشافعيُّ وأحمدُ وإسحاقُ[٤].

وخالَفَهم في ذلك ابنُ الزُّبيرِ وابنُ عمرَ وسعيدُ بن المُسيِّبِ وسليمانُ بنُ يسارٍ، وفي الفقهاء ربيعةُ أُستاذُ مالكٍ، وحمّادُ بن أبي سليمانَ أُستاذُ أبي حنيفةَ، والأَصَمُّ وأُستاذهُ ابن أبي عَبْلةَ[٥]. وبه قال أصحابُ الظاهر داودُ وأصحابُه، وقالوا: لَبَنُ الفحل لا يَنشُر الحرمةَ، ولا يكون من الرِّضاع أبٌ ولا عمٌّ

(١) الشَّبْخ: صوتُ اللّبن عند الحَلْب، كالشَّخْب. (المحكم والمحيط الأعظم٥: ٣٤ (شبخ)).

(٢) أُنظر: الخلاف٥: ٩٣ و٩٤.

(٣) أُنظر: الكافي٥: ٤٣٧ / كتاب النّكاح، باب الرَّضاع، ح٤ ـ ٥.

(٤) أُنظر: كتاب الأمّ٥: ٢٤. المجموع١٨: ٢١٠. المحلّى١٠: ٤. الشرح الكبير٩: ١٩٣.

(٥) وفي الخلاف٥: ٩٤، ابن عليّة أستاذ الأصمّ.

ولا عمّـةٌ ولا جـدٌّ مِـن قِبـل الأب ولا أخٌ لأب، ولهـذا الفحـلِ أن يتـزوّج التـي أرضعتْها امرأتَه[١].

والدليلُ على المذهب الصحيح إجماعُ أهل البيت[٢]، وما روي من أنّ عليّاً عليه السلام قال: «**يا رسولَ الله، هل لك في بنت عمِّك حمزةَ؟ فإنّها أجملُ فتاةٍ في قريشٍ**». فقال : «**أما علمتَ أنّ حمزةَ أخي من الرّضاعة وأنّ الله تعالى حرّم من الرّضاعة ما حرّم من النسب؟!**»[٣].

ومعلومٌ أنّ الأخت والعمّة تُحَرَّمانِ من النَّسب، فوجب أن تُحَرَّما من الرّضاعة، لعموم الخبر.

أمّا صفة الرّضاع الشرعيّ الذي يُحرِّمُ، عشْرُ رَضَعاتٍ عند بعض أصحابنا[٤]، وعند بعضهم خمسَ عشْرَةَ رَضْعةً[٥] ـ وهو الصحيح ـ

---

(١) المحلى١٠: ٣ و٦. المجموع شرح المهذب١٨: ٢١٠. بداية المجتهد٢: ٣٧. الاستذكار٦: ٢٥١. عيون المجالس٣: ١٣٨٢. الحاوي الكبير١١: ٣٥٨. مختصر اختلاف العلماء٢: ٣١٨.

(٢) الخلاف٥: ٩٤. أُنظر: الكافي٥: ٤٤٠ / كتاب النكاح، باب صفة لبن الفحْل. تهذيب الأحكام٧: ٣١٩ / كتاب النكاح، ح١٣١٦ـ١٣٢٠.

(٣) الكافي٥: ٤٤٥ / كتاب النكاح، باب نوادرَ في الرّضاع، ح١١، عن أبي عبيدة، عن الإمام الصادق عليه السلام. الخلاف٥: ٩٤. المعجم الكبير٣: ١٣٨، ح٢٩١٩، عن سعيد بن المسيب.

(٤) قال العلامة الحلّيُّ في مختلَف الشيعة٧: ٥: ذهب المفيد وسُلّارُ وابنُ البَرّاجِ وأبو الصّلاحِ وابنُ حمزةَ إلى أنّ المُحرّمَ من الرّضاع باعتبارِ العدد عشْرُ رَضَعاتٍ متوالياتٍ، وهو قول ابن أبي عقيلٍ من قدمائنا.

(٥) الخلاف٥: ٩٥.

متواليةً لا يُفصَلُ بينهما برضاعِ امرأةٍ أُخرى، أو رضاعُ يومٍ وليلةٍ لا يتخلّلُها رضاعُ امرأةٍ أُخرى، أو يكون بحدٍّ أَنبَتَ اللّحمَ وشدَّ العَظْمَ. وحَدُّ الرّضاعةِ ما يَرويهِ دون المَصَّة[١].

وقال الشافعيُّ: خمسُ رَضَعاتٍ متَفرّقاتٍ كُنّ أو مُجتَمَعاتٍ تورِثُ الحرمةَ، وبه قال ابنُ الزُّبَيرِ وعائشةُ، وفي التابعين سعيدُ بنُ جُبَير وطاووسٌ، وفي الفقهاء أحمدُ وإسحاقُ[٢].

وقال أبو ثَورٍ وأصحابُ الظّاهر: ثلاثُ رضَعاتٍ[٣]، وقال قومٌ: إنّ الرَّضْعةَ الواحدةَ أو المَصّةَ الواحدةَ ولو قطرةً تُحرّمِ. ذهب إليه ابنُ عُمرَ وابنُ عبّاسٍ[٤]، وفي الفقهاء: مالكٌ والأوزاعيُّ واللّيثُ بنُ سعدٍ والثَّوريُّ

(١) عن زياد بن سوقةَ قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: هل للرّضاع حدٌّ يُؤخَذ به؟ فقال: «لا يحرّم الرّضاعُ أقلَّ من رَضاعِ يومٍ وليلةٍ أو خمْسَ عشْرةَ رضَعاتٍ متوالياتٍ من امرأةٍ واحدةٍ من لبنِ فحْلٍ لم يَفصِلْ بينَها رضْعةُ امرأةٍ غيرِها، ولو أنّ امرأةً أرضعتْ غلاماً أو جاريةً عشْرَ رضعاتٍ مِن لبنِ فحلٍ واحدٍ وأرضعتْها امرأةٌ أخرى من لبنِ فحلٍ آخَرَ عشْرَ رَضَعاتٍ، لم يُحرِّمْ نكاحَهما». تهذيب الأحكام٧: ٣١٥ / كتاب النكاح، باب، ح١٣٠٤.

(٢) كتاب الأمّ٥: ٢٩. أُنظر: مختصر المُزَنيّ٢٢٦ و٢٢٧ و٤٤٥. الوجيز٢: ١٠٥. السّراج الوهّاج ٤٦٠. المجموع١٨: ٢١٠ و٢١٣ و٢١٦ و٢١٧.

(٣) المغني٩: ١٩٤. الشرح الكبير٩: ٢٠١. المُحَلّى١٠: ١٠. بداية المجتهد٢: ٣٥. المجموع١٨: ٢١٣ و٢١٦. الميزان الكبرى٢: ١٣٨. رحمة الأمة٢: ٨٩ ـ ٩٠. كفاية الأخيار٢: ٨٥.

(٤) أُنظر: المصنّف لعبد الرّزّاق٧: ٤٦٨، ح١٣٩١٩ و١٣٩٢٤. سنن البيهقي٧: ٤٥٨.

وأبو حنيفةَ وأصحابُه[١]. دليلُنا قولُه ﷺ: «**الرّضاعَةُ من المَجاعة**»[٢]؛ يعني ما سَدّ الجوعَ؛ وقوله ﷺ: «**لا تُحَرّمُ الْمَصَّةُ، وَلا الْمَصَّتَانِ، وَلا الرَّضْعَةُ، وَلا الرَّضْعَتَانِ**»[٣].

وهذه الرَّضعاتُ يجب أنْ تقعَ في مدّة الحَولين عندنا، وبه قال الشافعيُّ وأبو يوسفَ وأبو محمّدٍ[٤]. وقال مالك: في حولَين وشهرٍ[٥] وقال أبو حنيفةَ في ثلاثين شهراً[٦]، وقال زُفَرُ: في ثلاثة أحوال[٧]. وهذا خلافٌ في مدّة الرّضاع.

دليلنا قوله تعالى: ﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾[٨]، وهذا ظاهرٌ فيما ذهبنا إليه.

الإيجار لا يَنشُر الحرمةَ، وهو أن يُصَبَّ اللّبنُ في حلْق الصّبيِّ[٩]، وبه قال عطاءٌ وداودُ[١٠]، وخالَف جميعَ الفقهاء في ذلك[١١].

---

(١) أُنظر: المدوّنة الكبرى٢: ٤٠٥. مقدمات ابن رشد٢: ٣٧٨. المُحَلّى١٠: ١٢. المغني لابن قدامة٩: ١٣٩. الشرح الكبير٩: ٢٠٠. اللباب، ٢: ٢١٢. بداية المجتهد٢: ٣٥.

(٢) صحيح البخاري٣: ١٥٠ / كتاب الشهادة. مسند ابن حنبل٦: ١٣٨. الخلاف٥: ٩٧.

(٣) مختصر المُزَنيّ٢٢٧. سنن البيهقي٧: ٤٥٥. المعجم الكبير٢٥: ٢٣.

(٤) كتاب الأمّ٥: ٢٩. الهداية للمرغينانيّ١: ٢٤٣. المجموع١٨: ٢١١ و٢١٢. مختصر اختلاف العلماء٢: ٣١٥.

(٥) بداية المجتهد٢: ٣٠. المغني٩: ٢٠١. المقدمات الممهدات١: ٤٩٣.

(٦) الهداية للمرغينانيّ١: ٢٤٣. مختصر اختلاف العلماء٢: ٣١٤. بداية المجتهد٢: ٣٠.

(٧) المُحَلّى١٠: ١٨. المغني لابن قدامة٩: ٢٠١. بدائع الصنائع٤: ٦.

(٨) سورة البقرة٢: ٢٢٣.

(٩) أُنظر: كتاب العين٦: ١٧٧ (وجر).

(١٠) عيون المجالس٣: ١٣٩٠. المغني٩: ١٩٦. الشرح الكبير٩: ٢٠٣. بداية المجتهد٢: ٣٠. المجموع١٨: ٢١٩.

(١١) كتاب الأمّ٥: ٢٧ و٢٩. المدونة الكبرى٢: ٤١٠. مختصر المُزَنيّ٢٢٧. المجموع١٨: ٢١٨ ـ ٢١٩.

و إذا سقط اللّبنُ في أنف الصّبيّ حتّى يصلَ إلى دِماغه، لا يَنشُر الحرمةَ، وبه قال عطاءٌ وداودُ[١]، وخالَف جميعَ الفقهاء فيه[٢].

[و] إذا أُحقِن الصبيُّ باللّبن، لا يَنشُر الحرمةَ. وللشافعي فيه قولانِ: أحدهما: مثلُ ما قلناه[٣]، والثاني: يَنشُر الحرمةَ، وبه قال المُزَنيُّ ومحمّدُ بنُ الحسنِ[٤]، ووافقَنا أبو حنيفةَ.

ومسائل الرِّضاع واختلافُ الفقهاء فيه كثيرةٌ، وهٰهنا يكفي هذا القدرُ لئلّا يَطولَ به الكتابُ وينتشر الخِطابُ.

٢٧. البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ[٥].

البَرَكة: الثَّبات والبقاء، واشتقاقها من بُروك البعير، والبَرْك للصّدر من هٰهنا[٦]، والبِركة لُبوث الماء فيها[٧].

---

(١) عيون المجالس٣: ١٣٩٠. المغني٩: ١٩٦. المُحَلّى١٠: ٢٢. بداية المجتهد٢: ٣١. المجموع١٨: ٢١٩.

(٢) أُنظر: كتاب الأمّ٥: ٢٧ و٢٩. مختصر المُزَنيّ٢٢٧. بداية المجتهد ٢: ٣١. المدونة الكبرى٢: ٤٠٥. بدائع الصنائع٤: ٩.

(٣) كتاب الأمّ٥: ٢٩. مختصر المُزَنيّ: ٢٢٧. المجموع١٨: ٢١٨ و٢٢٠. بدائع الصنائع٤: ٩. المغني لابن قدامة٩: ١٩٨.

(٤) المغني ٩: ١٩٨. بدائع الصنائع ٤: ٩.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٥٧، ح٣٦ وح٣٧. المستدرك على الصحيحين١: ٦٢. صحيح ابن حبان٢: ٣١٩، عن ابن عبّاس.

(٦) لم يتبين لماذا جاءت عبارة (من هاهنا). وهكذا في جميع النسخ التي بأيدينا.

(٧) أُنظر: النهاية١: ١٢٠ (برك)؛ و٤: ٣٠٣ (محق).

والأكابر جمع أكبر، أفعل التفضيل. أراد مع شيوخكم، والكاف خطاب للمؤمنين. وفي الحديث: «**إنّ مِن كلام الله المنزلِ في بعض كتبه: لولا شيوخٌ رُكّعٌ، وصِبيانٌ رُضّعٌ، وبهائمُ رُتّعٌ، لَسلّطتُ جهنّم على أهل الدُّنيا**». ويُروى: «**لَصببتُ عليكم العذاب صبّاً**»[1]. وأخذ البارعُ الجرجانيُّ هذا المعنى ونظمه، فقال:

لولا عِبادٌ لِلإلهِ رُكَّعُ ... وصِبْيةٌ من اليتامىٰ رُضَّعُ
ومُهمَلات في الفلاةِ رُتَّعُ ... صُبَّ عليكم العذابُ الأوجعُ[2]

وفي الحديث: «**وقِّروا شيوخَكم؛ فإنّ البرَكَة معهم**»[3].

وفي الحديث: «**إنّ اللهَ يستحيي ذا الشَّيبةِ أن يعذِّبه بالنّارِ**»[4].

٢٨. مِلَاكُ العَمَلِ خَوَاتِمُهُ[5].

مِلاك الأمر: قِوامُهُ وما يُتَملَّكُ به؛ أي: يُشتَدُّ ويُستَمسَكُ؛ لأنّ المَلَك

---

(١) الآحاد والمثاني٢: ٢١٠، ح٩٦٥. سنن البيهقي٣: ٣٤٥، عن مسافع الديلي عنه . الخصال: ١٢٨، ح١٣١، عن الحسين بن مصعب، عن الإمام الصادق عليه السلام، ولم نعثر على: «لَسلّطتُ جهنّم على أهل الدُّنيا».

(٢) تفسير الثعلبي٢: ٢٢٤. تفسير القرطبي٣: ٢٦٠.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر، أُنظر: الكافي٢: ٦٥٨ / كتاب العشرة، باب وجوب إجلال ذي الشَّيبِ المسلم.

(٤) المفردات ٢٧٠ (حيي) مع اختلاف.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٥٨، ح٣٨، عن عقبه بن عامر الجهني. البيان والتبيين٢٤١، عن عبد الله بن مسعود. تفسير القمّي١: ٢٩١. الاختصاص٣٤٣.

في اللّغة الشّدُّ، مِن قولِهم: مَلَكتُ العَجين إذا شَدَدتَه[١]. ومنه قول الشاعر:

ملَكتُ بها كفّي فأنهرتُ فَتْقَها   يَرىٰ قائمٌ مِن دونها ما وراءَها[٢]

أي: شددتُ.

والخواتم جمع خاتَم، وخاتِم وهو ما يُختَم به الشيءُ، أراد عواقبَه وأواخره؛ لأنّ الشيء إنّما يُختم في آخره عند الفراغ منه بتمامه[٣]، ومنه المَثل: الأمور بخواتيمها[٤]، وهو جمع خاتامٍ وخَيتامٍ وخاتومٍ.

وفي النّاس مَن ذهبَ إلى أنّا لا نحكمُ بإيمان أحدٍ ولا بإسلامه إلّا إذا ماتَ عليه؛ لأنّا نجوّز أن يرتدّ أو يفعلَ شيئاً يُحبَطُ به إيمانهُ و إسلامهُ، فإذاً لا يكون مؤمِناً ولا مسلماً إلّا إذا وافىٰ يومَ القيامة وهو مستحِقٌّ للثّواب الدّائم لم يُحبَطْ ثوابُه بكَثرة المعصية.

وهذا المذهب غير صحيح؛ لأنّه مبنيٌّ على الارتداد والإحباط، وكلاهما باطلان؛ لِما دلّتْ عليه الأدلّةُ العقليّةُ، وربما يأتي في هذا الكتاب من هذا الباب ما يدلّ على المَذهب الصحيح من ذلك عند بلوغنا إلى حديث يقتضي ذلك، ويليق بمعناه إن شاء الله تعالى.

---

(١) أُنظر: المصباح المنير٢: ٥٨. كتاب العين٥: ٣٨٠ (ملك).

(٢) التبيان في تفسير القرآن٢: ٥٧. مجمع البيان١: ٦٠. تفسير الثعلبي١: ١٧٠، والبيت لِقَيس بن الخَطيم. (أي: شددت بهذه الطّعنةِ كفّي، ووسّعتُ خرْقَها حتى يرى القائمُ من دونها الشّيءَ الّذي وراءَها). شرح الحماسة للخطيب التّبريزيّ١: ١٧٨.

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٢: ٢٤٥ (ختم).

(٤) أُنظر: السير الكبير للشيبانيّ٢٢٦.

٢٩. كَرَمُ الكِتَابِ خَتْمُهُ[١].

أراد إنّ الكتابَ إذا خُتِمَ، دلّ على أنّه ضَمّن أشياءً من المهمّات العظام والأمور الكبار، وأما إذا لم يُختَمْ، عُلم أنّه لا شيءَ فيه يُعتنى بشأنه، فهو كالشيء المرذول، وعلى هذا فُسّر[٢] قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[٣]؛ أي: مختوم[٤]، وقيل: كان خاتَمُه مسكاً، وقيل: كان حجراً من الحجارة الصَّلْبة، فختَم عليه سليمانُ، فأُخذ فيه نقشُ الختم معجزةً له .

وكان فيما مضى من الزمان جرت العادةُ بأن يُختَم الكتابُ بالطّين أو يُشدُّ عليه سِحاءٌ، وهو خَيْط كان يُشدّ عليه، ثمّ تُرِكَ ذلك إلى الإلصاق والإلزاق باللِّزاق، وعلى ذلك قول بعض الكُتّاب، وقيل هو للصاحب ، وقيل هو للصّابيّ مدح به الصاحبَ:

في كفِّه قلمٌ ناهيك مِن قلمٍ — نُبْلاً وناهيك مِن كفٍّ به اتَّشَحا!

يَمحو ويُثبِت أرزاقَ العبادِ به — فما المقاديرُ إلّا ما محا ووَحىٰ[٥]

(١) مسند الشِّهاب١: ٥٨، ح٣٩. المعجم الأوسط٤: ١٦٢. تفسير الثعلبي٧: ٢٠٦، سورة النمل، عن ابن عبّاس.

(٢) والمفسِّر: السدى وزهير بن محمّد كما يأتي في تفسير ابن أبي حاتم.

(٣) سورة النمل٢٧: ٢٩.

(٤) تفسير القمي٢: ١٢٧. تفسير ابن أبي حاتم٩: ٢٨٧٢.

(٥) تفسير الثعلبي١٠: ٨، نسبه إلى ابن الرّوميّ. المنتحل٢٢.

لو أن عبدَ الحميد اليومَ شاهَدَه لَطانَ بين يَدَيه مُذعِناً وسحا[١]

٣٠. مِلاكُ الدِّينِ الوَرَعُ[٢].

قد بيّنّا أنّ ملاك الأمر قِوامه[٣]. والوَرَع: الكفُّ عن المعاصي[٤]، يقال: ورَعَ الرّجل يَرَعُ وَرْعاً [وورَعاً] ورِعَةً؛ لأنّ الرّجل إذا اتّقى محارمَ الشرع والعقل وترَكَ الواجباتِ، فقد أتى بكل ما يجب عليه في الدّين، ومثله **قوله**ﷺ: «**الوَرَعُ سَيِّدُ العَمَلِ**»[٥]. والمرجِع بهذه اللّفظة إلى الترك والتُّقى، وسمّاه عملاً على التوسّع؛ لِما فيه من المشقّة، فأمّا على مذهب من ذهب إلى أنّ الترك فعلٌ، لا يحتاجُ إلى هذا التّأويل.

---

(١) وجاء هذا البيت أيضاً في ديوان ابن الرّومي١:٣١٥. وأما الشاهد في هذه الأبيات التي أنشدها المؤلف، فهو كلمة (طان)؛ إذ جاء عنها في لسان العرب ١٣: ٢٧٠ (طين)، والطّينة: قطعة من الطّين يُختَم بها الصّكُّ ونحوُه. وطِنتُ الكتابَ طيناً: جعلت عليه طيناً لأختِمَه به. وطان الكتابَ طيناً وطينةً: ختمه بالطّين. وكذلك سحا بمعنى شدّ عليه سِحاءً.

(٢) مسند الشّهاب١: ٥٩، ح٤٠، عن ابن عبّاس. المعجم الأوسط٩: ١٠٧. الخصال ٢٩، ح١٠٤، عن ابن عمر وفيهما (أفضل) بدل (ملاك).

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٥: ٣٥١ (ملك).

(٤) النهاية٥: ١٧٤ (ورع).

(٥) الورع لابن أبي الدنيا ٤٣، ح١١. حلية الأولياء٢: ٣٨٦، عن أنس.

٣١. خَشْيَةُ اللّٰهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ[1].

يُقال: خَشِيَ الرّجلُ يَخشىٰ خَشْيةً، إذا خاف[2]، والحِكمة مصدر حَكَم الرّجلُ يَحكُم حكِمةً، فهو حكيم، والحكيم: المُحكِم لأفعاله[3]، فعيلٌ بمعنى مُفعِلٌ كالأليم بمعنى المؤلِم، والسّميع بمعنى المُسمِع في قول الشاعر:

أمِنْ رَيحانة الدّاعي السَّميعُ يُؤرِّقني وأصحابي هُجوعُ[4]

أي المُسمِعُ. وقيل: الحكيم، العالم بدقائق الأمور[5]، وأصله المنع

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٥٩، ح٤١. الورع لابن أبي الدنيا٤٣، ح١١. حلية الأولياء٢: ٣٨٦.

قال أبو الرضا الراوندي: هذا الحديث لم يكن في نسخة القاضي. ضوء الشِّهاب ١: ١٥٩.

(٢) الصحاح٦: ٢٣٢٧ (خشي).

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٦: ٣٣٠، سورة الحجر.

(٤) تهذيب اللغة٢: ٧٤. الصحاح٣: ١٢٣٢ (سمع). ريحانة اسم امرأة، والداعي مبتدأ، والسميع صفته، ويؤرّقني صفة بعد صفة... وأرّقني فلانٌ تأريقاً أي: أسهَرَني، والهُجوع النوم ليلاً وبالفتح صفة... والمراد بالداعي داعي الشوق، كأنه يدعوه ويناديه بحيث يسمعه ويوقِظه حالَ استراحة أصحابه واشتغالِهم بالنوم. كأنه يقول متعجّباً من شدّة ما لحِقه من حبّ ريحانةَ: إنّ داعيَ الشوق الذي يفعل به هذه الأمورَ هل يفعل ذلك كلَّه من أجل ريحانةَ وبسبب حُبّي إياها؟!... وقالوا: السميع فيه بمعنى المُسمع؛ لأن داعيَ الشّوق ليس بسامع وإنما هو مُسمع لدعائه وندائه؛ وكذا التأريقُ إنما يكون من المُسمع لا من السامع. حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي٢: ٢٥٢.

(٥) الفروق اللغوية١٩٥. النهاية١: ٤٠٢.

من حَكَمة اللّجام؛ وذلك لأنّ خشيةَ الله تمنعهُ من ارتكاب المعاصي وترك الواجبات[١].

٣٢. مَطَلُ الغَنِيّ ظُلْمٌ[٢]، وَمَسْأَلَةُ الغَنِيّ نارٌ[٣].

المَطْلُ: مُدافَعة الرّجل غَريمَه من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهرٍ[٤].

والظّلم في اللّغة النّقصان[٥]، من قوله تعالى: ﴿آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾[٦] في ذكر البُستان؛ أي: لم يَنقُصْ[٧]، فأمّا قَولُهم (الظّلمُ وضْعُ الشيء في غير مَوضعِهِ)، فهو على طريق التّمثيل والاستعارة، وقولهم في المثل: (مَنْ أشبَهَ أباه فما ظَلَمَ)[٨]، قيل معناه: ما وَضَع الشَّبَهَ

---

(١) أُنظر: المفردات٢٤٨. المصباح المنير٢: ١٤٥ (حكم).

(٢) مسند الشِّهاب١: ٦٠، ح٤٢، عن عمران بن حصين وح٤٣. صحيح البخاري٣: ٥٥. صحيح مسلم٥: ٣٤، عن أبي هريرة. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٠، ح٥٨١٩.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٦٠، ح٤٢. الأموال لابن زنجويه٣: ١١١٦ / باب التشديد في مسألة الناس من أموالهم، ح٢٠٦٨. المعجم الكبير١٨: ١٧٥، عن عمران بن حصين.

(٤) أُنظر: العين٧: ٤٣٣. لسان العرب١١: ٦٢٤ (مطل).

(٥) تهذيب اللغة١٤: ٢٧٨. تأويل مشكل القرآن: ٢٥٨. التبيان في تفسير القرآن٢: ٥٣٣، سورة آل عمران.

(٦) سورة الكهف١٨: ٣٣.

(٧) معاني القرآن٤: ٢٣٨. المفردات٥٣٨ (ظلم). التبيان في تفسير القرآن٧: ٤١، سورة الكهف. تفسير ابن أبي حاتم٧: ٢٣٦١، ح١٢٨٠٤، عن ابن عبّاس.

(٨) تهذيب اللغة١٤: ٢٧٤. الصحاح٥: ١٩٧٧ (ظلم).

في غير موضعهِ[١]، ولو قيل: لم يَنقصْ من الشّبه شيئاً، كان جائزاً.

فأمّا في اصطلاح أهل الكلام، فهو: كلّ ضرر يوصَل إلى الحيّ عارٍ مِن كلّ منفعة أو دفع مَضَرّة معلومةٍ أو إلى مظنونةٍ عاجلةٍ أو آجلةٍ، ولا يكون مستحِقّاً ولا على سبيل المُدافَعة، ولا يكون في الحكم؛ كأنّه من فعل المضرور أو من جِهةٍ غير فاعل الضّرر.

وكلّ شرط من هذه الشروط أُحترِزَ به من نقضٍ على الحدّ في شرح طويل ليسَ هذا موضعَه، وهو مذكورٌ في كتب الأصول.

وقوله : «**ظلمٌ**»؛ يطّرد في الطرفين؛ أعني طرفَي الغريم وصاحبَ المال؛ لأنّ المُماطِلَ الغنيَّ يَظلمُ صاحبَ المال بإضراره من احتباس حقّه، ويَظلم نفسَه من حيث إنّه ارتكب معصيةً[٢] بمُدافَعة الغريم مع تمكّنه من أداء حقه، فهو مستحِقّ للذّمّ والعقاب.

وما قيل في ذمّ المَطْل والتسويف أكثرُ مِن أن يُحاطَ به، منها قول بعضهم:

إذا أنعمــــــتَ بـــــالقو ... لِ فـــلا تُفسِـــدْهُ بالمَطْـــلِ

فمـــا أقـــرب مـــا بَيْـــ ... ـنَ مِطالِ الوعد والبخلِ[٣]

وقال [الـ]أخطلُ:

أَفنيتَ بالمَطْل والتَّرداد أعماري ... حتى تخيّرتُ بين الباب والدّار

(١) تهذيب اللغة١٤: ٢٧٤. شمس العلوم٧: ٤٢٤٧ (ظلم).

(٢) سقط هنا من نسخة (ب) عدة اوراق.

(٣) لم نعثر عليها في المصادر.

وقد نَبوتُ نُبُوَّ السّهم عن غرضٍ ... مِن نَبْضةٍ نَبَضتْ عن غير مقدارِ

يا ساهياً لاهياً عَنّي بعزّته ... فيما التّغافلُ عن مُستأسَدٍ ضارٍ؟![1]

وقال آخر:

بحقِّ المصطفى وبني عليٍّ ... وفاطمةَ المهذَّبةِ الزّكيّهْ

صِلِ الرّيشَ المُكَسَّرَ مِن جَناحي ... بتسريحٍ ونائلةٍ سَنيَّهْ

فمِثلُك لا يَليق به التّقاضي ... ومِثلي لا يُوافقُه النَّسيئهْ![2]

وللعَطَويّ وإن لم يكن فيما نحن بصدده إلّا أنّه قد مَلُحَ:

وأَغْيدَ لا نباتَ بعارضَيهِ ... كأنّ جبينَه قمرٌ يَلوحُ

يُواعدني بلا وبلى وحتى ... وسوف وقد وحسبُك كم تصيح![3]

ومثله لماني المُوَسوَسِ:

لا بارَكَ اللهُ في الحسان ولا ... بَلَّغَهُنَّ الرّجاءَ والأملا!

من اللواتي يَقُلْنَ إن وعسى ... وها وحتى وقد وسوف ولا[4]

من خصال الأدب أن جِدّه جِدّ وهزلَه جِدّ!

---

(١) لم نعثر عليها في المصادر.

(٢) رسائل الثعالبي١: ١٠ مع اختلاف.

(٣) لم نعثر عليها في المصادر.

(٤) لم نعثر عليه في المصادر. وماني المسوس هو محمّد بن القاسم من أهل مصر قدم بغداد وكان من أظرف الناس وتوفي سنة خمس واربعين ومائتين. الوافي بالوفيات٤: ٢٤٦.

ومسألة الغني نارٌ، ومعناه: تحريم السؤال إلّا عند الضرورة إلى ذلك، وأن من فعل ذلك وهو عنه مستغنٍ، فهو يستحقّ الذّمَّ والعقاب. ومثله قوله ﷺ: **«فإنّما هي جمرة، فليستقلَّ منها أو ليستكثِرْ»**[1].

والمسألة مصدر سأل يسأَل سؤالاً ومَسألةً، ويُستَعملان في الاستعطاء والاستعلام في الحقيقة.

٣٣. التَّحَدُّثُ بِالنِّعَم شُكْرٌ[2].

التّحدّثُ تفعُّلٌ من الحديث، يقال: حَدَّثَ به وتَحَدَّثَ، قال الله تعالى: ﴿وأَمّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فَحَدِّثْ﴾[3]، ومن قوله ﷺ: **«مَن ذَكَره فقد شكره»**[4].

وقال أميرُ المؤمنين عليه السلام حين سأله ابنُ الكوّاءِ: أخبِرْني عن أصحاب رسول الله، **قال: «عن أيّ الأصحاب تسألُني؟»**.

قال: أخبِرْني عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: **«قرأ القرآن ثمّ وقف عنده»**.

قال: أخبِرْني عن أبي ذرٍّ، قال: **«عالِمٌ شحيحٌ على علمه»**؛ يعني

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة٣: ٩٩، ح٦. صحيح مسلم٣: ٩٦. مسند ابن حنبل٢: ٢٣١، عن أبي هريرة.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٦١، ح٤٤ وح٤٥. الشكر لابن أبي الدنيا٩٥، قطعة من ح٦٣، عن النعمان بن بشير.

(٣) سورة الضحى٩٣: ١١.

(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ١١١، ح٣٦٦. مسند ابن حنبل٦: ٩٠، عن عائشة. المعجم الكبير١: ١١٥، ح٢١١، عن طلحة.

لا يُعلّمه إلّا مَن كان أهلَه، ولو قال «بعلمه»، لكان ذمّاً.

قال: أخبِرْني عن سلمانَ، قال: «**أدركَ علمَ الأوّلين والآخِرين، وهو بحر لا يَنزَحُ، وهو منّا أهلَ البيت**».

قال: أخبِرْني عن حُذيفةَ بنِ اليمانِ، قال: «**كان عَرّافاً بالمنافقين، وسأل رسولَ الله عن المعضِلات، وإنْ سألتموه، وجدتموه بها خبيراً**».

قال: أخبِرْني عن عمّارِ بنِ ياسرٍ، قال: «**خالَطَ الإيمانُ لَحمَه ودمَه، وهو محرَّم على النّار، كيفما زال، زال الحقُّ معه**».

قال أخبِرْني عن نفسك، قال: قال الله تعالى: ﴿فلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾[١] إلّا أنّه تعالى قال: ﴿وأَمّا بنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٢]، قال: «**كنتُ أوّلَ داخلٍ وآخِرَ خارجٍ، وكنتُ إذا سألتُ أُعطِيتُ، وإذا سكتُّ ابتُدِيتُ، وبين جوانحي عِلمٌ جَمٌّ**».

قال: فما نَزَل فيك؟ قال: «**ألم تقرأْ في سورة هودٍ:** ﴿أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ويَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْه﴾[٣]**؟ فرسولُ الله على بيّنةٍ من ربِّه، وأنا أتلوه شاهداً له، وأنا منه**».

فقال ابن الكوّاءِ: ما تركتَ لأحد على نفسك حجّةً[٤].

---

(١) سورة النجم٥٣: ٣٢.

(٢) سورة الضحى٩٣: ١١.

(٣) سورة هود١١: ١٧.

(٤) أُنظر: المعيار والموازنة٣٠٠. الغارات١: ١٧٧. الشريعة للآجري٥: ٢٣٣٣، ح١٨٢٥.

٣٤. اِنتِظَارُ الفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ[١].

الانتظار افتعال من النظر بمعنى الانتظار. يقال: نظرتُه بمعنى انتظرتُه[٢]. قال الله تعالى: ﴿وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلونَ﴾[٣]؛ أي: منتظرة[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ﴾[٥]؛ أي: انتظار[٦]، ومنه قوله‌ﻷ: ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إِلّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾[٧]، ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾[٨] إلى غير ذلك من الآيات التي النّظرُ فيها بمعنى الانتظار.

والفرج: ذَهاب الغمّ، وأصله الفُرْجة؛ لأنه إذا انفرج الشيءُ، ذهب ما فيه. أراد انكشافَ البلاء[٩].

والصبر: حبس النّفس على ما تكرَه[١٠] ومثله: قتلتُه صبراً، وهو أن تقتله

(١) مسند الشِّهاب١: ٦٢، ح٤٦، عن ابن عمر، و٦٣، ح٤٧. الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا١٩، ح١، عن مسلم بن بانك. الأمالي للطوسي٤٠٥، ح٥٥، عن سعيد بن مسلم، عن الإمام السجّاد‌ﻉ، عن أبيه، عن الإمام عليّ‌ﻉ، اختلاف يسير.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٥: ٤٤٤. المحيط في اللغة١٠: ٢١ (نظر).

(٣) سورة النمل٢٧: ٣٥.

(٤) الإحتجاج١: ٣٦٢.

(٥) سورة البقرة٢: ٢٨٠.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة١: ٩٩.

(٧) سورة البقرة٢: ٢١٠.

(٨) سورة الأنعام٦: ١٥٨.

(٩) أُنظر: كتاب العين٦: ١٠٩. تهذيب اللغة١١: ٣٢. المحيط في اللغة ٧: ٨٩ (فرج).

(١٠) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٤: ٢٣٦ (عجف). المفردات٤٧٤ (صبر).

على مكانه وهو ينظر إليك، وكذلك إذا حبستَه ولم تُطعِمْه ولم تُسقِه حتى يموتَ، قيل: قتله صبراً. ونهى رسول الله عن ذَبح البهائم صبراً[١]، وهو أنْ تذبح ذبيحةً وتنظر إليها أخرى.

والعبادة من العبوديّة، والصبر بانتظار الفرج عن مَكاره التكليف نوع من العبادة.

٣٥. الصَّوْمُ جُنَّةٌ[٢].

الصّومُ ـ في اللغة ـ: الإمساك[٣]، وفي الشرع كذلك إلّا أنّه إمساك مخصوص عن أشياءَ مخصوصةٍ في زمان مخصوص على وجه مخصوص[٤]. وهو من الأسماء المخصوصة. يقال: صام الفرس إذا قام على آريّه[٥] لا يَعتلف ولا يَجري[٦]. قال:

خيلٌ صِيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العَجاج وأخرى تَعلُك اللُجُما[٧]

---

(١) سنن ابن ماجة٢: ١٠٦٢، ح٣١٨٦، عن أنس بن مالك. سنن البيهقي٩: ٨٦، عن جابر. المصنّف لابن أبي شيبة٤: ٦٣٣، ح٧، عن أبي الزبير.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٦٣، ح٤٩، عن أبي هريرة. سنن الترمذي٤: ١٢٤ / باب ما جاء في حرمة الصلاة، قطعة من ح٢٧٤٩، عن معاذ بن جبل. الكافي٤: ٦٢ / كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصوم والصائم، قطعة من ح١، عن زرارة، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٣) الصحاح٥: ١٩٧٠ (صوم).

(٤) أُنظر: النهاية في مجرد الفقه والفتاوى١٤٨. تذكرة الفقهاء٦: ٥.

(٥) (الآرِيُّ: مَحْبِسُ الدابّة... وهو حبلٌ تُشَدَّ به الدّابّةُ في مَحْبِسِها). الصحاح٦: ٢٢٦٧.

(٦) كتاب العين٧: ١٧١. تهذيب اللغة١٢: ١٨٢ (صوم).

(٧) كتاب العين١: ٢٠٢. غريب الحديث لابن سلام١: ٣٢٧. الصحاح٤: ١٩٠١ (علك) والبيت

ويقـال: صـامت الشـمسُ إذا قامـت وسـطَ السّـماء وقُبَيـل الـزوال[١]، قال:

حتى إذا صام النهارُ واعتدلْ وسـال للشمس لُعابٌ فنزلْ[٢]

والـجُنّـة: التُّرْس الواسـع؛ لأنه يَجُـنّ الـرجلَ أي يَسـتُره، والـجَـنّ: الـسَّتر، يقـال: جَـنَّ عـليه اللّـيلُ وأجنَّـه؛ أي: سـتره. والجَـنّة: البـستان الكـثيرةُ الأشجارِ. والجِنّة: الجِنّ. والجِنّة: الجنون. والجَنان: القلب لاستتاره. والجِنان والجَنّـات جمع الجَنّـة، وأصـل الكلمـة السَّـتْر[٣]. والمعنـى: أنّ الصـوم وقايـةٌ من النار.[٤]

٣٦. الزَّعِيمُ غارِمٌ[٥].

الزّعيم والضّـمين والكفيـل والقبيـل واحـد، ومصـدرها الزَّعامـة والضِّـمان والكَفالة والقَبالة[٦].

لنابغة الذّبيانيّ.

(١) أُنظر: كتاب العين٧: ١٧١. تهذيب اللغة١٢: ١٨٢ (صوم).

(٢) تفسير الثعلبي٢: ٦٢.

(٣) أُنظر: كتاب العين٦: ٢٠ (جنن). جَمهَرة اللغة١: ٩٣. تهذيب اللغة١٠: ٢٦٧ (جن).

(٤) قال الإمام أبو الرضا الراوندي: و يحتمل أن يكون المعنى أنّ الصوم جُنّة من النار؛ لما فيه من الثواب الجزيل و رضى الربّ الجليل. ضوء الشِّهاب ١: ١٦٥.

(٥) مسـند الشِّـهاب١: ٦٤، ح٥٠. سـنن أبـي داود٢: ١٥٦ / بـاب فـي تضـمين العاريـة، قطعـة من ح٣٥٦٥. الأمالي للسيّد المرتضى١: ٧٣.

(٦) أُنظر: النهاية٢: ٣٠٣. الصحاح٥: ١٩٤٢ (زعم).

ومعناه: أنّ الزّعيم إذا تَكَفَّل الدَّين عن المديون للدائن، فلم يَفِ المديونُ أو هرِب أو مات، كان غارماً لِما صحّ له عليه وثبت، وهو غارم؛ لأنّ ذلك غَرامةٌ عليه.

٣٧. الرِّفْقُ رَأسُ الحِكْمَةِ[١].

الرِّفق: المداراة والمُلايَنة وحسن المعاشرة مع الناس، يقال: رَفِق به فهو رفيق، أي لطيف[٢]، فعيل بمعنى فاعل، ورافقه مُرافَقة فهو رفيقه فعيل بمعنى مُفاعِل كالأكيل والنديم والجليس.

والرِّفاق مصدر رافَقَه، والرِّفق مصدر رَفِقَ.

والمعنى: أنّ مَن عاشَرَ النّاسَ بخُلقٍ حسنٍ ورافَقَهم بلطف وسهولةِ جانبٍ، كان عينَ الحكيم، وفيه كلُّ الحكمة.

٣٨. كَلِمَةُ الحِكمَةِ ضالَّةُ كُلِّ حَكِيمٍ[٣].

الكلمة واحدةُ الكَلِم، وقيل: الكَلِم اسمٌ صِيغَ للجمع وليس بجمع

(١) مسند الشِّهاب١: ٦٤، ح٥١. مكارم الأخلاق للخرائطي ٢٢٥، ح٦٧٦، عن جرير بن عبد الله. الزهد لأحمد بن حنبل ٤٤، ح٢٧٤.

(٢) أُنظر: جَمهَرة اللغة ٢: ٧٨٤ (رفق).

(٣) مسند الشِّهاب١: ٦٥، ح٥٢. سنن الترمذي٤: ١٥٥ / باب الحكمة، ح٢٨٢٨، عن أبي هريرة. الكافي٨: ١٦٧، ح١٨٦، عن جابر. قال الراوندي في ضوء الشِّهاب: هذا الحديث خارج من الألف ولم يكن في نسخة القاضي. ضوء الشِّهاب ١: ١٦٨.

الكلمة، وإنما جمعُها الكلماتُ، ذكره سيبَويهِ[1]، ولو قيل: هي من باب تَمْر وتَمْرة لم يَبعُدْ.

والضّالّة: ما ضلّ عن الناس، والهاء للمبالغة[2]. ويجوز أن تكون صفةَ موصوفٍ مؤنثٍ كالنفيسة. قال ابنُ دُرَيد: الحكمة كلمة وعظتْك أو زجرتْك أو دعتْك الى مَكرُمة أو نَهَتْك عن قبيح[3].

والحُكمُ: الحِكمةُ في قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4]،[5] وفي قوله ﷺ: «**إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحُكْماً**»[6]. وقال مكحولٌ: سمع ابنُ جُرَيجٍ كلمةَ حكمةٍ فقال: ضالّتي وربِّ الكعبة[7]. وقيل: الحكمة كالعروس تُريد بيتاً خالياً[8]؛ وفي رواية: «**الحكمة ضالّة المؤمن حيث وجدها قيّدها، ثم ابتغى إليها ضالّةً أُخرى**»[9].

---

(1) شرح كتاب سيبويه1: 12.

(2) أُنظر: النهاية3: 98 (ضلل).

(3) جَمهَرة اللغة1: 564.

(4) سورة مريم19: 12.

(5) الكافي1: 384 / كتاب الحجة، باب حالات الأئمة في السن، ح7، عن علي بن أسباط، عن الإمام الباقر عليه السلام. تفسير الرازي2: 178.

(6) الأمالي للصدوق619 / المجلس التسعون، قطعة من ح987، عن عبد الله بن زهير. المستدرك على الصحيحين3: 613، عن أبي بكرة. سنن ابن ماجة2: 1235 / باب الشعر، ح3755، عن أبي بن كعب وفيه (لحكمة) بدل (لَحُكْماً).

(7) لم نعثر عليه في المصادر.

(8) أُنظر: رسائل الإخوان4: 13. جامع الأخبار 516، ح1456.

(9) محاضرات الأدباء1: 71. لباب الآداب1: 422.

قال ابنُ عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[1]، قال: عِلْمَ القرآن[2].

وقال مجاهدٌ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَة﴾[3]، قال: الفقه والإصابة والعمل[4].

وقيل: في معنى الخبر وجهان:

أحدهما: أن كلمة الحكمة إذا سمعها الحكيمُ، تَعَلَّق بها وكتبها وحفِظها واحتفَظَ بها كأنها ضالّتُه؛ لأنّه كان طالباً لها كطالب الضّالّة.

والثاني: أنك إذا سمعت كلمة الحكمة من غير حكيم، فلا تَظُنّها من عندِه، إنّما كانت عند حكيمٍ، فَضَلَّتْ عنه، فوجدها الجاهلُ، وأخذها كمن وجد ضالّةً لغيره.

٣٩. البِرُّ حُسْنُ الخُلقِ[5].

البِرّ والمَبَرّة: الصلة والإحسان، ورجلٌ بَرٌّ وبارٌّ، وفلانٌ بَرٌّ بوالديه إذا كان

---

(١) سورة البقرة٢: ٢٦٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن٢: ٣٤٨. تفسير الثعلبي٢: ٢٧١.

(٣) سورة لقمان٣١: ١٢.

(٤) تفسير مجاهد٢: ٥٠٤. الزهد لابن حنبل ٤٣، ح٢٦٧. تفسير الطبري٢١: ٨١، ح٢١٣٨٥، باختلاف يسير.

(٥) مسند الشّهاب١: ٦٦، ح٥٤، عن عائشة وفيه (اليمن) بدل (البرّ) وح٥٣. صحيح مسلم٨: ٧. سنن الترمذي٤: ٢٣ / باب ما جاء في البر والاثم، قطعة من ح٢٤٩٧، عن النواس بن سمعان.

حسنَ الخدمة لهما، وبَرَّ في يمينه إذا صَدَق فيها ولم يَحنَثْ، فتقول للرجل الحاجّ: بَرَّ حجُّكم! أي: قبِل، وحجّ مبرور؛ أي: مقبول[١].

والمعنى: أن الرجل إذا لم تصِلْ يده إلى الإحسان والمبرّة بالغير[٢]، فخالَقَه بخلق حسن، فكأنّما برّه ووصله.

٤٠. الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الجُنُونِ[٣].

يقال: شَبَّ الصّبيُّ يَشِبُّ شباباً إذا تَرَعرَع، فهو شابّ. وشَبّ الفرسُ يَشِبّ شُبوباً وشِباباً إذا رفع يدَيه. وشبّ النارَ يَشُبّها شَبّاً إذا رفعها[٤] قال:

إنّي حَمِدتُ بني شَيبانَ إذ خَمَدتْ نيرانُ قومي وفيهم شُبَّتِ النّارُ[٥]

والشُّعبة غصن من أغصان الشجر، ثم استُعمل في كلّ جزء من غيرها[٦].

---

(١) أُنظر: معجم مقاييس اللغة١: ١٧٨. جمهرة اللغة١: ٦٧ (برر).

(٢) في نسخة (د): (بغير).

(٣) مسند الشِّهاب١: ٦٦، قطعة من ح٥٥. اعتلال القلوب للخرائطي١: ١٠٣، ح١٩٨، عن زيد بن خالد. المصنّف لابن أبي شيبة٨: ١٦٣، ح٣٧، عن عبد الله بن مسعود. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٧٧، ح٥٧٧٤.

(٤) أُنظر: كتاب العين٦: ٢٢٣. الصحاح١: ١٥١. النهاية٢: ٤٣٨ (شبب).

(٥) عيون الأخبار١: ٤٦٤. الأمالي للقاليّ١: ٤٢. أي: حمِدتهم لما رأيت نيران قومي انطفئتْ للإجداب وهم يوقدون النيران للضيافة ونارُهم متّقِدة.

(٦) أُنظر: كتاب العين١: ٢٦٣ (شعب).

والجُنون مصدر جُنّ الرجل فهو مجنون إذا كان مغلوباً على عقله[١]، كأنّه قال: الشباب جزءٌ من الجنون وطَرَفٌ منه. ومِن للتبيين؛ وذلك لأنّ الشّابَّ الغِرَّ الّذي لم يُجرّب الأمورَ ولم تُحنِّكْه التّجارِبُ يكون في الأغلب سادراً[٢] في جَماحِه مُتَسَكِّعاً في غُلَوائه[٣] لا يتّعظ بمواعِظ العقل ولا يتأدّبُ بآداب الشّرع إلّا من عصَمَهُ الله، فهو كالمجنون و إن كان عاقِلاً، إذ لا يُعمِل عَقلَهُ[٤] ولا يَعملُ به؛ فكأنّه ليس له عقلٌ.

٤١. النِّساءُ حَبائِلُ الشَّيطَانِ[٥].

النّساء والنِّسوَة جَمع المرأة لا من لفظها، ونظيرها: التَّوابل ـ لأبزار[٦] القِدر ـ وواحدُها قِزْحٌ[٧].

---

(١) أُنظر: كتاب العين٦: ٢١ (جن).

(٢) السَّادِرُ: الذي لا يقلع و لا ينزع عما هو فيه من غيّه و ضلاله، كتاب العين٧: ٢٢٥ (سدر).

(٣) أي: متمادياً في حِدّة الشباب.

(٤) أو: لا يَعمَل عقلُه.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٦٦، قطعة من ح٥٥، عن زيد بن خالد. الزهد لأبي داود ١٦٠، قطعة من ح١٦٠. المصنّف لابن أبي شيبة٨: ١٦٣، قطعة من ح٣٧، عن عبد الله بن مسعود. تفسير القمّي١: ٢٩١.

(٦) الأبزار جمع البَزْر والبِزْر.

(٧) أُنظر: الغريب المصنّف١: ١٩٨. تهذيب اللغة٤: ١٩ (قزح).

والحبائل جمعُ حِبالة وهي شبكة الظِّباء[١]، وإنّما ذُكر بلفظ الحَبائل إشارةً إلى أنّ الحِسان من النّساء يُشَبَّهنَ بالظِّباء والنِّعاج؛ يعني أنّهنَّ آلةٌ من آلات الشيطان وشبكةٌ من شبكاتهِ.

قيل: إنّ امرأةً ذاتَ جمالٍ مرّت برجلٍ، فقال الرّجل:

إنّ النّساءَ شياطينٌ خُلِقنَ لنا أعوذُ بالله من شرّ الشياطينِ

فقالت المرأةُ وكانت أديبةً:

إنّ النساء رَياحينٌ خُلِقْنَ لكم وكلّكم يشتهي شَمَّ الرّياحين[٢]

ومرّت جماعة من النساء بماجنٍ، فقال: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٣]، فأجابت واحدةٌ منهنّ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٤].

و**قال** ﷺ: «**أوثقُ سِلاح إبليسَ النّساءُ**».

ونظر بقراطُ إلى رجلٍ يُكلِّم امرأةً، فقال له: (تَنَحِّ عن هذا الفخِ لئلاّ تَقَعَ فيه)[٥].

وقال لقمان: كُنْ مِن خيار النّساء على حذرٍ؛ فأنت مِن شرارهنّ على يقين[٦].

---

(١) النهاية١: ٣٣٣ (حبل).

(٢) البلدان: ١٠١. أدب الدنيا والدين١: ١٥٦.

(٣) سورة سبأ٣٤: ٣١.

(٤) سورة الحجرات٤٩: ١٤.

(٥) محاضرات الأدباء٢: ٢٣٧. كنز الفوائد ١٧٧، نقله عن ديوجانس.

(٦) محاضرات الأدباء٢: ٢٣٨.

وقالَ رجلٌ: ما دخل داري شرٌّ قطُّ، قال حكيمٌ: ومِن أينَ دخلتْ امرأتُكَ؟[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«النّساء شرٌّ كلّهنّ وشرُّ ما فيهنّ قِلّةُ الاستغناء عنهنّ»**[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«تَعَوَّذْ مِن شرار النّساءِ، وكُنْ من خيارهنّ على حذرٍ»**[٣].

ورأى سُقراطُ امرأةً تحمل ناراً، فقال: نارٌ تحمل ناراً، والحامل شرٌّ من المَحمُول[٤].

وقيل له: أيّ السِّباع شرٌّ؟ قال: المرأة[٥].

وقيل: شرّ أخلاق الرِّجال الجُبنُ والبُخلُ، وهُما خيرُ أخلاق النساء[٦]؛ وذلك لأنّ المرأةَ إذا كانت بخيلةً، تَبخَلُ بنفسها ومالها ومال زوجها، و إذا كانت جباناً، لا تَجْسِرُ أن تفعل ما تريد[٧].

---

(١) نثر الدر٤: ١١٥. محاضرات الأدباء٢: ٢٣٨. تفسير السمعانيّ٣: ٥٤٩.

(٢) محاضرات الأدباء٢: ٢٣٩. نثر الدر ١: ١٣٤. ربيع الأبرار٥: ٢٤٧، عن **الإمام عليّ** عليه السلام.

(٣) نثر الدر١: ١١٦. الكافي٥: ٥١٧ / كتاب النكاح، بابٌ في ترك طاعتهنّ، ح٥، عن الحسين بن المختار. الأمالي للصدوق ٣٨٠، ح٤٨٣، عن أبي الجارود، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن الإمام عليّ عليه السلام، من دون إسناد إليه، باختلاف يسير.

(٤) محاضرات الأدباء٢: ٢٣٩. كنز الفوائد١٧٧، مع اختلاف.

(٥) محاضرات الأدباء٢: ٢٣٩.

(٦) نثر الدر٤: ١١٥. محاضرات الأدباء٢: ٢٣٩.

(٧) أشار هذا القول إلى حديث الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة: الحكمة ٢٣٤. وهو خِيارُ خصال النّساء شِرارُ خصال الرجال: الزَّهْو والجُبن والبخل. فإذا كانت المرأةُ مَزهُوَّةً، لم تُمكنْ مِن نفسها؛ وإذا كانت بَخيلةً، حفِظت مالَها ومالَ بعْلِها؛ وإذا كانت جَبانةً، فرِقت من كلّ شيء يَعرِض لها.

وقيـل: المـرأة إذا أحبّتْـك آذَتْـك، و إذا أبغَضَـتْكَ خانَتْـكَ، فحُبُّهـا أذىً وبغضها داءٌ[١].

وقيل: المرأة سَبُعٌ مُعاشِرٌ. وقيل: هي حَيَوانٌ شِرّير[٢].

وقـال لقمـانُ: شـيئان لا يُحمَـدان إلّا عِنـدَ عاقبتهمـا: الطّعـامُ والمـرأةُ، فالطعام لا يُحمَد حتّى يُستَمرَءُ، والمرأة لا تُحمَد إلّا أن تموتَ[٣].

وفي المَثل: لا تُحمَدنّ أَمةٌ عامَ شرائها، ولا حُرّةٌ عامُ بِنائها[٤].

وقـال **أمير المؤمنين**عليه السلام : **«لا تُطيعوا النّسـاءَ علـى حـالٍ، ولا تـأمَنوهنّ علـى مـالٍ، إنْ تُـركِنَ وَمـا يُـرِدنَ، أورَدْنَ المَهالـكَ، وأزَلـنَ الممالـك، لا ديـنَ لهـنّ عنـد لَـذّتهنّ، ولا وَرَعَ لهـنّ عنـد شـهوتهنّ. يَنسَـيْنَ الخَيـرَ، وَيحفَظْـنَ الشـرَّ. يَتهـافَتنَ بالبُهتان، ويَتَمادَينَ للطُّغيان، ويَتَصَدَّينَ للشّيطانِ»**[٥].

وقيل: مَن أطاع عِرسَهُ، لم يَرفَعْ نفسَه[٦].

وعارضـتْ عمـرَ بـنَ الخطّـاب امرأتـهُ فـي أمـرٍ يُـدبّرهُ، فقـال: مـا لَكُـنّ

(١) نثر الدر٤: ١١٥. محاضرات الأدباء٢: ٢٣٩.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر المتقدمة. أُنظر: روض الأخيار٢٩٠.

(٣) درر الحكم ٣٥. محاضرات الأدباء٢: ٢٣٩.

(٤) الأمثال٦٨. محاضرات الأدباء١: ٤٥٣.

(٥) الأمـالي للصـدوق ٢٧٤، ح٣٠٥، عـن محمّـد بـن أبـي عميـر، عـن غيـر واحـد، عـن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام. محاضرات الأدباء٢: ٢٣٨.

(٦) محاضرات الأدباء٢: ٢٣٨. ربيع الأبرار٥: ٢٤١.

وأمورَ الرِّجال؟! إنّما أنتِ لُعبةٌ، إذا كانَت لنا حاجةٌ، دَعَوناكُنّ[١].

وبذلك أَلَمَّ المُتَنبّي في قوله:

وِلِلْخَودِ[٢] منّي ساعةٌ ثم بيننا فَلاةٌ إلى غير اللّقاء تُجابُ[٣]

وقيل: «**إيّاك ومُرافَقَةَ النّساء! فإنّ رأيَهنّ إلى أَفَنٍ، وعزمَهنّ إلى وَهَنٍ**»[٤].

وقيل: أكثِروا لهنّ من قول (لا)؛ فإنّ (نعم) تُغريهنّ على المسألة[٥].

وقال أجدعُ الهَمْدانيُّ:

تُعَيّرُني بالغَزْوِ عِرْسي وما دَرَتْ بأنّي لها في كلّ ما أَمَرَتْ ضِدُّ[٦]

وقال ﷺ: «**ما من ناقِصَةِ العَقل والدِّين أغلبَ للرِّجال ذوي الأمر من النّساء**»[٧].

وقال بعضهم:

ويَجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى أليس عجيباً ضعفُها واقتدارُها؟![٨]

---

(١) أُنظر: تاريخ المدينة للنميري٣: ٨١٨. محاضرات الأدباء٢: ٢٣٨.

(٢) الخَوْدُ: الشابة ما لم تصر نصفا، و تجمع خَوْدَاتٌ، كتاب العين٤: ٢٩٤ (خود).

(٣) قشر الفسر١: ٨٢. محاضرات الأدباء٢: ٢٣٨.

(٤) نهج البلاغة / الكتاب ٣١. عيون الأخبار٤: ٧٨، عن ابن المقفَّع. أنساب الأشراف١٣: ٧٦، عن أكثمَ وفيها (مشاورة) بدل (مرافقة).

(٥) البيان والتبيين٣١٢. ربيع الأبرار٥: ٢٤٢، والقائل هو عمر بن الخطّاب.

(٦) محاضرات الأدباء٢: ٢٣٨.

(٧) سنن الدارمي١: ٢٣٧. المستدرك على الصحيحين٢: ١٩٠. مسند أبي يَعلىٰ٩: ١٨٧، ح٥٢٨٤ ، عن عبد الله باختلاف يسير.

(٨) تاريخ بغداد١٠: ١٢٨، الرقم ٥٢٦٩، وفيه (أيجمعن) بدل (ويجمعن). تاريخ المدينة للنميري٣: ٧٩١، والبيت لابن الأعرابيّ.

وقال الرّشيد:

مـا لـي تُطـاوِعُني البَريَّـةَ كُلَّهـا ... وأُطـيعُهُنَّ وهـنّ فـي عصـياني؟!

مـا ذاك إلّا أنّ سـلطانَ الهـوى ... ـ وبه غَلَبْن ـ أعزُّ مـن سـلطاني[1]

ونَظَرَ ذاتَ يومٍ إلى جاريةٍ لزُبيدةَ فقال:

أرى مـاءً وبـي عَطشٌ شـديدٌ ... ولكـنْ لا سـبيلَ إلـى الـورودِ

أمـا يكفيـكِ إنّـكِ تَملِكينـي ... وأنّ الناسَ كلَّهمُ عبيـدي؟![2]

ولم يُسمَعْ في هذا المعنى أحسنُ وأرقُّ من قول جريرٍ:

إنّ العُيـونَ الّتـي فـي طَرْفِها مرضٌ ... قَتَلْنَنـا ثُـمّ لـم يُحْيِـين قَتْلانـا

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حِراكَ به ... وهُـنّ أضـعفُ خلـقِ الله أركانـا[3]

٤٢. الخَمْرُ جِماعُ الإِثْمِ وَأُمُّ الخَبائِثِ[4].

سُمّي الخمرُ خمراً لِمُخامَرَتِها العقولَ[5]؛ أي: مُخالَطَتها وسَتْرِها عليها.

---

(١) الأغـاني١٦: ٤٩٩، وفيـه (عـززن) بـدل (غلـبن). تـاريخ دمشـق٨: ٤٠٤، وفيـه (قَـوَينَ) بـدل (غلبن).

(٢) فوائد للذهلي ٢٩، ونسب الأبيات إلى هارون. الزهرة١٦٩، ونسب الأبيات إلى المأمون. تاريخ الطبري٦: ٤٠٥، ونسب الأبيات إلى التَّوَّزيّ.

(٣) ديوان جرير٤٩٢، وفيه (حور) بدل (مرض). أنساب الأشراف١٢: ٩٧.

(٤) مسـند الشِّـهاب١: ٦٨، ح٥٧، عـن عبـد الله بـن عمـرو وفيـه (الخمـر أم الخبائـث). سـنن الدارقطني٤: ١٦١ / كتاب الأشربة وغيرها، ح٤٥٦٤ وليس فيه ذيله، عن ابن عبّاس وفيه (الخمر أم الفواحش). الزهد لأبي داود١٦٠ ، قطعة من ح١٦٠، عن عبد الله بن مسعود.

(٥) الصحاح٢: ٦٤٩. جمهرة اللغة١: ٥٩١ (خمر).

والخمرُ ما واراك من شجرٍ وغيره. والخُمار ما يأخذ الشاربَ من أذى الخمر من الصُّداع والدُّوار. والخِمار ما يُغَطّىٰ به الرأسُ، والخُمْرة قطعة صغيرة من الحصير يُسجَد عليها[١].

والجِماع ههنا المَجمَع، وفي غير هذا الموضع بمعنى المُفاعَلة؛ لأن الفِعال بمعنى المفاعلة كثير جدّاً، نحو: القتال والجدال والصِّراع.

والإثم عبارة عن كل معصية صغيرةً كانت أو كبيرةً.

والأمّ: ما يَؤُمُّه الرّجلُ؛ أي: يَقصُده، فُعْلٌ بمعنى مفعول، وكل شيء يُرجَع إليه ويُعتَصَم به، فهو أمٌّ[٢]، ومنه قولُ الشاعر:

فالأرض مَعقِلُنا وكانت أُمَّنا فيها مَقابرُنا وفيها نولَدُ[٣]

ومِثل البيت في المعنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً * أَحْياءً وأَمْواتاً﴾[٤]، والأُمّ: الرّاية: لأنها مَفزَع الجيش ومَرجِعهم[٥]، ومنه قول الشاعر:

نأوي إلى أمٍّ لنا لا تُغتَصَبْ سما لها أنفُ عزيزٌ وذَنَبْ[٦]

---

(١) أُنظر: كتاب العين٤: ٢٦٢. النهاية٢: ٧٧ (خمر).

(٢) أُنظر: النهاية١: ٦٩. لسان العرب١٢: ٢٢ (أمم).

(٣) تأويل مشكل القرآن ٧٠. الحيوان٣: ١٧٣. تفسير الثعلبي١: ١٢٧، والبيت لأميّة بن أبي الصَّلْت.

(٤) سورة المرسلات٧٧: ٢٥ ـ ٢٦.

(٥) أُنظر: المحيط في اللغة١٠: ٤٥٩. لسان العرب١٢: ٣٢ (أمم).

(٦) تفسير الثعلبي١: ١٢٧، والبيت لأحمد بن عبيدة. والبيت وصف لجبل جعله الشاعر أمّاً له ولقبيلته حيث يضمّهم ويُؤويهم كما تضم المرأة ولَدَها وتؤويه. والأنف كناية عن قمّته التي نطح السّحاب.

ومنه الأمّ للوالدة؛ لأنّ مرجِعَ الأولاد إليها. وأمّ الكتاب: أصل الكتاب[١]، وهي الفاتحة، وأمّ الكتاب اللوح المحفوظ[٢] في قوله تعالى: ﴿و إِنَّـهُ في أُمِّ الْكِتابِ لَـدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾[٣]. وأمّ القُرى مكّةُ[٤]؛ لأنّها أصل الأرض، وأصل الكلمة من (الأَمّ) الذي هو القصد[٥].

والخبائث جمع خبيثة؛ أي: خَصلة أو خُطّةٌ خبيثة.

ومعنى الحديثَين: أنّ الرجل إذا ارتَكَب معصيةً، فربما اقتصر عليها ولم يتجاوزْ إلى غيرها سِوى شرب الخمر؛ فإنّه إذا شربها وسَكِر وزال عقلُه، ارتكب كلَّ عظيمة، وأتى بكلّ كبيرة ولا يستحيي، **وقال**ﷺ: **«جُعِل الشّرُّ كلُّه في بيت، وجُعِل مفتاحُه الخَمرُ»**[٦].

وحكي أنّ رجلاً من الزّهاد كان يُنكِر على أمير البلد ما كان يفعله من المناهي والمعاصي، ويُغلِّظ له في القول. فأخذه ذاتَ يوم، وأدخَلَه دارَه، وأمر بإغلاق الأبواب، وأحضر امرأةً وغلاماً وطفلاً وشيئاً من الخمر، وجَرَّدَ

(١) أُنظر: معاني القرآن١: ٤٩. التبيان في تفسير القرآن٢: ٣٩٥. تفسير الطبري٢٥: ٦٣، ح٢٣٧٧٦.

(٢) كتاب العين٨: ٤٢٦ (أمم). تفسير الفخر الرازي٢: ١٣.

(٣) سورة الزخرف٤٣: ٤.

(٤) كتاب العين٥: ٢٠٣ (قرو). معجم مقاييس اللغة١: ٢٣ (أمم).

(٥) النهاية٤: ٢٩٠ (مأم). كتاب العين٨: ٤٣١ (أمم).

(٦) كتاب من لايحضره الفقيه ٤: ٣٥٤ / باب النوادر، ح٥٧٦٢، عن الإمام عليّ عليه السلام. المصنّف لعبد الرزّاق٩: ٢٣٨، ح١٧٠٦٨، عن أبان كلاهما مع اختلاف.

السّيفَ، وقال له: اِخترْ من هذه الأمور واحداً: إمّا أنْ تَقتُلَ هذا الطفلَ، أو تُواقعَ هذه المرأةَ، أو تأتيَ هذا الغلامَ، أو تشرَب هذه الخمرَ، وإلّا قتلتُك. فنظر الرجلُ وفكّر في أمره، فقال: قتْل النّفس عظيم، وكذلك الزِّنا واللِّواط، فإنّ هذه الأفعالَ كبائرُ وعظائمُ، وظَنَّ أنَّ أهوَنَهنّ وأقلَّهنّ شربُ الخمر. فقال: أشرب الخمرَ. فسَقَوه الخمرَ حتى سَكِر، فتاقتْ نفْسُه إلى المرأة، فأراد أن يشتغل بها، قال له: لا يمكنُ حتى تأتيَ الغلامَ أوّلاً، فأتى الغلامَ، فلمّا أراد إتيانَ المرأة قال: لا تصل إليها حتى تقتلَ هذا الطفلَ، فقتله ووقع عليها[١]، فجَمَع بين الكبائر كلِّها لِفَساد العقل، ولو اختار سوى شرب الخمر، لَمَا ارتكب إلّا واحدةً[٢]. فهذا معنى **قولهﷺ: «الخَمرُ جِماعُ الإثمِ وأُمُّ الخبائثِ»**.

وقالﷺ: «من شَرِب الخمرَ في الدّنيا، لم يشرَبْها في الآخرة»[٣].

---

(١) ذمّ المسكر١٦. أحكام القرآن للجهضمي٨٢، ح٣١ و ح٣٢. جزء من نسخة إبراهيم بن سعد: ٩٥، ح١٤٥٨، مع اختلاف.

(٢) روى الكليني بإسناده: عن محمّد بنِ الحسين رفعه قال: قيل لأمير المؤمنينعليه السلام: إنّك تزعُم أنّ شربَ الخمر أشدُّ من الزّنا والسَّرِقةِ؟ فقال : «نعم، إنّ صاحبَ الزّنا لعلّه لا يَعدوه إلى غيره، وإنّ شاربَ الخمر إذا شرب الخمرَ، زنىٰ وسَرَق وقَتَل النّفْسَ الّتي حرّم اللهُعزّوجلّ وتَرَك الصّلاةَ». الكافي٦: ٤٠٣ / كتاب الأشربة، باب أنّ الخمر رأسُ كلِّ إثم وشرٍّ، ح٨.

(٣) صحيح مسلم٦: ١٠١. سنن الترمذي٣: ١٩٢ / باب ما جاء في شارب الخمر، قطعة من ح١٩٢٣. سنن ابن ماجة٢: ١١١٩ / باب من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، قطعة من ح٣٣٧٣، عن ابن عمر باختلاف يسير.

وقال ﷺ: «**من شَرِب الخمرَ بعدَ أنْ حَرَّمَها اللهُ على لساني، فليس له أن يُزوَّجَ إذا خَطَبَ، ولا يُصدَّقَ إذا حَدَّثَ، ولا يُشَفَّعَ إذا شَفَعَ، ولا يُؤتَمَنَ على أمانة، فمن ائتَمَنه على أمانة، فقد استهلكها، وحقٌّ على الله أنْ لا يُخلِف عليه**»[١].

وأمّا ما روي من الأخبار في كفر شارب الخمر، وقوله ﷺ: «**شارب الخمر كعابد الوثَن**»[٢]، وقوله ﷺ: «**لا يجتمع الخمرُ والايمانُ في جوف امرئٍ**»[٣]، «**وشارب الخمر لا يشرَبها وهو مؤمنٌ**»[٤]، فإن المعنى فيه: إذا شربها مُستحِلّاً لها ومُستَخِفّاً بالشريعة.

وأمّا ما روي في الخمر من الأخبار وعقابِ شاربِها، فأكثرُ مِن أن يُحاطَ به، وقد ذكرتُ طَرَفاً مستوفياً من ذلك في التفسير، مَن أراده، فَليقِفْ

---

(١) الكافي٦: ٣٩٧ / كتاب الأشرِبة، باب شارب الخمر، ح٩. تهذيب الأحكام٩: ١٠٣ / كتاب الصّيد والذّبائح، باب الذّبائح والأطعمة وما يَحِلّ من ذلك وما يَحرُم منه، ح٤٥٠، عن حماد بن بشير، عن الإمام الصادق عليه السلام. تفسير الثعلبي٤: ١٠٧، عن محمّد بن المنكدر، عن الإمام عليّ عليه السلام، باختلاف يسير.

(٢) تفسير العياشي١: ٣٦٦، ح٤٦. ثواب الأعمال ٢٠٧، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام. المصنّف لابن أبي شيبة٥: ٥٠٩، ح١١، عن أبي هريرة وفي الأخيرين (مُدمن الخمر) بدل (شارب الخمر).

(٣) تفسير الثعلبي٤: ١٠٦. سنن النسائي٨: ٣١٥، عن عثمان باختلاف يسير والأخير.

(٤) صحيح البخاري٦: ٢٤١. صحيح مسلم١: ٥٤، عن أبي هريرة. الكافي٢: ٢٨٢ / كتاب الإيمان والكفر، باب الكبائر، ح١٦، عن الأصبغ بن نباتة، عن الإمام عليّ عليه السلام.

عليه من هناك[١].

وما قيل في ذلك من النظم أكثر مِن أن يؤتىٰ عليه وعلى بعضه، إلّا أنّي أذكر بعضَ ما قيل في ذمّها وذمّ شُرّابها، فمن ذلك ما قاله أبو الحسنِ بنُ طباطبا العلويُّ[٢]:

سألتُ عن السَّكران ما وزنُ عقله ... وأحمق ما يُلقىٰ إذا ما تعاقلا

تراه إذا استرختْ قواه لِسَكْره ... يُزاوِلُ أمراً لم يَزَلْ عنه زائلا

يَرى العجزَ منه قوّةً مُستفادةً ... ولو أنّه لاقىٰ كَمِيّاً لَقاتلا

يُحارِب أعلاه أسافلَه فإن ... أراد استواءً في القيام تمايلا

فإن قلتَ: قل (لا)، قال مِن سَكره: (نعم) ... وإن قلتَ نُصحاً: قل (نعم)، قال: (لا ولا)

إذا أُخِذتْ منه المدامُ رأيتَه ... كذى الجِدِّ في بعض الأمور تَهازَلا

ذكيّاً بليداً ساهياً متفكّراً ... كحيرانَ مبهوتٍ تَذَكَّر ما خلا

إذا ما اقتضاه الهمُّ في السَّكْر دَيْنَه ... رأيتَ غريم الهمّ ثمّ مُماطَلا

لديه كُنوزٌ مِن أمانيّ نفسه ... فمهما يرد منها غروراً تناولا

ويُتحِف بالتّقبيل كلَّ مُسائلٍ ... وإن لم يكن في النّاس خِلّاً مُواصِلا[٣]

---

(١) اُنظر: روض الجنان ٣: ٢٠٦ و ٧: ١٣٣.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد الحسنى العلوى الأصفهاني، ولد و عاش فى أصفهان، و كانت وفاته بها سنة ٣٢٢/ ٩٣٤، كان لغويّا، أديبا، شاعرا، نبيه الذّكر. رياض العلماء و حياض الفضلاء ٥: ٤٤٦.

(٣) روض الجنان ٣: ٢١٦.

وقال آخر:

تركـــتُ النّبيـــذَ وشُـــرّابَه وصِـرتُ خَـديناً لِمَـن عابَـهُ

شراباً يُضلّ سبيلَ الهُدى ويَفــتَح للشّــرّ أبوابَــه(١)

ولآخر:

لَحَى اللهُ أصحابَ النّبيذِ! فما لَهُم إذا فَقَـدوا الصّـهباءَ عهـدٌ ولا عَقـدُ

مودّتهُم ما دامتِ الكأسُ تُحتَسىٰ فإن عاق عنها عائقٌ بَطَل الوُدُّ(٢)

ولآخر:

تركــــتُ النّبيـــــذَ لِشُـــــرّابه وأقبلــتُ أشــرَبُ عــذْباً نُقاخــا

شــرابَ النّبيّـــين والمرســـلين ومــن لا يريـد الشّــراب الطُّباخــا

رأيـــتُ النّبيـــذ يُــذلُّ العزيـــز ويكســو التَّقــيَّ النّقــيّ اتِّســاخا

ويــــورِث شُــــرّابَه سَــــوءةً ويــزداد فيــه العَمــى وانتفاخــا

ويتـــرك القلـــب بـــوراً خـــلاءً كمــا يتــرك الزّارعــون السِّــباخا

فــإن كـــان ذا جـــائزاً للشّـــباب فما العذر فيه إذا المرء شاخا؟!(٣)

---

(١) الأشربة لابن قتيبة ١٢٧. العقد الفريد ٨: ٥١، والبيت للناطق بالحقّ. تفسير الثعلبي ٤: ١٠٨، والبيت لرضوان بن أحمد الصيدلانيّ مع اختلاف فيهما.

(٢) روض الجنان ٣: ٢١٧.

(٣) روض الجنان ٣: ٢١٧.

٤٣. الغُلُولُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ[١].

الغُلول: الخيانة، يقال: غَلّ الرّجلُ إذا خانَ[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[٣]، وقُرِئَ: أن يُغَلَّ؛ أي: يُخانَ[٤]. والغُلّ ما يُغَلّ به الرِّجْلُ؛ أي: يُقَيَّدُ، وقالوا في الدّعاء عليه: (أَلٌّ وغُلٌّ)[٥]؛ أي: ضُرِبَ بالأَلَّةِ ـ وهي الرُّمْحُ القصيرُ ـ وقُيِّدَ! وقيل: (أُلَّ وغُلَّ)؛ أي: أَعَلّهُ اللهُ. والغَلَّة: رَيع الأرض، وأرضٌ مُغِلَّة. والغِلّ: الحِقْدُ. والغُلَّة: العطش[٦]. والغَلَلُ: الماء الجاري بين الأشجار[٧]، وأصل الباب السَّتْر.

والجَمْرَة: القِطعةُ من النار غيرُ المُلتهِبَة، ويُجمَع على جَمَراتٍ وجَمْرٍ[٨].

وجهنّم: اسمٌ للنّار عَلَمٌ، أعني النّارَ المُعَدَّةَ للكفّار، وقيل: هو اسمُ دَرَكَةٍ مِن دَرَكاتِهِ[٩]، ولو حُكم بزيادة النّون، لكان من الجَهامَة.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٦٦، قطعة من ح٥٥، عن زيد بن خالد. الأمثال لأبي الشيخ١: ١٦١، عن أبي الدرداء. الزهد لأبي داود١٦٠، قطعة من ح١٦٠، عن عبد الله بن مسعود. تفسير القمّي١: ٢٩١.

(٢) النهاية٣: ٣٨٠ (غلل). تهذيب اللغة٨: ٢٢. المفردات ٦١٠ (غل).

(٣) سورة آل عمران٣: ١٦١.

(٤) التبيان في تفسير القرآن٣: ٣٤، سورة آل عمران. معاني القرآن١: ٥٠٤. غريب الحديث لأبي عبيد١: ٢٠٠.

(٥) الصحاح٥: ١٧٨٤. المحكم والمحيط٥: ٢٧١ (غلل).

(٦) أُنظر: المخصص٦: ٣٤.

(٧) الصحاح٥: ١٧٨٣ (غلل).

(٨) أُنظر: المصباح المنير١: ١٠٨ (جمر).

(٩) أُنظر: تفسير الماتريدي٧: ٤٠٣، سورة الحج. تفسير الثعلبي١: ١٢٨. تفسير أبي السعود٦: ١١٣.

يعني: إنّ مَن خانَ أحداً باقتطاعِ مالٍ له، فكأنّما يَجُرُّ إلى نفسه جَمْرةً من جمرات نارِ الله.

وروي: أنّ رجلاً من أصحاب **رسول الله** ماتَ في غزوة خَيبرَ، فقال ﷺ: «**صَلُّوا على صاحبكم**». فقالوا: يا رسولَ الله: ألا تصلّي عليه؟! قال: «**لا؛ لأنّه غَلّ**[1] **من الغنيمة**». قالوا: فَتّشنا رَحْلَهُ، فوجدنا فيه خَرَزاً ليهوديٍّ، فواللهِ! ما كان يُساوي درهَمَينِ![2].

ويُروىٰ أنّ رجلاً على عهد رسول الله ﷺ أصابه سَهمٌ فمات، فقال **رسول الله**: «**هو في النار**»، فنظرنا، فإذا عليه كِساءٌ قد غَلّه[3].

و**قال** ﷺ: «**إيّاكم والغُلولَ! فإنّ الغُلُول أخزى على صاحبهِ، فأدّوا الخَيط والمِخْيَط**»[4].

وقيل: الأمين آمنٌ، والخائن خائفٌ[5].

---

(١) أي: خان في الغنيمة بمعنى أنه كتَمَ ما أخذه من الغنيمة.

(٢) سنن ابن ماجة٢: ٩٥٠ / باب الغلول، ح٢٨٤٨. المعجم الكبير٥: ٢٣١، عن زيد بن خالد الجهني مع اختلاف فيها.

(٣) سنن سعيد بن منصور٢: ٢٦٦، ح٢٧٢٠. المصنّف لعبد الرزاق٥: ٢٤٥، ح٩٥٠٤. مسند ابن حنبل٢: ١٦٠، عن عبد الله بن عمرو مع اختلاف.

(٤) سنن ابن ماجة٢: ٩٥٠ / باب الغلول، ح٢٨٥٠، مع اختلاف. مسند ابن حنبل٥: ٣٣٠. المعجم الأوسط٦: ١٥، عن عبادة بن الصامت.

(٥) التذكرة الحمدونيّة١: ٢٧٣، ح٧٠٣، عن الإمام الحسين عليه السلام.

٤٤. النِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ[1].

الفِعالةُ ـ بالكسر ـ أكثرها من أبنية الصناعة؛ نحو: النِّساجة والحِياكة والضِّيافة والخِياطة، والفَعالة ـ بالفتح ـ للمصدر كالسَّماحة والظَّرافة والسَّماجة، كأنّه قال: من تَصَنّع بهذه الصنعة.

والجاهليّة زمانُ الفترة قبل الإسلام؛ أي: الأيّام الجاهليّة أو السِّنون والأزمنة المنسوبة إلى الجهل، وهي في العرف عبارة عمّا كان قبل مبعث **النبيّ** ؛ فإنّهم كانوا ينوحون على موتاهم وقتلاهم ويوصّون بذلك، ألا ترى إلى قول طَرَفَةَ:

إذا مُتُّ فانْعِينى بما أنا أهْلُه وشُقِّى عليَّ الجَيْبَ يَابْنَةَ مَعْبَدِ[2]

وقال **النبيّ**ﷺ: «**يُحشَر النّوائحُ يومَ القيامة صَفَّين، يَنبَحنَ كما تَنبَح الكلابُ، وتخرج النّائحةُ من قبرها شعثاءَ غَبراءَ واضعةً يدَها على رأسها تقول: واوَيلاه! ومَلِكٌ يقولُ: آمِينَ!**»[3].

ولَعن رسولُ الله النّائحةَ والمُستمِعةَ والحالقةَ والصّالقةَ والواشمة

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٦٦، قطعة من ح٥٥، عن زيد بن خالد. سنن الترمذي٢: ٢٣٥ / باب ما جاء في كراهية النوح، ح١٠٠٦، عن أبي هريرة. سنن ابن ماجة١: ٥٠٤ / باب في النهى، عن النياحة ح١٥٨١، عن أبي مالك الأشعري. من لا يحضره الفقيه٤: ٣٧٦، ح٥٧٦٩.

(٢) جَمهَرة أشعار العرب١٥٩. الأمالي للسيّد المرتضى٢: ١٨، باختلاف يسير.

(٣) المعجم الأوسط٥: ٢٥١. تفسير الثعلبي٩: ٢٩٨، عن أبي هريرة مع اختلاف.

والمُستَوشِمةَ والسَّلقاءَ والمَرهاءَ[١].

٤٥. الحُمّى رَائِدُ المَوْتِ[٢].

الحُمّىٰ فُعْلىٰ مِن حُمَّ الشّيءُ إذا قُدِّر، أو من حَمّ الشيءُ إذا حَمِيَ واحتَرَقَ[٣]، ومنه الحديث: «**إنّ قوماً يَخرُجون من النار بعد ما صاروا حُمَماً فَحْماً**»[٤][٥].

---

(١) سنن البيهقي٤: ٦٣. تفسير الثعلبي٩: ٢٩٩، عن ابن عمر باختلاف يسير.
النائحة: التي ترفع صوتَها بتعديد خصال الميت ومحاسن أفعال؛ والمستمعة: التي تستمع إلى النَّوح؛ والحالقة: التي تُحلِّق رأسَها عند المصيبة؛ والصالقة: التي ترفع صوتَها بالمصيبة؛ والواشمة: التي تَشِمُ غيرَها؛ والمُستوشِمة: هي التي تَطلب الوَشْمَ؛ والمرهاء: التي لا تَكتحلُ؛ والسلقاء لم نجد، ما وجدناه هو السّلتاء بمعنى التي لا تَخضِب.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٦٩، قطعة من ح٥٩، عن عبد الرحمن بن المرقع وقطعة من ح٥٨. المرض والكفارات٧٣، ح٧٣، عن الحسن. الكافي٣: ١١١ / كتاب الجنائز، باب علل الموت وأن المؤمن يموت بكل ميتة، قطعة من ح٣، عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام من دون إسناد إليه و١١٢، قطعة من ح٧.

(٣) أُنظر: المفردات٢٥٥ (حمم).

(٤) معنى هذا الكلام عندنا: أنه يخرج من استحقاق النار بالتوبة قوم هذه صفتهم، و هذا على طريق المجاز؛ أي أنهم بأعمالهم المؤدية إلى دخول النار كمن احرق بضرمها، و صار من حممها، المجازات النبوية٩٢.
الحُمَمُ: الفَحْمُ، واحدته حُمَمَةٌ. و الحُمَمُ الرَّماد و الفَحْم و كلُّ ما احترق من النار. لسان العرب١٢: ١٥٧ (حمم).

(٥) مسند ابن حنبل٣: ٩٤. مسند الطيالسي٢٩٠، عن أبي سعيد. الزهد لحسين بن سعيد٩٦، ح٢٦٠، عن عمر بن أبان، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، مع اختلاف.

وفُعلىٰ تأنيث أفعلَ التفضيل كالأحسن والحُسنىٰ، والأعلى والعُليا، والأدنى والدّنيا، والأقصى والقُصْوىٰ، وهي في العرف لِما ينتاب من العلّة في كلّ يومٍ أو يومين.

والرّائد: مُقدَّم القوم إلى الماء والكلإ، مِن راد يَرُودُ إذا جاء وذهبَ[١]، وفي المَثَل: الرّائدُ لا يَكذِبُ أهلَهُ؛ يعني: أنّ الحُمّىٰ مقدَّمة الموت، والعامّة تقول: الحُمّىٰ رسول الموت؛ يعني أنّها تُنْذر وتُؤْذِن بالموت؛ فمِن حَقّ مَن أتتْه الحُمّىٰ أن يتوبَ ويُوصِيَ وينظرَ في أمور نفسه فيما بينه وبين الله تعالى، وما بينه وبين الناس؛ فإنّه لا يأمَن أن لا يُمهَلَ، فهو من باب الوعظ والوصيّة بإعداد الأُهبة لسفر القيامة، فإنّ من مات، فقد قامت قيامتُه[٢].

٤٦. الحُمّى مِنْ فَيحِ جَهَنَّمَ[٣].

الفَيْح من قولهم: فاحت الرائحةُ تفوح وتفيح إذا عَلَتْ وظَهَرَتْ[٤]، ومنه قول أبي الطّيّب:

وتَفُوح من طيب الثّناءِ رَوائِحٌ ... لَهُمُ بكلِّ مكانةٍ تُستَنشَقُ[٥]

---

(١) أُنظر: جمهرة الأمثال١: ٤٧٤.

(٢) تفسير الفخر الرازي٩: ٩٢. روض الجنان٦: ٣٥١، عن **النبيّ** .

(٣) مسند الشّهاب١: ٧٠، ح٦٠ وح٦١. صحيح البخاري٤: ٩٠. صحيح مسلم٧: ٢٣، عن عائشة وروي أيضاً في الصحيحين، عن ابن عمر. الخصال ٦٢٠، قطعة من ح١٠، عن أبي بصير، ومحمّد بن مسلم، عن **الإمام الصادق** ، عن آبائه ، عن **الإمام عليّ** .

(٤) أُنظر: كتاب العين٣: ٣٠٧. الصحاح١: ٣٩٣ (فوح).

(٥) المنصف للسارق ٢٧٩.

وقوله أيضاً:

وذَكِـيٌّ رائحـةِ الـرّياض كـلامُها تَبغي الثّناءَ على الحَيا فَتَفُوحُ[١]

يعني أنّ الحُمّىٰ من روائحِ جهنّمَ، وله معنيان:

أحدهما: الإخبار عن شدّة حرارتها وإنذاره صاحبَها بحرارة جهنّمَ.

والثاني: أنّ مَن أخذتْه الحُمّىٰ، فكأنّه أصابه بعضُ عذاب النار[٢]، وهذا معنى قوله ﷺ: **«الحُمّىٰ حظُّ كلِّ مؤمنٍ من النّار»**.

٤٧. الحُمّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ[٣].

الحظّ: النصيب[٤]، يُشير إلى أنّ الحمّىٰ تصير كَفّارةً لصاحبها؛ فكأنّ الله تعالى يُكفِّر بها من خطاياه؛ يعني أنّ المؤمن إذا حُمّ وكان مستحِقّاً للعقاب، جعل الله ذلك نصيبَه من النار، والمعنى يرجع إلى ما ذكرناه من كونها كفّارةً للذّنوب.

وروي: أنّه لمّا فتح خيبرَ، أقبلَ الناس على الفواكه، فأخذتْهم الحمّىٰ، فشكَوا ذلك إلى **النبيّ** ﷺ، فقال: **«يا أيّها الناس، إنّ الحمىٰ رائد الموت،**

(١) يتيمة الدهر١: ١٥٥.

(٢) الحاوي في الطب٤: ٢٤٩.

(٣) مسند الشّهاب١: ٧١، ح٦٢، عن عبد الله بن مسعود. المعجم الأوسط٧: ٢٩٥، عن أنس. المرض والكفارات٣٢، ح٢٠، عن مجاهد. الكافي٣: ١١٢ / كتاب الجنائز، باب علل الموت وأنّ المؤمن يموت بكلّ ميتة، قطعة من ح٧، عن رجل، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) كتاب العين٣: ٢٢ (حظ). الصحاح٣: ١١٧٢ (حظظ).

وسِجنُ الله في أرضه، وقطعة من النار»[١].

وقال ﷺ: **«حُمَّى لَيْلَةٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ»**[٢].

وقيل لبعض الفضلاء من أهل الطّب في عهد رسول الله ﷺ: إنّ رجلاً قام بالحجاز يدّعي النُّبُوّة، فقال: هل تحفظون شيئاً من كلامه؟ قالوا: نعم، سمعناه يقول: **«حمّى يومٍ كفّارةُ سنةٍ»**، قال: أشهدُ أنّه نبيّ، قيل لهُ: بِمَ عرفتَ نبوّتَه من هذا الحديث؟ قال: لأنّا قرأنا في كتبنا في الطّبّ أنّ حُمّىٰ يومٍ تذهب بقوّةِ سنةٍ، فوافَقَ كلامُه ما في كُتبنا، فلم يكن ذلك باتّفاق، إنّما كان بوحيٍ من الله. وصار هذا الحديث سبباً لإيمانهِ[٣].

ويروى أنّ رجلاً شكا إلى **رسول الله** ﷺ الحمّىٰ، فقال: **«اغتسِلْ ثلاثةَ أيّام قبل طلوع الشمس، وقُل: اذهبي يا أُمَّ مِلدَمٍ! فإنْ لم تذهب، فاغتسِل سبعاً»**[٤].

وقال ﷺ: **«مَن حُمَّ ثلاثَ ساعات، فصبرَ فيها شاكراً لله حامداً له، باهى**

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتقدمة ورواه المتقي الهندي في الكنز العمّال١٠: ٩٩ ، ح٢٨٥١٤، نقلا عن الأمثال للعسكري.

(٢) الأمالي للطوسي٦٣٠، ح١٢٩٨، عن يونس بن يعقوب، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام. ثواب الأعمال١٩٢ / ثواب حُمّىٰ ليلةٍ، عن الزهري، عن الإمام زين العابدين عليه السلام. شعب الإيمان٧: ١٦٧، ح٩٨٦٩، عن أبي الدرداء.

(٣) أُنظر: دعائم الإسلام١: ٢١٧. علل الشرايع ١: ٢٩٧، ح ١.

(٤) الدلائل في غريب الحديث١: ٢٣٥، ح١٢١. التمهيد لابن عبد البِرّ٢٢: ٢٢٨. الاستذكار٨: ٤١٩.

اللهُ به ملائكتَه، فقال: ملائكتي، انظروا إلى عبدي! صبر على بلائي، اُكتبوا له براءةً من النار، فكُتِب له: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلان، أدخِلوه جنّةً عاليةً قُطوفُها دانيةٌ»[١].

وعن مجاهد في قوله: ﴿وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلّا وارِدُها﴾[٢]، قال: مَن حُمَّ مِن المسلمين، فقد وَرَدَها، وهو حظّ المؤمن من النار، والحمّىٰ في الدُّنيا هي الورود في الآخرة[٣].

وعن أبي الدّرداءِ أنّه قال: ما يَسُرُّني [من] وَصَب[٤] ليلةٍ حُمْرُ النَّعَمِ، مَرَضُ المؤمن تكفيرُ خطيئته[٥].

ويروى أنّ أصحاب الأمراض والبلايا لمّا وردوا القيامةَ ورأَوا ما أعدّ اللهُ لهم من

---

(١) الفردوس٣: ٦٣٥، ح٥٩٨٨، عن أنس بن مالك باختلاف يسير. المعجم الأوسط ٣: ٢٢٤.

(٢) سورة مريم١٩: ٧١.

(٣) المرض والكفارات ٣٢، ح٢٠. تفسير الثعلبي٦: ٢٢٨.

(٤) الوصَبُ: المرض. وقد وَصِبَ الرجل يَوْصَبُ فهو وَصِبٌ، وأوصبه الله فهو مُوصَبٌ. والمُوَصَّبُ بالتشديد: الكثير الأوجاع. و وَصَبَ الشئُ يَصِبُ وُصُوباً، أي: دام. الصحاح١: ٢٣٣ (وصب).

الفرق بين الألم والوصب: أن الوصَب هو الألم الذي يَلزِم البدن لزوماً دائماً، ومنه يقال: ولا واصبة اذا كانت بعيدةً؛ كأنّها من شدة بُعدها لا غاية لها، الفروق في اللغة٢٣٤.

(٥) الزهد والرقائق لابن المبارك٤٠٩، ذيل ح١١٦٣. المصنف لابن أبي شيبة٣: ١٢٠، ح٢٣، وفيه (ما يَسُرّني بِلَيلةٍ أمرَضُها حُمْرُ النَّعَمِ). الباء في (بليلة) باء البدل. و(الحمر) جمع الأحمر والحمراء. (النعم) هي الإبل ولا واحد من لفظها. وحُمرُ الإبل من أحسن أنواع الإبل لدى العرب.

الأعواض العظيمةِ، تَمَنَّوا أن لا يكونوا في الدُّنيا ساعةً صحيحةَ الأبدان![١].

٤٨. القَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ[٢].

القَناعة: الرِّضا بما تَيَسّر له من الرّزق والحظّ. يُقال: قَنِع الرّجلُ يَقنَع قَناعةً إذا رَضِيَ، وقَنَع يقنَع قُنوعاً إذا سأل[٣]. قال:

لَمالُ المرء يُصْلِحُه فيُغْني   مَفاقِرَه أعَفُّ من القُنوع[٤]

أي: السؤال.

و إنّما قال: هي مال لا يَنفَدُ؛ لأنّ مرجِعها إلى النفي، وهو ترك الحرص والطلب، وما يرجع إلى النفي لا نِهايةَ له.

(١) أُنظر: وسائل الشيعة٢: ٣٩٧ / كتاب الطهارة، أبواب الاحتضار وما يناسبه، باب استحباب احتساب المرض والصبر عليه.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٧٢، ح٦٣، عن أنس. المعجم الأوسط٧: ٨٤. الأمثال لأبي الشيخ١: ٥٢، ح٨٣، وقال الرضي في ذيله: قد روى بعضهم هذا الكلام لرسول الله ﷺ.

(٣) كتاب العين١: ١٧٠. الصحاح٣: ١٢٧٣ (قنع).

(٤) كتاب العين١: ١٧٠ (قنع). البخلاء ٢٣٨. مصنف لابن أبي شيبة٦: ١٧٧، الرقم٤١، والبيت لشماخ بن ضرار.

المَفاقر جمع فَقْرٍ على غير قياس، كالمَلامح والمَشابه، ويجوز أن يكون جمعَ مَفقَرٍ مصدرٌ [أي: مصدرٌ ميميٌّ] مِن أفقَره اللهُ، أو مُفتَقَر بمعنى الافتقار، أو مفقَر وهو الشّيءُ الّذي يورُث الفقرَ. الفائق في غريب الحديث للزمخشريّ١: ٢٥٩ (حفف).

٤٩. الأَمَانَةُ تَجُرُّ الرِّزْقَ، وَالخِيانَةُ تَجُرُّ الفَقْرَ[١].

هذا أمرٌ ظاهر من جِهة الطبيعة ومن جِهة التجربة[٢]؛ لأنّ الرجل إذا كان أميناً مأمونَ الجانب من الخيانة، ازدَحَم النّاسُ عليه، وفَشا ذِكرُه بين الناس بالأمانة، وكَثُرَ مُعاملوه، فكانت أمانتُه سبباً لرزقه؛ وإذا كان خائناً وعُرف بالخيانة، نَفَر النّاسُ عنه، واجتنَبوا مُعامَلَتَه، فكان ذلك سبباً لحِرمانه وفقره.

٥٠. الصُّبْحَةُ تَمْنَعُ الرِّزْقَ[٣].

يقال: فلانٌ يَنام الصُّبْحَةَ إذا نام حين يُصبِحُ[٤]. وقيل فيها قولان:

أحدهما: أنّها النّومُ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك لِما جاء في الأخبار أنّه وقتُ قِسمة الأرزاق. فمن كان مشتغِلاً في ذلك الوقت بالصلاة وذكر الله وقِراءة القرآن، وسّع اللهُ عليه رزقَه؛ ومن كان في ذلك الوقت نائماً، كان ذلك سبباً لحرمانه، فكأنّه مانع الرزق.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٧٢، ح٦٤، عن عبد الله بن الزبير. تحف العقول٢٢١، عن الإمام عليّ عليه السلام والأخير.

(٢) قال قطب الدين الراوندي: (أنّ هذه الكلمات النبوية أكثرها متضمنة للأوامر والنواهي). ضياء الشِّهاب١٠١، ح ٥٠.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٧٣، ح٦٥. مسند ابن حنبل١: ٧٣. شرح مشكل الآثار٣: ١٠٣، ح١٠٧٤، عن عثمان بن عفان.

(٤) الصُّبْحَة: هي النوم أوّل النّهار، لأنّه وقت الذّكر، ثمّ وقت طلب الكسب، النهاية٣: ٧ (صبح).

والثاني: أنّه أراد بالصُّبحة النّومَ بعد ارتفاع النهار؛ لأنّه وقتُ المُعامَلَة وطلبِ الرزق بالكسب.

وقال ابنُ عبّاسٍ لبعض أولاده ووجده نائماً نَومةَ الغداة: قُم [لا] أنام الله عينَيك! أما علمت أنّ نوم النهار ثلاثةٌ: خَلْقٌ وخُرْقٌ وحُمْقٌ، فأمّا الخُلق، فنَوم الهاجرة[1]، وهو نوم **رسول الله** ، وهو عادته وخُلقه؛ وأمّا الخُرْق، فنومة الضّحىٰ؛ وأمّا الحُمق، فنومة العصر[2]، وفي ذلك يقول الشاعر:

ألا إنّ نَوماتِ الضّحى تُورثُ الفتىٰ ... خَبالًا ونَوماتُ العَشيِّ جُنونا[3]

وفي حديث عمر أنّه نهى عن نومة الغداة، وقال: إنّها مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ مَجْعَرَةٌ[4]. البَخَر: نَتْنُ الفَمِ[5] والنَّكْهة[6]. والجَفْر: انقطاع الباه[7]. والجَعْر: يُبس الطبيعة[8]، والقول الأوّل أشهرُ.

---

(١) الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر، معجم المقاييس اللغة٦: ٣٤ (هجر).

(٢) ربيع الأبرار٥: ٢٩٢. الطّبّ النبويّ لابن الجوزيّ١٨٨.

(٣) ربيع الأبرار٥: ٢٩١. الفائق في غريب الحديث٢: ٢٢٩(صبح). الطّبّ النّبويّ١٨٨، وفيها (العُصَير) بدل من: (العشي).

(٤) الفائق في غريب الحديث١: ١٩١ (جفر). النهاية١: ١٠١ (بخر). رواه ابن قتيبة، عن **الإمام عليّ** أُنظر: عيون الأخبار٣: ٣١٥.

(٥) الصحاح٢: ٥٨٦. المحكم والمحيط الأعظم٥: ١٨١ (بخر).

(٦) النَّكْهة: رائحة فم، أُنظر: النهاية٥: ١١٧ (نكه).

(٧) أُنظر: تهذيب اللغة١١: ٣٥. الصحاح٢: ٦١٦(جفر). المحيط في اللغة ١: ١٤٤ (قطع).

(٨) كتاب العين١: ٢٢٤. النهاية١: ٢٧٥. تهذيب اللغة١: ٢٣٣(جعر).

٥١. الزِّنَا يُورِثُ الفَقْرَ[1].

الزنا في الشرع: عبارة عن مُواقَعة الرجل من لا تَحِلّ له من النّساء[2].

والزَّنْءُ في اللّغة: الارتفاع، يقال زَنَأَ في الجَبَل يَزْنَأُ زَنْئاً إذا صعِد[3]. وأصله الهمْز، ثمّ خُفِّف، وعلى هذا قول بعضهم على طريق اللُّغَز:

ورجالٍ زَنَوا بمكّةَ يوماً　　مَعْ نساءٍ وما زَنَوا بحرامِ!

أي: صعِدوا على الجبل، ولا يجوز أن يكون الزِّنا من هذا على توهُّم أنّ الزانيَ يعلو مَن يَزني به ويرتفع عليه؛ لأنّ الزِّناء بالمدّ والقصر من باب الناقص المعتلِّ اللاّم بالياء، وزَنَأ في الجبل يَزنَأ زَنْئاً من مهموز اللّام.

بيان هذا: أنّ الرّجل إذا قال لغيره: زنأتَ في الجبل، هل يُحكَم عليه بالقذف أم لا؟ اختلفوا فيه: فعندنا لا يُحكَم عليه بالقذف؛ لأنّه ليس بصريح فيه، بل يُحمَل على الصعود بقرينة الجبل، فإن ادّعى المقولَ له عليه القذفُ[4]، فالقول قول القائل مع يمينه بالله أنّه لم يَقصُد القذفَ، ولم

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٧٣، ح٦٦، عن عبد الله بن عمر. تفسير ابن أبي حاتم٤: ١١٨٣ / ح٦٦٦٨، عن حذيفة. الكافي٥: ٥٤١ / كتاب النكاح، باب الزاني، قطعة من ح٣. ثواب الأعمال٢٦٢ / عقاب الزاني والزانية، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن الإمام الصادق عليه السلام، باختلاف يسير.

(٢) أُنظر: المقنعة٧٧٤. المبسوط للسرخسي٩: ٣٨. المفردات٣٨٤.

(٣) كتاب العين٧: ٣٨٨. تهذيب اللغة١٣: ١٧٨ (زني).

(٤) أي: إن طلب الرجل الثاني وهو المقول له أن الأول قذفه.

يُرِدْ إلّا الصُّعودَ في الجبل. فإن نَكَل عن اليمين، رُدَّتْ على المقذوف[١].
فإن حَلِفَ حُدَّ، وبه قال الشافعيُّ وأبو يوسفَ ومحمّدٌ[٢].

وقال أبو حنيفة: هو قذفٌ بظاهره يجب عليه الحدُّ[٣].

دليلنا ما ذكرناه من اختلاف البِنائَين واختلاف أصلهما، فإنّ أحدهما ناقص والآخَر مهموز، وقالت امرأةٌ من العرب:

أشبِهْ أبا أُمّك أو أشبِهْ حَمَلْ ... ولا تكونَنّ كهَلّوفٍ وَكَلْ
يُصبحُ في مضجعه قد انْجَدَلْ ... وارْقَ إلى الخيرات زَنْئاً في الجبل[٤]

وأيضاً إذا كانت اللّفظة محتملةً تَشتبِه الحالُ فيه، وجِب أن يُدرأَ عنه الحدُّ؛ لأنّ الحدود تُدرأ بالشُّبَهات.

وأورثه كذا إذا أخْلَفَه ميراثاً له، وورِثَه إذا أخذ ميراثَه، ثمّ يُستعمَل في كلّ شيء يَعقُب شيئاً، خيراً كان أو شرّاً، يُقال: أورَثَه أكلُ الطّين صُفرةَ اللّون، وأورثه صلاةُ الليل حُسنَ الوجه.

---

(١) أي: الرجل الثاني.

(٢) أُنظر: الخلاف٥: ٣٥. كتاب الأمّ٥: ٢٩٥. مختصر المُزَنيّ٢١٣.

(٣) أُنظر: الخلاف٥: ٣٥. بدائع الصنائع٧: ٤٢. شرح فتح القدير٤: ٢٠٠. الهداية٤: ٢٠٠.

(٤) الصحاح١: ٥٤. المحكم والمحيط الأعظم٩: ٧٩ (زنأ). الخلاف٥: ٣٥، وفيهما (عمل) بدل (حمل).

الهَلّوف: الثقيل الجافي العظيم اللحية. الوَكَل: عاجز يَكِل أمرَه إلى غيره. حَمَل: اسم جبل بعينه. وأما ما جاء في الصحاح (عمل) بدل (حمل)، فيقول الجوهري: عمل اسم رجل. الصحاح٤: ١٤٤٣ (هلف). اِنجَدَل: سقط.

والفقر: الحاجة، يُقال: افتقر إلى كذا إذا احتاج إليه، واشتقاقه من فَقَرَهُ إذا أصاب فِقار ظَهْره، فالفقير فعيل بمعنى مفعول؛ كأنّه مكسورٌ فِقارُ الظَّهْر[١].

ومعنى الخبر: التحذير من هذا الفعل القبيح بعقوبة عاجلة في الدُّنيا بَلْهَ[٢] ما أوعد الله عليه من العقاب في الآجلة. وعن **جعفر بن محمّدٍ الصادق**عليه السلام،عن آبائه عليهم السلام، عن **النبيّ**صلى الله عليه وآله إنّه قال: «**للزّاني ستُّ خصال: ثلاث في الدُّنيا وثلاث في الآخرة، فأمّا التي في الدُّنيا، فيذهب بنور الوجه ويُورِث الفقرَ ويعجّل الفناءَ؛ وأمّا التي في الآخرة، فسَخَط الرّب وسوء الحساب والخلود في النار**»[٣].

وعن **أمير المؤمنين عليّ**عليه السلام: «**إذا كان يومُ القيامة، أهَبّ اللهُ ريحاً مُنْتَنَّةً يتأذّىٰ بها أهل الجمع، حتّى إذا هَمّتْ أن تُمسِكَ بأنفاس الناس، ناداهم مُنادٍ: هل تدرون ما هذه الريحُ الّتي قد آذَتْكم؟ قالوا: لا، وقد آذتْنا وبلغَتْ منّا كلَّ مبلغٍ، قال: فقال: هذه ريحُ فروج الزُّناة الذين لَقُوا اللهَ بالزنا، ثمّ لم يتوبوا، فالْعَنوهم لعنهم الله!، فلا يبقى في الموقف أحد إلّا قال: اللَّهُمَّ الْعَنِ الزُّناةَ**»[٤].

---

(١) أُنظر: كتاب العين٥: ١٥٠ (فقر).

(٢) بَلْهَ: كلمةٌ مبنيةٌ على الفتح مثل كيف، ومعناها دَعْ، الصحاح٦: ٢٢٢٧ (بله).

(٣) الكافي٥: ٥٤١ / كتاب النكاح، باب الزّاني، ح٣. كتاب من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٧٣، ح٤٩٦٠. المحاسن١: ١٠٦ / كتاب عقاب الأعمالط، ح٩١، عن عبد الله بن ميمون.

(٤) المحاسن١: ١٠٧ / كتاب عقاب الأعمال، ح٩٦. ثواب الأعمال٢٦٢ / عقاب الزّاني والزّانية، عن زيد بن علي. اعتلال القلوب للخرائطي٨٧ / باب ذم الزنا وأليم عقابه، ح١٦٢،

وعن **أبي جعفرٍ الباقر**عليه السلام أنّه قال: «**ثلاثةٌ لا يُكلّمهم الله ولا يُزكيهم ولهم عذاب أليم، منهم: المرأة تُوَطِّئُ فِراشَ زوجها**»[١].

وعن **أبي عبدالله**عليه السلام قال: «**إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أقرَّ نطفتَه في رحِمٍ يَحرُم عليه**»[٢].

وعنهعليه السلام أنّه قال: «**إذا زنا الرّجلُ، فارَقَه روحُ الإيمان، وذلك قوله:** ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[٣] **ذلك الذي يُقارفه**»[٤].

وقالعليه السلام: «**لا خير في ولد الزنا ولا في بَشَره ولا في شَعْره ولا في لحمه ولا في دمه ولا في شيء منه**»[٥]؛ يعني ولدَ الزنا. عصمنا الله منه بفضله ورحمته!

عن جرير باختلاف يسير.

(١) الكافي٥: ٥٣٧ / كتاب النكاح، باب الغيرة، ح٧. من لا يحضره الفقيه٤: ٢١، ح٤٩٨٣. المحاسن١: ١٠٨ / كتاب عقاب الأعمال، ح٩٧ ، عن **الإمام الصادق** . قال الإمام ابو الرضا الراوندي: هذا الحديث لم يكن في نسخة القاضي. ضوء الشِّهاب ١: ١٨٢، ح ٤٤.

(٢) الكافي٥: ٥٤١ / كتاب النكاح، باب الزّاني والزّانية، ح١. ثواب الأعمال٢٦٣ / كتاب عقاب الأعمال، عقاب الزاني والزانية. المحاسن١: ١٠٦ / كتاب عقاب الأعمال، ح٨٩، عن علي بن سالم.

(٣) سورة المجادلة٥٨: ٢٢.

(٤) الكافي٢: ٢٨٠ / كتاب الإيمان والكفر، باب الكبائر، ح١١. ثواب الأعمال٢٦٣ / كتاب عقاب الأعمال، عقاب الزاني والزانية. المحاسن ١: ١٠٦ / كتاب عقاب الأعمال، ح٨٩، وفيها عن ابن بُكير.

(٥) الكافي٥: ٣٥٥ / كتاب النكاح، باب الزّاني والزّانية، ح٥. المحاسن١: ١٠٨ / كتاب عقاب الأعمال، ح١٠٠، عن زرارة بن أعين، عن الإمام الباقرعليه السلام.

٥٢. زِنَا العُيونِ النَّظَرُ[1].

هذا مجاز من الكلام؛ لأنّه لفظ مستعمَل في غير ما وضع له من لغةٍ وعرفٍ وشرعٍ، إلّا أنّه جعلها زانيةً إذا نظرتْ إلى ما لا يحلّ لها النظرُ إليه، ومعنى الحديث الوعظ والتحذير عن النظر إلى ما ليس له النظر إليه من النساء، ومثله قوله : «**كلّ عينٍ زانيةٌ**»[2]، قال الله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خائِنَةَ الۡأَعۡيُنِ وَما تُخۡفي الصُّدورُ﴾[3].

٥٣. العَمَائِمُ تِيجَانُ العَرَبِ[4].

العمائم جمع عِمامة، وهي ما يُلَفّ على الرأس. وتسمّى طويلة، واشتقاقها من العموم؛ لأنّها تَعُمّ جميعَ الرّأس وتَشمِله[5].

---

(١) مسند الشّهاب١: ٧٤، قطعة من ح٦٧. مسند البزار١٤: ١١٦، ح٧٦١١، عن أبي هريرة. الآحاد والمثاني٢: ٢٧٠، ح١٠٢٥، عن علقمة بن حويرث الغفاري.

(٢) سنن الترمذي٤: ١٩٤ / باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، قطعة من ح٢٩٣٧. مسند ابن حنبل٤: ٣٩٤، عن أبي موسى. المجازات النبوية٨٩، ح٥٦.

(٣) سورة غافر٤٠: ١٩.

(٤) مسند الشّهاب١: ٧٥، قطعة من ح٦٨، عن موسى بن إبراهيم المروزي، عن الإمام الكاظم عليه السلام، عن آبائه. أمثال الحديث: ١٥١، قطعة من ح١١٧، عن معاذ بن جبل. الكافي٦: ٤٦١ / كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب العمائم، ح٥، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) أُنظر: المفردات٥٨٥ (عمم).

والتيجان جمع تاج، وهو ما يضع المَلِك على رأسه حين يقعد على السرير[١]. والعرب جنس، وقيل: هو جمع عربيٍّ كروميّ وروم وتركيّ وترك، وقال أبو الطّيّب في سيف الدّولة:

وفي صورة الرّوميّ ذي التّاج ذِلّةٌ لِأَبلج لا تيجانَ إلّا عَمائمُه[٢]

يعني (لأبلج) العربَ، فجعل ذلك كناية عنها.

وقيل: العمائم تيجان العرب، والحِباء حيطان العرب، والشمس حمّامات العرب، والخيل حُصون العرب، والرِّماح معاقل العرب، والسّيوف حِمَى العرب[٣]. ويُروى: «**العمائم تيجان العرب؛ فإذا وضعوها، وضع الله عِزَّهم**»[٤].

وقال ﷺ: «فَرقُ ما بيننا وبين المشركين العمائمُ على القلانس»، ذكره البخاري[٥].

---

(١) أُنظر: كتاب العين٦: ١٧٠ (التاج). الصحاح١: ٣٠١ (توج).

(٢) محاضرات الأدباء٢: ٣٨٨. المقصود من (الرومي): ملك الروم. الأبلج: المنقطع ما بين الحاجبين وهنا المقصود سيف الدولة. يقول: في صورة ملك الروم صاحب التاج ذلة ـ أي: خضوع ـ للملك الأبلج. والتاج وإن كان لملوك العجم والعمامة للعرب، لكن التاج في الحقيقة هو الذي على رأس سيف الدولة.

(٣) أُنظر: الأمالي للسيّد المرتضى١: ٢٥. المجازات النبوية١٩٢، ح١٥٨.

(٤) ثمار القلوب١٥٩. مكارم الأخلاق للطبرسي١١٩.

(٥) التاريخ الكبير١: ٨٢، ح٢٢١، عن علي بن ركانة.

وقال الخليل بن أحمدَ: عُمِّمَ الرّجلُ: إذا سُوِّد[١]؛ لأنّ العِمامة عندهم بمنزلة التّاج للملِك.

وروي أنّ النبيّ ﷺ عَمّم عليّاً بيده، وأرخىٰ طرفَيها من ورائه وخلفه، ثمّ قال له: **«أدبِر، فأدبرَ، وأقبِل، فأقبلَ»** ثمّ قال: **«هكذا يكون تيجانُ الملائكة»**[٢].

وعن جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله ﷺ دخل مكّةَ يومَ الفتح وعليه عِمامةٌ سوداءُ تُسمَّى السّحابَ. فأهداها لعليّ بن أبي طالب، فقال الناس: ما أحسَنَ عليّاً في السّحاب![٣].

---

(١) كتاب العين١: ٩٤ (عم). سُوِّدَ: بلغ السُّؤدَدَ والسيادة.

(٢) الكافي٦: ٤٦١ / كتاب الزّيّ والتّجمّل والمروءة، باب العمائم، ح٤، عن علي بن أبي علي اللهبي، عن الإمام الصادق عليه السلام، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: مسند ابن حنبل٣: ٣٦٣. مكارم الأخلاق للطبرسي٣٦.

قال مسلم في صحيحه: إن الرافضة تقول: إنّ عليّاً في السحاب، فلا نخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء، يريد عليّاً أنه ينادي: اخرجوا مع فلان .... .

و قال الأشعري في المقالات: (و زعمت فرقة من الكيسانية: أنّ علياً في السحاب...).

و قال أبو الحسين الملطي: (و الفرقة الثانية من السبئية يقولون: إنّ عليّاً لم يمت، و إنّه في السحاب، و إذا نشأت سحابة بيضاء صافية منيرة مبرقة مرعدة قاموا إليها يبتهلون و يتضرّعون ويقولون: قد مرّ بنا في السحاب).

و قال البغدادي في الفرق بين الفرق: (و زعم بعض السبئية أنّ عليّاً في السحاب، و أنّ الرعد صوته و البرق سوطه .... أُنظر لتفصيل البحث: عبد الله بن سبا للسيد مرتضى العسكري ٢: ٣٢٩.

٥٤. الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ[١]. الحَياءُ لا يَأتِي إلّا بِخَيرٍ[٢].

الحَياء مصدر حَيِيَ يَحْيىٰ حَياءً فهو حَيِيٌّ، وحَيِيَ يَحْيىٰ حياةً فهو حَيٌّ. وحيّاه اللهُ أي: أبقى الله حياتَه ـ على سبيل الدّعاء له. وحَيَّيتُه تحيّةً إذا قلتَ له: حيّاك اللهُ[٣]، ومنه قوله: ﴿وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَو رُدُّوها﴾[٤].

والحياء خَصلة حميدة من خِصال الخير، وقيل: هو أشرف خلائق الإنسان؛ لأنّه سببٌ لامتناع صاحبه من كثير من المُقبَّحات، وقيل: هو من الخلائق الغريزيّة التي لا تُحصَل بالاكتساب. وضِدّه القِحَةُ والوَقاحة، وفلان وَقِحٌ إذا كان قليلَ الحياء[٥].

والخير والشرّ لفظان يجيئان على معنيين:

أحدهما: إثبات النّفع والضرّ من غير زيادة وتفضيل لشيءٍ على شيء، كقولك: هذا خيرٌ من الخيرات؛ أي: نفعٌ من جملة المنافع.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٧٥، ح٦٩، عن أنس بن مالك و٧٦، ح٧٠. صحيح مسلم١: ٤٧. سنن أبي داود٢: ٤٣٦ / باب في الحياء، ح٤٧٩٦، عن عمران بن حصين. معاني الأخبار ٤٠٩، ح٩٢، عن أنس بن مالك.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٧٦، ح٧١. صحيح البخاري٧: ١٠٠ / باب الحياء. صحيح مسلم١: ٤٦. مكارم الأخلاق٤١، ح٩٩، عن عمران بن حصين.

(٣) أُنظر: المفردات٢٦٨ ـ ٢٧٠ (حيي).

(٤) سورة النساء٤: ٨٦.

(٥) كتاب العين٣: ٢٥٦. الصحاح١: ٤١٦ (وقح).

والثاني: أن يجيء بمعنى الزيادة والتفضيل. كقولهم: هذا خيرٌ من ذلك؛ أي: أجْوَد منه، وزيدٌ خيرٌ من عمر؛ أي: أفضل منه.

والخير في هذا الحديث بمعنى القسم الأوّل؛ أي: الحياء كلّه خيرٌ ونفعٌ وبركة. والحديث الثاني يَقرُب معناه من معنى الحديث الأوّل، والباء للتعدية؛ أي: لا يؤدّي الحياء إلّا إلى الخير، ولا يجيء عليك إلّا بخيرٍ ونفْع.

٥٥. المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ[١].

المسجد: مَوضع السّجود[٢]. والمَفعِل للموضع قياسٌ مُطَّرَد كالمجلس والمحفل والمشرق والمغرب، وقد جاء على مَفعَل بفتح العين كالمجمع والمدخل والمخرج. والّلام لتعريف العهد للّذي يقع هذا الاسمُ عليه شرعاً وعرفاً دون الوضع والاشتقاق، وهذا من الأسماء الغالبة[٣].

والبيت: موضع البَيات والبَيتوتة، يُقال: بات فلان في بيته[٤]. والبيتُ:

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٧٧، ح٧٢، عن أبي الدرداء و٧٨، ح٧٣. مسند البزار٦: ٥٠٥، ح٢٥٤٦. المعجم الكبير٦: ٢٥٥، عن سلمان.

(٢) المحيط في اللغة٧: ٦ (سجد).

(٣) أي: إن المسجد وإن كان اسماً لمكان السجود إلّا أن استعماله الغالب في معنى خاص.

(٤) أُنظر: المفردات١٥١. النهاية١: ١٧٠ (بيت).

القُوت[١] وما تحتاج إليه في البيت من الآنية[٢]، قال:

أصبحتُ في بَيتٍ بلا بَيتٍ أُقلِّبُ الكفَّ على ليتِ

وصاحب البيت يريد الكَرا وليس في البيت سوى البيتِ[٣]

والبِيت بالكسر لغة فيه، يقال: ما عنده بَيتُ ليلةٍ[٤].

والتّقيّ: فعيل من التُّقىٰ والتّقوى، وقد مرّ تفسيره، وفعيل بِناء مبالغةٍ في الفاعل.

وروى عُقبةُ بنُ عامرٍ الجُهنيُّ أنّ **النبيّ**ﷺ قال: «**من خرج من بيته إلى المسجد، كتب اللهُ له بكل خُطْوة يَخطوها عشْرَ حسناتٍ، والقاعدُ في المسجد ينتظر الصّلاةَ كالقانت ويُكتَب من المصلّين حتى يرجع إلى بيته**»[٥].

وعن مُعاذ بن جبل: من رأى أنّ مَن في المسجد ليس في الصلاة إلّا مَن كان قائماً فيه، لم يَفقَهْ[٦].

وذكر في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا﴾[٧]

---

(١) في نسخة (د): (القوة).

(٢) المحيط في اللغة٢: ٣٨٢ (بيت).

(٣) ديوان بديع الزمان الهمداني : ٤٧.

(٤) ترتيب اصلاح المنطق: ٨٤.

(٥) مسند ابن حنبل٤: ١٥٩. صحيح ابن خزيمة٢: ٣٧٤. المستدرك على الصحيحين١: ٢١١.

(٦) الزهد لهنّاد٢: ٤٧١. الزهد والرقائق لابن المبارك١: ١٣٩، ح٤١١.

(٧) سورة آل عمران٣: ٢٠٠.

أنّ الرِّباط انتظار الصلاة[١]؛ لأنّه لم يكن في عهد **رسول الله** رباطٌ[٢].

وروي عنه ﷺ أنّه قال: **«من أَدخَل سراجاً إلى المسجد، غفر اللهُ له ذنبَ سبعين سنةً»**[٣].

وسُئل ابن عبّاس عن النوم في المسجد، قال: أمّا أن يتّخذه مَبيتاً أو مَقيلاً، فلا؛ وأمّا أن يستريح فيه ساعةً، فلا بأسَ[٤].

ويُستحَبّ للرجل إذا أراد الدخول إلى بعض المساجد أن يتعهّدَ نعلَه[٥] ويمسحَه بالأرض، وأدخل رِجلَه اليمنى قبل اليسرى، وليقُل بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله ﷺ، اللَّهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّد، وافتحْ علينا أبوابَ رحمتك، واجعلْنا من عُمّار مساجدك جلّ ثناءُ وجهك![٦]

---

(١) ذكر أخبار إصبهان٢: ١٤٥، عن ابن عبّاس. أحكام القرآن لجصاص٢: ٥٧، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبركم بما يمحو اللهُ به الخطايا ويَرفَع به الدّرجاتِ؟ إسباغُ الوضوء عند المَكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّباط. فذلكم الرِّباط. فذلكم الرِّباط». الموطأ١: ١٦١، ح٥٥. صحيح مسلم١: ١٥١، عن أبي هريرة.

(٣) جامع الأخبار: ١٨٠، ح٤٤٠.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة١: ٥٣٣، ح٥. سنن الترمذي١: ٢٠٢. سنن البيهقي٢: ٤٤٧، مع اختلاف.

(٥) أي: يتفحصّه لكي لا يكون به شيء من القذر.

(٦) كتاب من لا يحضره الفقيه١: ٢٤٠. المقنع٨٨، باب دخول المسجد.

وما روي في فضل المساجد أكثر من أن يُحاط به[١]، نذكر بعضَه إذا انتهينا إلى موضع يَليق به إن شاء الله.

٥٦. آفَةُ الحَدِيثِ الكَذِبُ، وَآفَةُ العِلْمِ النِّسْيَانُ، وَآفَةُ الحِلْمِ السَّفَهُ، وَآفَةُ العِبادَةِ الفَتْرَةُ، وَآفَةُ الشَّجَاعَةِ البَغْيُ، وَآفَةُ السَّمَاحَةِ المَنُّ، وآفَةُ الجَمَالِ الخُيَلاَءُ، وَآفَةُ الحَسَبِ الفَخْرُ، وَآفَةُ الظَّرْفِ الصَّلَفُ، وَآفَةُ الجُودِ السَّرْفُ، وَآفَةُ الدِّينِ الهَوى[٢].

هذه أحدَ عشرَ حديثاً يُشبِه أن يكون قالها في مجلسٍ واحد، لأجل ذلك جمعنا بينها.

الآفة: الفساد[٣]، من قولهم: فلانٌ مَؤوفٌ إذا كان فاسدَ العقل والرأي.

---

(١) أُنظر: تهذيب الأحكام٣: ٢٤٨ / باب فضل المساجد والصلاة فيها وفضل الجماعة وأحكامها. سنن البيهقي٣: ٦٥ / باب فضل المساجد وفضل عمارتها بالصلاة فيها ....

(٢) مسند الشِّهاب١: ٧٨، ح٧٤. المعجم الكبير٣: ٦٩، ح٢٦٨٨، عن الحارث. المحاسن١: ١٦، ح٤٧، عن السرى بن خالد. الخصال٤١٦، ح٧، عن مسعدة بن صدقة الربعي، عن الإمام الصادق عليه السلام، ومع تقديم وتأخير بينه. قال أبو الرضا الراوندي: لم يكن في نسخة القاضي قوله : (آفة الحدث الكذب و... آفة الدين الهوى). ضوء الشِّهاب ١: ١٩٦، ح ٥٥.

(٣) أُنظر: كتاب العين٨: ٤١٠ (آف).

والحديث فعيل بمعنى فاعل، أي حادث وهو ضدّ القديم[١]، يُقال: قَدُم فهو قديم، وحَدَث فهو حديث، وههنا فعيل بمعنى مُفَعَّل؛ أي: المُحَدَّث به. ويكون بمعنى المُحْدَث، يقال هذا أمرٌ حديث وحادث ومُحدَث بمعنى.

والكَذِب: خبر يكون مُخبَرُه بخلاف الخبر.

ومعنى الخبر: أنّ الحديث نِعْمَ الشيءُ؛ لأنّه فائدة مستطرَفة لولا دخول الكذب فيه، وأن لا يُؤمَنَ أن يكون المُخبَر بخلاف ما يُخبِره المخبِرُ، فيذهبُ بهاؤُه ورَونقُه، والسامع لا يطمئنُّ إليه ولا تَسكُن نفسُه إلى قبوله.

«**وآفة العلم النسيان**»؛ حدّ العلم وحقيقته ما اقتضى سكونَ النفس، وهذا القدر كافٍ في حد العلم؛ لأنّ الشيء إنّما يُحَدّ للكشف والإبانة، فلا يَدخل فيه ما ليس فيه، ولا يخرج منه ما هو منه. فأمّا قولُ من قال: هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع اقتضائه سكونَ النفس[٢]، فهو زيادة لا يحتاج إليه؛ لإبانة المحدود عن غيره، وإن كان ذلك من حقّ العلم وحكمه، غيرَ أنّه لا يذكر في الحدّ لِما بيّنّا.

والنسيان انتفاءُ العلم وليس بمعنى، ولو كان معنىً، لكان ضدّاً للعلم كالجهل. وكذلك السهو والعلم لا يجوز عليه البقاء على المذهب الصحيح، فما كان من فعلنا، نفعله حالاً بعد حال، فإذا لم نفعل، كان سهواً

(١) النهاية١: ٣٥٠ (حدث).

(٢) الاقتصاد٩٢.

أو نسياناً، وما كان من فعل الله تعالى فهو يفعله حالاً بعد حالٍ.

والنسيان الترك أيضاً. وعلى هذا فُسّر قوله في قصّة آدم: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[١]؛ أي: تَرَكَ[٢]. والنَّسيء: التأخير، في قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[٣]؛ أي: تأخير المحرّم إلى صفر. ومنه النَّسيئة في البيع[٤].

والحِلم: وَقار الرّجل، وهَدْيه وسكونه وكَظْمه الغيظَ. يقال: حَلُم الرّجلُ يَحلُم حِلْماً فهو حليم. وحَلَم في النّوم يَحلُم حُلماً فهو حالم. وحَلِمَ الأديمُ يَحلَم حَلَماً فهو حَلِمٌ[٥]. قال عمرو بن العاص لمعاوية:

فإنّك والكتابَ إلى عَليٍّ كدابغةٍ وقد حَلِم الأديمُ[٦]

والسَّفَه: الخفّة وقلّة العقل[٧]. قال الله تعالى: ﴿ولا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمْ﴾[٨]؛

---

(١) سورة طه٢٠: ١١٥.

(٢) الأمالي للسيّد المرتضى٤: ٤٤. التبيان في تفسير القرآن٧: ٢١٣.

(٣) سورة التوبة٩: ٣٧.

(٤) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٥: ٤٢٣ (نسي). أحكام القرآن للجصاص٣: ١٤٣. تفسير الفخر الرازي٣: ٢٢٦.

(٥) أُنظر: كتاب العين٣: ٢٤٧. جَمهَرة اللغة١: ٥٦٥. تهذيب اللغة٥: ٦٩ (حلم).

(٦) تاريخ الطبري٣: ٥٦٢. الغريب المصنّف١: ١٨٧.

قولهم حلم الأديم: إذا تثقب وفسد وذلك أن يقع فيه دواب تفسده، معجم مقاييس اللغة٢: ٩٣ (حلم).

(٧) الصحاح٦: ٢٢٣٤. الفروق اللغوية٢٠٠ (سفه). معاني القرآن٢: ١٩.

(٨) سورة النساء٤: ٥.

يعني النّساءَ والصِّبيانَ[١]، وإنّما جُعل السفهُ آفةً للحلم من حيث إنّه ضدُّه؛ لأنّه لا يجتمع الخفّةُ والوقارُ.

والعبادة: التعبّد، والفعالة من أبنية الصناعة، كأنّه قال: من جعلها عادةً له وكالصناعة التي يشتغل بها في أغلب الأحوال.

والفَترة والفتور: الضعف[٢]، وربما كان من التّواني والتقصير؛ فإذا ضَعُف وتوانىٰ وتكاسَل في العبادة، فهو كالآفة لها.

والشَّجاعة: مصدر كالسَّماحة والظَّرافة، يُقال: شَجُع الرّجلُ فهو شجيعٌ، والشجاع أبلغ منه[٣] كالطويل والطُّوال والكبير والكُبار والعجيب والعُجاب.

والبغْي في اللّغة: الطّلب، وصار بالعرف مخصوصاً بطلب ما ليس له أن يَطلُبَه[٤].

والبُغاء: بالضم، الطلب على الإطلاق. والبِغاء: الزّنا[٥] في قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ﴾[٦]، وفيه معنى الطلب[٧]. والبغي في الشرع هو

---

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٢٢٦ / باب كراهية الوصية إلى المرأة، ح٥٥٣٤، عن الإمام الباقر عليه السلام. التبيان في تفسير القرآن١: ٧٧. تفسير الطبري١: ١٨٥.

(٢) جمهرة اللغة١: ٣٩٣. المفردات ٦٢٢ (فتر).

(٣) أُنظر: كتاب العين١: ٢١٢ (شجع).

(٤) معجم مقاييس اللغة١: ٢٧١(بغي).

(٥) أُنظر: النهاية٢: ١٤٤ (بغي). تفسير الطبري١٨: ١٧٦، سورة النور.

(٦) سورة النور٢٤: ٣٣.

(٧) معجم مقاييس اللغة١: ٢٧١ (بغي).

الخروج على الإمام العادل[١]، قال الله تعالى: ﴿و إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرىٰ فَقاتِلُوا الَّتي تَبْغي حَتّى تَفيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ﴾[٢]. والمراد بالبغي في الخبر ما ذكرناه، ويَدخُل فيه طلبُ ما ليس له من قطع الطريق.

والسَّماحة: المراد بها السخاوة في الخير، وفي غير هذا الموضع سهولةُ الجانب، تقول منه: رجلٌ سمْح، ومن الأوّل سَمْح اليدَين كطَلْق اليدين. يقول: آفة الجود أن يجود الرّجل بماله، ثمّ يَمُنّ على الآخذ[٣]، فيكون كما قال الله تعالى: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذىٰ﴾[٤].

وقيل: المنّ يُفسد الصّنيعةَ[٥]، قال:

.... ليس الكريمُ[٦] إذا أعطىٰ بمنّانِ[٧]

---

(١) أُنظر: الكافي٨: ١٨٠، ح٢٠٢.

(٢) سورة الحجرات٤٩: ٩.

(٣) أُنظر: جَمهَرة اللغة ١: ٥٣٥. تهذيب اللغة٤: ٢٠٠. معجم مقاييس اللغة٣: ٩٩ (سمح).

(٤) سورة البقرة٢: ٢٦٤.

(٥) عيون الحكم والمواعظ ٣٣.

(٦) في النسخ التي بأيدينا (الجواد)، وما أثبتناه مناسب لسياق الكلام والمصادر التي ذكرت البيت.

(٧) تفسير الثعلبي٢: ٢٦٠. شرح ديوان المتنبي: ٦ وتمام البيت:

أفسدتَ بالمنِّ ما قَدّمتَ مِن حَسَنٍ ليس الكريمُ إذا أعطى بمنّانِ

والكريم إذا قُبِل عطاؤه، تَحَمَّل المِنّةَ من الآخذ، كما قال أبو الطّيّب:

ياذا الّذي يَهَبُ الكثيرَ وعنده   أنّي علـيه بأخـذه أتَصَـدَّقُ[(١)]

وكما قال الطّائيُّ:

يُعطي عطاءَ المحسنِ الخَضْلِ النَّدىٰ   عفـواً ويعـتذر اعـتذارَ المُذنب[(٢)]

والجمال: حُسن الصورة واستواء الخلقة.

والخُيَلاء: الزَّهْو والكِبْر[(٣)]، وأصل الكلمة من خِلتُ الشّيءَ إذا ظننتَه وحسِبتَه[(٤)]؛ وذلك لأنّ المتَكبّر يخال في نفسه ما ليس فيها، ومنه بيت الحماسة:

فـإنْ كـنتَ سَـيِّدَنا سُـدْتَنـا   وإن كنتَ للخال فاذهبْ فَخُلْ[(٥)]

فُسِّر على الوجهين: على الخُيَلاء، والحُسبان؛ يعني: إن كنت للظنّ في استحقاق السيادة بما ليس فيك، فاذهبْ فاحسِبْ فليس لك مانعٌ منه، وإن كنت للكِبْر والزَّهْو، فشأنك به، فخُلْ.

الحَسَب: فَعَلٌ بمعنى مفعول، وهو ما يَحسِبهُ الرّجل من مَفاخره ومفاخر

---

(١) ديوان المتنبي٥٦. أي: وفي اعتقاده أني إذا أخذت هِبَتَه، فقد تصدّقتُ عليه وأعطيته!

(٢) المنتظم١١: ١٣٣.

(٣) أُنظر: الصحاح٤: ١٦٩١ (خيل).

(٤) أُنظر: النهاية٣: ٩٣ (خيل).

(٥) مجاز القرآن١: ١٢٧. الصحاح٤: ١٦٩٢ (خيل). الزاهر٩٦.

(خُلْ) فعل أمر من خال يخول خَولاً وخالاً بمعنى: تكبَّر و(الخال): الكِبْر.

آبائه[١]، وآفته أن يفتخر الرّجل به ويُذكِّرَه في نظمه ونثره، ويقوم به ويقعد في المجامع والمحافل.

الظَّرْف عند العرب: العقل والكياسة، وفلانٌ ظريف؛ أي: عاقل كيِّس، فأمّا استعمال هذه اللّفظة في حسن المعاشرة وسَماحة الطبع، فهو من كلام البغداديين، ومن هذا مَثلهم قولهم: (أظرف من الزِّنديق). قيل: أرادوا به عبدَ الكريم بن أبي العَوجاءِ وكان رأساً من رؤوس الزنادقة، وقيل الّلام للجنس، والمعنى أنّه أظرف من هذا الجنس؛ لأنّ الزنديق لا يتورّع عن المحارم فيوافقُ طبعُه طبعَ من أراده على كلّ ما أراد من سائر أنواع المعاصي[٢].

والصّلَف: قلّة الخير، من قولهم: صَلِفت المرأةُ، إذا لم تَحْظَ عند زوجها[٣]، ومنه المثل: رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرّاعِدَةِ[٤]؛ يعني: رُبّ خَيبةٍ وحِرمانٍ ومخالفةِ حُسنِ ظنٍّ بالسّحابة التي تأتي بالرّعد، فإنّها رُبما تَرعَد ولا تُمطِر. يُضرَب فيمن تظنّ فيه خيراً ولا يكون عنده ذلك.

ومعنى الخبر: أنّ العقل والحظّ لا يجتمعان، فالأكثر في أحوال الإنسان

(١) كتاب العين٣: ١٤٨ (حسب).

(٢) اُنظر: الأمالي للسيّد المرتضى١: ٩٩.

(٣) اُنظر: تهذيب اللغة١٢: ١٣٤. كتاب العين٧: ١٢٥. معجم مقاييس اللغة٣: ٣٠٥ (صلف).

(٤) المحيط في اللغة٨: ١٤. الصحاح٤: ١٣٨٧ (صلف).

أن لا يجتمع له العلم والمال، ومن هذا قول أبي الطّيّب:

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعبَ مِن أن أجمع الجَدّ والفهما[(١)]

وقيل لبعض الحكماء: لِمَ لم يجتمع العلم والمال؟ قال: لعدم الكمال[(٢)].

الجود: السّخاء، يُقال: فلانٌ جوادٌ: بيّن الجُود. وفرسٌ جواد: بيّن الجُودة[(٣)]. وشيء جيّد: بيّن الجَودة. وجادت السّماءُ تجود جُوداً: إذا مَطَرتْ مطراً كثيراً[(٤)].

والسَّرَف: الإخطاء، يُقال: مررتُ بكم فَسَرِفتُكم؛ أي: أخطأتكم وغَفَلتُ عنكم[(٥)]. قال جرير:

أعطَوا هُنَيدةَ تَحدوها ثمانيةٌ ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ[(٦)]

أي أخطأ ووَضَع في غير موضعه، وفي البيت دليلٌ على أنّ السَّرَف ليس من الإسراف؛ لأنّه قال: أعطَوا هُنَيدةَ، وهي مئةٌ من الإبل يَسوقُها ثمانيةُ سُوّاق[(٧)]، ثمّ قال: ما في عطائهم منٌّ ولا سَرَفُ؛ أي أخطأ لموضعه، ولو أراد

(١) يتيمة الدهر١: ٢٥١.

(٢) شرح أدب الكاتب١٧. محاضرات الأدباء١: ٥٩٤.

(٣) الجُودة والجَودة كلتاهما صحيحة.

(٤) الصحاح٢: ٤٦١ (جود).

(٥) كتاب العين٧: ٢٤٤. الصحاح٤: ١٣٧٣ (سرف).

(٦) الأغاني١٩: ٦٨.

(٧) في النسخة (أ) ونسخة (د): (سائق)، وما أثبتناه هو الموافق للقواعد.

الإسراف لكان مناقِضاً؛ لأنّ إعطاء مئةٍ من الإبل إسرافٌ.

ومعنى الخبر: آفة الجود أن يَضَع العطيّةَ في غير مَوضِعها ويَضَعَها مع غير أهلها.

«وآفة الدّين الهوى»؛ أراد بالدِّين الإسلام كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلامُ﴾[١]، والمراد بالهوى اتّباعُ الهوى على حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مُقامَه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[٢]، ﴿وَجاءَ رَبُّكَ﴾[٣]، وكقول الشاعر:

وكيف تُواصِلُ مَن أصبحتْ خِلالتُه كأبي مرحبِ؟![٤]

أراد كخلالة أبى مرحب[٥].

ومِثل هذا كثير جدّاً إلّا أنّه لا يجوز إلّا حيث لا يَشتبِه ولا يَلتبِس، فلو قلت: جاءني زيد، ثمّ تزعم أنّي أردتُ غلام زيد، فحذفتَ المضاف وأقمتَ المضافَ إليه مُقامَه، لم يجُز.

والهوى المراد به الشّهوة، وهي من أُصول النِّعم، فلا تكون آفة للدِّين.

---

(١) سورة آل عمران٣: ١٩.

(٢) سورة يوسف١٢: ٨٢.

(٣) سورة الفجر٨٩: ٢٢.

(٤) كتاب سيبويه١: ٢١٥. المقتضب٣: ٢٣١. الصحاح١: ١٣٤ (رحب). والبيت للنابغة الجَعديّ. الخِلالة: الصداقة التي ليس فيها خِللٌ، و(أبو مرحب) كناية عن الظِّلّ. يريد أنها تزول كما يزول الظِّلُّ لا تبقى له مودّة.

(٥) هذه الفقرة لا يوجد في النسخ غير (أ).

٥٧. السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّه[١].

السعادة تستعمل في العرف في الحظّ والبخت، يُقال: سَعَدَ جَدُّه وهو البَخت، وسعِد الرّجلُ يَسعَد سعادةً، فهو سعيد، وسُعِدَ فهو مسعود، لازم ومتعدّ، وأسعده الله إسعاداً، والإسعاد: المساعدة أيضاً.

وقُرئ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾[٢] على الوجهين[٣] معاً، يقال: وعظتُ الرّجل أعِظه وَعْظاً وعِظَةً، كوعدته وَعْداً وعِدَةً.

ويروى: «**السعيد مَن اتَّعَظ بغيره**»[٤]. يقال: وعظته فاتَّعَظ؛ أي: قَبِل الوعظ.

ومعنى الخبر: أنّ السعيد من نظر إلى أحوال غيره، فاعتَبَر به؛ لأنّه إن اتَّعَظ بغيره، انتفع باتّعاظه، وإن اتّعظ بنفسه، لم ينفعْه اتّعاظُه به؛ مثلاً: إذا رأى إنساناً قتل نفساً ظلماً، فاقتُصَّ منه وقُتِل بالمقتول قَوْداً، صار ذلك لطفاً له يتّعظ به ويزدجر عن مثل ذلك؛ لئلّا يُفعَلَ به ما فُعِل بالقاتل ظلماً، فإذا

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٧٩، ح٧٦. سنن ابن ماجة١: ١٨ / باب اجتناب البدع والجدل، قطعة من ح٤٦، عن عبد الله بن مسعود. الكافي٨: ٧٢ / قطعة من ح٣٩. الأمالي للصدوق٥٧٦، ح٧٨٨، عن أبي الصباح، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) سورة هود١١: ١٠٨.

(٣) بضم السين وفتحها. أُنظر: مجمع البيان٥: ٣٢٩.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٧٩، ح٧٦، عن عبد الله بن مسعود. الكافي٨: ٧٤ / كتاب الروضة، قطعة من ح٢٩. الأمالي للصدوق٥٩٥، قطعة من ح٨٢٢، عن سعيد بن المسيب، عن الإمام السجاد عليه السلام، وفيها (وعظ) بدل (اتعظ).

لم يَعتبِرْ به وقَتَل إنساناً عمداً، فقِيدَ إلى القصاص، اتّعظ بنفسه فلا ينفعُه الاتّعاظُ بقتله بعد القتل.

والشقيّ ضدّ السعيد، يُقال: شَقِيَ يَشقىٰ شَقاوةً[١]. وقيل في معنى الخبر وجهان:

أحدهما: أنّ الشقيَّ حقَّ الشقيّ من عَلِمَ الله أنّه سيَشقىٰ بفعله من اختياره الكفرَ والمعصيةَ وهو في بطن أُمّه، فكأنّه شَقِيَ في بطن أُمّه من حيث إنّه علم الله ذلك منه، والمعلوم لا يتغيّر، إلّا أنّ العلم يتعلّق بالمعلوم على ما هو به ولا يجعله على ما هو به، فهو في هذا المعنى كالإدراك، فإنّه يتعلق بالمُدرَك على ما هو به، ولا يجعله على ما هو به، فالعلم يتّبع المعلومَ، والمعلومُ لا يتّبع العلمَ، ومثاله: أنّ زيداً إذا كان أسود، علم الله [أنّه] أسود، فعِلم الله لم يغيّرْه أسودُ، بل عَلم الله [أنه] أسود؛ لأنّه كان أسود.

أمّا تسميته في بطن أُمّه شقيّاً، فهو نوعٌ من المبالغة؛ أي: سيصير كذلك لا مَحالةَ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[٢]؛ أي: إنّك ستموت وإنّهم سيموتون[٣].

والوجه الآخر أنّه أراد بالأُمّ جهنّمَ، من قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ﴾[٤]؛ أي: الشقيّ كلُّ الشقيّ من شقِيَ في نار جهنّمَ، وهي شَقاوةٌ لا شَقاوةَ مِثلَها.

---

(١) النهاية٢: ٤٩٣ (شقي).

(٢) سورة الزمر٣٩: ٣٠.

(٣) المفردات٧٨١ (موت). تهذيب اللغة٨: ٣٢٢. تأويل مشكل القرآن١: ١٦٦.

(٤) سورة القارعة١٠١: ٩.

٥٨. كَفَّارَةُ الذَّنْبِ النَّدَامَةُ[١].

قد بيّنّا معنى النّدم والنّدامة، وأنّها غمٌّ وأسَفٌ على ما فات.

والكفّارة اسم للتّكفير، وهو السَّتْرُ في اللّغة، ومنه يُقال: لِلّيل كافرٌ[٢]، قال لَبيد:

حتى إذا أَلْقَتْ يداً في كافِرٍ　　وأَجنَّ عوَراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها[٣]

والزّارع كافر؛ لسَتْره الحَبَّ في الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ﴾[٤]؛ أي: الزُّرّاع[٥].

قال لبيد:

....　　في ليلةٍ كفَر النّجومَ غَمامُها[٦]

والكفر من هذا؛ لأنّه سَتْرُ نعمةِ الله على نفسه وجحوده بها، ومنه الكُفريّ؛ لغِلاف التَّمْر[٧].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٨٠، ح٧٧. مسند ابن حنبل١: ٢٨٩. المعجم الكبير١٢: ١٣٤، عن ابن عبّاس.

(٢) أُنظر: كتاب العين٥: ٣٥٦ (كفر).

(٣) الشعر والشعراء١: ٢٧٧. ترتيب اصلاح المنطق٣٢٥. الصحاح٢: ٨٠٨ (كفر).

و(الكافر) هو الليل، و(أجنّ): سَتَرَ، و(الثُّغور) جمع الثّغْر بمعنى موضع المخافة. وفاعل (ألقتْ) هي الشمس، وإلقاء الشمس يدَها كناية عن مَغيبها.

(٤) سورة الحديد٥٧: ٢٠.

(٥) التبيان في تفسير القرآن٩: ٣٧٧، سورة الفتح. المفردات٧١٦ (كفر). تفسير الثعلبي١: ١٤٩.

(٦) تفسير الثعلبي١: ١٤٩. التبيان في تفسير القرآن١: ٦٠ الشطر عجُز بيت للبيد من معلقته، وهو بتمامه:

يَعلُو طريقةَ متنها متواتراً　　فى ليلةٍ كفَر النّجومَ غَمامُها

(٧) النهاية٤: ١٨٩. كتاب العين٥: ٣٥٨ (كفر).

وفي الاصطلاح: غُفران الله لذنوب العباد[١]؛ والمعنى أنّ العبد إذا نَدِم على ما فرّط منه من المعاصي، يصير ذلك النَّدَمُ سبباً لغفران ذنوبه، فالساتر والغافر والمكفِّر هو الله بفضله وكرمه.

و إضافتها إلى النَّدامة من حيث إنّها وقعت عندها وكانت سبباً لها كإضافة زيادة الإيمان والكفر إلى السورة في قوله: ﴿و إذا ما أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلى رِجْسِهِمْ وماتُوا وهُمْ كافِرونَ﴾[٢]. أضاف زيادة الإيمان والكفر إلى السورة، وهي في الحقيقة مِن فِعلهم، ولكنه لمّا ازداد المؤمنون عند نزول السورة إيماناً، وازداد المنافقون عند نزولها كفراً إلى كفرهم، أضاف تلك الزيادةَ إلى السورة لمّا كانت عند نزولها، وإن كان من فعل المكلّفين، على سبيل التّوسّع والمجاز[٣]، كما أضاف الشاعر ردَّ المستعير إلى العافي في قوله:

....   إذا ردَّ عافي القِدْرِ مَنْ يستعيرُها[٤]

---

(١) أُنظر: البصائر والذخائر٧: ٢٤٨. التبيان في تفسير القرآن٣: ٤٦٨. المفردات٧١٧ (كفر).

(٢) سورة التوبة٩: ١٢٤ و١٢٥.

(٣) أُنظر: تفسير الفخر الرازي٢: ١٤١. تفسير الطبري١: ١٧٨، سورة البقرة.

(٤) المفضليات١٧٦. الصحاح٦: ٢٤٣٢. معجم مقاييس اللغة٤: ٥٧ (عفو). والبيت لعرب بن الأحوص الباهليّ وتمام البيت:

فلا تسألينى واسألى عن خَليقتى   إذا ردَّ عَافي القِدْرِ مَنْ يستعيرُها

والعافي والعفوة: بقيّة المَرَق في القِدْر، والعافي لا يَرُدُّ المستعيرَ، إنّما يردُّه صاحبُ القِدر بعلّة العافي، ولكنّه لمّا كان الرّد بسببه، أضاف الرّدَّ إليه، وهذا من باب الإسناد المجازيّ في علم البيان، وهو إسناد الفعل إلى مُسبِّبه[١].

والتوبة ليست بمُسقطةٍ للعقاب؛ لأنّ ذلك إحباط، وهو باطلٌ عندنا، ومعنى هذا الحديث ومعنى قوله «**النّدم توبة**»[٢] واحدٌ.

٥٩. الجُمُعَةُ حَجُّ المَساكينِ[٣].

أراد صلاةَ الجمعة وحضورَ الجامع لأداء صلاة الجمعة مع الإمام، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه؛ يعني: ثوابُ صلاة الجمعة

(١) قال ابنُ السِّكّيتِ: عافي في هذا البيت في موضع الرفع؛ لأنه فاعل، ومَن في موضع النصب؛ لأنه مفعول به، ومعناه أن صاحبَ القِدر إذا نزل به الضَّيفُ، نَصب لهم قِدْراً. فإذا جاءه من يستعير قِدرَه فرآها منصوبةً لهم، رجع ولم يَطلُبْها. والعافي: هو الضيف؛ كأنه يرد المستعير لارتداده دون قضاء حاجته، وقال غيره: عافي القدر بقية المرقة يَرُدُّها المستعيرُ، وهو في موضع النصب، وكان وجه الكلام عافيَ القِدر، فتُرِك الفتحُ للضرورة، لسان العرب١٥: ٧٧ (عفو).

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٢، ح١٣، و٤٣، ح١٤. سنن ابن ماجة٢: ١٤٢٠ / باب ذكر التوبة، ح٤، عن عبد الله بن مسعود. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٠، ح٥٨١١.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٨١، ح٧٨ وح٧٩ وفيه (الفقراء) بدل (المساكين). ذكر أخبار أصبهان٢: ١٩٠، عن ابن عبّاس. تهذيب الأحكام٣: ٢٣٧، ح٦٢٥، عن عبد الرحمن بن زيد، عن الإمام الصادق عليه السلام.

للمساكين الّذين لا استطاعة لهم للحجّ كثواب الحجّ. والجمعة اسمٌ لليوم الذي هو بعدَ الخميس، وقيل السّبت. وإنّما سُمّيت جمعةً لاجتماع النّاس فيها لصلاة الجماعة.

أمّا الأخبار في فضل يوم الجمعة والحضور للجماعة في مسجد الجامع أكثرُ مِن أن تُحصى. منها:

ما رواه أبو هُريرةَ: أنّ **النبيّ**ﷺ قال: «**يومُ الجمعة خيرُ يومٍ طلعتْ فيه الشّمسُ، وخلق الله آدمَ يومَ الجمعة، وأهبطه إلى الأرض يومَ الجمعة، وتُوُفّي يومَ الجمعة، ويومُ القيامة يكون يومَ الجمعة، وما من دابّةٍ إلّا تُسبّح لله يومَ الجمعة من خوف القيامة غيرَ الثّقلَين، وفي هذا اليوم ساعةٌ لا يُرَدُّ فيها الدّعاءُ**»[١].

وروي عن أَنسِ بن مالك قال: قال **رسول الله**ﷺ: «**رأيت جبرئيل ذاتَ يوم على صورةٍ لم أرَ مثلَها حُسناً وجمالاً، على وجهه خالٌ أسودُ لم يُرَ مِثلُه حُسْناً ومَلاحَةً. قلت: يا أخي جبرئيل، لم أرَكَ على هذه الصورة قطُّ؟! قال: هذه صورة يومِ الجمعة. قلت: فما هذا الخالُ؟ قال: هو ساعة الإجابة؛ ما مِن مؤمن يدعو اللهَ في هذه الساعة ويسألُه حاجةً إلّا أعطاه سُؤْلَهُ، ويَدَّخِرُ له خيراً منها يومَ القيامة، ويَصرِف عنه المَكارهَ، وهو خيرُ الأيّام عند الله**»[٢].

---

(١) مسند ابن حنبل٢: ٤٨٦. سنن أبي داود١: ٢٣٦، ح١٠٤٦. المستدرك على الصحيحين١: ٢٧٨، مع اختلاف.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

ثمّ قال: «**يومُ الجمعة وليلتُه أربعٌ وعشرون ساعةً، لله في كلّ ساعةٍ من ساعاتها سِتُّمئةِ عتيقٍ من النّار**»[١].

وروى عبدُالله بنُ مسعودٍ أنّ **النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**هَمَمتُ أن أُحرِق على قومٍ منازلَهم تركوا الجمعةَ بغير عذرٍ**»[٢].

وروى جابرُ بنُ عبدالله الأنصاريُّ أنّ **النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**مَن ترك حضورَ الجماعة ثلاثَ جُمَعاتٍ متوالياتٍ، طَبعَ الله على قلبه**»[٣].

وروى سلمان الفارسيُّ أنّ **النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**مَن اغتَسَل يومَ الجمعة، ولَبِس أطهرَ ثيابِه، وتَطَيَّبَ بطِيبٍ كان عنده وحضر الجامعَ واستمع إلى خطبة الإمام وصلّى صلاةَ الجمعة، غفر الله له ما بين الجمعتين**»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأيت ليلةَ أُسريَ بي في تحت العرش سبعين مدينةً مملوّةً من الملائكة يُسبّحون الله ويُقدّسونه ويقولون في تسبيحهم: اللّهُمَّ اغفِر لِمَن شهِدَ الجمعةَ! اللّهُمَّ اغفِر لِمَن اغتسل للجمعة!**»[٥].

وقيل: إنّ بعض الفسّاق دعا صديقاً له إلى الشرب في يوم الجمعة، فكتب إليه:

اليومُ يومُ الجُمُعَهْ　　　يومُ سُرورٍ ودَعَهْ

---

(١) الخصال٣٩٢ / ما جاء في يوم الجمعة، ح٩٢، عن أنس.

(٢) مسند ابن حنبل١: ٤٠٢. صحيح مسلم٢: ١٢٤. صحيح ابن خزيمة٣: ١٧٥، باختلاف يسير.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر عن جابر بن عبد الله، ولكن وجدناه مرويّاً عن أبي هريرة في المعجم الأوسط٣: ١٦٩ وعن أبي الجعد الضمري في: المعجم الكبير٢٢: ٣٦٥.

(٤) صحيح البخاري١: ٢١٨. سنن الدارمي١: ٣٦٢. صحيح ابن حبان٧: ١٤، باختلاف يسير.

(٥) تفسير الثعلبي٩: ٣١٥، عن أنس مع اختلاف.

وشَـــمْلُنا مُفتَـــرَقٌ فهل ترى أن نجمعه؟

فأجابه الصّديق بهذه الأبيات:

اليومُ يومُ الجُمُعهْ يومُ فِراغٍ ودَعَهْ

والشُّربُ فيه بدعةٌ فهل لنا أن نَدَعَهْ؟

فامتنع الداعي أيضاً من الشرب[1].

وقيل: يوم الجمعة في الأيّام كالعروس في الأنام[2]. وجاء في الحديث: أنّه سمّى الجمعة عروساً[3]، وقد صنّف في فضل يوم الجمعة تصانيف[4]، وهذا القدَر كافٍ ههنا.

---

(١) الغصون اليانعة١٥٤.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيأتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضيئ لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تجبا حتى يدخلون الجنة لا يخلطهم أحدا الا المؤذنون المحتسبون»، المستدرك على الصحيحين١: ٢٧٧، عن أبي موسى الأشعري.

(٣) قال الإمام الباقر عليه السلام: «إذا كان حينُ يبعث الله ـ تبارك وتعالى شأنه ـ العبادَ، أُتي بالأيام تعرفها الخلائقُ باسمها وحِليتها ويَقدُمها يومُ الجمعة له نور ساطع تتبعه سائر الأيام، كأنّها عروس كريمةٌ ذاتُ وفار تُهدى إلى ذي حِلمٍ ويسارٍ، ثم يكون يومُ الجمعة شاهداً وحافظاً ...»، الأمالي للصدوق٤٨٠، ح٦٤٧، عن جابر بن يزيد.

(٤) منها: الجمعة وفضلها لأحمد بن علي المروزي. الجمعة للنسائي.

٦٠. الحَجُّ جِهادُ كُلِّ ضَعيفٍ[١]، وَجِهادُ المَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ[٢].

الحجّ في اللّغة: القصد[٣]، وفي الشرع: القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة هناك، وهو من الأسماء المخصوصة[٤].

والجهاد في اللّغة: المُجاهَدة؛ لأنّ الفِعال في مصدر فاعَلَ قياسيٌّ مُطَّرَد؛ وفي الشّرع: قتال من يجب قتالُه في شرع الإسلام، وهو أيضاً من الأسماء المخصوصة.

والضعيف في اللّغة ضدّ القويّ، ومرجِعه إلى انتفاء القدرة أو نقصانها؛ أي من لم يَقْوَ على جِهاد الكفّار وكان مستطيعاً للحجّ، فَلْيَحُجَّ؛ فإنّ الحجّ منه كالجهاد في ثواب المجاهدين.

والمرأة تأنيث المرء[٥] وجمعها النّساء على غير لفظها[٦].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٨٢، ح٨٠. سنن ابن ماجة٢: ٩٦٨، ح٢٩٠٢. مسند ابن حنبل٦: ٢٩٤، عن أمّ سلمة. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٤١٦، قطعة من ح٥٩٠٤.

(٢) مسند الشّهاب١: ٨٢، ح٨١، عن عبد الله بن الزبير، عن الإمام عليّ عليه السلام. الكافي٥: ٩ / كتاب الجهاد، باب جهاد الرجل والمرأة، قطعة من ح١، عن الأصبغ بن نباتة، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٣) الصحاح١: ٣٠٣ (حجج).

(٤) أُنظر: مجمع البيان١: ٢٧٢. المفردات١٠٧.

(٥) كتاب العين٨: ٢٩٩ (مرأ).

(٦) غريب الحديث لابن قتيبة١: ١٧٩. المصباح المنير١: ١٧٩.

والتبعّل تفعُّلٌ من البُعولة، وفسّره القاضي بمُلاعبَة المرأة بَعْلَها وحُسنِ عشرتها معه[١].

والأحاديث الثلاثة مُتَقارِبة المعنى في أنّ النبيّ ﷺ أظهر عذر من كان ضعيفاً عن بعض العبادة الشاقّة بما هو أسهل منها، فقال: الجمعة حجّ المساكين؛ لأنّ المسكين لا يمكنه الحجُّ مع المسكنة، فإذا تمنّى ثواب الحاجّ، جعل له عبادةً تقوم مقام الحجّ في حصول الثواب لا في سقوطه عنه إذا وَجَد الاستطاعةَ وهو صلاة الجمعة مع الإمام في الجامع.

وكذلك من كان عاجزاً عن الجهاد لضعفه وأراد أن يُدرك ثواب المجاهدين، فأمره بالحجّ، وبيّن أنّ له في حجّه ثوابَ مَن جاهد في سبيل الله إذا كان معذوراً في قعوده عن الجهاد[٢].

وكذلك المرأةُ، إذا سمعتْ ثواب المجاهدين وكأنّها تمنّتْ ذلك، فقيل لها: جِهادكِ حُسن خدمتك لِبعْلك، وحسنُ مُعاشَرَته وتركُ الغيرة على ضرائرك.

وروى سعيد بن كُرَيبٍ: أنّ امرأةً أتت النبيَّ ﷺ وقالت: يا رسول الله، أنا وافدةُ النساء إليك، ما مِن امرأةٍ تسمع مقالتي إلى يوم القيامة إلّا سَرَّتْها، اللهُ ربُّ الرجال والنساء، وأنت رسول الله إلى الرّجال والنساء، كتب الله الجهادَ

---

(١) لم نعثر عليه واورده المؤلف في روض الجنان ٣: ٢٦٥ أيضاً.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «الحجّ جِهاد الضّعيفِ». الكافي ٤: ٢٥٩ / كتاب الحجّ، باب فضل الحجّ والعمرة وثوابِهما، ح٢٨، عن جندب، عن الإمام الصادق عليه السلام.

على الرّجال. فإن استُشهِدوا، كانوا أحياءً مرزوقين، وإن ماتوا، وقع أُجورهم على الله، وإن رجعوا، آجَرَهم اللهُ، ونحن نساءٌ نقوم على المرضى ونداوي الجَرحى، فما لنا من الأجر؟ فقال: «**يا وافدةَ النساء، إنّ طاعة الزوج والاعتراف بحقّه يَعدِل ذلك كلّه**»[1].

وقال ﷺ: «**لا تؤذي امرأةٌ زوجَها إلّا قالت امرأتُه من الحور العين: لا تُؤذيه، قاتلكِ اللهُ! فإنّه عندكِ دخيلٌ يُوشِكُ أن يفارقَكِ إلينا**»[2].

وقال ﷺ: «**أيَّ امرأةٍ دعاها زوجُها إلى فراشه فأبَتْ، خرجَت من حسناتها كما تخرج الحيّةُ من جِلدها**»[3].

وقال ﷺ: «**المرأة إذا صلّتْ خَمْسَها، وصامت شهرَها، وأَحصنت فرْجها، وأطاعت بعْلها، فلتدخلْ من أيّ أبواب الجنّة شاءت**»[4].

وقال ﷺ: «**نظر المرأة إلى وجه زوجها عبادة وتكفيرٌ للذّنوب**»[5].

---

(١) أُنظر: العيال٢: ٧٢١، ح٥٢٨. مسند البزار١١: ٣٧٧، ح٥٢٠٩. تفسير الثعلبي٢: ١٧٣.

(٢) مسند ابن حنبل٥: ٢٤٢. سنن الترمذي٢: ٣٢٠، ح١١٨٤. سنن ابن ماجة١: ٦٤٩ / باب في المرأة تؤذى زوجها، ح٢٠١٤، عن معاذ بن جبل.

(٣) مسند ابن حنبل٢: ٤٣٩. صحيح البخاري٤: ٨٤. سنن أبي داود١: ٤٧٥ / باب في حق الزوج على المرأة، ح٢١٤١، عن أبي هريرة مع اختلاف.

(٤) صحيح ابن حِبّان٩: ٤٧١. المعجم الأوسط٥: ٣٤، عن أبي هريرة. الكافي٥: ٥٥٥ / كتاب النكاح، باب النوادر، ح٣، عن أبي الصباح الكناني، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) سلوة العارفين لأبي حامد الغزالي ١: ٣٥٢.

٦١. طَلَبُ الحَلالِ جِهادٌ[١].

ويروى: «**كسب الحلال**»[٢]؛ الطلب معروف، والكسب فعلٌ يُجَرّ به المنفعة[٣]، وقيل: لجوارح الطير: كواسب[٤].

وقال لَبيدٌ:

لمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنازَع شِلْوَه غُبْسٌ كَوَاسِبُ ما يُمَنُّ طَعامُها[٥]

يعني الذِّئابَ، وما سوى ذلك غير معقول، ونقول لهم: فسِّروا الكسب الذي ادَّعَيتم، فإن قالوا: الكسب ما يُفعَل بالقدرة المُحدَثة، يقال لهم: ما عَنيتم بقولكم يُفعَل بالقدرة المحدثة؟ إن عنيتم أنّها تَحدُث بالقدرة المحدثة، فهذا ما نقوله في الأحداث، وإن أردتم أنّه ما يُكتَسب بالقدرة المحدثة، فهذا تحديد الشيء بنفسه لا بيانَ فيه؛ لأنّك سُئلتَ عن الكسب، فقلت: الكسب ما يُكتَسب! ثمّ يقال لهم:

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٨٣، ح٨٢. إصلاح المال٧١، ح٢٠٤، عن ابن عبّاس. دعائم الاسلام٢: ١٥، ح١٠، الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) الفردوس٢: ٤٤١، ح٣٩١٨. روضة الواعظين٤٥٧.

(٣) المفردات٧٠٩ (كسب). مجمع البيان ٣: ١٨٥.

(٤) أُنظر: كتاب الماء٣: ١١١١. لسان العرب١: ٧١٧ (كسب).

(٥) الغريب المصنف١: ١٤٩. الصحاح٢: ٥٢٨ (قهد).

والمعفر: المُلقى على العَفْر أي: التراب. القهد: الأبيض. تنازع شِلوَه: تجاذب بقيةَ جسده. (الغُبس) جمع أغبس وغبساء: أصفر إلى السواد. (الكواسب) جمع كاسب وهو حيوان يكسب الصيد. و(لا يُمَنّ) لها ثلاثة معان، أحدها أن طعامها لا ينقطع.

ما تقولون في كسبكم هذا، قديمٌ هو أم مُحدَث؟ ولا تقولون: إنّه قديم، وإذا كان محدثاً، فمَن يُحدِثُه؟ إن قلتم: نحن نُحدثُه، فسلّمتم لنا الإحداثَ، وإن قلتم: القديمُ تعالى مُحدِثُه، فجعلتموه تعالى مُكتسِباً ولا تقولون بذلك.

وبيّنّا معنى الجهاد، وإنّما جُعل طلبُ الحلال جهاداً؛ لأنّ المؤمن يُجاهد نفسَه وهواه والشيطانَ في طلب الحلال واجتناب الحرام؛ ومن ذلك سمّاه رسولُ الله الجهادَ الأكبرَ حين رجع عن بعض الغزوات، فقال: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»، قيل: وما الجهادُ الأكبرُ؟ قال: «**طلب الحلال**»[1].

٦٢. العِلْمُ لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ[2].

قد بيّنّا معنى العلم، وأنّه ما يقتضي سكونَ النفس. وأراد به علمَ الدِّين، فإنّ المتعلّم إذا أتى العالِمَ مقتبساً مستفيداً، فبخل عليه ولم يعلّمْه، فقد ارتكب حراماً بمنعه العلمَ عن طالبه، إلّا إذا كان الطالب غير أهلٍ لذلك.

فقد روي عن بعض الأئمّة أنّه قال: «**من مَنع العلمَ أهلَه، فقد ظلمه**

(١) الكافي٥: ١٢ / كتاب الجهاد، باب وجوه الجِهاد، ح٣، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام، وفيه (جِهاد النفس) بدل (طلب الحلال).

(٢) مسند الشِّهاب١: ٨٤، ح٨٤، عن أنس.

ـ يعني الطالب ـ **ومن بذله لغير أهله، فقد ظلمه** ـ يعني العلم ـ »[١].

وعلى هذا قول بعضهم:

فمن حوَى العلمَ ثم ضَيَّعهْ   ببذْلــه لا لأهلــه ظَلَمَــهْ

وكـان كـالمبتني البِنـاءَ إذا   أتَـمَّ مـا قـد أراده هدمـهْ[٢]

ومن ههنا قال **عليّ**عليه السلام في حقّ أبي ذرٍّ: «**عالم شحيح على علمه**»[٣]؛ يعني يبخل بعلمه على غير أهله.

٦٣. مَوتُ الغَريبِ شَهادَةٌ[٤].

ذهب بعض الناس إلى أنّ الموت معنًى يُضادُّ الحياةَ[٥]، والصحيح: أنّه ليس بمعنى، ومرجِعه إلى انتفاء الحياة، بدَلالة أنّ من عَلِم انتفاءَ الحياة، عَلِم الموتَ، ومن لم يعلمْه، لم يعلم الموتَ، من غير أن يحتاج إلى علمِ شيءٍ آخر، ولو كان معنى، لوجب أن يوجَب صفةً للميّت، وقد اتّفقنا على أنّه ليس للميّت بكونه ميّتاً صفةٌ.

---

(١) أُنظر: العقد الفريد٢: ١١٦. أنساب الأشراف٨: ١٧٣.

(٢) التمييز لإبن معن٩٧. طبقات الشافعيّة١: ٣٠٠، باختلاف يسير.

(٣) المعيار والموازنة٣٠٠.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٨٣، ح٨٣. مسند أبي يعلى٤: ٢٦٩، ح٢٣٨١. المعجم الكبير١١: ٤٨ و ١٩٦، عن ابن عبّاس. كتاب من لا يحضره الفقيه١: ١٣٩، ح٣٧٩، عن الإمام الصادق عليه السلام. قال أبو الرضا الرّاوندي: هذا الحديث لم يكن في نسخة القاضي. ضوء الشِّهاب ١: ٢٠٧، ح ٢٠٧.

(٥) التبيان في تفسير القرآن٩: ٣٢. الفروق اللغوية٥٢٢.

والغـريب: مـن فـارَقَ بلـدَه ومـسقطَ رأسِـه. فمن مات في الغربة بعيداً عـن الأهـل والـولد والأحـبّاء والأقـرباء مـشـتاقاً إلـى لقـائهـم غـيرَ عـالم بأحـوالـهم، يحـصلْ لـه مـن الغـمّ والحـسرة ما لا يعـلـمُ كُنـهَه إلّا اللهُ، فهـو يستـحقّ مـن الأجـر بالصـبر علـى ذلـك، ومـن الأعـواض ما يُقابِل أو يقـارب أجـرَ شـهيد. ومثلـه قولـه : **«مـن مـات غريبـاً مـات شـهيداً»**[1]؛ وقـيل فـي معنـى هـذا الخـبر وجـهٌ لطـيف وهـو أنّه أراد من مات في غربة الإسلام مسلماً، مات شهيداً؛ يعني من مات في آخر الزمان مسلماً؛ لأنه أوان غربة الإسلام، **لقوله**ﷺ: **«الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء!»**[2].

٦٤. الشَّاهِدُ يَرى مَا لَا يَرَى الغائِبُ[3].

المـراد بالشـاهد ههنـا الحاضـر، يُقـال: شَـهدتُ الأمـرَ والقـومَ والقتـالَ؛

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٢٧، ح٣٤٩. شعب الإيمان٧: ١٧٣، ح٩٨٩٥، عن أبي هريرة.

(٢) صـحيح مسـلم١: ٩٠. سـنن ابـن ماجـة٢: ١٣١٩/ بـاب بـدأ الإسـلام غريبـا، ح٣٩٨٦، عـن أبـي هريـرة. الغيبـة للنعمـانيّ ٣٣٦، ح٢، عـن أبـي بصـير، عـن الإمـام الصـادق عليه السلام مـن دون إسناد إليه .

(٣) مسند الشِّهاب١: ٨٥، ح٨٥، عن أنس. الأمثال لأبي الشيخ١: ٩٢، ح١٥٥، عن ابن عبّاس وح١٥٦، عـن عمـر بـن علـي. مسـند ابـن حنبـل١: ٨٣، عـن محمّـد بـن عمـر. الأمـالي للطوسي٣٣٨، قطعة من ح٦٨٧، عن إسماعيل بن همام، عن الإمام الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن جده، والثلاثة الأخيرة عن الإمام عليّ عليه السلام.

أي: حضرتُهما. كما قال:

وَلَقد شَهِدتُ الخَيْلَ يومَ طِرادِها ....[1]

وقال آخر:

شـهِدنَ مع الـنّبيّ مُسوّماتٍ حُنَيناً وهْي دامية الحوامي[2]

ويدلّ عليه قرينة قوله: (ما لا يرى الغائب)؛ فإنّ الغائب نقيض الحاضر؛ و(يرى) ههنا من الرأي لا من الرؤية.

ويروى أنّه كان لماريةَ القِبطيّةِ ابنُ عمّ، وكان يَكثُر الدخولُ عليها، فطعن بعض المنافقين في ذلك، فقال **رسول الله** ﷺ **لعليّ: «اذهبْ، فإن وجدتهُ عندها فاقتلْه**، فقال **عليّ**عليه السلام: **يا رسول الله أكون في أمرك كالسّكّة المُحْماة في الأرض الخُوارِ، أأقتله أم الشاهدُ يَرى ما لا يرى الغائب؟** فقال: **لا، بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»** فخرج ودخل عليها

(١) البُرْصان والعُرْجان٢٦٦. الأغاني٥: ٢٦٠. الأمالي للسيّد المرتضى٢: ٣٢، والبيت لربيعةَ بنِ مقروم، وتمامه:

ولقد شهِدتُ الخيلَ يومَ طِرادِها بسليمِ أوظِفة القوائمِ هَيكلِ

و(الخيل) هنا فرسانها، و(الطِراد): حملة بعضهم على بعض، و(سليم) أي: فرسٌ سليمٌ، و(الأوظفة) جمع الوظيف، وهو مُستدَقّ الذِّراع والساق من الفرس ونحوه، و(الهيكل): الضخم.

(٢) العقد الفريد١: ٩٨. السيرة النبويّة لابن هشام٤: ٨٨٦، والبيت لجَحّاف بن حَكيم. يصف خيلاً فيقول: حضرتْ حُنيناً مع **النبيّ** مُعَلَّماتٍ وقد دُمِيتْ جوانبُ حوافرها لِكَثرة العدْو، ولِما لَحِقها من التّعب.

فوجده عندها، فاخترط السيفَ وقصده، فهرِب الغلام، ورقىٰ نخلةً كانت هناك، وألقىٰ نفسه وكشف عن عورته، فإذا هو أمسحُ أجَبُّ. فرجعَ إلى رسول الله وأخبره بالحال، فقال صلى الله عليه وآله: **«الحمد لله الذي يَذُبّ عنّا أهل البيت»**[1].

ومعنى الخبر: مَثَلٌ يُضرَب في موضعٍ يريد الرّجل أن يعمل على ظنّه، فيقال له: فتِّشْ عن هذا الأمر وتَبيّنْ واشْهَدْه بنفسك أو برأيك؛ فإنّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

٦٥. الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ[2].

الدالّ: فاعل الدَّلالة، وكذلك الدليل، وفعيل أبلغ من فاعل، ويُستعمل الدليل بمعنى فاعل الدلالة، والدالّ: مَن يَدُلُّك على أمر من الأمور. والخير نقيض الشرّ وليس ههنا بمعنى التفضيل.

ومعنى الخبر: إنّ من دلّ إنساناً[3] على خيرٍ، فكأنّما فعل ذلك الخيرَ بنفسه؛ لأنّه ربما لم يوصل إلى ذلك الخير إلّا بدِلالته، فكما أنّ فاعل الخير يستحقّ المدحَ والثواب، فكذلك الدالّ عليه.

---

(١) أُنظر: دلائل الإمامة: ٣٨٦. الأمالي للسيّد المرتضى١: ٥٤. معرفة الصحابة لابن مَنْدَه: ٩٧٣.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٨٥، ح٨٦، عن أبي مسعود الأنصاري. قضاء الحوائج٣٤، ح٢٧، عن أنس بن مالك. الكافي٤: ٢٧ / باب فضل المعروف، ح٤. الخصال١٣٤، ح١٤٥، عن ابن القداح، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) في نسخة (د): (لسان).

وقيل: الخبر ورد على سبب، وهو أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فاستحمَلَه، فقال له: «**لا أجد ما أحمِلُك عليه، ولكنْ ائْتِ فلاناً، فلعلّه يحملك**». فأتاه، فحمله، فقال : «**من دلّ على خيرٍ، فله مثلُ أجرِ فاعلِه**»[1].

وقال:

و إذا امرُؤٌ أسدى إليك صنيعةً ... مِن جاهه فكأنّها مِن ماله[2]

وقال آخَرُ:

وأدِّ زكاةَ الجاه واعلم بأنه ... كمثل زكاة المال تَمَّ نصابُها[3]

والخبر من باب الحكمة.

٦٦. ساقِي القَوْمِ آخِرُهُم شُرْباً[4].

هذا الخبر من باب الأدب، واللّفظ خبر ومعناه أمر؛ أي فَليكنْ آخِرَهم شُرباً؛ لأنّه إذا نصب نفسَه للسَّقْي، كان كخادم القوم، فيجب أن يكون

(١) صحيح مسلم٦: ٤١. مسند ابن حنبل٤: ١٢٧. سنن أبي داود٢: ٥٠٤ / باب في الدال على الخير، ح٥١٢٩، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة٣: ١٥٢. الأغاني١٦: ٥٢٧، والبيت لأبي تمام.

(٣) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ ٥٣.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٨٦، ح٨٧، عن المغيرة. سنن أبي داود٢: ١٩٤ / باب في الساقي متى يشرب، ح٣٧٢٥، عن عبد الله بن أبي أوفى.

آخِرَهم شُرباً. ثم إنّه إنْ يَسقِهِم في إناء واحد، فينبغي أن يكون آخرَهم شرباً؛ لئلاّ يتغشّى طبعُ مَن يسقيه بعد شُربه.

٦٧. كُلُّ مَعرُوفٍ صَدَقَةٌ[١].

المعروف: نقيض المُنكَر[٢]، وهو كلّ أمرٍ عُرف في الشرع أو العرف جوازُه أو وجوبه، ويُستعمل بمعنى العطيّة، وكذلك العرف، قال أبو تمّام:

....   فلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُهْ[٣]

والصدقة ما يُعطىٰ الفقيرَ على وجه التّطوُّع، وقد جاء في التنزيل بمعنى الزكاة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والْمَساكِينِ﴾[٤]، ويُقال للساعي وآخذِ الصدقات مُصدِّق، وللمُعطي مُتَصَدِّق[٥].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٨٧، ح٨٨، عن جابر بن عبد الله وح٨٩، عن عبد الله. صحيح البخاري٧: ٧٩ / باب كلّ معروف صدقة. الكافي٤: ٢٦ / باب فضل المعروف، قطعة من ح١، عن عبد الاعلى، وح٢، عن معاوية بن وهب، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) الصحاح ٤: ١٤٠١(عرف).

(٣) اصطناع المعروف٦٣. المحاسن والأضداد٩١. ديوان المعاني١: ٢٥. وتمام البيت:

هو البحرُ مِن أيِّ النّواحي أتيتَه   فَلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُه

(٤) سورة التوبة٩: ٦٠.

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة٨: ٢٧٧.

ومعنى الحديث: إنّ كلَّ من أعطى إنساناً شيئاً، إذا قصد به وجهَ الله، فهو صدقةٌ يُؤجَر عليها، وما أعطاه وأخرجه في معصية، لا يدخل في هذا الباب؛ لأنّه مُنكَر، والمُنكَر ضدّ المعروف، **وقال** ﷺ: «**إنّ المعروف بابٌ من أبواب الجنّة، وإنّه يمنعُ من مَصارعِ السّوء**»[١].

وقال ابن عبّاس: إنّ المعروف يُجزى به ولدُ الولد، وقرأ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾[٢][٣]، وروي أنّ الصالح من آبائهما الجدُّ الأربعون[٤].

٦٨. مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ[٥].

المداراة: المُدافَعة من الدّرء، وهو الدفع[٦]، ومنه الحديث: «**اِدرؤوا الحدودَ بالشُّبَهات**»[٧].

---

(١) قضاء الحوائج١٥، ح٦، عن ابن عبّاس. قرب الإسناد٧٦، ح٢٤٤، عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، باختلاف يسير.

(٢) سورة الكهف١٨: ٨٢.

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك١٢، ح٣٣٢. مسند الحميدي١: ١٨٤، ح٣٧٢. المستدرك على الصحيحين٢: ٣٦٩، باختلاف يسير.

(٤) قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان بينَهما وبينَ هذا الأب الصّالح سبعون أباً، فحفظهما اللهُ بصلاحِه». علل الشرائع٦٢، ح١، عن محمّد بن عمارة.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٨٨، ح٩١ ـ ٩٢. مداراة الناس لابن أبي الدنيا٢٣، ح٣. صحيح ابن حبّان٢: ٢١٦. المعجم الأوسط١: ١٤٦، عن جابر.

(٦) أُنظر: كتاب العين٨: ٦٠. جمهرة اللغة٢: ١٠٩٦ (درء).

(٧) من لا يحضره الفقيه٤: ٧٤ / كتاب الحدود، باب نوادر الحدود، ح٥١٤٦.

وقال:

فَنَكِّبْ عنهُمُ دَرْءَ الأعادي ....[١]

أراد صَولتَهم؛ لأنّ في المُصاوَلة مُدافَعاتٌ. والمراد بالمداراة ههنا المُلايَنَةُ، وتُستعمل هذه اللّفظةُ في لغتنا بهذا المعنى[٢].

والمعنى أنّ من يُداري النّاسَ ويلاطفهم في معامَلاتهم ومُبايَعاتهم ومُشاراتهم، فهو كالمُتَصدِّق، وثوابه ثواب المُتَصدّقين.

٦٩. الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ[٣].

الكلمة: لفظة تدلّ على معنى بالوضع، وجمعها الكلمات والكَلِم، وقال سيبَويهِ: الكلم ليس بجمع الكلمة، إنّما هو لفظٌ وُضع للجمع، كالقوم والرَّهْط والنّفر[٤]. وقد عدل المتأخّرون من أهل النحو في أوائل كتبهم عمّا ذكره المتقدّمون ـ إنّ الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسمٌ وفعل وحرف ـ إلى قولهم: الكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف[٥]؛ لأجل أنّ الكلام عندهم ما كان مفيداً ولا يكون مفيداً حتّى يكون جملةً من فعل

(١) الشعر والشعراء١: ٤٢٠. الأمالي للقالي١: ٢٦٤، والبيت لأبي الغُول الطُّهَوِيّ، وتمامه:

فنكب عنهم درء الأعادي وداووا بالجنون من الجنون

(٢) أُنظر: الصحاح٦: ٢٣٣٥ (درى).

(٣) مسند الشِّهاب١: ٨٩، ح٩٣. صحيح البخاري٤: ١٥ و٧: ٧٩. صحيح مسلم٣: ٨٣. الصمت وآداب اللسان١٧٢، ح٣١٣، عن أبي هريرة.

(٤) أُنظر: كتاب سيبويه٢: ١٦٤. الصحاح٥: ٢٠٢٣ (كلم).

(٥) الفصول المختارة٩١.

وفاعل، أو من مبتدأ وخبر. فأمّا قولهم: (زيد) أو (خَرَج) أو (مِن)، فهي كلمة ليس بكلام.

والصحيح عند المتكلّمين أنّ المهمل كلام إلّا أنّه لا معنى له ولا فائدةَ تحته[١]؛ ولذلك قالوا: الكلام على ضربين: مفيدٌ ومهملٌ.

ومعنى الخبر: أنّ من ليس عنده شيءٌ يعطي الفقير، فينبغي أن يردّه ردّاً جميلاً، ويُكلّمَه بكلمةٍ يَطيب بها قلبُه، مثلُ قوله: وسّع اللهُ عليك! وأعطاك الله! وأغناك عن سؤال النّاس! إلى أمثال ذلك. فإذا ردّه بمثل هذه الكلمات، يُكتب له أجرُ مُتَصدِّقٍ، قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْروفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[٣].

٧٠. مَا وَقَى بِهِ المَرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ[٤].

يُقال: وَقيتُ فلاناً كذا، ووقاه اللهُ الشَّرَّ؛ أي: حفِظه منه ودفعه عنه، قال اللهُ تعالى: ﴿فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ﴾[٥].

واختلف أهل اللّغة في العِرْض، فقال بعضهم: عِرض الرّجل نفْسُه،

---

(١) أُنظر: الفروق اللغوية٥٢٢.

(٢) سورة البقرة٢: ٢٦٣.

(٣) سورة الضحى٩٣: ١٠.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٨٩، ح٩٤ و٩٠، ح٩٥. المستدرك على الصحيحين٢: ٥٠. قضاء الحوائج١٩، ح٩. سنن الدارقطني٣: ٢٤، قطعة من ح٢٨٧٢.

(٥) سورة الإنسان٧٦: ١١.

وقيل: العرض مَغابِن الناس، وهي المواضع التي إذا تلاقَتْ، عَرِقَتْ كالإبْط وأصلِ الفَخْذِ وغير ذلك[١].

واحتجّ من قال[٢] هذا بالحديث الذي روي **عنه**ﷺ أنّه قال: «**إنّ أهل الجنّة لا يبولون ولا يَتَغوَّطون، إنّما هو عَرَقٌ يجري من أعراضهم مثل المِسك**»[٣]. وقيل: معناه من أبدانهم[٤].

واحتجّ أيضاً بحديث أبي الضمضم وأنّهﷺ قال: «**أيَعجز أحدُكم أن يكون كأبي الضمضم، كان إذا خرج من داره يقول: اللّهمّ إنّي تصدّقت بعرضي على عبادك**»[٥]. قال: معناه: بنفسي. وقال حسّان بن ثابت:

فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضِي   لِعِرض محمّدٍ منكم وِقاءُ[٦]

وأكثرُ العلماء على أنّ عِرض الرّجل ما يُحمَد أو يُذَمّ منه، ألا ترى إلى قول مسكينٍ الدّارِميّ:

رُبَ مَهْزولٍ سَمينٌ عِرْضُهُ   وسمينِ الجِسْمِ مَهْزُولُ الحَسَبْ[٧]

---

(١) أُنظر: غريب الحديث لأبي عبيد١: ١٥٤. النهاية٣: ٢٠٨ (عرض). الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٨٤.

(٢) المراد منه ابن قتيبة كما في: الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٨٤.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد١: ١٥٤. الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٨٤. الأمالي للقالي١: ١١٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة٤: ٢٧٣. النهاية٣: ٢٠٩ (عرض).

(٥) الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٨٤. المصنف لعبد الرزاق٩: ٧٧، ح١٦٤٠٨. سنن أبي داود٢: ٤٥٣، ح٤٨٨٦، عن قتادة.

(٦) صحيح البخاري٥: ٥٦. مسند ابن حنبل٦: ١٩٧. الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٨٥.

(٧) غريب الحديث للخطابي٢: ٣٤٨. الزاهر في معاني الناس٢: ٦٢. الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٨٥.

فلو كان العِرض بدناً، لكان هذا الكلام متناقضاً، وما ذكروه داخلٌ في هذا المعنى من طريق التّوسّع.

وقال آخر:

.... وأُدرك مَيسورَ الغِنى ومعي عِرضي[١]

فعلى هذا يدخل فيه النّفسُ والأسلافُ والأخلافُ وما يُمدَح أو يُذَمّ.

والعَرْض خِلاف الطّول[٢]. وقال:

فُضولٌ بلا فضل وسِنٌّ بلا سنا وطولٌ بلا طَوْل وعَرْضٌ بلا عِرْضِ[٣]

والعُرْض: الجانب، والعُرضة اسم ما يُجعَل في مَعرِض الشيء[٤]، قال الله تعالى: ﴿ولا تجعَلوا اللهَ عُرضةً لأَيمانِكم﴾[٥]، قال:

.... فعُرضةُ عَضِّ الحربِ مِثلُك أو مِثلي[٦]

---

(١) الأغاني٢: ٦٠٧. الأمالي للقالي٢: ٢٦٥. الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٨٧، والبيت لابن الأسديّ وتمامه:

وإنّي لأستغني فما أبطَرُ الغنى وأبذُل ميسوري لمن يبتغي قرضي

و أعسر أحياناً فتشتدّ عُسرتي وأُدرِك ميسورَ الغِنى ومعي عِرضى

و(ما أبطَرُ الغني) أي: ما أبطر في الغنى حتى أنسى الشكر. و(ميسور) بمعنى (اليُسر) وهو وضع اسم المفعول موضع المصدر.

(٢) الصحاح٣: ١٠٨٣. المفردات٥٥٩ (عرض).

(٣) المغرب٢: ١٤٢ (فضل).

(٤) النهاية٣: ٢١٠ (عرض).

(٥) سورة البقرة٢: ٢٢٤.

(٦) شرح ديوان الحماسة٢٦٦. مروج الذهب٣: ١٦٩. تاريخ اليعقوبي٢: ٢٦٦، مع اختلاف

والعَرَض: ما يَعرِض مِن حُطام الدُّنيا[1]. وفي اصطلاح أهل الكلام: ما يَعرِض في الوجود ولا يكون له لَبْثٌ كلبث الأجسام والجواهر[2].

والعَرْض مصدر عَرَض الشيءُ يَعرِض، والعَرْضُ مصدر عَرَضت الشيءَ على البَيع[3]، وأعرضتُ عن الشيء إذا عدلتَ عنه، وَعرّضته لكذا إذا جعلته في مَعرِضه.

وما يَقي به المرءُ عِرضَه هو أن يُعطيَ ظالماً شيئاً على سبيل الرُّشوة أو شاعراً أو أحداً يخافه على نفسه أو ماله أو عِرضه؛ لئلّا يقعَ فيه، فيُكتَب له بذلك صدقةٌ، وهذا على سبيل التسلية له؛ لئلّا يَظُنَّ أنّ ما أنفق من ماله في أمثال هذا ضائعٌ، بل هو بمنزلة صدقةٍ تَصَدّق بها.

٧١. الصَّدَقَةُ عَلَى القَرَابَةِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ[4].

أراد بالقرابة على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه، كقول الخنساءِ في وصف بقرة:

وتمام البيت:

فإنْ وَضَعوا حرباً فضعْها وإنْ أبَوْا فعرضة عض الحرب مثلك أو مثلي

(١) المحيط في اللغة١: ٣١٠ (عرض).

(٢) الرسائل العشر للطوسيّ٦٨. النكت في مقدمات الأصول للمفيد٢٨.

(٣) تهذيب اللغة١: ٢٩٠.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٩٠، ح٩٦. سنن الترمذي٢: ٨٤ / باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة، ح٦٥٣. سنن ابن ماجة١: ٥٩١ / باب فضل الصدقة، ح١٨٤٤. سنن الدارمي١: ٣٩٧، عن سلمان بن عامر.

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتى إذَا ادّكرتْ فــإنّمــا هي إقبالٌ و إدبارُ[١]

أي: ذاتُ إقبالٍ وإدبارٍ؛ يعني أولي القربى. ومن كان بينه وبينه قرابةُ نَسب، فالصدقةُ عليهم لها وجهان وثوابان، من حيث إنّه صدقةٌ وصلةُ رحمٍ، فالصدقة على ذوي القُربى على الضِّعف منها على الأجانب، قال الله تعالى: ﴿وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبىٰ﴾[٢] الآية.

قَدّم ذوي القربى على مَن سواهم للمعنى الذي أشار إليه.

٧٢. الصَّدَقةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السُّوءِ[٣].

الفِعْلة ـ بالكسر ـ للهَيئة، والفَعْلة ـ بالفتح ـ للمرّة الواحدة، يقال: ضرب ضَرْبةً وجلس جَلْسةً؛ أي مرّة واحدة، والجِلسة والقِعدة والرِّكبة هَيئة الفعل، يُقال: جلست جِلسةَ زيد، وركبت رِكبتَه.

والموتة: الواحدة من الموت، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولىٰ﴾[٤]. والمِيتةُ: كَيفيّة الموت.

والسوء ضدّ الحسن، والإساءة ضدّ الإحسان[٥]، والمراد بميتة السوء مَوتُ

(١) كتاب سيبويه١: ٣٣٧. الأمالي للسيّد المرتضى١: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة٢: ١٧٧.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٩١، ح٩٧، عن رافع وح٩٨. الأموال لابن زنجويه٢: ٧٦٠ / باب فضل الصدقة والثواب في إعطائها، ح١٣٠٦، عن أبي هريرة. مسند ابن حنبل٣: ٥٠٢، عن رافع. ثواب الأعمال١٤٠، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام.

(٤) سورة الدخان٤٤: ٥٦.

(٥) التبيان في تفسير القرآن٦: ٢٤٤.

الفُجْأة؛ لأنّه أسوأُ الموت من حيث إنّ صاحبَه لا يصل إلى التّوبة والوصيّة وإصلاح ما بينَه وبينَ الله وما بينَه وبينَ النّاس. أعاذنا الله منها برحمته!

ورويَ أنّ **عيسى بنَ مريمَ**عليهما السلام كان جالساً ذاتَ يومٍ وعنده جبرئيلُ، فمرَّ بهما رجلٌ على ظَهْره حُزْمةُ حطَب، وبيده رغيفٌ يأكله، وكان يلعب ويضحك. فقال جبرئيل: «**عجباً لهذا الرجل! يفعل ما ترى وما بقي من عمره إلّا ساعة أو ساعتان**». فأفضى **عيسى**عليه السلام ذلك إلى مَن بحضرته. فلمّا كان في اليوم الآنفِ، مَرّ الرّجلُ وعلى عاتقه حبلٌ يخرج للاحتطاب، فقال القومُ: يا نبيَّ اللهِ، ألستَ قلتَ: ما بقي من عُمرِ هذا الرّجل إلّا ساعة أو ساعتان؟ قال: «**إنّما قلتُ ذلك من جبرئيل**». فقالوا: يا رسولَ الله، اُدعُ لنا ربّك يبيّنْ لنا هذا الأمر. فسأل الله تعالى، فأتاه جبرئيلُ وقال له: «**قل لهذا الرّجل، ليَأتِك بالحُزمة التي ذهب بها أمسِ**». فخرج الرجلُ وجاء بالحزمة، ففتحها عيسى، فإذا في وسطها حيّةٌ أفعىٰ. فقال جبرئيل: «**رأيتُ في اللّوح أنّ هذا الرّجل تقتله هذه الحيّةُ، ولكنْ سَلْهُ ما فَعَلَ من الخير مُنذُ فارَقَنا؟**». فقال: «**يا هذا، ما فعلتَ من الخير بالأمس؟**». قال: ما فعلتُ شيئاً إلّا أنّي كنت آكُلُ ذلك الرغيفَ، فبقِيتْ بقيّةٌ، فسأل عليَّ رجلٌ، فأعطيتُه تلك البقيّةَ. فقال جبرئيلُ: «**إنّ الله تعالى قد دفع عنه ذلك البلاءَ بتلك الصدقةِ، وزاد في عمره كذا سنةً**، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوااللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾»[1][2].

---

(١) سورة الرعد١٣: ٣٩.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر المتقدّمة، وجدناه في عدة الداعي٦٩، مع اختلاف.

وقال مالكُ بنُ دينارٍ: أخذ[١] السَّبُعُ صبيّاً من أُمّه، فتصدّقتْ أُمُّه برغيفٍ كان معها، فأَلقَى السَّبُعُ الصّبيَّ ونُودِيتْ: لقمةٌ بلقمة[٢].

٧٣. صَدَقَةُ السِّرِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ[٣].

السِّرِّ: خِلاف العلانية[٤]، وكذلك السّريرةُ، وهما بمعنى المفعول. وأسَرَّ الشّيْءَ إذا كتمه في نفسه، وأسرَّ إليه حديثاً إذا ألقى إليه، وسَرّهُ إذا أفرحه، وسُرَّ بكذا إذا فرِح به، فهو مسرور، والسُّرُّ والسِّرَرُ [أو: السَّرَر]: ما تقطع القابلة من سُرّة الصّبيّ، والسرّة: ما يبقى، وأصل الباب الكتمان[٥].

و إطفاءُ الغضب عبارةٌ عن تسكينه تشبيهاً للغضب بلَهَب النار؛ فإنّ الغَضْبانَ كالملتهِب من شدّة غضبِه، والغضب: إرادة الشّرّ والمَضَرّةِ بالغير، وغضبُ الله: إرادتُه العقابَ بمستحِقِّه.

وفي الخبر: «**إنّ الله تعالى لمّا خَلَق الجبالَ، تَعَجّب الملائكةُ من صلابتها**

---

(١) في النسخ التي بأيدينا (اختلس).

(٢) حلية الأولياء٢: ٣٨٣.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٩٢، ح٩٩، عن قرة بن خالد. المستدرك على الصحيحين٣: ٥٦٨، عن إسحاق بن واصل الضبي. المعجم الكبير٨: ٢٦١، عن أبي أمامة. الكافي٤: ٧ / باب فضل الصدقة السر، ح١، عن ابن القداح، عن **الإمام الصادق** .

(٤) جَمهَرة اللغة١: ١٢١ (سرر).

(٥) كتاب العين٧: ١٨٧. الصحاح٢: ٦٨١ (سرر).

وشدّتها، قالوا: يا إلَهَنا، هل خلقتَ شيئاً أشدَّ من الحَجَر؟ قال: نعم، الحديدَ؛ فإنّه يَغلِب الحجرَ ويَكسِره. قالوا: يا ربَّنا، هل خلقتَ شيئاً أشدَّ من الحديد؟ قال: نعم، النّارَ؛ فإنّها تُذيب الحديدَ وتَغلِبه. قال: هل خَلقتَ شيئاً يَغلِب النّارَ؟ قال: نعم، الماءَ؛ فإنّه يَغلِب النّارَ ويُطفيها. قالوا؛ ربَّنا، هل خلقت شيئاً يَغلِب الماءَ؟ قال: نعم، التُّرابَ؛ فإنّه يغلب الماءَ ويُسدِّده، قالوا: هل خلقت شيئاً يَغلب التّرابَ؟ قال: نعم، الرّيحَ؛ فإنّها تغلب التّرابَ وتُفرّقُه. قالوا: هل خلقت شيئاً أشدَّ من الرّيح؟ قال: نعم، عبدٌ يَتَصدّق بيمينه صدقةً لا يَشعُر بها شِمالُه، هو أشدُّ عندي من هذه الأشياءِ»[1].

٧٤. صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ[2].

الصلة: مصدر وصلتُ الشيء وصلاً وصِلةً كقولك: وعدته وَعْداً وعِدة، ومعنى صلة الرحم أن يَصِل أقرباءَه وذوي أرحامه بما يقدر عليه من البِرّ والمعروف والزيارة والقيام بأوْدهم و إعانتهم على حوادث الدهر بما يُمكِنه[3]،

(١) سنن الترمذي٥: ١٢٤، ح٣٤٢٨. المنتخب من مسند عبد بن حميد٣٦٥، ح ١٢١٥. مسند أبي يعلى٧: ٢٨٦، ح٤٣١٠، عن أنس بن مالك باختلاف يسير.

(٢) مسند الشّهاب١: ٩٣، ح١٠٠، عن ابن مسعود. المعجم الأوسط١: ٢٨٩، عن معاوية بن حيدة. قرب الإسناد٧٦، ح٢٤٤، عن مسعدة بن صدقة. معاني الأخبار٢٦٤، قطعة من ح١، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) أُنظر: الصحاح٥: ١٨٤٢. النهاية٥: ١٩١ (وصل).

حتّى لو لم يقدر على شيء من ذلك، لَتَعهَّدهم بالسلام والإلمام، كقوله ﷺ: «**بُلّوا أرحامَكم ولو بالسّلام**»[١].

وروي عن **أمير المؤمنين** عليه السلام قال: «**لمّا ضممتُ سلاحَ رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله، وجدتُ في قائم سيف رسول الله رقعةً مكتوباً فيها: صِلْ مَن قطعك، وأحسِنْ إلى مَن أساء إليك، وقُل الحقَّ وإن كان عليك**»[٢].

وروي أنّ موسى بن جعفر بن محمّد عليهم السلام كان يأنِس بابن أخيه عليّ بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ ويُحبّه ويَبَرُّه ويصله، فخدعه بعض البرامكةِ، واستدعاه إلى بغدادَ للسِّعاية على عمّه **موسى بن جعفرٍ**، فلمّا علم بذلك عمُّه، قال: «**يا ابن أخٍ، لِمَ تَخرُج إلى بغدادَ؟**» قال: أنا رجلٌ مُمْلِقٌ وعليَّ دَينٌ، قال: «**أنا أقضي دَينَك، وأفعل بك وأصنع**»، فقال: لابدّ لي من الخروج، فقال: «**إن كنت خارجاً لا مَحالةَ، فاتّق اللهَ ولا تَسْعَ في دمي ولا تُؤتِمْ أولادي**» ثمّ وصله بمالٍ جزيلٍ، فلمّا خرج من عنده، قال **أبو الحسن موسى** عليه السلام: «**واللهِ لَيَسْعَيَنَّ في دمي، ويُؤْتِمَنَّ أولادي**»، فقالوا له: جُعلنا فِداك! أنت تعلم هذا منه وتَبَرُّه وتَصِلُه؟! قال: «**نعم، حدّثني أبي عن آبائه** عليهم السلام **عن رسول الله** ﷺ: **إنّ الرّحم إذا قُطِعت فوُصلتْ فقُطعتْ، قطعها الله، وإنّي أردت أنْ أصِله بعد قطْعه حتى إذا قطعني قطعه اللهُ**».

---

(١) مسند ابن المبارك١٤٦، ح١١٧. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا٧١، ح ٢٠٧، سويد بن عامر. المجازات النبوية١٠٨، ح٦٨.

(٢) نثر الدر١: ١٣٤. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ١٧٩ / كتاب الوصيّة، باب الوصيّة مِن لدن آدمَ ، ح٥٤٠٣، عن محمّد بن قيس، عن الإمام الباقر عليه السلام، باختلاف يسير.

فخرج إلى بغداد وسعى في دمه بأكاذيبَ افتراها عليه، فلمّا تمّ للبرمكيّ ما أراد، أمر له بمائتي ألفِ درهمٍ. فلمّا وصل المال إليه، نظر إليه وهو في النَّـزْع، فتَزحَّـرَ بـه[(١)]، فتَقَطَّـعَ أمعـاؤه وأحشـاؤه، وهـو يقـول: هـذا ممّا فعلتُ بعميّ.

وخرج الرشيد في تلك السنة إلى الحجّ، وقَبَض على موسى بن جعفر، وأعطاه إلى السِّنديِّ بن شاهكَ، فسقاه السّمَّ وقَتَله[(٢)].

٧٥. صَنَائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ[(٣)].

الصنائع جمع صنيعة، وهي النّعمة المصنوعة المربوبة، فعيلة بمعنى

(١) في بعض النسخ جاء (تزجر) بالجيم، لكنه لم يستعمل تزجر بالمعنى الذي يطلبه السياق. من جانب آخر بقية المصادر التي جاءت بهذه الحكاية فإنّها ضبطتها بصورة (زحرت) كما في نسخة (ب)، وأغلب الظنّ أنّه كان (زحرت) أو (تزحّرت)، (زَحَرَ يَزْحَر زَحِيرا و هو إخراج النفَس بأنين عند شدّة و نحوها، و التَّزَحُّر مثله. (كتاب العين٣: ١٥٨ (زحر))؛ فلهذا ضبطت الكلمة في النص (تزحّرت) لا (تزجّرت).

(٢) أُنظر: الإرشاد٢: ٢٣٧. الغيبة للطوسي٢٧.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٩٣، ح١٠٢، عن معاوية بن حيدة و٩٢، قطعة من ح١٠١، عن أبي سعيد الخدري. المستدرك على الصحيحين١: ١٢٤، عن أنس بن مالك. الكافي٤: ٢٩ / باب أنّ صنائع المعروف تدفع مصارع السوء، ح١، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه و٣٠، ح٣، عن عبد الله بن سليمان. الأمالي للصدوق٣٢٦، قطعة من ح٣٨٣، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن الإمام الباقر عليه السلام، والثلاثة الأخيرة من دون إسناد إليه .

مفعولة، والمعروف المراد به العطيّة في ذات الله، وما يعرف في الشرع من الزكاة والصدقة، و إضافة الصنائع إلى المعروف كإضافة الحِندِس إلى الظُّلَم في قوله:

.... ولم أُقاسِ الدُّجىٰ في حِندِس الظُّلَمِ[١]

وهما بمعنىً، فأجازوا إضافة أحدهما إلى الآخر لاختلاف اللّفظين، والمصارع جمع مصرَع وهو موضع الصّرع.

ومعنى الحديث أنّ اتّخاذ المعروف صنيعةٌ واعتيادَها وبذلَ الأموال في المعالم الشرعيّة يحفظ صاحبها من أن يقع في مصرع سوءٍ.

وروي: «**أنّ الأعمال تُباهي، فتقول الصدقةُ: أنا أَفضَلكنّ**»[٢].

وروي: «**أنّ الصدقة الواحدة تدفع سبعين باباً من البلاء، وأنّها تَفُكّ لَحْيَيِ الشّيطان**»[٣].

وقيل: سُئِل إبليسُ: أيُّ أعمال بني آدمَ أَشَقُّ عليك؟ قال: الصدقة؛ فإنّه إذا تصدّق بصدقة، كِدتُ أن أنشقَّ لها بنصفين[٤].

---

(١) ديوان الحماسة٨٨. الزهرة١٩٥، والبيت لإسحاقَ بنِ خلف وتمامه:

لولا أُميمةُ لم أجزَعْ من العدم ولم أُقاسِ الدُّجى في حِنْدِس الظُّلَمِ

(٢) صحيح ابن خُزَيمة٤: ٩٥. المستدرك على الصحيحين١: ٤١٦، عن عمر بن الخطاب.

(٣) مسند ابن حنبل٥: ٣٥٠. المستدرك على الصحيحين١: ٤١٧، عن بريدة. كتاب من لا يحضره الفقيه٢: ٦٦ / أبواب الزكاة، ح١٧٣١، عن الإمام الصادق عليه السلام، مع باختلاف يسير.

(٤) لم نعثر عليه.

ويروى: «**فِعل المعروف يقي مصارعَ السّوء**»[١].

٧٦. الرَّجُلُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتّى يُقْضى بَيْنَ النَّاسِ[٢].

الظِّلّ: ما يَستُرك عن الشمس، ثمّ يُستعمل في كلّ ما يُظِلُّك وإن لم يكن هناك شمسٌ[٣]، وقال ﷺ في خطبةٍ خطبها في آخر جمعة من شعبان: «**أيّها النّاس قد أظلَّكم شهرٌ عظيم**»[٤].

ويقول الرّجل إذا لم يَدْرِ حول أمرٍ من الأمور: أنا لا أُظِلّ عليه، ويُستعمل في الفَزَع إلى جِوار مَن يَحمِل ويمنعك من المَكارِه، يُقال: أنا في ظِلّه الظّليل، وجَنابه المنيع، وحَماه المَريع.

والمعنى أنّ المؤمن إذا كان مؤدّياً للزّكاة، مُتَبرّعاً بالصّدقات، جعل الله له يوم القيامة بجزاء ذلك ما يقيه من حَرّ ذلك اليوم، حتّى يكونَ كمَن كان في ظلٍّ من حَرّ الشمس.

وجعل نفسَ الصدقة ظِلاًّ، والمراد جزاؤها على طريق المبالغة من حيث إنّه كان بسببها، ولا يَمتنع أن يقال: إنّ الله تعالى يجعل ما تَصَدَّق به المؤمن

---

(١) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا١٣، ح٣، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٩٤، ح١٠٣. مسند ابن حنبل٤: ١٤٧. المستدرك على الصحيحين١: ٤١٦، وفيهما (يُفصل) بدل (يقضى). صحيح ابن حبّان٨: ١٠٤، عن عقبة بن عامر.

(٣) أُنظر: كتاب العين٨: ١٥٠ (ظلل). الفروق اللغوية٣٤١، الفرق بين الظل والفيء.

(٤) الكافي٤: ٦٦ / كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضانَ، ح٤. الأمالي للصدوق٩٦، ح٧٤، عن أبي الورد، عن الإمام الباقر عليه السلام. صحيح ابن خُزَيمة٣: ١٩١، عن سلمان.

جسماً كثيفاً ساتراً مُظلِّلاً على صاحبه، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ﴾[١]: إن الله تعالى يُربي الصدقة حتّى يجعلها كأعظم جبل في الأرض[٢]، فهو ههنا يجعل الشيء المُتَصدَّق به ظِلاًّ على صاحبه حتّى يَحكُمَ الله بين الناس؛ يعني طولَ يوم القيامة، فيكون هو في راحةٍ حيث كان غيرُه في حَرِّ يوم القيامة.

٧٧. الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ[٣].

إطفاء الصدقةِ الخطيئةَ تشبيهٌ لهما بالماء والنار، فجعل الخطيئةَ بمنزلة النار، من حيث إنّها تؤدّي إلى النار، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَأْكُلونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ في بُطونِهِمْ ناراً﴾[٤]، فجعل ما يأكلونه ناراً من حيث إنّه يؤدّي إلى النار، وجعل الصدقةَ التي تدفع أذاها وحَرّها بمنزلة الماء المُطفِئ للنّار، والمُطفي في الحقيقة هو الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكنّه لمّا كان سببَها، أضاف الفعلَ إلى مُسبِّبه، كما ذكرنا في:

.... إذا ردَّ عَافَى القِدْرِ مَنْ يستعيرُها[٥]

(١) سورة البقرة٢: ٢٧٦.

(٢) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٢: ٣٦٣. تفسير الثعلبي٢: ٢٨٤، سورة البقرة.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٩٥، ح١٠٤. سنن الترمذي٤: ١٢٤ / باب ما جاء في حرمة الصلاة، قطعة من ح٢٧٩٤. سنن ابن ماجة٢: ١٣١٤ / باب كف اللسان في الفتنة، ح٣٩٧٣، عن معاذ بن جبل. المجازات النبوية١٨٩.

(٤) سورة النساء٤: ١٠.

(٥) تقدّم في شواهد حديث (كفّارة الذّنب النّدامة).

ثمّ شَبّه ذلك تشبيهاً حقيقيّاً، فقال: «**كما يُطفئ الماءُ النارَ**»، لِيَتحقّق ما ذَكَره من إطفاء الصدقةِ الخطيئةَ.

والكاف للتشبيه ومحلّه النّصْبُ؛ لكونه صفةً لمصدرٍ محذوفٍ، والتقدير: إطفاءٌ مثلُ إطفاءِ الماءِ النارَ.

٧٨. المُعْتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا(١).

ويُروَى «**المتعدي**»(٢). المعتدي: المسرف المتجاوز للحدّ، يقال: اعتدى وتعدّى إذا تَجاوَز الحَدَّ، والمتعدي: الظالم من حيث إنّه متعدٍّ حدَّ العدل إلى ارتكاب الظُّلْم(٣).

والمعنى أنّ من أسرف في الصدقة حتّى جعل نفسه فقيراً وعِيالَه محتاجاً، فهو كمانع الصدقة، ووجه الشبه أنّهما جميعاً ـ أعني الإسراف والتقصير ـ ممنوعان مُحَرَّمان عقلاً وشرعاً، والمحمود: المَرْضيّ القصد الذي هو واسطة الأمور، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾(٤). وقيل: إنّ سبب نزول الآية أنّ امرأةً من

(١) مسند الشِّهاب١: ٩٦، ح١٠٦ وح١٠٧. سنن أبي داود١: ٣٥٧ / باب في زكاة السائمة، ح١٥٨٥. الأموال للقاسم بن سلام: ٤٩٢، ح١٠٨٢، عن أنس بن مالك.

(٢) سنن الترمذي٢: ٧٩ / باب في المتعدى في الصدقة، ح٦٤١ عن أنس بن مالك. نسخة (د) و نسخة (هـ): (المعتدي).

(٣) أُنظر: المفردات٥٥٤ (عدو). النهاية٣: ١٩٣ (عدا).

(٤) سورة الإسراء١٧: ٢٩.

فقراء المدينة أرسلتْ إلى رسول الله تسأله قميصاً تصلّي فيه، ولم يكن لرسول الله إلّا قميصٌ واحد، فنزعه وأرسله إليها واستحيىٰ أن يَرُدَّ السائل، ولم يكن من عادته ردُّ السائل، حتّى قال عبدُ الله بنُ رواحةَ في مدحه:

ما قال "لا" قطُّ إلّا في تشهّده   لولا التّشهّدُ لم يُسمَع له لاءٌ[(١)]

فلمّا كان وقتُ الصلاة وآذَنَه المؤذّنُ بالصلاة، لم يُمكِنْه الخروجُ؛ لأنّه لم يكن عليه إلّا إزارٌ واحد، فنزلت الآية، ونهى عن الإسراف في الصدقة[(٢)].

وقيل: المتعدّي في الصدقة معناه مَن تعدّى بها إلى غير مستحِقِّها ووَضَعَها في غير موضعها[(٣)]؛ وقيل معناه من تعدّى في أخذ الصدقة بأن يأخذ خيارَها المنهيَّ عن أخذها[(٤)]، فإنّه إذا فعل ذلك، أدّى إلى أن يمنع صاحبَ المالِ الصدقةَ في العام القابل، فهو كالمانع لها من حيث إنّه سببُ المنع على الإسناد المجازيّ، وفي هذا الوجه تعسّفٌ.

---

(١) تاريخ بغداد٩: ٢١٠. الحاشية على الكشّاف للجرجاني٨٢، من دون إسناد إلى عبد الله بن رواحةَ.

(٢) أُنظر: تفسير العياشي٢: ٢٨٩، ح٥٩. تفسير القمّيّ٢: ١٨. أسباب نزول القرآن٢٩٤.

(٣) النهاية٣: ١٩٣ (عدا).

(٤) أُنظر: مسائل أحمد وإسحاق٣: ١١٥٠، الرقم٦٦٤. الأموال لأبي عبيد٤٩٢ / باب ما يجب على المصدق من العدل في عمله، وما في ذلك من الفضل، وفي العدوان من الإثم.

٧٩. التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ[١].

قد بيّنا حَدّ التوبة، وأنّها النَّدَمُ على ما مضى، والعزمُ على أن لا يعود إلى مثله في المستقبل لِقُبحه، وهذه توبةٌ أجمعت الأُمّةُ على إسقاط العقاب عندها[٢].

والخلاف بيننا وبين المعتزلة أنّهم يقولون: إنّ التوبة تُسقط العقابَ بطريقة الإحباط[٣]، ونحن نقول: إنّ الله تعالى هو المُسقط لعقاب التائب. وذهبوا إلى أنّ إسقاط العقاب واجبٌ على الله تعالى، حملاً على وجوب قبول الاعتذار، وذهبنا إلى أنّ الله تعالى مُتَفضِّلٌ بإسقاط العقاب عند التوبة، وكذلك المُعتذِر إليه متفضَّلٌ بقبول الاعتذار.

وذهبوا إلى أنّ ذلك واجبٌ على الله عقلاً، وذهبنا إلى أنّه لا طريق للعقل إلى وجوب ذلك، بل عُرف ذلك بالسمع والإجماع، ولا يجب عليه تعالى إلّا من حيث إنّه وعد بقبول التوبة في قوله: ﴿وهُوَ الَّذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ﴾، وخُلف الوعد لا يجوز عليه تعالى[٤]، على أنّ معنى قبول التوبة

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٩٧، ح١٠٨. سنن ابن ماجة٢: ١٤١٩ / باب ذكر التوبة، ح٤٢٥٠، عن عبد الله بن مسعود. عيون أخبار الرضا ٢: ٧٩، ح٣٤٧، عن دارم بن قبيصة، عن الإمام الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام. الكافي٢: ٤٣٥ / كتاب الايمان والكفر، باب التوبة، ح١٠، عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) أُنظر: كنز الفوائد١١٣. تفسير مجمع البيان١: ١٧٦.

(٣) أُنظر: رسائل الشريف المرتضى٣: ٨٩. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد٥٧٣.

(٤) أُنظر: الكافي للحلبي٤٦٧ و٤٦٩. التبيان في تفسير القرآن٢: ٣٦٥. مجمع البيان١: ١٧٦.

عندنا هو ضِمان الثواب عليها؛ لأنّه طاعة من الطاعات، ومعنى قبول الطاعة ضمان الثواب عليها؛ والدليل على ذلك قوله في هذه الآية: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾[١] على سبيل المنّة علينا بالعفو عنّا، ومن فَعَل واجباً، لا يكون له أن يَمُنَّ على مَن فعله به، ولفظ العفو لا يُطلَقُ إلّا على مَن تَفَضَّلَ به.

وقوله: «**كمَن لا ذنب له**»، مبالَغةٌ في إسقاطه عقابَ التائب حتّى كأنّه لم يكن له ذنبٌ، ومَنْ لا ذنبَ له، لا يستحقّ شيئاً من العقاب، فهذا وجه التشبيه.

٨٠. الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ[٢].

قد بيّنّا حقيقةَ الظلم، فلا وجه لإعادته. والظلمات جمع ظلمة، وهي ضدّ الضياء.

ومعنى الحديث: أنّ جزاء الظلم يكون ظلماتٍ يوم القيامة في الموقف وعلى الصراط وفي دَرَكات النار، فقد جاء في الأخبار

---

(١) سورة الشورى٤٢: ٢٥.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٩٧، ح١٠٩ و٩٨، ح١١٠. صحيح البخاري٣: ٩٩، باب الظلم ظلمات يوم القيامة. صحيح مسلم٨: ١٨، عن ابن عمر. الكافي٢: ٣٣٢ / كتاب الايمان والكفر، باب الظلم، ح١١، عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه «اتقوا الظلم؛ فإنّه ظلمات يوم القيامة».

أنّ نار جهنّم سوداءُ[١]، وقد طابَقَ في اللّفظ بين الظلم والظلمة، وقال ﷺ: **«يا أيّها الناس، اتّقوا الظلم؛ فإنّ الظلم ظلماتٌ يوم القيامة»**[٢]، وهي ما ذكره الله في قوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[٣].

وقال الشاعر:

بَشِّرْ أُولي العدل والإنصاف بالنِّعمِ ... والجائرين بعُقبَى السّوء والنِّقَمِ

فالعادلون غَداً في نور عدلِهِمُ ... والجائرون غَداةَ الحشر في الظُّلَمِ[٤]

وقيل: مرَّ رجلٌ من العلماء بدارٍ خَرِبَتْ، فكتب عليها:

هذه دارُ من ظَلَم ... وتعدّى على الأُمم

وَدَّ في القبر أنّه ... لم يكن يعرف القلم[٥]

وقال ﷺ: **«المظلومون هم المُفلِحون يومَ القيامة»**[٦].

وقال بعضهم:

لا تَظلِمَنّ إذا ما كنت مقتدراً ... فالظّلمُ آخرُه يُفضي إلى النّدمِ

---

(١) أُنظر: مسند البزار١٣: ١١٧، ح٦٤٩٧. تفسير مجمع البيان٦: ٣٣٩، سورة الكهف.

(٢) الكافي٢: ٣٣٢ / كتاب الايمان والكفر، باب الظلم، ح١١، عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام. مسند ابن حنبل٢: ٩٢، عن ابن عمر. صحيح مسلم٨: ١٨، عن جابر بن عبد الله.

(٣) سورة الحديد٥٧: ١٣.

(٤) آداب الملوك بالعدل لارموي ١: ١٢٣.

(٥) لم نعثر عليها في المصادر.

(٦) حلية الأولياء٧: ٦٩، عن سفيان الثوري.

نامتْ جُفونُك والمظلومُ مُنتبِهٌ يدعو عليك وعينُ اللهِ لم تَنَمِ
جَلَّتْ مصائبُ أقوامٍ بمَظلَمةٍ إنّ الظَّلومَ على بالٍ من النِّقَمِ
فاحذَرْ أُخَيَّ من المظلوم دعوتَه كَي لا يُصِبْك سِهامُ الليل في الظُّلَمِ[١]

وقيل: أقلُّ ظلم في أُمّة محمّدٍ قَولُ أحدهم للآخَرِ[٢]: (تَنَحَّ عن الطّريق)[٣].

وقال فارِسٌ لأبي العَيناءِ: (الطريقَ!)، قال: (عن الطّريق تَعدِلُ بي).

وقال الحسنُ: (ظُلمُك لأخيك أن تَكتُم خيرَ ما تعلم فيه وتُذَكِّرَ شرَّه)[٤].

٨١. كَثْرَةُ الضِّحْكِ تُميتُ القَلْبَ[٥].

الضِّحك: تَفتُّحٌ يَظهَر في الوجه لِمَسرّة في القلب أو حدوثِ أُعجوبة[٦]، وهو على الحقيقة لا يكون من فعلنا، وكذلك البكاءُ؛ وذلك لأنّهما

---

(١) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ : ٤٠٦، ولم يذكر فيه بعض الأبيات.

(٢) في نسخة (ج): (لآخره).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى٦: ٢٩، نقلاً عن كتاب لطائف المعارف للثعالبي مع اختلاف.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٩٨، ح١١١. سنن الترمذي٣: ٣٧٨ / أبواب الزهد، عن **رسول الله** ، قطعة من ح٢٤٠٧. الكافي٢: ٦٦٤ / كتاب العشرة، باب الدعابة والضحك، قطعة من ح٦، عن حريز.

(٦) المفردات ٥٠١ (ضحك).

لا يحصلان عند قُصودنا ودواعينا، ولا ينتفيان عند كَراهتنا وصوارفنا، وهما من فِعل الله على سبيل العادة عند أحوالٍ تقتضيهما، ولذلك تختلف الحال فيه باختلاف الأحوال والأسباب، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾[1]، نهيٌ في صورة الأمر، ومعناه: لا تفعلوا الأفعالَ المُضحكةَ التي هي أسباب الضحك، وقيل: القِلّة في الآية عبارة عن النفي، كقولهم: قَلَّما رأيتُ مثلَه، والمعنى: ما رأيت مثلَه لا قليلاً ولا كثيراً[2].

﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾[3] أمرٌ بأسباب البكاء وما يَحصُل البكاءُ عنده مِن تذكّرِ وعيدِ الله وعقابه.

وقوله: (تُميت القلبَ)، معناه: تجعل القلبَ ساهياً لاهياً عمّا يجب عليه التفكّرُ فيه، فإذا صار القلب بحيث لا يُنتَفَع به، فهو كالميّت، ومثله قوله: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتىٰ﴾[4]، وقال الشاعر في معناه:

لقد أَسمعتَ لو نادَيتَ حَيّاً ولكنْ لا حياةَ لِمن تُنادي[5]

---

(١) سورة التوبة٩: ٨٢.

(٢) أُنظر: تفسير السمعاني٢: ٣٣٣.

(٣) سورة التوبة٩: ٨٢.

(٤) سورة النمل٢٧: ٨٠.

(٥) المفردات٢٦٨ (حيي). كنز الفوائد٤٨. التبيان في تفسير القرآن١: ٦٤. والشاعر كثير يرثى صديقه خندقاً الأسدي.

٨٢. فِي كُلِّ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ[١].

قيل: المراد بالكبد القلبُ، والعرب تُعبِّر بالكبد عن القلب[٢]، وعلى هذا قول الشاعر:

وأَذكُرُ أيّامَ الحِمىٰ ثم أنثني   على كبدي من خشيةٍ أن تَصَدّعا[٣]

وقال الحسين بن مُطَيْرٍ:

لقد كنتُ جَلْداً قبلَ أن يوقِد الهوى   على كبدي ناراً بطيئًا خُمُودها[٤]

وقال جميل:

أُحبّكُمُ ما دمتُ حيّاً فإنْ أَمُتْ   فواكَبّدي ممّن يُحِبُّكمُ بعدي![٥]

ومثله كثير، و إنّما قلنا ذلك لأنّ محلّ الحبّ والبغض والإرادة والكراهة والمَساءة والمسرّة والشهوة والنِّفرةَ القلبُ.

وللخبر معنيان:

أحدهما: في كلّ كبدٍ حرّىٰ بالمصيبة والمَساءة أجرٌ، أراد به العِوضَ

(١) مسند الشِّهاب١: ٩٨، ح١١٢. سنن ابن ماجة٢: ١٢١٥ / باب فضل صدقة الماء، قطعة من ح٣٦٨٦. المستدرك على الصحيحين٣: ٦١٩. مسند الحميدي٢: ٤٠١، عن سراقة بن جعشم.

(٢) أُنظر: المجازات النبوية ٣١.

(٣) أحكام القرآن للجصّاص١: ٤١٣. أخبار القضاة١: ١٢٩. الأمالي للقالي١: ١٩٤.

(٤) طبقات الشعراء١١٦.

(٥) شرح ديوان الحماسة٩٥٦. المدهش١٦٦ و ٣٦٦.

المستحَقَّ على الآلام والأحزان بالمصيبات، وسُمّي العِوضُ أجراً على سبيل التّوسّع.

والثاني: أنّه أراد في إشباع كلّ كبد أو إرواء كلّ كبد أجر، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه، والمراد بالأجر الثّوابُ على هذا الوجه، وهو حقيقة في الثواب.

وإنّما قال: حرّىٰ؛ لأنّ الكبد مؤنّث وفَعْلىٰ صفة المؤنّث؛ كالغَرثىٰ والعَطشىٰ في تأنيث غَرثانَ وعطشانَ.

وروي: أنّ رجلاً كان في بني إسرائيلَ، وكان منهمكاً في المعاصي سادراً في الغي والجهالة، أتى في بعض أسفاره على بئر، فإذا كلب قد لَهِث من العطش، فرَقَّ له ورثىٰ له[1]، فأخذ العِمامةَ من رأسه وشدّ بخُفّه واستقى الماء وأروَى الكلبَ، فأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزمان: إنّي قد شكرتُ له سعيَه وغفرت له ذنبَه لشفقته على خلقٍ من خلقي، فسمع ذلك، فتاب من المعاصي وصار ذلك سبباً لتوبته، وخلاصه من العقاب[2].

ومن علامات الإيمان الشّفقة على خلق الله[3].

---

(١) رَثَى فلان فلانا يَرْثِيهِ رَثْياً و مَرْثِيَةً، أي: يبكيه و يمدحه، و الاسم: الْمَرْثِيَةُ، كتاب العين٨: ٢٣٤ (رثو).

(٢) أُنظر: صحيح البخاري٤: ١٤٨. صحيح مسلم٧: ٤٥.

(٣) أُنظر: البحر المحيط في التفسير ٨: ٣٩٣.

٨٣. العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ اللهِ عَلى خَلْقِهِ[١].

العلماء جمع عليم كظريف وظُرَفاء وكريم وكُرَماء، وجمع العالِم عالِمون، والعليم أبلغ من العالم، ولذلك وصف الله نفسه بالعليم؛ لأنّه تعالى عالمٌ بجميع المعلومات على كلّ وجهٍ يصحّ أن يُعلَم عليه.

والمراد بالعلماء في الخبر الأئمّةُ الذين بلغوا درجةَ الفَتوى، فيُفتون في الدِّين، ويعتمد الناس عليهم في الحلال والحرام والقضايا والأحكام، فهُم أُمناء الله على خلقه، وهو جمع أمينٍ ائتَمَنهم اللهُ على أمانته لِيُفتوا لهم بالأمانة والحقّ فيما بينهم وبين الله بما علموه وتحقّقوه، إما بآية محكمة أو سنّةٍ مقطوعٍ عليها.

وأمانة العالم في شيئين:

أحدهما: أن لا يُفتيَ بما لا يعلمُ.

والثاني: أن لا يَكتُمَ الحقّ فيما يعلم. فإذا كان كذلك، كان أميناً عند الله، وأعظم الخيانة الخيانة في الدِّين، وهي أن يعمل العالم بهاتين الخصلتين حتّى لا يكون علمُه شفيعاً له، بل يكون وبالاً عليه. أعاذنا الله من ذلك برحمته، ووفّقَنا لما فيه المَحَبّة والرّضا!

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٠٠، ح١١٥. معجم ابن الأعرابي١: ٣٠٧، ح٥٨٧. تنبيه الغافلين للسمرقندي٤٣٣، ح٦٧٥، باختلاف يسير، عن أنس بن مالك.

٨٤. رَأْسُ الحِكْمَةِ مَخافَةُ اللّٰهِ تَعَالَى[١].

بيّنّا معنى الحكمة، وأنّ أصلها المنع؛ لأنّها تمنع صاحبَها عن كثيرٍ من القبائح[٢]. والمخافة من الخوف، وألِفُها منقلبة عن الواو بدلالة الخوف، وأصل خاف يخاف خَوِفَ يَخْوَف، وحقيقته الظّنّ الذي يتعلّق بوقوع مَضَرّة أو فوت منفعة.

ومعنى الخبر أنّ الرجل إنّما يكون حكيماً كلَّ الحكيم إذا خاف الله؛ فإنّه إذا لم يَخَفِ الله وتسمّي بالحكمة، كان ذلك الاسم عليه زوراً؛ فإنّ الحكيم من كان فيه حكمةٌ كحَكَمة اللّجام يَكبَحُه ويمنعه عن كثيرٍ من المُقبَّحات[٣]. ومثله التقيُّ مُلجَمٌ كالمُحرِمِ في الحرَم[٤].

٨٥. الجَنَّةُ دَارُ الأَسخِيَاءِ[٥].

الجنّة: البستان الكثير الشجر الذي تَجُنّ أشجارُه الأرضَ، وأصل الكلمة

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٠٠، ح١١٦ عن زيد بن خالد. الأمثال لأبي الشيخ١: ١٦١ عن أبي الدرداء. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٧٦، ح٥٧٦٦.

(٢) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٥: ١٦١. تفسير الثعلبي١: ١٧٨.

(٣) أُنظر: كتاب العين٣: ٦٧ (حكم). التبيان في تفسير القرآن١: ١٤٢.

(٤) مجمع البيان١: ٨٣، نسب هذا القول إلى عمر بن عبد العزيز، ولفظه: (التّقيّ مُلجَم كالمُحْرم في الحرم).

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٠٠، ح١١٧. الثقات لابن حبان٨: ٣٥. مكارم الأخلاق للخرائطي١٩٧، ح٥٩٧، عن عائشة. تاريخ اليعقوبي٢: ٩٧.

السَّتْر[١]. وألِفُ الدار منقلبة عن واو بدلالة دُوُورٍ ودُوَيرَة، ودارَ يَدور دوراً وَدَوراناً.

والأسخياء جمع سخيّ، كنبيّ وأنبياء، ووصيّ وأوصياء.

وهو الذي يَبذُل مالَه في الواجبات والمندوبات من الصدّقات وقضاء الحقوق الواجبة عليه والإحسان وسائر المَبرّات؛ لأنّه اسمٌ مُدِح في الشرع والعرف، والمدح لا يستحقّ إلّا بفعل الواجب أو المندوب إليه. ونقيضه البُخل[٢]، وهو اسم الذّم، وحقيقته مَن يمنع الواجب[٣]؛ لأنّ الذّمّ إنما يستحقّ بترك الواجب، ويُستعمل في مانعِ ما لا يجب عليه على سبيل المجاز. وفي الشرع عبارة عن مانع الزكاة[٤]؛ كأنّه جعل الجنّة بأجمعها دارُ من يجود بماله ولا يبخل به عن الحقوق على سبيل المبالغة.

٨٦. الجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ[٥].

أراد ﷺ بهذا الخبر الحثّ على الجِهاد، فكأنّه قال: من طلب الجنّة، فإنّها توجد تحت ظلال السيوف.

---

(١) أُنظر: معجم مقاييس اللغة١: ٤٢١. مجمع البيان٢: ١٨٨.

(٢) جَمهَرة اللغة٢: ١٠٥٤ (سخا).

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٩: ٣١٠.

(٤) أُنظر: وسائل الشيعة٩: ٣٥ / كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة وما تستحب فيه، باب تحريم البخل والشح بالزكاة ونحوها.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٠٢، ح١١٨. صحيح مسلم ٦: ٤٥، عن أبي موسى و ٥: ١٤٣. صحيح البخاري٣: ٢٠٨ / باب الجنّة تحت بارقة السيوف، عن عبد الله بن أبي أوفى. الفتوح٣: ٨٦، عن عمار بن ياسر.

والمعنى: أنّ من صبر وثبت ولم يفرّ حيث تعلى السيوف على رأسه، وتُظِلّ على شخصه، وتيقّن بالقتل والشهادة، فهو ممّن ظفر بمطلوبه، وفاز بمراده وأدرك طَلِبته.

وقيل لعليٍّ عليه السلام: ما بالُ دِرعك لا ظَهْر لها؟ **قال: «إذا وَلَّيتُ فلا وَأَلْتُ!»**[(١)].

وقال **جعفر بن محمّد الصادق** عليهما السلام: **«السّيف مفتاح الجنّة والنّار»**[(٢)].

وقال بعض الحكماء: السيف حِرزٌ إذا جُرّد، وهَيبةٌ إذا أُغمِدَ. ووصفه رجلٌ فقال: هو مَلِك رَئيسٌ، وضحّاكٌ عبوسٌ، لَهْوُه قَطْفُ الرّؤوس، وهَزْلُه خَطْفُ النّفوس[(٣)]. وقال أبو الطّيّب:

ومن طلب الفتحَ الجليلَ فإنّما　　　مفاتيحه البِيضُ الخِفافُ الصّوارم

وله:

والـمَشرَفيّة لا زالت مُشَرَّفةً　　　دواءُ كلِّ كريمٍ أو هي الوَجَعُ[(٤)]

---

(١) نزهة القلوب٤٢٠. روض الجنان٣: ٣٨٤. النهاية في غريب الحديث ٥: ١٣٤. فلا وألتُ أي لا نجوتُ.

(٢) محاضرات الأدباء٢: ١٧٠.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الخيرُ كلُّه في السّيف وتحتَ ظلِّ السّيف ولا يُقيم النّاسَ إلّا السّيفُ والسّيوفُ مقاليدُ الجنّة والنّار»، الكافي٥: ٢ / كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح١، عن عمر بن أبان، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) محاضرات الأدباء٢: ١٧٠.

(٤) محاضرات الأدباء٢: ١٧٠. ديوان المتنبي٣٠٩.

ولآخر:

حُسـامٌ غَـداةَ الـرَّوعِ مـاضٍ كأنّـه من الموت في قبض النفوس رسولُ[١]

ولآخر:

لو قيل للموت انتَسِبْ لـم ينتسب يـوم الـوَغى إلّا إلـى صمصـامه[٢]

ولأبي تمّام:

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حدّه الحدّ بين الجِدّ واللّعبِ

بِيضُ الصفائح لا سود الصحائف في متـونهنّ جِلاء الشّـكِّ والرِّيَـبِ[٣]

ولأبي الطّيّب:

حتّى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي: المجد للسّيف ليس المجد للقلم

اُكتُـب بنـا أبـداً بعـد الكتـاب بـه فإنّما نحن للأسياف كالخدم[٤]

٨٧. الجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الاُمَّهَاتِ[٥].

الأُمّهات: جمع أُمَّهَة وهي الأُمّ، وجمع الأُمّ أُمّات، وقيل: هي جمع أُمّة وهي الأُمّ أيضاً[٦].

---

(١) محاضرات الأدباء٢: ١٧١. العقد الفريد١: ١٥٧.

(٢) محاضرات الأدباء٢: ١٧١.

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب٢: ٤٨٠.

(٤) زهر الآداب وثمر الألباب٢: ٤٨٠. محاضرات الأدباء١: ١٤٥.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٠٢، ح١١٩. الفوائد لأبي الشيخ٥٨، ح٢٥. تفسير الثعلبي٧: ٢٧٢، عن أنس بن مالك.

(٦) اُنظر: تهذيب اللغة٦: ٢٥١ (أمه).

قال أبو الطّيّب:

.... والرّاكبين جدودُهم أُمّاتِها[1]

والتاء في الأُمّة للمبالغة لا للتأنيث؛ لأنّ هذا الاسم لا يقع على الذكور بوجهٍ حتّى يُؤتى بتاء التأنيث فرقاً بينهما.

ومعنى الخبر كمعنى الخبر الأوّل، كأنّه قال: من اشتاق إلى الجنّة وطلبها، فإنّها توجد تحت أقدام الأُمّهات؛ يعني: بطلب رضاء الأُمّهات، وإنّما جعْلها تحت أقدامهنّ عبارة عن أنّها لا توجد إلّا بالخشوع لهنّ والتّقبيلِ لأرجلهنّ ومسحِها بالوجوه والمحاسن.

والأخبار في بَرّ الوالدين أكثر من أن يُحاط بها، منها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **«من أدرك والديه أو أحدَهما ولم يُغفَر له، أبعده الله»**[2].

وروى أبو هريرةَ أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ **قال: «دعاء الوالدة أسرع إجابةً من دعاء الوالد»**، قيل: لِمَ يا رسول الله؟ قال: **«لأنّها أرحم من الأب ودعوة الرحيم لا تُردّ»**[3].

(١) ديوان المتنبي١٦٣ وتمام البيت:

العارفين بها كما عَرَفَتْهُمُ... والرّاكبين جدودُهم أمّاتِها. مدح لركاب الخيل فيقول: إنهم يعرفونها وهي يعرفونهم، فجدود هؤلاء الممدوحين كانوا يركبون أمّات هذه الخيل، وهم اليوم يركبون بناتِها.

(٢) الكافي٤: ٦٧ / كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضانَ، ح٥، عن عبد الله بن عبد الله، عن رجل، عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ. مسند ابن حنبل٤: ٣٤٤. المعجم الكبير١٩: ٣٠٠، عن مالك بن عمرو القشيري.

(٣) إحياء العلوم٦: ٤٦.

وقال ﷺ: «**البارّ بوالديه لا يموت مِيتةَ سوء**»[١].

وروى بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، قال: قلت: يا **رسول الله**، مَن أبرُّ؟ قال: «**أُمَّك**»، قلت: ثمّ مَن؟ قال: «**أُمّك**»، قلت: ثمّ مَن؟ قال: «**أُمّك**»، قلت: ثمّ مَن؟ قال: «**ثمّ أباك، ثمّ الأقرب فالأقرب**»[٢].

وقال: يُقال للعاقّ: «**اعملْ ما شئت، فلا أغفر لك**»، ويُقال للبارّ: «**اعملْ ما شئت، فإنّي لَأغفر لك**»[٣].

وروي أنّه جاء رجلٌ إلى رسول الله وقال: يا رسول الله، دُلّني على عملٍ يُدخِلُني الجنّةَ. **قال**: «**أَلكَ والدان؟**» قال: نعم، قال: «**فإنّما يكفي مع بَرّ الوالدين العملُ اليسير**»[٤].

وجاء رجلٌ إلى رسول الله وقد أَلَمَّ بذنب، فقال له **رسول الله**: «**أَلكَ أُمّ؟**» قال: لا، فسكتَ ساعةً، ثمّ قال: «**أَلكَ خالة؟**» قال: نعم، قال: «**فبَرّها**»[٥].

وروي أنّ النبيّ ﷺ أتته خالةٌ له من جهة الرِّضاع، فنَزَعَ رِداءه عن ظهره وبسطه لها، وقال: «**مرحباً بأُمّي**»[٦].

---

(١) الفردوس٢: ٣٣، ح٢٢٠٧، عن أبي هريرة.

(٢) مسند ابن حنبل٥: ٣. سنن أبي داود٢: ٥٠٦، ح٥١٣٩. الكافي٢: ١٥٩ / كتاب الإيمان والكفر، باب البّر بالوالدين، ح٩، باختلاف يسير.

(٣) تفسير الثعلبي٦: ٩٤. حلية الأولياء١٠: ٢١٥، عن عائشة.

(٤) أُنظر: الاستيعاب ٤: ١٧٥٧، ح ٣١٧٤.

(٥) سنن الترمذي٣: ٢٠٩ / باب في بر الخالة، ح١٩٦٨. مسند ابن حنبل٢: ١٤. المستدرك على الصحيحين٤: ١٥٥، عن ابن عمر.

(٦) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا٧٣، ح٢١٤، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين. مسند ابن مبارك١٣٦، ح٨١، عن محمّد بن المنكدر.

٨٨. الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإقَامَةِ لَا يُرَدُّ[١].

يعني: دعاء الرجل بالخير لنفسه ولأولاده ولإخوانه المؤمنين، أو على مَن يظلمه ويؤذيه ممّن يستحقّ الدّعاء عليه، يعني إنّ دعاء الرجل لغيره أو عليه بين الأذان والإقامة حقيقٌ بالإجابة؛ فإنّ تلك الساعة مَظِنّةُ إجابة الدّعاء[٢]؛ لأنّه بين فصول من التكبير والتهليل والشهادتين والدّعاء إلى الصلاة والفلاح وهو الظفر والبقاء.

وأصل الأذان من الإيذان وهو الإعلام، يُقال أذِنتهُ بكذا إذا أوقعتَه في أُذنه، وآذَنتُه بالصّلاة، والأذان اسمٌ للتأذين بالصّلاة مختصٌّ به شرعاً[٣].

والإقامة نصب الشيء قائماً. ويكون بمعنى الإظهار كقول الشاعر:

أَقامَتْ غَزالةُ سُوقَ الضِّرابِ لأَهْلِ العِراقَيْنِ حَولاً قَميطا[٤]

(١) مسند الشِّهاب١: ١٠٣، ح١٢٠. سنن أبي داود١: ١٢٨ / باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، ح٥٢١. سنن الترمذي١: ١٣٧ / باب ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، ح٢١٢. مسند ابن حنبل٣: ١١٩، عن أنس بن مالك.

(٢) عن رسول الله ﷺ: «الدّعاءُ بين الأذان والإقامةِ مستجابٌ، فادعوا»، مسند أبي يعلى٦: ٣٥٤، ح٣٦٨٠ عن أنس بن مالك.

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة١: ٧٧.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة٣٢. المحكم والمحيط الأعظم٥: ٤٤٦ (غزل). مجمع البيان١: ٨٥ والبيت لأيمُن بن خُرَيم. و(غزالة) هذه من شهيرات النساء في الشجاعة والفروسية. و(الضراب): القتال. و(العراقين): الكوفة والبصرة. (قميطاً) أي: كاملاً.

ومنه قولهم: قامت الحرب على ساق[(١)]. قال: وقامت الحرب بنا على ساق، وقامت القيامة، وقامت عليه الحجّة، وأقمتها أنا، فكأنّها إقامة المأمومين للصلاة؛ لأنّ عند قول الإمام: قد قامت الصلاة وجب القيام على المأمومين للصلاة، وهو من باب: ليله قائم ونهاره صائم، على الإسناد المجازيّ.

والردّ ضدّ القبول، وههنا ضدّ الإجابة؛ يعني أنّ الدّعاء في هذه الساعة يُقرَن بالإجابة.

٨٩. طَلَبُ كسبِ الحَلاَلِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ[(٢)].

يعني: طلب الرّزق الحلال من الوجه المأذون في طلبه شرعاً بعد الصلاة الفريضة؛ لأنّ العقل والشرع أوجبا عليه طلب الرّزق الحلال، كأنّه يقول: إذا فرغت من الصلاة المفروضة، فليس شيء آكَدُ عليك فرضاً ووجوباً من طلب الرزق الحلال، وجعله في الحديث الآخر بمنزلة الجِهاد[(٣)].

وروي **عنهم** عليهم السلام: «**الرزق رزقان: رزقٌ تطلبه، ورزقٌ يطلبك**»[(٤)]. فالذي

(١) أي: ظهرت الشّدّة، المفردات٧١٢ (كشف).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٠٤، ح١٢٢ وح١٢١. سنن البيهقي٦: ١٢٨. المعجم الكبير١٠: ٧٤، ح٩٩٩٣، عن عبد الله.

(٣) الفردوس٢: ٤٤٢، ح٣٩١٩.

(٤) كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٦، ح٥٨٣٤. نهج البلاغة / الحكمة٤٣١. العقد الفريد٣: ١٠٢، عن الإمام عليّ عليه السلام.

يطلبـك يصـل إليـك لا مَحالـةَ، والـذي تطلبـه ربّمـا تصـل إليـه وربّمـا لا تصل إليه بحسب المصلحة. قال الله تعالى: ﴿ولو بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا في الْأَرْضِ﴾[١].

وسأل سَديرُ الصَّيرفيُّ **الصادقَ**عليه السلام: ما حدّ طلب الرزق؟ قال: «**عليك أن تفتح باب حانوتك، وتَفرِش بِساطك، وتجلس هناك والباقي على الله**»[٢].

وقيل: بالجدّ لا بالكدّ[٣]. وقال:

وعلـيّ أن أسـعـىٰ ولـيــ　　　ـس عليّ إدراكُ النَّجاح[٤]

وقال آخر:

لو أنّ بالعقل تُعطىٰ ما تعيش به　　　لمـا ظَفِـرتَ مـن الـدُّنيا بمـرزوق

ولا كَسـبتَ بهـذا العقـل خردلـةً　　　ممّـا تـرى نُهْبـةً فـي هـذه السّـوق

لكـنّ ربّـي وقـد عمّـتْ فواضـله　　　مُثَمِّــر لرجــال النُّــوك والمُــوق

رُزقت مـالاً فعِشْ فيه على حُمُقٍ　　　فلستَ وحدك في الحَمقىٰ بمرزوق[٥]

---

(١) سورة الشورى٤٢: ٢٧.

(٢) الكـافي٥: ٧٩ / كتـاب المعيشـة، بـاب الإبـلاء فـي طلـب الـرزق، ح١. تهـذيب الأحكـام٧: ٤ / كتاب التجارة، باب فضل التجارة، ح١٣، عن أبي عمارة بن الطّيار، باختلاف يسير.

(٣) الأمثال لابن سلام١٩٣. الأمالي للمرتضى١: ١٧٢.

(٤) يتيمة الدهر٤: ٢٩٦. زهر الآداب٣: ٨٦٣.

(٥) لـم نعثر عليـه فـي المصـادر ولكـن وجدنا بعـض الأبيـات فـي عقـلاء المجـانين١٩. وجـاء في ديوان الشافعي:

لو كنتَ بالعقل تُعطىٰ ما تريد إذن　　　لمـا ظـفـرتَ مـن الـدنيا بمــرزوق

ولآخر:

لو كان في صخرة في البحر راسيةٍ صَـمّاءَ ململمـةٍ مُلْـسٍ نواحيهـا
رِزقٌ لِعبـد يـراه الله لانصـدعتْ منه إليه فأدّتْ إليه كلُّ ما فيها
أو كان تحت طِباق الأرض مَطلبُه لسـهّل الله فـي المَرقـىٰ مراقيهـا
حتى ينال الذي في اللوح خطَّ له إنْ هـي أتتْـه وإلّا فهْـو يأتيهـا[1]

٩٠. أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَقَلُّهُنَّ مَؤُونَةً[2].

هذا ممّا يُعلم ضرورةً أنّ المرأة إذا كانت قليلةَ المؤونةِ، كانت عظيمةَ البركةِ، وكلّما كانت أقلَّ مؤونةً، كانت أعظمَ بركةً، والبركة بقاء الشيء وثباته، مِن بُروك

رُزقـت مالاً على جهلٍ فعشتَ به فلـستَ أول مـجـنون ومـرزوق

ومن الأحسن أن يكون المصراع الأخير هكذا: رزقت مالاً على حمق فعش فيه.

و(النُّوك) هنا جمع أنوَك بمعنى أحمق. و(المائق): الأحمق وجمعه المَوقىٰ وليس (موق)، إلا أن (الموق) بمعنى الحُمق؛ فيمكن أن نعدها مصدراً بمعنى الفاعل في هذا البيت مثل: زيدٌ عدلٌ بمعنى: عادل.

(١) التوحيد٣٧٢، ح١٥، باختلاف يسير. رسائل الثعالبي٢٩. والمصراع الأوّل للبيت الثالث غريب؛ فإن المرقى يتناسب السماء لا طباق الأرض! لهذا جاء في التوحيد هكذا: (أو كان بين طباق السبع مجمعُه ...). والمعنى: لو كان رزقه ما بين السموات السبع، لسهّل الله صعود مدارج السماوات له.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٠٥، ح١٢٣. السنن الكبرى للنسائي٥: ٤٠٢، ح٩٢٧٤. المستدرك على الصحيحين٢: ١٧٨، وفيه (صداقا) بدل (مَؤُونَةً). مسند ابن حنبل٦: ١٤٥، وفيها (أيسرهنّ) بدل (أقلّهنّ)، عن عائشة.

البعير، وبِركة الماء[١]. والمؤونة ما يَلزَم الرّجلَ من القيام بحمله[٢].

ومعنى الخبر: الحثّ على طلب امرأة قانعة بما يكون لزوجها، غيرَ مُتَحكِّمة عليه بما يَمُونُه ويُثقِلُه.

وروي أن امرأة جاءت إلى النبيّ ﷺ فشكتْ إليه الإعسارَ، فقال لأحدٍ من أصحابه: «**تَزَوّجْ هذه**»، فقال: يا رسول الله، ليس معي صداقُها، وكان في يده خاتم من حديد، قال له: «**فتزوّجْها على هذا الخاتم**»، فتزوَّجَها[٣].

وسأل رجلاً من أصحابه: «**هل لك زوجةٌ**»؟ قال: لا، فقال له: «**تزوّجْ فلانةَ**»، فقال: ليس معي صداقُها، فقال له: «**هل معك شيء من القرآن**»؟ قال: نعم، قال: «**زوّجتُكَها على ما معك من القرآن**»، فعلّمْها، فتزَوَّجَها على ذلك[٤]. وهذا دليلٌ على أنّ المَهْر ما تراضى به الزّوجانِ[٥].

ويروى: «**أعظم النساء بركةً أصبحُهنّ وجهاً وأقلُّهنّ مَهراً**»[٦].

و**قال** ﷺ: «**تَزَوّجوا الزُّرْقَ، فإنّ في أعيُنهنّ يُمناً**»[١]، «**ولا تزوّجوا عجوزاً ولا**

---

(١) أُنظر: النهاية١: ١٢٠. المفردات١١٩ (برك).

(٢) أُنظر: كتاب العين٨: ٣٨٩. الصحاح٦: ٢١٩٨ (مأن).

(٣) مسند الشافعي٢٣١، عن سهل بن سعد الساعدي مع اختلاف.

(٤) صحيح البخاري٦: ١٠٨. سنن أبي داود١: ٤٦٨ / باب في التزويج على العمل يعمل، قطعة من ح٢١١١، عن سهل بن سعد. الخلاف٤: ٢٦٢.

(٥) أُنظر: الكافي٥: ٣٧٨ / كتاب النكاح، باب أنّ المهر اليوم ما تراضى عليه الناس قلّ أو كثر.

(٦) الكافي٥: ٣٢٤ / كتاب النكاح، باب خير النّساء، ح٤، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام. تفسير الثعلبي٧: ٩٣. مسند الشِّهاب٢: ١٨٣، ح١١٤٦، عن عائشة.

عاقراً؛ فإنّي مُكاثرٌ بكم حتّى بالسُّقْط»[٢].

وقال ﷺ: «**إنّ مِن يُمن المرأة تبكيرَها بالأُنثى قبل الذكر؛ وذلك أنّ الله** ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ﴾»[٣][٤].

وقال ﷺ: «**التمِسوا الرِّزق بالنكاح**[٥]، **قال الله تعالى:** ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»[٦].

وبعث أُمَّ سليم إلى امرأة أراد أن يتزوّجها، فقال لها: «**شُمّي عوارضها**[٧] **وانظري إلى عُرقوبَيها**»[٨].

---

(١) الكافي٥: ٣٣٥ / كتاب النكاح، باب ما يُستدلّ به من المرأة على المَحمدة، ح٦، عن السكوني. تفسير الثعلبي٧: ٩٣، عن عبد الله بن إدريس المدني، عن الإمام الصادق عليه السلام. دعائم الإسلام٢: ١٩٦، ح٧١٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين٣: ٢٩٠. المعجم الكبير١٧: ٣٦٨. تفسير الثعلبي٧: ٩٢، عن عياض بن غنم الأشعري.

(٣) سورة الشورى٤٢: ٤٩.

(٤) تفسير الثعلبي٨: ٣٢٤. مكارم الأخلاق للخرائطي٢١٣، ح٦٤٦، عن واثلة بن الأسقع.

(٥) تفسير الثعلبي٧: ٩٥، عن ابن عبّاس. مكارم الأخلاق١٩٦. الجامع الصغير١: ٢٣٧، ح١٥٦٧.

(٦) سورة النور٢٤: ٣٢.

(٧) العوارض: الأسنان التي في عرض الفم، وهي ما بين الثنايا والأضراس، واحدها عارض، أمرها بذلك لتبور به نكهتها، النهاية٣: ٢١٢ (عرض).

(٨) مسند ابن حنبل٣: ٢٣١. المستدرك على الصحيحين٢: ١٦٦. المنتخب من مسند عبد بن حميد ٤٠٨، ح١٣٨٨، عن أنس.

وقيل: ألذّ النكاح أفحشه[١].

وقال عبد الملك بن مروان: من أراد النَّجابة فبنات فارِس، ومَن أراد البآءة فبناتُ بربرٍ، ومن أراد الخدمةَ فبناتُ الرّوم[٢].

٩١. المُؤمِنُ مِرآةُ المُؤْمِنِ[٣].

المرآة مِفعَلَة من الرؤية[٤]، وأصلها: مِرْأَيَة، فقُلبت الياءُ ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها، فصارت مِرآةً، وتُجمع على مَراءٍ، وهي آلة للرؤية، وبِناء المِفعلة في الآلة يَكثُر كالمِلعَقة والمِجرَفة والمِحجَمة وغيرها.

والمؤمن: المصدِّق في اللّغة والشرع[٥] لقوله تعالى: ﴿وما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَو كُنّا صادِقينَ﴾[٦]؛ أي: بمصدِّقٍ[٧].

وفي معنى الخبر وجهان:

أحدهما: أنّه إذا نظر[٨] إلى أخيه المؤمن، يرى منه نفسَه، كمَن ينظر

(١) محاضرات الأدباء٢: ٢٨٩، باختلاف يسير والقائل: ابن سيرين.

(٢) درر الحكم٥٣. بهجة المَجالس وأُنس المُجالس لإبن عبد البرّ ٦٣١.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٠٥، ح١٢٤. المعجم الأوسط٢: ٣٢٥، عن أنس بن مالك. سنن أبي داود٢: ٤٦٠ / باب في النصحية والحياطة، قطعة من ح٤٩١٨، عن أبي هريرة. تحف العقول١٧٣، عن الإمام علي عليه السلام.

(٤) الصحاح٦: ٢٣٤٩ (رأي).

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة١٥: ٣٧١ (أمن).

(٦) سورة يوسف١٢: ١٧.

(٧) تفسير الطبري١: ١٤٩. المفردات٩١ (أمن).

(٨) في نسخة (هـ): (انظر).

في المرآة يرى نفسَه، فيظنّ به من الخير ما يظنّ بنفسه، ويريد به من الخير والنفع ما يريد بنفسه، وهذا معنىً لطيف.

والوجه الآخر: أنّ الرّجل إذا نظر إلى أخيه المؤمن، فرأى عليه شيئاً يُعابُ به من نقطة سوادٍ على وجهه وتشويش عِمامة أو غير ذلك، فيُعلمه ذلك لِيُغيّره أو يُزيلَه، كما أنّه إذا نظر إلى المرآة فرأى ذلك، غَيّرَه وأصلحه.

٩٢. المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ[(١)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «**المؤمن أخو المؤمن من أبيه وأُمّه، إن جاعَ أطعمه، وإن عَرِي كساه، وإن خاف آمنه، وإن مرِض عاده، وإن مات شَيَّع جنازته، وأُخوّة الدِّين آكَدُ من أُخوّة النسب**»[(٣)].

وروي: أنّه لمّا أُسِرَ العبّاسُ بنُ عبدِ المطّلب وعقيلُ بن أبي طالبٍ، فَدَى العبّاسُ نفسَه، وخرج إلى مكّة، وأمّا عقيلُ فلم يكن له شيء يَفدي به نفسَه، فدفعه رسول الله إلى عليّ ، وقال له: «**شأنك بأخيك**»، فأخذ عليّ بيده

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٠٦، ح١٢٦. سنن أبي داود٢: ٤٦٠ / باب في النصحية والحياطة، قطعة من ح٤٩١٨. الأدب المفرد٦٠ / باب المسلم مرآة أخيه، قطعة من ح٢٤٠، عن أبي هريرة. الكافي٢: ١٦٧ / كتاب الايمان والكفر قطعة من ح١٠، عن فضيل بن يسار، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) سورة الحجرات٤٩: ١٠.

(٣) روض الجنان٣: ١١٨.

وعرض عليه الإسلامَ ودعاه إليه، فأبىٰ، فخلّىٰ عن يده، وأخذ بشعر رأسه وجاء به إلى السوق وأجلَسَه وجرّد السّيفَ، وكان يحبّه حبّاً شديداً، فقال له عقيلٌ: يا أخي، بحقّ الذي تَحلِفُ به! إنّك لَقاتلي؟ فقال **عليّ**عليه السلام: «**إي، والذي لا إله إلّا هو! إن لم تؤمِن**». فقال عقيل: أشهدُ أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّ هذا الدين الذي هو دين الإسلام حقّ. فقال له **عليّ**عليه السلام: «**دعَوتُك إلى الإسلام بالترغيب والترهيب فما أجبتَ، فما بدا لك؟!**» قال: تأمّلت في جِدّك في قتلي لامتناعي عن الإسلام مع فرْط مَحبّتك لي، فعلمتُ أنّه لو لم يكن هذا الدّينُ حقّاً، لما قَتَل مثلُك أخاً مثلي، فصار هذا سببَ إسلامي. فاعتنقهُ **عليّ**عليه السلام وقال: «**أنت الآن أخي؛ لأنّ الأُخوّةَ أُخوّةُ الدِّين لا أُخوّةُ النّسَب**»[1].

٩٣. المُؤْمِنُ يَسِيرُ المَؤُنَةِ[2].

لأنّ المؤمن الحقيقيّ إذا علم أنّ ما آتاه الله من الرزق هو أصلح له في الدِّين، قَنَع بذلك ورضي به، ولا يتكلّف طلبَ ما يكون وبالاً عليه في الآخرة ومشقّةً في الدُّنيا. ألا ترى إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام كيف **يقول: «وإنّ إمامَكم قد اكتفى من دنياه بطِمْرَيه ومن طَعْمه بقُرصَيه. والله لو شئتُ، لَلَبِستُ**

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٠٧، ح١٢٧. تاريخ بغداد٢: ٤١١. حلية الأولياء٨: ٤٦، عن أبي هريرة. قال أبو الرضا الرّاوندي في شرح أحاديث الأخير: (هذا أخبارٌ معناه الأمر). ضوء الشِّهاب ١: ٢٥٥، ح ٩٢.

العبقريَّ من ديباجكم، ولَأكلت لُبابَ البُرِّ بصدور دجاجكم، ولَشربت الماء بِريق زجاجكم، وما لِعليّ وللدّنيا! وقد سمع الله يقول: ﴿تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لا يُريدُونَ عُلُوّاً في الْأَرْضِ ولا فَساداً والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ﴾[1][2].

وكان يصوم مُعْظَمَ نهاره ويُفطر على قدْر من سَويق، فقيل له في ذلك، فقال: **«حسبي من الطعام ما يُقيم ظهري، ولا يمنعُني من عبادة ربّي»**[3].

وكان في السَّنة التي قُتِل فيها يُفطِر ليلةً عند الحسن عليه السلام، وليلةً عند الحسين عليه السلام، وليلةً عند عبدالله بن جعفر، فما كان يزيد على ثلاث لُقَمٍ، فقيل له في ذلك، **قال: «لَأَلْقَى اللهَ وأنا خميصُ البطن، إنّما هي ليلة أو ليلتان»**. فأُصيب في آخر اللّيل[4].

وسيرته في الزّهد أكثر من أن يحاط به.

٩٤. المُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ[5].

الكياسة والفِطنة متقاربة المعنى، وهما من باب العلم، إلّا أنّهما أبلغ

---

(١) سورة القصص٢٨: ٨٣.

(٢) أُنظر: نهج البلاغة / الكتاب٤٥. الأمالي للصدوق٦٣٣، ح٦، عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) روض الجنان٢: ٢٤٨.

(٤) الإرشاد١: ٣٢٠. شرح الأخبار٢: ٤٣٠، ح٧٨١، عن عثمان بن المغيرة، مع اختلاف.

(٥) مسند الشّهاب١: ١٠٧، ح١٢٨. نوادر الأصول٤: ٢٦. الأمثال لأبي الشيخ٢: ١٦٧، ح٢٥٨. تفسير الثعلبي١٠: ٢٨٧، سورة الهمزة، عن أنس بن مالك.

منه؛ فإنّه ربما يكون الرّجل عالماً عارفاً ولم يَكُ كيِّساً فطِناً، فالكياسة: علمٌ مستخرَج بالفكر، ويُستعمل أيضاً في علوم يخلقها الله تعالى عند الممارسة بالعادة كالعلم بالصنائع والحِرف. وكذلك الفِطنة، يُقال: فَطِن لكذا إذا أدركه وعلمه، فهما علمان مُستطرَفان، ولذلك لا يَجرِيان على الله تعالى.

والحَذِر من كان الحذَرُ خُلقَه وعادته. والحاذر من أحدث حَذَراً وإن لم يكن من خلقه وعادته، ومثله فاكِه وفَكِه وجازع وجَزِع وقانع وقَنِع؛ أي يتفكّر ويعلم ما يحتاج إليه في دينه، ويَحذَرُ ممّا يوبقه ويعمل بعلمه.

وقيل لبعض العلماء: مَن الكيّسُ الفطِنُ الحَذِر من الناس؟ قال: من يهدم دنياه فيبني بها آخرتَه، ولا يهدم آخرتَه فيبني بها دنياه[١].

٩٥. المُؤْمِنُ إِلْفٌ مَألُوفٌ[٢].

يعني أنّ المؤمن من خُلقه الكريم وسجيّته السَّمْحة يألِف كلّ أحدٍ ويستأنس به، ويُؤلِّف الناس ويؤنسهُم به، ولا ينفّرهم بغلظة طبعه وفظاظة خلقه كما كان **النبيّ** ؛ فروي أنّ العبد الأسود الوحش الكريهَ الرائحةِ أقامه على قارعة الطريق، ويأخذ يدَه بيده،

(١) تنبيه الخواطر٢: ٢٩٧.

(٢) مسند الشّهاب١: ١٠٨، ح١٢٩. الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي٩. أدب الدنيا والدين١٤٦، عن جابر.

فلم يكن يَنزَع يدَه من يده حتّى كان هو الذي يبتدئ به[١]. قال الله تعالى: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ ولو كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]. وهذه نعمة من نِعَم الله تعالى على عبدٍ يكون بهذه الصفة؛ فإنّه إذا كان كذلك، كان محبوباً إلى الناس.

٩٦. المُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ[٣].

يعني: أنّ المؤمن المؤتَمَنَ يأمَنه الناس على أنفسهم أنّه لا يقصدهم بسوء ولا غائلة، وعلى أموالهم أنّه لا يستحلّها ولا يأخذها إلّا بحقّها، فهو مأمون الجانب عليهما.

وروي أنّه كان لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام غلامٌ وكان جالساً بقُربه، فناداه مرّة ومرّتين ومرّات فلم يجبه. فقام إليه وقال: «**يا غلامُ، أما سمعت ندائي لك؟**» قال: بلى، قال: «**لِمَ لم تجبني؟**» قال: لأنّي أمِنتُك، فقال: «**أعتقتك شكراً لله على أمان عباده منّي**»[٤].

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر. اُنظر: سنن الترمذي ٤: ٦٦، ح ٢٦٠٨، مع اختلافٍ.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ١٠٩، قطعة من ح ١٣٠، عن أنس بن مالك وقطعة من ح ١٣٢. سنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٨ / باب حرمة دم المؤمن وماله، قطعة من ح ٣٩٣٤. المستدرك على الصحيحين ١: ١٠، عن فضالة بن عبيد. صحيح ابن حبان ١: ٤٠٦، عن أبي هريرة وفيه (دمائهم) بدل (أنفسهم).

(٤) تفسير الفخر الرازي ٣١: ٧٩، باختلاف يسير. وروي عن الإمام السجاد عليه السلام، اُنظر: الإرشاد ٢: ١٤٧. شعب الإيمان ٦: ٣١٧، ح ٨٣١٨.

٩٧. المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالفَاجِرُ خَبٌّ[١] لَئِيمٌ[٢].

الغِرّ: الذي لم يُجرِّب الأمورَ[٣] ولم تُحنِّكْه التجاربُ غيرَ ساحرٍ ولا مُحتال، ومصدره الغَرارة، وأصله: السَّتر ـ ومنه الغِرارة لظرف التِّبْن[٤]. وغرّه يغُرّه إذا خدعه غروراً، والغَرور: الشيطان في قوله: ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٥] لكثرة غُروره للنّاس[٦]. وغَرَّ الطائرُ فَرْخَه إذا زقّه غَرّاً[٧] ـ وهو مع ذلك كريمٌ جامع لمحامد الأخلاق.

والفاجر يعني الكافر لوقوعه في مقابلة المؤمن.

خَبّ: أي جُربُزٌ مكّارٌ[٨]، ومصدره الخِبّ والنّعت منه بالفتح، كالبِرّ والبَرّ والطَّبّ والطِّبّ، وهو خلاف الغِرّ ونقيضه[٩].

---

(١) الخَبُّ بالفتح: الخدّاع، وهو الجُرْبُز الذي يسعى بين الناس بالفساد، النهاية٢: ٤ (خيب).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١١١، ح١٣٣. سنن أبي داود٢: ٤٣٥ / باب في حسن العشرة، ح٤٧٩٠. سنن الترمذي٣: ٢٣٢ / باب ما جاء في البخل، ح٢٠٣٠، عن أبي هريرة. الأمالي للطوسي٤٦٢، قطعة من ح١٠٣٠، عن حسين بن زيد بن علي، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٣) كتاب العين٤: ٣٤٦ (غر).

(٤) البصائر والذخائر٧: ٢٤٠.

(٥) سورة لقمان٣١: ٣٣. سورة فاطر٣٥: ٥.

(٦) ترتيب اصلاح المنطق٢٧٨. الصحاح٢: ٧٦٨ (غرر).

(٧) الصحاح٢: ٧٦٩. معجم مقاييس اللغة٤: ٣٨١. النهاية٣: ٣٥٧ (غرر).

(٨) الصحاح١: ١١٧ (خبب).

(٩) تهذيب اللغة٨: ١٦ (غرر).

واللّئيم: نقيض الكريم[١]، واللؤم ضدّ الكرم وهو الدَّناءة، يُقال: لَؤُم الرّجلُ يَلْؤُم لُؤْماً، وهو اسمٌ جامع لمَساوئ الأخلاق[٢]، فبَيَّن أنّ المؤمن كما كان مخالفاً مُضادّاً للكافر، فكذلك أخلاقُهما وصفاتُهما متناقضة متنافية.

٩٨. المُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً[٣].

البُنيان: البِناء[٤]، وهذا البِناء في أبنية المصادر غيرُ عزيز كالسبحان والقربان والتُّكلان، ويُستعمل في المبنى.

شبّه المؤمنين في تناصرهم وتآزرهم بالبِناء المبنيِّ بالجَصّ والآجُرّ والأحجار في استحكام بعضه بالبعض، واعتماد بعضه على بعض، والتأليف الذي فيه على وجه الالتزاق.

والشدّ: العَقد والإحكام[٥]، ويجوز أن يكون ظاهرُه الخبرَ ومعناه الأمر؛ أي: لِيَكُنِ المؤمنون كذلك.

---

(١) شمس العلوم٩: ٦١٦٦ (لؤم).

(٢) أُنظر: الصحاح٥: ٢٠٢٥(لام). تهذيب اللغة١٥: ٢٨٧.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١١٢، ح١٣٤ وح١٣٥. صحيح البخاري١: ١٢٣ و٣: ٩٨. صحيح مسلم٨: ٢٠، عن أبي موسى. المجازات النبوية٢٨٢.

(٤) أُنظر: المحيط في اللغة١٠: ٤٠٥.

(٥) المفردات٤٤٧ (شدد).

٩٩. المُؤْمِنُ مِن أَهْلِ الإيمانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ[١].

يعني: أنّ المؤمن ليس بغريب ولا أجنبيٍّ من مثله، فهو من أهل ملّته من المؤمنين بمنزلة الرأس من الجسد، كما أنّ الجسد لا يقوم إلّا بالرأس والرأس لا يقوم إلّا بالجسد، فكذلك المؤمنون لا يستغني بعضهم عن بعض.

ومعناه يقرب من معنى الحديث الأوّل، وقول من قال: إنّ المراد بالمؤمن الإمامُ لِفضل الرأس على الجسد بعيد؛ وذلك لأنّه لو كان كذلك، لكان اللام في المؤمن لتعريف العهد، ولا عَهْدَ ههنا بين المخاطِب والمخاطَب، و إذا كان كذلك، كان اللّام للجنس كما هو في سائر الأحاديث من أمثالها، و إذا كان الأمر على هذا، فلا يُتَصوّر التمييزُ والتفصيلُ. فالمعنى أنّ كلّ مؤمن لمؤمن كالرأس مع الجسد في استحالة استقلال كلّ واحدٍ منهما بنفسه دون صاحبه، فهو **كقوله**ﷺ: «**المؤمنون كنفْسٍ واحدة**»[٢].

١٠٠. المُؤْمِنَ يَومَ القِيامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ[٣].

قد مرّ تفسير هذا الخبر في **قوله**ﷺ: «**الرجل في ظلّ صدقته حتّى يُقضىٰ بين الناس**»، فلا وجه لإعادته.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١١٣، قطعة من ح١٣٦. مسند ابن حنبل٥: ٣٤٠. الزهد والرقائق لابن المبارك٢٤١، قطعة من ح٦٩٣. المصنّف لابن أبي شيبة٨: ١٤١، قطعة من ح١١٥، عن سهل بن سعد.

(٢) الكسب للشيباني: ٧٣. تفسير الفخر الرازي١٠: ٧٢.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١١٣، ح١٣٧. مسند ابن حنبل٤: ٢٣٣ و ٥: ٤١١، عن مرثد بن عبد الله. الكافي٤: ٣ / باب فضل الصدقة، ح٦. ثواب الأعمال١٤٠، عن عبد الرحمن بن زيد، عن الإمام الصادق عليه السلام وفيهما (أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن فإن صدقته تظله).

١٠١. المُؤْمِنُ يَأكُلُ فِي مِعاءٍ واحد، وَالكَافِرُ يَأكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ[١].

قيل: هذا الخبر مخصوص برجلٍ كان يُكثر الأكل حين كان كافراً، فلمّا أسلم، قلَّ أكْلُه[٢]. وهذا على سبيل المبالغة في النَّهَم وكَثرة الأكل دون أن يكون لأحدٍ سبعةُ أمعاءٍ. وقيل: كان معاويةُ معروفاً بالنَّهَم وكَثرة الأكل حتّى قيل:

وصاحبٌ لي بطنه كالهاويهْ كأنّ في أمعائه معاويهْ![٣]

وقيل: دخل الحسنُ بن عليّ عليهما السلام ذاتَ يوم على معاويةَ وهو يأكل، فجلس ويأكل على عادته ومعاويةُ على عادته. فاستحيى وقال: يا ابن رسول الله، ما هذا الأكل كأكل النساء؟ قال: «**أكلنا أكْلَ النساء وضربنا ضرْب الرِّجال**»[٤].

ومعنى الخبر: حثٌّ على قلّة الأكل؛ لأنّ الخبر واردٌ مَوردَ الذّمّ لِمُكثِر الأكل؛ فإنّ كَثرة الأكل تُولّد كثيراً من الأسقام والآلام. قال الله تعالى: ﴿وكُلُوا واشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفينَ﴾[٥].

(١) مسند الشِّهاب١: ١١٤، ح١٣٨. صحيح البخاري٦: ٢٠٦، عن ابن عمر. الكافي٦: ٢٦٨ / كتاب الأطعمة، باب كراهية كثرة الأكل، ح١، عن عمرو بن شمر يرفعه. الخصال٣٥١، ح٢٩، عن محمّد بن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) قال قطب الدّين الرّاوندي بأنّه عمر بن معديكرب. أُنظر: ضياء الشِّهاب١٣٦، ح ١٠٢. وذكر الحديدى عمر بن معديكرب في المكثرين من الأكل. شرح نهج البلاغة ١٨: ١٧٣.

(٣) يتيمة الدهر٣: ٤٦٥. مجمع الأمثال للمَيَداني١: ٩٠.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) سورة الأعراف٧: ٣١.

١٠٢. المُؤمِنونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ[١].

الهَين اللَين، بالتخفيف والتثقيل، لغتان. وقال ابنُ الأعرابي: التخفيف في المدح والتثقيل في الذّمّ[٢]، والصحيح أنّهما لغتان كالمَيِّت والمَيْت، والسَّيِّد والسَّيْد. قال الشاعر:

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيْسارٌ ذوو كرمٍ سُوّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْناءُ أيسارِ[٣]

والمعنى: أنّهم يكونون كذلك مع إخوانهم المؤمنين، فأمّا مع الكفّار، فيكونون أحدَّ من الحديد وأصلبَ من الحجر، كقوله تعالى: ﴿أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤]، وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرينَ﴾[٥].

وقال بعض العلماء: يُعجِبُني من القرّاء كلُّ سهْلٍ طَلْقٍ مُتَهلّل الوجه، فأمّا من تلقاه بِبِشْرٍ ويلقاك بعُبوسةٍ يَمُنّ عليك بعمله، فلا أكثَرَ اللهُ في الناس مثلَه![٦].

(١) مسند الشّهاب١: ١١٤، ح١٣٩، عن ابن عمر و١١٥، ح١٤٠. الزهد والرقائق لابن المبارك١٣٠، ح٣٨٧، عن مكحول. الكافي٢: ٢٣٤ / كتاب الايمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، قطعة من ح١٤، عن أبي البختري رفعه.

(٢) تهذيب اللغة٦: ٢٣٣(هون). النهاية٥: ٢٨٢ (هين).

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٢٨. الأمالي للقالي١: ٢٤٤.

(٤) سورة الفتح٤٨: ٢٩.

(٥) سورة المائدة٥: ٥٤.

(٦) الإخوان١٩٦، ح١٤١. الثقات لابن حِبّان٨: ٢٦١، والقائل هو سعيد بن عبدالرحمن بن عبدالله الزبيدي.

وقال ﷺ: «**إنّ من الصدقة أن تُسلِّم على الناس بوجهٍ طلْقٍ**»[(١)].

١٠٣. الشِّتَاءُ رَبِيعُ المُؤْمِنِ[(٢)].

الرّبيع: وقت الخِصْب والخير والسَّعَة والدَّعَة، والشتاء بخلافه وقت الجَدْب والقحط وقلّة الخير، خصوصاً للعرب في بواديهم، وقد أكثَرُوا فيها، قال بعضهم:

دعـوتُ إلـيها فِـتْيةً بأكُـفِّـهِمْ ... من الجَزْرِ في بَرْد الشِّتاء كُلوم[(٣)]

وقال آخر:

وإنّي لأدعو الضّيفَ بالضَّوء بعد ما ... كسا الأرضَ نَضّاحُ الجليد وجامدُهْ[(٤)]

وقال آخر:

.... إذا ما الكلبُ أحجره الشِّتاءُ[(٥)]

---

(١) سنن الترمذي٣: ٢٣٤ / باب ما جاء في طلاقه الوجه وحسن البشر، قطعة من ح٢٠٣٧. مسند ابن حنبل٣: ٣٤٤. الأدب المفرد٧٣، قطعة من ح٣٠٧، عن جابر بن عبد الله مع اختلاف.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١١٥، ح١٤١ و١١٦، ح١٤٢. مسند ابن حنبل٣: ٧٥، عن أبي سعيد الخدري. الأمالي للصدوق٢٣٧، ح٣٥٤. معاني الأخبار٢٢٨، ح١، عن سليمان الديلمي، عن **الإمام الصادق** .

(٣) شرح الحماسة للمرزوقي٢: ٣٢٠، والبيت لعبد العزيز بن زُرارةَ الكِلابيّ.

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي٢: ٢٥٦. محاضرات الأدباء١: ٧٥٤، والبيت لمُضرِّس بن رِبْعيّ.

(٥) أنساب الأشراف١٠: ١٥٨. الأغاني٨: ٤٥٠، والبيت لأميّةَ بن أبي الصلت، وتمام البيت:

يُباري الرّيحَ مَكرُمةً وجوداً ... إذا ما الكلبُ أحجره الشِّتاءُ

وقال الفرزدق:

وركبٌ كأنّ الرّيح تطلب عندهم لها تِرَةً[١] من جذبها بالعصائبِ

سَرَوا يَخبِطون الليل وهي تَلُفُّهُم إلى شُعَب الأكوار[٢] من كلّ جانبِ

إذا أبصروا ناراً يقولون ليتها وقد خَصِرتْ أيديهمُ نارُ غالبِ[٣]

وللخبر معنيان:

أحدهما: أنّ المؤمن يقوم باللّيل ويصوم النهار. فإذا كان الشتاءُ، طال الليلُ وقَصُر النهار، فيحصل له مقصوده من الصيام والقيام على رَفاهِيَة: ينام بعضَ الليل ويقوم بعضَه ولا يَشُقّ عليه لغلبَة النوم، وكذلك يصوم في اليوم القصير، فيَسهُل عليه الصّومُ وثوابه على ما للصائمين.

والمعنى الآخر أنّ البرد مانع من القيام باللّيل، فيَشُقّ على المصلّي مُجانَبةُ الفِراش والوضوءُ بالماء البارد، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾[٤] على أحد القولين[٥]، فيكون أكثرَ لثوابه، فهو كالربيع له؛ فإنّه أيّام الخِصْب والخير والسِّعة.

(١) (تِرة): حِقد. (العصائب): العمائم؛ أي: تنقضّ عمائمهم من شدّتها فكأنّها تسلبهم إياها.

(٢) (الأكوار): جمع كور وهو الرحل. (الحقائب): كل ما شُدّ في مؤخَّر الرّحل.

(٣) الشعر والشعراء١: ٣٩٩. الأغاني١: ٢٦٦. الأوائل للعسكري١١٩.

(٤) سورة المزّمّل٧٣: ٦.

(٥) أُنظر: تفسير الطبري٢٩: ١٦١.

١٠٤. الدُّعَاءُ سِلَاحُ المُؤْمِنِ[١].

لأنّ المؤمن إذا ضعُف عن مُقاوَمة عدوّه، دعا عليه وحاربه ورماه في جوف الليل بسِهام الدعاء عن قوس الإخلاص. يروى أنّ ليلةَ غزاةِ البدر نام الناسُ كلُّهم ورسولُ الله ﷺ قائمٌ في أصل شجرة يُصلّي ويَدعو حتى الصّباح. فلمّا أصبح وعبّأ الصفوفَ، أمدّه الله بخمسةِ آلافٍ من الملائكة مُسوِّمين[٢].

وروي أنّ المتوكّل حَلَف أن يقتل محمّد بن عليّ النّقيّ عليهما السلام، كما روى أبو روحٍ محمّد بن الحسن، قال: كان المتوكّل بعث إلى قبر أبي عبدالله الحسينِ بن عليّ عليهما السلام من يَكرُبُه ويُجري عليه الماءَ ويُذهِب أثرُه، وعبّأ رجالاً يَهجِمون على محمّد بن عليٍّ النقيّ ليلاً فيقتلونه، فشعر بذلك، فقام في الليل وتوضّأ وضوءَ الصلاة، وقال لابنه عليِّ بن محمّد عليهما السلام: «**قِف خلْفي لِأدعوَ وتؤمِّنَ على دعائي**». ثمّ قام وصلّى ركعتين ودعا بالدّعاء المعروف عنه وهو: «**اللَّهُمَّ إنّي وجعفراً[٣] عبدان من عبيدك نواصينا بيدك ...**»،

(١) مسند الشِّهاب١: ١١٦، ح١٤٣. المستدرك على الصحيحين١: ٤٩٢. مسند أبي يعلى١: ٣٤٤، ح٤٣٩، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن الإمام عليّ عليه السلام، و٣: ٣٤٦، قطعة من ح١٨١٢، عن جابر. الكافي٢: ٤٦٨ / كتاب الدعاء، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، قطعة من ح١، وقطعة من ح٣، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) أُنظر: الإرشاد١: ٧٣. مسند ابن حنبل١: ١٢٥. صحيح ابن خزيمة٢: ٥٣، ح٨٩٩.

(٣) هو جعفر بن محمّد المتوكّل على الله بن المعتصم بن الرشيد. فوات الوفيات ١: ٢٨٩.

وهو دعاءٌ عجيب، فجعل يدعو وابنُه يُؤمِّن على دعائه. فقال أبو روح: فما كان بأسرع مِن أن أتمّ الدعاءَ حتّى ارتفع الصِّياحُ والضّجيجُ من دار المتوكّل بالويل والثُّبور، فسألنا عن ذلك، فقالوا: هجم عليه قومٌ وهو سَكرانُ، فقتلوه، فقُطِع على نفسه ما قَدَّر في أبي الحسن[ ][1].

وقيل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى معاوية فيما كتب إليه:

أتلعبُ بالدّعاء وتزدريهِ ... وما يُدريك ما فعل الدّعاءُ؟!

سِهامُ اللّيل لا تُخطي ولكن ... لها أجلٌ وللأجل القضاءُ[2]

وقال آخر:

بَغىٰ ولِلبغْي سِهامٌ تنتظرْ ... سِهامُ ليلٍ تُتَّقىٰ وتُحتَذَرْ

أصابع المظلوم في وقت السّحرْ ... أنفذ في الأضلاع من وَخْز الإبَرْ[3]

١٠٥. الصَّلَاةُ نُورُ المُؤْمِنِ[4].

روي[5]: أنّ المصلّي صلاةَ الليل يجيء يوم القيامة ونورُه يمشي بين يديه

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتقدمة ولكن وجدناه في مهج الدعوات ٢٦٧، وهذا الدعاء معروف بدعاء السيف أو دعاء اليمانيّ.

(٢) ربيع الأبرار ٢: ٣٨٥. الأربعين في إرشاد السائرين ١: ٣٧، من دون إسناد إليه .

(٣) ربيع الأبرار ٣: ٣٢٣. الأمالي للشجري ١: ٢٧٦.

(٤) مسند الشِّهاب ١: ١١٧، ح١٤٤. مسند أبي يعلى ٦: ٣٣٠، ح٣٦٥٥. تعظيم قدر الصلاة ١: ٢٠٧، ح١٧٦ وح١٧٧. الفوائد لتمام الرازي ١: ١٩٨، ح٤٦٥، عن أنس.

(٥) أُنظر: حلية الأولياء ٦: ٤٠.

مسيرة غَلْوَةٍ[١]. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعىٰ نورُهُمْ بَيْنَ أَيْديهِمْ وَبأَيْمانِهِمْ﴾[٢]: يمشون في القيامة ونورهم يَقدِمهم، فلمّا رآهم المنافقون، قالوا لهم: ﴿أُنْظُرونا نَقْتَبِسْ مِنْ نورِكُمْ﴾؛ أي: اِنتظِرونا وقِفوا لنا ساعةً نقتبسْ من نوركم. فأجابهم المؤمنون على سبيل التّهكّم: ﴿اِرْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾، إنّما جئنا بهذا النور من الدُّنيا، هذا نورُ صلاتنا بالليل، ومشْينا في ظُلَم إلى المساجد لصلاة الليل. فهم في ذلك إذ ضربَ الله ﴿بَيْنَهُمْ بِسورٍ﴾ أي: حائل ﴿لَهُ بابٌ﴾؛ أي: لذلك السّور بابٌ ﴿باطِنُهُ فيهِ الرَّحْمَةُ﴾، وهو موضع المؤمنين، ﴿وظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ﴾، حيث يكون المنافقون ﴿يُنادونَهُمْ﴾ يعني: إنّ المنافقين ينادون المؤمنين بأعلى صوتهم: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قالُوا بَلىٰ﴾، ولكنْ بألسنتكم لا بقلوبكم، وبقولكم لا باعتقادكم، ﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[٣]: ألقيتموها في الفتنة وهي الكفر والنفاق[٤]، كما في قوله تعالى: ﴿والْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ﴾[٥]؛ يعني أن الكفر أعظم من القتل في الشهر الحرام[٦].

---

(١) الْغَلْوَةُ: الْغَايَةُ وَ هِي رَمْيَةُ سَهْمٍ أَبْعَدَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَ يُقَالُ هِي قَدْرُ ثَلَثمَائِةِ ذِرَاعٍ إِلَى أَرْبَعِمَائِة، المصباح المنير٢: ٤٥٢ (غلو).

(٢) سورة الحديد٥٧: ١٢.

(٣) سورة الحديد٥٧: ١٣و١٤.

(٤) أُنظر: تفسير السمرقندي٣: ٣٨٤. مجمع البيان٩: ٣٩٢.

(٥) سورة البقرة٢: ٢١٧.

(٦) تفسير القمي١: ٧٢. تفسير الطبري٢: ٤٧٨، ح٣٢٦٣، نقلا عن الشعبي.

وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾:

أَثَّـرَتْ أيـدي البِلـىٰ فـي دُورِكـمْ   منـذ أَقْـوَتْ دورُكـم عـن حـوركمْ

قـد ضَـلِلنا في دُجىٰ لَيـلِ النّـوىٰ   فانظرونـا نقتـبسْ مـن نـوركم[1]

ورويَ عـن بعـض الأئمّـة أنّ الرجـل إذا سـبّح تسـبيحَ **الزهـراء** وعـدّها بأصـابعه، جـاء يـوم القيامـة ويُضـيء مـن كـلّ إصـبع مـن أصـابعه نـورٌ مثل مَشعلة[2].

١٠٦. الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ[3].

قيل: معنى الحديث الأمر والنهي، وإن كان بصورة الخبر، يعني: كونوا في الدُّنيا كالمسجونين في السِّجن المقيَّدين بقيد التكليف، ولا تكونوا كمن هو في الجنّة مُنَعَّمين مرفّهين بَطِرين.

وقيـل: معنـاه: أنّ المـؤمن فـي الـدُّنيا بمنزلـة المسـجون فـي السـجن، كلَّ ساعة يَرجو وينتظر خَلاصَه منها وخروجَه إلى رحمة الله، فهو مستعجِل لفِراق الـدُّنيا، والكـافر بـالعكس مـن ذلـك يَثقُـل عليـه ذكـرُ المـوت، فـإذا

---

(١) روض الجنان١٩: ٢١.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١١٨، ح١٤٥، عن ابن عمر. صحيح مسلم٨: ٢١٠، عن أبي هريرة. معاني الأخبـار٢٨٩، قطعـة مـن ح٣، عـن الإمـام علـيّ عليه السلام. دعـائم الإسـلام١: ٤٧، عـن الإمـام الصادق عليه السلام. الأمالي للطوسي٣٤٦، قطعة من ح٧١٥، عن سلمان الفارسي.

دنا أجلهُ، كان كمَن يُنقَل من بستان إلى أوحش مكان[١].

ويروى: أنّ بعض الزّنادقة لمّا وقع في النَّزْع، كان يُحرّك شفتيه ويتكلّم بكلامٍ ضعيف، فأدنى بعضُهم أُذنَه مِن فيه، فإذا هو يقول:

لَهْفَ نفسي على الزّمان وفي أيْـ ـــي زمـــانٍ دَهَتْنِـــيَ الأزمـــانُ

حين جاء الرّبيع واستقبل الصَّيـ ـفُ وطاب الطِّلاءُ والرَّيحانُ[٢]

كلّما قيل له: قُل لا إله إلّا الله، أعاد البيتين.

ويروى أنّ الحسن بن عليّ عليهما السلام مرَّ بيهوديّ في أبهى حال، وأحسنِ زيٍّ من اللّباس، راكباً بغلةً، واليهوديُّ في أسوء حال، فأخذ بلجام بَغْلته وقال له: أليس قال نبيّكم: «**الدُّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر؟**» قال: «**بلى**»، قال: فهذه حالي وحالُك على ما ترى؟ فقال: «**غَلَطتَ يا أخا اليهود، ما أنا فيه من الحال حالُ المسجونين بالإضافة إلى ما وعدني اللهُ في الجنّة من أنواع النعيم والحور والقصور وما لا يُدرَك بالوصف، وأنت على هذه الحالة في الجنّة[٣] بالإضافة إلى ما أوعدك الله من أنواع العذاب، فالدنيا على هذا سجني وجنّتك**»، فأُفحِم[٤] الرّجلُ[٥].

---

(١) أُنظر: غريب الحديث للخطّابيّ٢: ٤٩٣.

(٢) الأمالي للسيّد المرتضى١: ٩٩.

(٣) في نسخة (ج) و (ب): (النار).

(٤) في نسخة (ج): (فأفهم).

(٥) لم نعثر عليه في المصادر المتقدّمة.

وقال بعضهم:

جنّة الكافر دنياه. كما قال الرسول[١]، وهي للمؤمن سجن؛ حزنه فيها طويل.

١٠٧. الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ[٢].

قد مرّ تفسير هذا الخبر في قوله ﷺ: «**كلمة الحكمة ضالّة كلّ حكيم**»، فلا وجهَ لإعادته.

١٠٨. نِيَّةُ المُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ[٣].

ويروى: «**نيّة المؤمن خيرٌ من عمله**»، ذاكَرَني بعض العلماء في هذا الخبر،

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر»، صحيح مسلم٨: ٢١٠. سنن الترمذي٣: ٣٨٤ / باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ح٢٤٢٦، عن أبي هريرة. معاني الأخبار٢٨٩، ذيل ح٣.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١١٨، قطعة من ح١٤٦، عن زيد بن أسلم. سنن الترمذي٤: ١٥٥ / باب في فضل الفقه على العبادة، قطعة من ح٢٨٢٨، عن أبي هريرة. الأمالي للطوسي٦٢٥، قطعة من ح١٢٩٠، عن عبيد الله بن الحسين. الكافي٨: ١٦٧، قطعة من ح١٨٦، عن جابر.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١١٩، ح١٤٧، عن أنس، وقطعة من ح١٤٨، عن النواس بن سمعان الكلابي. المعجم الكبير٦: ١٨٥. عن سهل بن سعد الساعدي. الكافي٢: ٨٤ / كتاب الايمان والكفر، باب النية، قطعة من ح٢، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام، وفي الثلاثة الأخيرة (خير) بدل (أبلغ). الأمالي للطوسي٤٥٤ ، ح١٩، عن الفضيل بن يسار، عن آبائه،عن الإمام عليّ عليه السلام.

وقال: الخير ههنا ليس بمعنى التفضيل، بل المراد به: نيّة المؤمن خيرٌ من خيرات عمله؛ أي: من جملة عمله، ومن للتبعيض[١]. ولو حُمل على التفضيل، للزم أنّ نيّة الصلاة خيرٌ من الصلاة ونيّة الحجّ خيرٌ من الحجّ وكذلك سائر العبادات.

قلت له: هَب أنّك أوّلتَ هذا الحديث على ما ذكرت، فما تصنع بالرواية المشهورة لابي شِهابٍ القُضاعيِّ من **قوله**ﷺ: «**نيّة المؤمن أبلغ من علمه**»، ولفظة (أبلغ) لا يمكن حملها إلّا على التفضيل؟

فأطرقَ ساعة، وقال: ما معنى الخبر، وما الجواب عن هذا السؤال؟

قلت: أما معنى الخبر، فهو أنّه بيّن في هذا الحديث عِظَم شأن النّيّة، وأنّها خيرٌ من الأعمال من حيث إنّ الأعمال لا تُقبَل بدونها ولا تقع مَوقِع القبول إلّا بها، والنّيّة عبادة مستقلّة بنفسها و إن لم يكن معها عمل، فالعمل يحتاج إلى النيّة ولا تحتاج النيّة إلى العمل.

وأمّا الجواب عن السؤال، فهو: أنّ نيّة الصّلاة والحجّ وكُلِّ عبادة خيرٌ من عملها إذا كانت خالية عن النّيّة، وذلك لأنّها لا تكون شيئاً بدون النيّة.

وقيل: إنّ الخبر ورد على سبب، وذلك أن النبيّﷺ مرَّ بماءٍ وعليه جِسرٌ قد خَرِب، **فقال**: «**مَن يُعمِّر هذا الجسر، فله من الأجر كذا**». فقال بعض الصحابة: أنا أُعمّره، فتبادر إليه يهوديٌّ فعمّره، فسمِع المسلمُ بذلك فشَقَّ

---

(١) أُنظر: إحياء العلوم١٤: ١٦٢.

عليـــه، فشـــكا ذلـــك إلـــى **رســـول الله**، فقـــال : «**نيّـــة المـــؤمن خيـــرٌ من عمله**»؛ أي من عمل اليهودي[1].

وفي هذا تعسُّفٌ من حيث إنّ ردّ الضمير إلى من لم يَجْرِ له ذِكرٌ لا وجه له، ولا يُفهَم معنى الخبر إلّا بهذه القصّة.

١٠٩. هَدِيَّةُ اللهِ إِلَى المُؤْمِنِ السَّائِلُ عَلى بَابِهِ[2].

الهَديّة: ما تُهدي وتُرسِل إلى غيرك، فعيلة بمعنى مُفعَلَة؛ أي: مُهداة، يُقال: أهديت الهديّة إذا أرسلتَها إهداءً، وأهديتُ إلى بيت الله هَدْياً، وهَدَيتُ العروسَ إلى زوجها هِداءً، وهديتُ القومَ الطريقَ هدايةً، وفي الدّين هُدىً[3].

والسائل ههنا: المُستطعِم، بقرينة قوله: «**على بابه**»، كأنّه قال: اغتنِموا السائل على باب داركم؛ فإنّه هَديّةٌ من الله، فاقبِلوها ولا تَرُدّوها؛ فإنّ ردّ هَديّة الكِرام لُؤْمٌ.

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رأى سائلاً يسأل، فقال لأصحابه: «**هل تدرون ما يقول؟** قالوا: لا، قال: «**يقول: هل من أحدٍ يحملني شيئاً أحملُه عنه إلى يوم القيامة، وأرُدُّه إليه في موقف الحساب، وأكفيه مؤونةَ حمله؟**»[4].

ويروى: أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله، وقال: يا رسول الله، ما بالُنا نَكرَه الموت؟

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتقدمة. أُنظر: الدرّ المنثور ١: ٣٥٧.

(٢) مسند الشِّهاب ١: ١٢٠، ح١٤٩. الفوائد لتمام الرازي ٢: ٦٠، ح١١٤٢. تفسير الثعلبي ٢: ٥٢، عن ابن عمر.

(٣) أُنظر: المفردات ٨٣٥. كتاب العين ٤: ٧٧ (هدي).

(٤) لم نعثر عليه في المصادر المتقدمه. أُنظر: إرشاد القلوب ١: ٥٠.

قال له: «**قدِّم مالَك، فإنّ قلب كلّ امْرِئٍ عند ماله**»[١]. وقال الشاعر:

قدِّمْ جميلاً إذا ما شئتَ تفعله ولا تـؤخِّر ففـي التـأخير آفـاتُ
ألستَ تعلـم أنّ الـدّهر ذو غِيَـرٍ وللمكارِمِ والإحسان أوقاتُ؟![٢]

وقال آخر:

قـدِّمْ لنفسـك شـيئاً وأنـت مالِـكُ مالِـكْ
مِـن قبـل أن تتلاشـىٰ ولـونُ حالِـك حالِـكْ

وقال آخر:

اِفعـل الخيـر مـا بـدا وتَهَيّـا عَلَـمُ الخير لائـحٌ فـي الثّريّـا
إنّما أنت أنت ما دمتَ حَيّا إذا مِتَّ صِرتَ تأويـلَ رؤيـا[٣]

وفي بعض الكتب: أنّ الله تعالى قال: «**يا ابن آدمَ، أنت عبدي، والمال مالي، وقد أعطيتك جملةً منه، فاشترِ نفْسَك منّي ببعضها**»[٤].

١١٠. تُحْفَةُ المُؤْمِنِ المَوتُ[٥].

التُّـحفة: فُعْـلة بمعـنى مُفعَلـة، يُقـال: أَتحفتُـه بكـذا إذا أهديتَـه إليـه،

(١) روض الجنان٢: ١١٢. أمالي المرتضى ١: ١٩٨.

(٢) روض الجنان٢: ١١٤. تاريخ إربل١: ٢٨٢.

(٣) روض الجنان٢: ١١٤.

(٤) لم نعثر عليه في المادر المتقدمه. اُنظر: ارشاد القلوب ١: ٥٠.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٢٠، ح١٥٠. المستدرك على الصحيحين٤: ٣١٩. الزهد والرقائق لابن المبارك٢١٢، ح٥٩٩، عن عبد الله بن عمرو. المجازات النبوية٣٢٧، ح٢٥٢.

وإنّما جُعل الموتُ تحفةً وهَديّةً للمؤمن؛ لأنّه الذي يوصله إلى جِوار الله ودار ثوابه؛ لأنّ الحكمة اقتضتْ أن يكون بين زمان التكليف وزمان الجزاء مدّةً متراخية لئلّا يؤدّي إلى الإلجاء؛ لأنّ النفع العظيم إذا كان مقارناً للفعل، ألجأ الفاعلَ إلى ما أُمر به، وكذلك المضرّةُ العظيمة لو كانت عاجلةً، لأدّت إلى الإلجاء، ومثاله أن يُقال لرجل: قُل كلمةً واحدة لا تضرُّك وخُذْ عليها عَشْرةَ آلافِ دينارٍ وتصير مُلجَأً إلى قولها، وكذلك لو أَجَّج ناراً عظيمة وقيل: قُل كلمةً وإلّا ألقيناك فيها، صار مُلجَأً إلى قولها، فالله تعالى بعدله وحكمته فصَل بين دار التكليف ودار الجزاء بزمانٍ طويل وتَخلُّل الموت لئلاّ يؤدّي إلى ما ذكرناه فيُنافي التكليفَ؛ لأنّ المكلّف يجب أن يكون مخيّراً متردِّدَ الدواعي ليفعل ما يفعلُه باختياره، فإخراجُ من في المشقّة إلى الراحة والدَّعة تحفةٌ من أعظم التُّحَف وأنفعها وجعلها اللهُ الموتَ؛ ولأجل ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا ضاق قلبه من عصيان أصحابه وطغيان أعدائه، يقبض على لحيته ويقول: **«ما ينتظر أشقاها أن يَخضِبها من فوقها بدم»**[1].

وكان إذا رأى ابنَ ملجم يقول:

أُشدُدْ حَيازيمَك للمو   تِ فإنّ الموتَ لاقيكا

(١) الإرشاد١: ٣١٩. الأمالي للطوسي٢٦٧ / المجلس العاشر، ح٤٩٣، عن هبيرة بن يريم. المعجم الكبير١: ١٠٥، ح١٦٩، عن أبي الطفيل، باختلاف يسير.

ولا تَجـزَعْ مـن المـو تِ إذا حلَّ بواديكا[١]

واستحمَلَه ابنُ ملجم يوماً وكان من الخوارج في أصحابه، فقال: «**يا غَزوانُ، اِحمِله على الأشقر**». فلمّا ركب وولّى، أتبَعهُ بصرَه وقال:

أُريـدُ حِبـاءَه ويريـد قتلـي عذيرَك من خليلك من مرادِ[٢]

و إنّما عَلِم ذلك بعهدٍ عَهِدَه النبيّ ﷺ. وقال له بعض أصحابه لمّا رأى من تقشّفه وحملِه الأثقالَ والمشاقَّ على نفسه: اتّق الله يا أمير المؤمنين! فإنّك ميّت، فقال له: «**تقول إنّك ميّت، لا والذي لا إله إلّا هو! بل تُخضَب هذه من هذا** ـ ووضع يده على لحيته ورأسه ـ **عهدٌ عَهِده إليَّ النبيّ الأُمّيُّ**، ﴿وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى﴾»[٣].

ولمّا كان واثقاً بمرجعهِ ومآلهِ كان يقول: «**والله لا أُبالي وقع الموتُ عليَّ أم وقعتُ على الموت!**»[٤].

(١) الإرشاد١: ١١. المصنف لابن أبي شيبة٦: ١٧٥، ح٢٨، عن هانئ. المعجم الكبير١: ١٠٥، ح١٦٩، عن أبي الطفيل.

(٢) الإرشاد١: ١٢. الطبقات الكبرى لابن سعد٣: ٣٤. المصنف لعبد الرزاق١٠: ٣٢٥، ح١٨٥٩٥، عن ابن سيرين.

(٣) الإرشاد١: ٣٢١. السنة لابن أبي عاصم٤٣٣، ح٩١٨. المستدرك على الصحيحين٣: ١٤٣، عن زيد بن وهب.

(٤) مقاتل الطالبيين٢١. المحاسن والمساوئ٢٠٧.

١١١. شَرَفُ المُؤمِنِ قِيامُهُ بِاللَّيلِ، وَعِزُّهُ استِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ[١].

كأنّه قال: ليس الشرف ما تظنّونه من شرف الحَسَب وكرم النَسَب والمال والجمال، وما تتفاخرون به وتتنافسون فيه، بل شرف المؤمن قيامه باللّيل لصلاة اللّيل.

وفي الخبر: «**أنّ الرّجل إذا قام لصلاة اللّيل، باهَى اللهُ به ملائكتَه، وقال: ملائكتي، ألا ترون إلى عبدي تَرَكَ مضجعَه الوطيءَ، ونومَه الشهيَّ، وتَوَضّأ بالماء البارد، وقام بين يديّ يسألُني المغفرةَ؟! اِشهدوا أنّي قد غفرت له**»[٢].

وقال **رسول الله** ﷺ في وصيّته لعليٍّ عليه السلام: «**يا عليُّ، عليك بصلاة اللّيل**»، يُكرّر ثلاثَ مرّات[٣]. قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[٤].

وسأل رجلٌ **جعفر بن محمّد الصادق** عليهما السلام عن صلاة اللّيل، فقرأ: «﴿إِنَّ رَبَّكَ

(١) مسند الشّهاب١: ١٢١، ح١٥١. حلية الأولياء٣: ٢٥٣. الأمالي للصدوق٣٠٤، قطعة من ح٣٤٦، عن سهل بن سعد.

(٢) المقنعة١٢٠. روضة الواعظين٣٢٠، مع اختلاف.

(٣) الكافي٨: ٧٩ / كتاب الروضة، قطعة من ح٣٣، عن معاوية بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ١٨٩، قطعة من ح٥٤٣٢، عن الإمام عليّ عليه السلام باختلاف يسير.

(٤) سورة السجدة٣٢: ١٦.

يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وطائِفَةٌ مِنَ الَّذينَ مَعَكَ﴾»[١].

وقال ﷺ: «المسافر يُصلّي صلاةَ اللّيل بعد العشاء الآخرة، ثمّ ينام إن شاء؛ فإنّ النوم قوّة النفس وراحة الجسد، فمن عَمَّرَ أوّلَ اللّيل، خَرّب آخِرَها»[٢]؛ يعني عمّرها بالسَّهَر للسَّمَر، خرّب آخِرَها بالنّوم.

قيل[٣]: وكانت العرب تَسمُر في الجاهلية بالليل إلى أنْ تَصيح الدِّيَكةُ، وكانوا يُؤْثِرون السّمرَ على النوم، فلمّا صاح الدّيكُ، ثَقُل عليهم ذلك، ولذلك قالوا: أثقل من الزَّواقي[٤]، يَعنُون الدِّيَكةَ[٥].

وعِزّ المؤمن في القناعة وأنْ يُغنيَ نفسَه عن الناس، ويتنزّه عن السؤال؛ فإن السؤال أذلُّ المَذَلّة.

وينبغي أن يكون المرء في عزّة النفس والتّقنّع بالكَفاف[٦]، كما قال القاضي أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِ العزيز الجرجانيُّ[٧] في أبياتٍ

---

(١) سورة المزَّمِّل٧٣: ٢٠.

(٢) لم نعثر عليه. أُنظر: السرائر ١: ٣٠٧.

(٣) في النسخة (ج) و (د): (قال) وما أثبتناه أنسب للسياق.

(٤) هى الدّيكة، واحدها زَاقٍ يقال: زَقَا يَزْقُو إذا صاح. و كل صائح زَاقٍ، النهاية٣: ٣٠٧ (زقو).

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة٩: ١٨٨. معجم مقاييس اللغة٣: ١٦ (زقو).

(٦) الكَفَاف من الرِّزق: القوت و هو ما كَفَّ عن الناس أَي أَغنى، لسان العرب٩: ٣٠٦ (كفف).

(٧) عليّ بن عبد العزيز الجُرْجاني (حدود ٣٢٧ - ٣٩٢ ق) القاضي أبو الحسن الجُرجانيّ، الشّافعيّ. ورد به أخوه محمد نيسابور سنة سبع و ثلاثين، و هو صبيّ و سمعا من سائر الشيوخ. ولي قضاء جرجان، ثمّ قضاء الري في أيام الصاحب بن عبّاد، فقضاء القضاة.

لم يُسمَعْ مِثلُها في هذا المعنى حُسناً وسلاسةً، وهي:

ومـا زلـتُ مُنحـازاً بِعِرضِـيَ جانبـاً   مـن الـذُّلّ أعتَـدُّ الصّيانة مَغْنَما

إذا قيـل: هـذا مشربٌ قلـت: قـد أرى   ولكـنّ نفْسَ الحرّ تحتملُ الظَّما

أُنَهنِهُهـا عـن بعـض مـا لا يَشـينُها   مخافةَ أقوال العِدى: فيمَ أوْ لِما

فأُصـبِحُ عـن عَيـب اللئـيم مُسـلَّماً   وقد رُحتُ في نفس الكريم مُكَرَّما

فأقسـم مـا عـزّ امـرؤ حسـنت لـه   مسامرة الأطماع أن بات معدما

يقولـون لـي فيـك انقبـاضٌ وإنّمـا   رأوا رجلاً عن موقف الذلّ مُحجِما

أرى النّـاسَ مَن داناهُمُ هـانَ عنـدهم   ومـن أسـلمتْه عـزّةُ الـنفس أُكرِما

ولـم أقْـضِ حقَّ العلـم إن كـان كلّمـا   بـدا طمَـعٌ صـيّرتُه لِـيَ سُـلَّما

ولـم أبتـذِلْ فـي خدمـة العلـم مُهجَتـي   لِأَخـدُمَ مَن لاقيتُ لكن لِأُخدَما

أأشـقىٰ بـه غَرْسـاً وأجنيـه ذِلّـةً[1]   إذاً فاتّبـاعُ الجهـل قد كـان أحزما

و كـان فقيهاً، أديباً، شاعراً، اتّصل بالصاحب بن عبّاد، و اشتدّ به اختصاصه، و حلّ منه محلًا رفيعاً. وفيات الاعيان ٣: ٢٧٨.

قال الافندي في رياض العلماء: القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الفاضل الشاعر المعروف، و قد ينقل الشيخ أبو الفتوح الرازي أبياتا كثيرة جيادا في أن العز بالقناعة في كتاب شرح الشِّهاب للقاضي القضاعي عن القاضي ابو الحسن هذا.

رياض العلماء ٤: ١٢٣.

(١) أي: أأتعب في تحصيل العلم وأغرس بذره، ثم عند جَنْيه أجني الذُّلَّ والخدمة للآخَرين.

ولـو أنّ أهـلَ العلـم صـانوه صـانَهُمْ ولـو عظَّمـوه فـي النّفـوس لَعُظِّمـا
ولكـــن أذَلُّـــوه فهـــانَ ودنَّســـوا مُحَيّـاه بالأطمـاع حتّـى تَجَهَّمـا
وإنّـي إذا مـا فـاتني الأمـرُ لـم أَبِـتْ أُقلِّـــبُ كفّـــي إِثْـــرَه مُتَنـــدِّما
ولكنّـــه إن جـــاء عفـــواً قَبِلتُـــه وإن مـالَ لـم أُتبِعْـه هـلّا ولَيتَمـا
وأقبِضُ خَطْوي[1] عـن حُظـوظٍ قريبـةٍ إذا لـم أنَلْهـا وافـرَ العِـرض مُكرَما
وأُكـرِمُ نفسـي أنْ أُضـاحكَ عابسـاً وأن أتلقّـى بالمـديح مُـذَمَّما
وكـم طالـبٍ رِقِّـي[2] بنُعمـاه لـم يصِـلْ إليـه وإن كـان الـرَّئيسَ المُعَظَّمـا
ومـا كـلُّ بـرقٍ لاحَ لـي يَسـتفِزُّني ولا كـلُّ أهـل الأرض أرضـاه مُنعِمـا
ولكـنْ إذا مـا اضـطَرَّني الأمـرُ لـم أزل أُقلّب فكـري مُنجِداً ثـمّ مُتْهِمـا[3]
إلـى أنْ أرى مـن لا أَغَـصُّ بـذكره إذا قلتُ: قد أسدىٰ إليَّ وأنعَمـا[4]
فكـم نعمـةٍ كانـت علـى الحـرّ نقمـةٌ وكـم مَغنَـمٍ يَعتَـدُّه الحُـرّ مَغرَمـاً[5]

---

(١) الخَطْو: المشْي، وكأن معنى (أَقبِض خَطْوي) أي: أقِفُ.

(٢) الرِّقّ: العبودية، والنُّعمى هي النِّعمة والنَّعماء.

(٣) أي: أوجّه فكري إلى أين أتّجه؟ أأدخل بلادَ نجْدٍ أم بلادَ تِهامةَ؟

(٤) أي: لا يَعيبُني ذكره إذا قلت للناس إنه أسدى إليّ نعمةً.

(٥) روض الجنان٤: ٨٨. يتيمة الدهر٤: ٢٥. تاريخ دمشق٧٣: ٢٥٨، ونقل بعض هذه الأبيات فيهما.

١١٢. العِلْـمُ خَلِيـلُ المُـؤْمِنُ، والحِلْـمُ وَزِيـرُهُ، وَالعَقْـلُ دَلِيلُـهُ، وَالعَمَـلُ قَائِـدُهُ، وَالرِّفْقُ وَالِدُهُ، وَالبِرُّ أَخُوهُ، وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ[١].

هذه الأحاديث السبعةُ قالها في مجلس واحد، لذلك جمعتُها.

الخليل فعيلٌ بمعنى مفعول كالحبيب بمعنى المحبوب، ويجوز أن يكون بمعنى فاعل؛ كالأكيل والجليس والنديم بمعنى المؤاكل والمجالس والمنادم.

ومعنى الخبر: الحثّ على طلب العلم وأن يتّخذه المرءُ حبيباً وخليلاً وصاحباً؛ لأنّه خليل لا يَخونُك، بل يَصونك ويأمرك بصلاح دينك ودنياك، وما في الدُّنيا خَصلة من خِصال الخير تُوازيه، ولا منقبةٌ من المناقب تُعادِلُه، وفيه شرف الدُّنيا والآخرة، وبه الخلاص من النار والوصول إلى دار القرار، يقيك في الدنيا من الآفات، وفي الآخرة عن الدركات، فنِعْمَ الخليل هو! إلّا أنّه عزيزُ الخَلّة لا يُخالُّ كلَّ أحدٍ، ولا ينزل كلَّ منزلٍ، بل يطلب قلباً تقيّاً، وبدناً نقيّاً، وصاحباً رضيّاً مرضيّاً، رزقَنا اللهُ العلمَ والعملَ به!

والحلم: الرَّزانة والوَقار[٢]، وضدّه السَّفَهُ[٣].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٢٢، ح١٥٢، عن أبي الدرداء وح١٥٣، عن أبي هريرة. الكافي٢: ٤٧ / كتاب الايمان والكفر، باب خصال المؤمن، ح١. الأمالي للصدوق٦٨٨، ح٩٤٤. الخصال: ٤٠٦، ح١، عن عبد الملك بن غالب، عن الإمام الصادق عليه السلام من دون إسناد إليه، وليس فيها بعض الفقرات.

(٢) الصحاح٢: ٨٤٩ (وقر).

(٣) روي في جملة حديث العقل والجهل المروي، عن الإمام الصادق عليه السلام، أُنظر: الخصال٥٨٩، قطعة من ح١٣، عن سماعة بن مهران.

والوزير: المُؤازِر[1]، وإنّما جعله وزيراً له؛ لأنّه إذا كان حليماً ولم يكن طائشاً طيّاراً خفيفَ الدماغ، يتأمّل في العواقب، ويرتدع عن كثيرٍ من المفاسد ممّا يُوقِعه في آفات الدُّنيا وعذاب الآخرة. والوزير: المؤازر؛ أي: المعاون، فعيل بمعنى مفاعل.

والعقل عبارة عن مجموع علومٍ إذا اجتَمَعت سُمِّيَتْ عقلاً، وهو مشتقّ من عِقال الناقة؛ لأنّ العقل يمنع العاقل عن كثيرٍ من المفاسد، كما أنّ العقال يمنع النّاقة عن السَّير. وقيل: سمّيت هذه العلومُ عقلاً؛ لأنّ العلوم المكتسَبةَ تُعتَقَل بها، وسُمّيت الدّيةُ عقلاً؛ لأنّها تَعقِل الدِّماءَ عن أن تُسفكَ[2].

واختلف المتكلِّمون في عددها، وترتُّبِ بعضها على بعض، وفيه كلامٌ طويل ليس هذا الكتاب موضعَه، وهو مشروح في كتب الأُصول.

والدليل: ما يدلّك على مدلول. جعل العقلَ دليلَه؛ لأنّه يَدُلّه على مصالحه ومفاسده وعلى وجوب ما يجب عليه وعلى منافعه ومضارّه وصلاحه وفساده.

والعمل قائده؛ لأنّه يقوده إمّا إلى الجنّة أو إلى النار، العمل عملك ووقوعه بقصدك واختيارك، وهو قائدك: إن كان خيراً يقُدْك إلى الجنّة، وإن كان شرّاً يقُدْك إلى النّار.

---

(١) الصحاح٢: ٨٤٥ (وزر).

(٢) أُنظر: تهذيب اللغة١: ١٥٩. معجم مقاييس اللغة٤: ٧١. المفردات٥٧٨ (عقل).

والبِرّ هو الإحسان والمعروف، جعله أخاه؛ لأنّه كالأخ الشقيق والصاحب الرفيق، والمحبّ الشفيق، يزيّنه في أعين الناس ويحبّبه إليهم.

والصبر وهو حبس النفس على ما تكرهه[١].

أميرُ جنوده: جعله أميراً؛ لأنّه بمنزلة الأمير على الجُند؛ لصعوبته ومشقّته على الصابر، فإذا كان صابراً على الطاعة وعن المعصية، كان صبرُه أميراً على أعضاءه وجوارحه، يُطيعه في مصالحه ولا يعصيه في اجتناب مفاسده.

١١٣. الغِيرَةُ مِنَ الإِيمَانِ[٢].

الغيرة: الحَمِيّة[٣]، يقال: غار الرّجل على أهله يَغارُ غيرةً، وأغار على الجُند يُغير إغارةً، والغارة الاسمُ للإغارة، وإغارة الحبل إذا أُحكِم فَتْلُه[٤]، وأغار إذا أتى الغَوْرَ[٥] كأنْجَدَ وأعْرَقَ إذا أتى نَجْداً والعِراقَ.

جعل الغيرة من الإيمان إيذاناً بأنّ من لا غيرة له كان إيمانه ناقصاً، مُبالغةً

---

(١) أُنظر: تهذيب اللغة١٢: ١٢١. الصحاح٢: ٧٠٦ (صبر).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٢٣، قطعة من ح١٥٤. تعظيم قدر الصلاة١: ٤٦٩، قطعة من ح٤٩٠ و٤٧٠، قطعة من ح٤٩٢، عن أبي سعيد الخدري. كتاب من لا يحضره الفقيه٣: ٤٤٤، ح٤٥٤١. دعائم الإسلام٢: ٢١٧، ح٨٠٤.

(٣) النهاية٣: ٤٠١ (غير).

(٤) أُنظر: ترتيب اصلاح المنطق: ٤٥ (أغار). الصحاح٢: ٧٧٦ (غير).

(٥) الغَوْرُ: تِهامةُ وما يلي اليمنَ. كتاب العين٤: ٤٤١. النهاية٣: ٣٩٤ (غور).

في وصف الغيرة بأنّها بعضُ الإيمان.

١١٤. الحَيَاءُ مِنَ الايمَانِ[١].

معنى هذا الخبر كمعنى الخبر الأوّل: جعل الحياءَ بعضَ الإيمان للمعنى الذي ذكرناه؛ لأنّ حظّ الحياء من الإيمان حظٌّ جليل، ومنزلته منه منزلةٌ جليلة، فإنّ الرجل إذا كان حَيِيّاً، امتنع من كثيرٍ من المقبِّحات حياءً من الناس إن لم يتركْها خوفاً من الله، فهو مُعينٌ للمؤمن على إيمانه.

١١٥. البَذَاذَةُ مِنَ الإِيمَانِ[٢].

البذاذة: رَثاثة الحال، ورجلٌ بَذُّ الهَيئة إذا كان خَلِقَ الثياب[٣]. وأصل الكلمة من البَذّ، يقال: بَذَّ الشّيءُ يَبَذُّه، وبَثَّه يَبُثّه وبَدّه يَبُدّه إذا فَرَّقَه، والتبديد: التفريقُ[٤]، تفعيلٌ منه لتكثير الفعل.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٢٤، ح١٥٦، عن أبي بكرة وقطعة من ح١٥٥. صحيح البخاري١: ١١ / باب الحياء من الايمان، عن عبد الله بن عمر. دلائل الإمامة٦٦، قطعة من ح١، عن ابن مسعود، عن فاطمة عليها السلام. الكافي٢: ١٠٦ / كتاب الإيمان والكفر، باب الحياء، قطعة من ح١، عن أبي عبيدة الحذاء، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٢٥، ح١٥٧. سنن أبي داود٢: ٢٨١ / باب في النهى، عن الاكثار من الترجل، قطعة من ح٤١٦١. سنن ابن ماجة٢: ١٣٧٩ / باب من لا يؤبه له، ح٤١١٨. المستدرك على الصحيحين١: ٩، عن أبي أمامة.

(٣) النهاية١: ١١٠ (بذذ). كتاب العين٨: ١٧٨ (بذ).

(٤) الصحاح٢: ٤٤٤ (بدد). المحيط في اللغة٢: ٤٠٨. تهذيب اللغة١٥: ٥١ (بث).

والبَـذاذة مصـدر كالسَّـماحة والشَّـجاعة، وإنّمـا قلنـا ذلـك؛ لأنّ الفقيـر مُتَفرِّقُ الأحوال غيرَ مُلتَئَمِ الأمور، والمراد أنّ التبـذّي بذلك الزّيّ والتقنّع به والتصـبّر عليـه، وأن لا يسـعى فـي سـدّ خَلَلـه، ولا يُبـالي بـاختلال حالـه استحقاراً للـدّنيا ومتاعهـا، وإقبـالاً على الآخـرة وبقائهـا، وتركـاً لزينـة الـدُّنيا والاهتمام بجمالها [من الإيمان][1] كما قيل في عكس هذه الحالة:

.... واقعُد فإنّكَ أنت الطّاعم الكاسي[2]

و«من» في الأخبار الثلاثة للتبعيض؛ أي: هذه الأشياءُ بعضُ الإيمان.

١١٦. الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ، وَاليَقِينُ الإِيمانُ كُلُّهُ[3].

جَعل ﷺ الصّبرَ نصفَ الإيمان؛ لِما بيّنّا في الحديث المقدَّم الّذي جعله أميراً لجنوده، فكأنّه جعل الإيمانَ شُعَباً من الخِصال الحميدة عقلاً وشرعاً، كما **قال ﷺ: «إنّ للإسلام نَيِّفاً وسبعينَ شُعبةً، أعلاها شهادةُ أن لا إله**

---

(١) ما أثبتناه بين المعقوفين خبر (أن) في قوله: والمراد أن التبذي ... .

(٢) كتاب العين١: ١٤٣. الشعر والشعراء١: ٣١٥. الأغاني٢: ٤٥٠، والشاعر: جرول بن أوس، الملقّب بالحطيئة فيما قال للزبرقان. وتمام البيت:

دعِ المكارمَ لا تَرحَلْ لِبُغيَتِها واقعُد فإنّك أنت الطّاعم الكاسي

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٢٦، ح١٥٨. السنة للخلال٥: ٢٢، ح١٥٠٥. الترغيب في فضائل الأعمال٨٨، ح٧١، عن عبد الله. الشكر لابن أبي الدنيا٩٣، ح٥٧، عن المغيرة بن عامر.

إلّا الله، وأدناها إماطةُ الأذىٰ عن الطريق»[١].

فجعل الصّبرَ نصفَه وباقيَ الخصالِ والشرائط نصفَه، وجعل اليقينَ الإيمانَ كلَّه؛ وذلك لأنّ اليقين علمٌ يحصل بعد الشكّ، ولهذا لا يجري على الله تعالى، وهذا الحديث موافق للأصول؛ لأنّ الإيمان هو المعارف والعلوم، ومرجِعه إلى اعتقادات علميّة، والرّجل إذا حصّل علومَ الدِّين العقليّةَ والشرعيّةَ، فقد استكمل الإيمانَ، وإنّما سُمّي هذه العلومُ يقيناً، لأنّه علمٌ يحصل بعد الشّكّ؛ لأنّ هذه العلوم لا تحصل إلّا بالنظر، وحالة الناظر حالة الشّاكّ المجوّز المتردّد بين إثبات الشيء ونفيه، ألا ترى أنّ الناظر في حدوث الأجسام يجوّز في حال النظر حدوثَها وقِدَمَها، فإذا نظر وعلِم ما يؤدي إليه قِدمُها من البطلان والإحالة، علِم أنّها مُحدَثةٌ لعدم الواسطة بين الحدوث والقِدَم.

١١٧. الإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ شُكْرٌ، وَنِصْفٌ صَبْرٌ[٢].

ثم إنّه قسّم الإيمان من وجهٍ آخر، أعني خصال الإيمان وما يكون المرء به مُستَكمَلَ الإيمان، فقال: الإيمان نصفان وهما الصبر والشكر؛ لأنّ حالَ

---

(١) صحيح مسلم١: ٤٦. مسند ابن حنبل٢: ٣٧٩. المصنف لابن أبي شيبة٦: ٢١٨، ح١، عن أبي هريرة باختلاف يسير وفيها: (الإيمان) بدل (لِلإسلام).

(٢) مسند الشّهاب١: ١٢٧، ح١٥٩. الشكر للخرائطي٣٩، ح١٨، عن أنس. تحف العقول٤٨.

الإنسان لا يَخلو مِن أمرين: إمّا أن يكون في النِّعمة أو في الشّدّة، فإن كان في النعمة، استَعمَل الشكر، وإن كان في الشدّة، استعمل الصبر، فإذا أخذ بطَرفَي الخصلتين، فقد استُكمِل الإيمانُ وخِصالُه الحميدة، وقد بيّنّا أنّ الصبر حبسُ النّفس على ما تَكرَهُه. والشكر اعترافٌ بالنِّعمة مع ضرب من التعظيم.

١١٨. الإِيمَانُ يَمانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ[١].

قيل: في معنى هذا الخبر وجهان[٢]:

أحدهما: أنّ المراد بنسبة الإيمان والحكمة إلى اليمن مدحُ أهل اليمن. والمعنى: أنّ كلَّ يمنيٍّ مؤمن حكيم ـ على طريق المبالغة ـ حتى كأنّ الإيمان والحكمة خرجا من اليمن.

والثاني: أنّه أراد باليمن[٣] الحجازَ؛ لان الحجاز من جملة اليمن؛ يعني أنّ الإيمان حجازي، والحكمة حجازيّة؛ لأنّ النبيّ ﷺ ظهر بالحجاز وأظهَرَ الإيمان والحكمة بها، وهذا أصحُّ الوجهين.

وقيل: قال النبيّ ﷺ هذا الحديثَ بتبوكَ وهو بين مكّة والمدينة، فأشار

(١) مسند الشِّهاب١: ١٢٨، ح١٦٢. صحيح البخاري٤: ١٥٤ و٥: ١٢٢، عن أبي هريرة. الكافي٨: ٧٠، قطعة من ح٢٧، عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام. المجازات النبوية٣٣٨، ح٢٦٣.

(٢) أُنظر: النهاية٥: ٣٠٠ (يمن).

(٣) في نسخة (د): (باليمين).

إلى ناحية اليمن وهو يريد مكّةَ والمدينة. يُقال: رجلٌ يمانٍ بتخفيف ياء النسبة، والجمع يمانون، وكذلك تَهامٍ والجمع تَهامون، وهذا من تغييرات النسب، وكذلك دخول الألف في يمانٍ.

وأيمَنَ الرّجلُ إذا أتى اليمنَ[١] كأعرق وأغار وأنجد إذا أتى العراقَ وغَوْراً ونجْداً.

١١٩. الإيمانُ قَيَّدَ الفَتْكَ[٢].

ويُروى: «قَيْدُ الفتك»، والمعنى واحد، والفتك: قتل الرّجل غيرَه على غِرّة وغَفلة منه[٣]. يُقال: فتك به يَفتِك فَتْكاً إذا قتله بغتةً، وكانوا في الجاهليّة يَفتِك بعضُهم ببعض، فلمّا جاء الإسلامُ حَرّم الفتك، **فقال** ﷺ: **«لا فتْكَ في الإسلام»**[٤]، وقيل: الفتك غَدْر[٥]، وقيل: الغَدْر أنْ تُؤمّنه، ثمّ تقتله.

وروي: أنّ مسلمَ بنَ عقيلٍ ـ رحمة الله عليهما ـ لمّا أتى الكوفةَ لبَيعة

---

(١) الصحاح٦: ٢٢٢٠ (يمن).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٢٩، قطعة من ح١٦٤، عن عمرو بن الحمق. سنن أبي داود١: ٦٣١ / باب في العدوّ يؤتى على غرّة ويتشبّه بهم، ح٢٧٦٩، عن أبي هريرة. الكافي٧: ٣٧٥، ح١٦، عن أبي الصباح الكناني، عن الإمام الصادق عليه السلام من دون إسناد إليه وفيه (الإسلام) بدل (الإيمان).

(٣) أُنظر: تهذيب اللغة١٠: ٨٦ (فتك).

(٤) ربيع الأبرار٤: ١٥٣. تاريخ دمشق٣٧: ٤٧٨.

(٥) معجم مقاييس اللغة٤: ٤٧١ (فتك).

الحسين بن عليّ عليهما السلام وبايَعه كثيرٌ من الناس، فلمّا قدِم عبيدُ الله بن زيادٍ الكوفةَ، تَوارىٰ مسلمٌ في دار هانئ بن عُروةَ المراديّ، وكان شريكُ بن أعورَ الحارثيُّ في دار هانئ، وكان من شيعة الحسين، فمرِض وسمع ابنُ زياد بمرضه، فأرسل إليه أنّي زائرك غداً لعيادتك، فقال شريك وهانئ لمسلمٍ: حصل المرادُ! اِستخفِ في هذا البيت، فإذا دخل ابنُ زياد وجلس، اُخرُج إليه واقتُلْه لِتستريحَ أنت والمسلمون منه. فتَواطَؤوا على ذلك، فلمّا كان من الغد ودخل ابن زياد وجلس يعود المريض ويسأله عن حاله وعلّته، وشريك يُحدّثه ويتوقّعَ خروجَ مسلم لِما اتّفَقوا عليه، فلمّا أبطأ، أنشأَ شريكٌ يقول:

ما تنظرون بسَلْمىٰ أن تُحَيُّوها؟! حَيُّوا سُلَيمىٰ وحَيُّوا مَن يُحَيِّيها

هل شُربةٌ عذبةٌ أُسقىٰ على ظَمأٍ وإن تَلِفت وكانت مِيتتي فيها؟!

فقال عبيد الله لهانئ: ما يقول؟

قال هانئ: إنه يَهذي طولَ النهار، فكأنّه أحسَّ بشيءٍ، فقام وخرج. فلمّا خرج مسلمٌ، قالوا له: ما منعك ممّا عزمت عليه؟ فقال: ذكرتُ قول **النبيّ** صلى الله عليه وآله: «**الإيمان قيّد الفتك**». فمنعه حُسن إسلامه أن يَفتِك بعدوّ الله.

وما منع اللّعينُ ابنُ اللّعينِ أن يقتله صبراً جَهْزةً[1] بغير جرم.

(١) أَجْهَزَ على الجريح يُجْهِز، إذا أسرع قتله و حرّره، النهاية ١: ٣٢١ (جهز).

والله الحاكم بينهم فيما فعلوا بأولاد الرسول وأقاربه[١].

١٢٠. عَلَمُ الإيمانِ الصَّلَاةُ[٢].

العلم: العلامة[٣]، وذلك لأنّ الإيمان تصديقٌ بالقلب، ولا يطّلع عليه أحد إلّا الله، وإنّما نحكم بإيمان الرّجل إذا رأيناه يتعاطى معالم الإيمان من القيام بأداء الواجبات الشرعيّة من الصّلاة والزكاة والحجّ والجهاد، ومن أكبر علاماته وأظهرِها الصلاةُ، فنستدلّ بها على إيمان الرّجل؛ ولهذا **قال** صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ أفضل الفرائض بعد المعرفة الصّلاةُ**»[٤]، «**وأوّل ما يُحاسَب العبدُ عليه الصلاةُ، فإن قُبِلت قُبل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها**»[٥].

ويروى أنّ رجلاً قال لرسول الله: أخشى أن أكون منافقاً، قال له: «**هل تُصلّي إذا**

---

(١) مقاتل الطالبيين٦٥. تاريخ الطبري٤: ٢٧١، باختلاف يسير.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٣١، ح١٦٥. المخلصيات٢: ٣٠٢، ح١٥٨٠. معجم ابن الأعرابي١: ١٩١، قطعة من ح٣٣١، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) الْعَلَمُ: الأثر الذي يُعْلَمُ به الشيء كعلم الطّريق و علم الجيش، و سمّي الجبل عَلَماً لذلك. المفردات٥٨١ (علم).

(٤) روض الجنان١: ٢٤٧.

(٥) سنن الترمذي١: ٢٥٨ / قطعة من ح٤١١. سنن ابن ماجة١: ٤٥٨ / باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة، قطعة من ح١٤٢٥، عن أبي هريرة مع اختلاف. الكافي٣: ٢٦٨ / كتاب الصلاة، باب مَن حافَظَ على صلاته أو ضَيَّعها، قطعة من ح٤ عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام من دون إسناد إليه باختلاف يسير.

كنت وحدك؟» قال: نعم، قال له: «**لست بمنافق**»[١].

وقال رجل لعبدالله بن مسعود: أخشى أن أكون منافقاً، فقال له: لست بمنافق، قال له: وما يدريك؟ قال له: لأنّ المنافق لا يخشى[٢].

وهذا الحديث يدلّ على بطلان قول من قال: الصلاة من الإيمان[٣]؛ وذلك لأنّه ﷺ قال: «**الصلاة علم الإيمان**»، وعلامة الشيء غير ذلك الشيء، وقد اتّفقنا على أنّ الإيمان في اللّغة التصديق[٤]؛ لقوله تعالى: ﴿وما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا﴾[٥]؛ أي: بمصدّق[٦]، فمن ادّعى النقلَ، فعليه الدِّلالة.

---

(١) لم نجده منقولاً عن **رسول الله** ، وما وجدناه كما يلي: عن عبد الله بن سِنانٍ قال: كنّا جُلوساً عند أبي عبد الله إذ قال له رجلٌ من الجُلساء: جُعِلتُ فِداك يا ابنَ **رسول اللهِ**! أتخافُ عليّ أن أكون منافقاً؟ فقال له: إذا خلوتَ في بيتك نهاراً أو ليلاً، أليس تُصلّي؟ فقال: بلى. فقال: فلِمن تصلي؟ فقال: لله‎ﷻ. قال: فكيف تكون منافقاً وأنت تصلي لله‎ﷻ لا لغيره؟!). معاني الأخبار١٤٢ / باب معنى المنافق، ح١.

(٢) المعجم الكبير٩: ١٨٠. البيان والتبيين٢٨٧. عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ٤٠٣، ونقل فيهما عن حذيفة بن يمانٍ.

(٣) منهم: ابن أبي عمر العدني في: كتاب الإيمان٦٨ / باب الصلاة من الإيمان. وابن خزيمة في صحيحه١: ١٥٨ / باب دليل على أن إقام الصلاة من الإيمان. والبخاري في صحيحه١: ١٥ / باب الصلاة من الايمان.

(٤) كتاب العين٨: ٣٨٩. المحيط في اللغة١٠: ٤١٤. الصحاح٥: ٢٠٧١ (أمن).

(٥) سورة يوسف١٢: ١٧.

(٦) تفسير الطبري١: ١٤٩. المفردات٩١ (أمن).

١٢١. المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ[١].

المُسلم في اللّغة: المستسلِم المُنقاد[٢]، وكذلك في الشرع، إلّا أنّه استسلامٌ لأمور شرعيّة. وهو من الأسماء المخصوصة؛ وذلك لأنّه يمنعه إسلامه من إيذاء المسلمين والسّعي في إتلاف أنفسهم واستحلال أموالهم، فكأنّه جعل المسلم من يسلم منه المسلمون من أن يقول فيهم ما يُؤذيهم، أو يفعل بهم ما يضرّهم، حتّى كأنّه أخرج من الإسلام من لا يكون مأمونَ اليد واللّسان على سبيل المبالغة دون الحقيقة، وإنّما قلت ذلك؛ لأنّ لام التعريف يدلّ على هذا المعنى؛ فكأنّه قال: من سلِم المسلمون من لسانه ويده، فهو المسلم حقّاً[٣].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٣١، قطعة من ح١٦٦ و١٣٢، ح١٦٧. صحيح البخاري١: ٨ / باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده و٩، عن عبد الله بن عمرو. معاني الأخبار٣٣٣، قطعة من ح١، عن أبي ذرّ. المحاسن١: ٢٨٥ / باب الاسلام والايمان، قطعة من ح٤٢٦، عن أبي النعمان. الكافي٢: ٢٣٥ / كتاب الايمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، قطعة من ح١٩ و٢٣٣، قطعة من ح١٢، عن سليمان بن خالد والثلاثة، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) أُنظر: النهاية٢: ٣٩٥ (سلم).

(٣) قال قطب الدّين الرّاوندي في ضياء الشِّهاب ذيل هذه الرّواية: أراد بالخبر أنّ المسلم الممدوح من كان ذلك صفته، وليس معناه أنّ من لم يسلم الناس من لسانه ويده ممّن قد دخل في عقد الإسلام فليس بمسلم، ولكنّ معناه أنّ أفضل المسلمين مَن جَمَعَ إلى الإيمان إقامةَ الفرائض، وجَمَعَ إلى ذلك الكفّ عن أعراض الناس؛ لا يغتابهم، ولا يشتمهم، ولا يضربهم، ولا يقتلهم؛ فكأنّه قال: مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده فهو المسلم حقّاً. أخرج من الإسلام من لا يكون مأمون اليد واللسان على سبيل المبالغة دون الحقيقة، ولام التعريف يدلّ على هذا المعنى. ضياء الشِّهاب١٥١.

١٢٢. المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ[١].

هذا الحديث يجري مجرى قوله: المؤمن أخو المؤمن، وقد مرّ تفسيره. وقوله: «**لا يظلمه**»؛ لأنّ الأخ لا يظلم أخاه ولا يُجيز ظلمه عقلاً وشرعاً وطبعاً، ولا يُسلّمه لمن يظلمه، ولا يخلّي بينه وبين ظالمه، بل يحميه ويمنعه كما يمنع ويحمي أخاه من النّسب. ومعنى الحديث: الأمر، يعني: يجب أن يكون كذلك، أو النهي، يعني: لا يَظلِمْه ولا يُسلِّمْه.

١٢٣. المُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلى مَنْ سِوَاهُمْ[٢].

لأنّ المسلمين في الملّة كالنفس الواحدة، والعقل يقتضي دفع المَضرّة عن النفس.

وأراد بقوله: (يد واحدة)، في التناصر والتعاون، فيكون أيديهم وإن كانت كثيرةً في الصورة واحدةٌ في هذا المعنى.

وأراد: بمن سواهم، من لم يكن على ملّتهم من سائر أنواع الكفّار؛ لأنّ

(١) مسند الشِّهاب١: ١٣٢، ح١٦٨ وح١٦٩. صحيح البخاري٣: ٩٨، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، عن ابن عمر. الكافي٢: ١٦٧ / كتاب الايمان والكفر، باب إخوة المؤمنين بعضهم لبعض، قطعة من ح١١، وقطعة من ح١٢. مصادقة الإخوان٤٨ / باب المؤمن أخو المؤمن، ح١، عن فضيل بن يسار، وفيهم: (يخذله) بدل (يُسْلِمُهُ).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٣٣، ح١٧٠، عن عبد الله بن عمرو. سنن ابن ماجة٢: ٨٩٥ / باب المسلمون تتكافأ دماؤهم، ح٢٦٨٤، عن معقل بن يسار. الأمالي للطوسي٢٦٣، قطعة من ح٤٨١، عن عبد الله بن عمرو. الغارات٢: ٨٢٨.

الكفر ملّة واحدة، كما أنّ الإسلام ملّة واحدة و إن اختلف المسلمون في الآراء والديانات، واللّفظ لفظ الخبر ومعناه الأمر، يعني: ينبغي ويجب أن يكونوا كذلك.

١٢٤. المَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ[(١)].

وذلك أنّ المحتضَر يُصيبه من الآلام والأسقام والتأسّف والحسرة ما يصير كفّارةً لذنوبه، وسأل رجلٌ رسول الله عن العبد إذا حصل في سكرة الموت تدور دمعةٌ في عينه، تلك الدمعة من فِراق الدُّنيا، أو من خوف الآخرة؟ **قال** ﷺ: «**لا هذا ولا ذاك، و إنّما هي للحسرة والندامة، يتحسّر على فوت عمره في غير طاعة الله، ويندَم على تفريط منه في طاعة الله**»[(٢)].

والكفّارة من التكفير على معاصي العباد والعفو عنهم بالرحمة والتفضل لا على طريق الإحباط، كما ذهب إليه أصحاب الوعيد؛ لما دلّ على بطلانه أدلّةُ العقل والسمع.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٣٣، ح١٧١ و١٣٥، ح١٧٣. ذكر أخبار إصبهان٢: ٢٣١. الأمالي للمفيد٢٨٣، ح٨، عن محمّد بن عطية، عن **الإمام الصادق** باختلاف يسير.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

١٢٥. طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ[(١)].

وذلك لأنّ التكليف مشتمل على العلم والعمل، والعلم مقدّمٌ على العمل؛ لأنّ العمل يحتاج إلى العلم بكيفيّته وشرائطه، وما لا يصحّ إلّا به وما يُبطله، ليأتي المكلَّفُ به على ما أمر به، ويجتنب أن يأتي به على خلاف المأمور به، والعلم لا يوجد إلّا بالطلب، فطلبه المؤدّي إليه فريضة.

وقال : «**اطلبوا العلم ولو بالصّين**»[(٢)]، على طريق المبالغة؛ لا أنّ بالصّين علماً يُطلب، ولكن على سبيل التقدير، حتّى لو فُرض أنّ العلم لا يوجد إلّا بالصين، لوجب الخروجُ إليه في طلبه، وأن لا يَستبعدَ الطريقَ إليه من مكةَ والمدينة.

والفريضة فعيلة بمعنى مفعولة من الفرض، وهو التقدير والقطْع[(٣)]؛ فكأنّها مقدَّرة مقطوعة على مقدار المصلحة، وهي الواجب بمعنى واحد،

---

(١) مسند الشّهاب١: ١٣٥، ح١٧٤، عن أبي سعيد الخدري و ١٣٦، ح١٧٥. سنن ابن ماجة١: ٨١ / باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، قطعة من ح٢٢٤، عن أنس. الكافي١: ٣٠ / كتاب العقل والجهل، باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه، قطعة من ح١، عن زيد، عن **الإمام الصادق** .

(٢) شعب الإيمان٢: ٢٥٤، ح١٦٦٣. تاريخ بغداد٩: ٣٦٩، الرقم ٤٩٣١، عن أنس بن مالك. روضة الواعظين١١.

(٣) أُنظر: النهاية٣: ٤٣٢ (فرض).

وهو ما يستحقّ بتركه الذّم على بعض الوجوه، إلّا أنّ الواجب يُستعمَل في العقليّات، والفرض في الشرعيّات.

وقال ﷺ: **«من طلب العلم لله عزّ وجلّ، لم يُصب منه باباً إلّا ازداد به في نفسه ذُلّاً، وللنّاس تواضعاً، ولله خوفاً، وفي الدِّين اجتهاداً، فذلك الذي يَنتفع بالعلم فليتعلّمْه، ومن طلب العلم للدّنيا والمنزلة عند النّاس والحَظوة عند السلطان، لم يُصب منه باباً إلّا ازداد في نفسه عظمةً، وعلى الناس استطالةً، وبالله اغتراراً، وفي الدِّين جَفاءً، فذاك الذي لا يَنتفع بالعلم، فليكُفَّ وليُمسِكْ عن الحجّة على نفسه والنَّدامة والخزي يوم القيامة»**[(١)].

وقال **عليّ** عليه السلام: **«العلم وراثة كريمة، والآداب حُلَلٌ حِسانٌ، والفكر مرآةٌ صافيةٌ، والاعتبار منذرٌ ناصح، وكفى بك أدباً لنفسك تركُك لغيرك ما كرهتَه لنفسك»**[(٢)].

وقال **النبيّ** ﷺ: **«من اغبَرَّتْ قدماه في طلب العلم، وجبتْ له الجنّةُ»**[(٣)].

---

(١) روضة الواعظين١١، عن **الإمام عليّ**.

(٢) الأمالي للمفيد٣٣٦ / المجلس التاسع والثلاثون، ح٧. الأمالي للطوسي١١٥ / المجلس الرابع، ح١٧٥، عن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن ياسين عن **الإمام الهادي** عن آبائه عليهم السلام.

(٣) تفسير الفخر الرازي٢: ١٨٩، مع اختلاف.

١٢٦. كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وعِرْضُهُ وَمَالُهُ[١].

اللّفظ وإن كان واحداً، فالمراد به الجمع. اللاّم للجنس، فبيّن أنّ دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم حرامٌ على كلّ أحدٍ من المسلمين والكفّار، غير أنّه خصَّ المسلمين بالذِّكر؛ لأنّ الكفّار لا يعرفون الحلال والحرام في الشّرعيّات، ولا يؤمنون به، فيستحلّون جميعَ ذلك من المسلمين، ولأنّ الخبر وعظٌ للمسلمين؛ فإنّ الكفّار لا يتّعظون بوعظ **النبيّ** ، ومثله قوله تعالى في القرآن: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، والقرآن هدىً لهم ولغيرهم، إلّا أنّ الكفّار لمّا لم ينتفعوا به، لم يعتدّ بهم، وخصّ المتّقين؛ لأنّهم هم المنتفعون به، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشاها﴾[٣]، وهو منذر للجميع، فخصَّ الخاشعين بالإنذار لهذا المعنى.

ومعنى الخبر: أنّ الله تعالى حرّم دم المسلم عن الإراقة ومالَه عن النهب والاستباحة وعِرضَه عن الفرية والاغتياب.

ومعنى التحريم: المنع، يُقال: حَرَمه عطاءَه يَحرِمُه، والحِرمان نقيض الرزق، وفلانٌ محرومٌ خلافُ مرزوقٍ[٤]، وبيّنّا معنى

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٣٦، ح١٧٦. الصمت وحفظ اللسان١٠٣، ح١٦٢. صحيح مسلم٨: ١١، عن أبي هريرة. الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٨٤.

(٢) سورة البقرة٢: ٢.

(٣) سورة النازعات٧٩: ٤٥.

(٤) معجم الفروق اللغوية١٨٤، الفرق بين الحرمان والحرف. أساس البلاغة١٦٩.

العِرض واختلاف العلماء فيه فلا وجه لإعادته.

١٢٧. حُرْمَةُ مَالِ المُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ[١].

الحرمة مصدر حَرُمَ الشيءُ يَحرُم حُرمةً، فهو حرام، يعني: أنّ مال المسلم في كونه حراماً يتنزّل منزلةَ دمه، فكما أنّ دمَه حرام، كذلك مالُه؛ حتّى أنّ من استحلّ مالَه، كان كمَن استحلّ دمَه، والمستحِلّ لهما أو لأحدهما خارجٌ عن الملّة، ولقد أحسن أبو تمّامٍ حيث جعل إراقةَ ماء الوجه بمنزلة إراقة الدّم في قوله:

لئن جحدتُكَ ما أوليتَ من حَسَنٍ إنّي لفي اللُّؤم أحظى منك في الكرم
وما أُبالي وخيرُ القول أصدقُه حَقَنتَ لي ماء وجهي أو حقنتَ دمي[٢]

و إنّما قال، لأنّ الممدوح لو لم يَصِله بالصِّلات السّنيّة، ولم يُغنه بالعطايا الجزيلة، أحوجه الفقرُ إلى مسألة اللِّئام، فسألهم، فحَرَموه، فأراق ماءَ وجهه، فالحاقن لماء وجهه بمنزلة حاقنِ دمِه.

وروي عن أنس بن مالك، قال: قال **رسول الله** : (**التاجر الجبان محروم والتاجر الجسور مرزوق**)، مسند الشِّهاب١: ١٦٩، ح٢٤٣.

(١) مسند الشِّهاب١: ١٣٧، ح١٧٧ وح ١٧٨. مسند ابن حنبل١: ٤٦٦، عن عبد الله بن مسعود. الكافي٢: ٣٥٩ / كتاب الايمان والكفر، باب السباب، قطعة من ح٢، عن أبي بصير، عن **الإمام الباقر**، وفيهما (المؤمن) بدل (المسلم).

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة٣: ١٨٧. أحسن ما سمعت : ٩١.

١٢٨. المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ[١].

المهاجر: مُفاعل من الهجرة، والهجرة في اللّغة هَيئة وكَيفيّة للمُفارَقة، كما بيّنّا في الفَعْلة والفِعلة أنّ الأُولى للمرّة، والثانية للحالة. وفي عرف الشرع: الخروج من مكّةَ إلى المدينة موافَقةً **للنبيّ** ، ولهذا قال : «**لا هجرةَ بعد الفتح**»[٢]؛ يعني فتحَ مكّة، وقولنا في الفقه: إذا حضَرتْ جماعةٌ ودخل وقتُ الصلاة فالأولى بالتقدّم أقرأُ القوم، ثمّ أفقهُهم، ثمّ أقدمُهم هجرةً، ثمّ أسنُّهم، ثمّ أصبحُهم وجهاً[٣]، فالمراد بقِدم الهجرة في عهد **النبيّ** السّبْقُ إليها والتقدّم فيها، وفي عهدنا كثرةُ أجداده في الإسلام.

ومعنى الخبر أنّ المهاجر الحقيقيَّ هو مَن تَرَكَ المنهيّاتِ؛ فإنّ مَن ترك المحارمَ كانَ كمَن هاجَرَ، وثوابه ثواب المهاجرين، وإنّما راعى المطابقةَ بين الهجرتين في اللّفظ.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٣٨، ح١٨٠ وح١٧٩، وفيه (حرّم الله عليه) بدل (مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ). صحيح البخاري١: ٨ / باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده و٧: ١٨٦ / باب الانتهاء عن المعاصي كلّها عن عبد الله بن عمرو. الكافي٢: ٢٣٥ / كتاب الايمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، قطعة من ح١٩، عن سليمان بن خالد. المحاسن١: ٢٨٥ / باب الاسلام والايمان، قطعة من ح٤٢٦، عن أبي النعمان، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) الكافي٥: ٤٤٣ / كتاب النكاح، باب أنّه لا رضاعَ بعد فطامٍ، قطعة من ح٥. الأمالي للصدوق٤٦١، قطعة من ح٦١٤، عن منصور بن حازم، عن الإمام الصادق عليه السلام. صحيح البخاري٣: ٢٠٠، عن ابن عبّاس.

(٣) أُنظر: تهذيب الأحكام٣: ٣١ / باب أحكام الجماعة، ح١١٢. النهاية ١١١. فقه الرضا ١٢٤.

١٢٩. المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللّٰهِ[(١)].

المجاهد: مُفاعلٌ من الجَهْد وهو المشقّة، أو من الجُهْد وهو الطّاقة[(٢)]، والمجاهدة: الجِهاد، فان المفاعلة والفِعال مصدران لِما كان بين اثنين في الأغلب؛ كالمقاتلة والقِتال، والمُخاصَمة والخِصام، والمُجادَلة والجِدال، إلّا ما جاء في أحرف معدودة من قولهم: قاتَلَه اللهُ، وعاقبتُ اللُّصَّ، وطارقتُ النّعلَ، وعافاك اللهُ.

وفي عرف الشرع: مُقاتَلةُ مَن يجب قتالُه من الكفّار من أهل الحرب.

فقال : المجاهدُ كلُّ المجاهد مَن جاهد نفسَه ونازعها في مخالَفة الهوى من اتّباع أوامر الله واجتناب مناهيه؛ فإنّ النفس الأمّارة تأمره بما فيه هلاكُ نفسه ودينه، فالمرء المسلم يجاهدها ويدافعها حتّى يَسلَم دينُه ونفسه.

قيل لبعض الصالحين: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ونفسي تدعوني إلى هواها، والشيطان إلى معصية الله، وعيالي يطالبونني بالقوت،

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٣٩، ح١٨٣ و١٤٠، ح١٨٤. سنن الترمذي٣: ٨٩ / باب ما جاء في فضل من مات مرابطا، قطعة من ح١٦٧١، وليس فيه (في طاعة الله). المستدرك على الصحيحين١: ١٠، عن فضالة بن عبيد. الأمالي للصدوق٥٥٣، قطعة من ح٧٤٠، عن إسماعيل، عن الإمام الكاظم عليه السلام، عن آبائه ، عن الإمام عليّ عليه السلام وفيه (أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه).

(٢) الصحاح٢: ٤٦٠. المفردات٢٠٨ (جهد).

والله يطالبني بأداء ما كلّفني، فما حال مَن كان مطالباً بهذه الأشياء، مبتلىً بهذه الآفات؟![1]

وقيل: إنّما سمّي مكانُ الصّلاة محراباً؛ لأنّ المصلّي يحارب فيه نفسه وهواها والشيطان لِتسلَم صلاتُه[2].

ويحكى أنّ مالكَ بن دينارٍ قال: نازعتْني نفسي في ماء بارد في كوزٍ جديد، فقلت: هذا حلال لا بأس به، فاشتريت كوزاً وملأته ماءً ووضعته في مهبّ الشِّمال حتّى بَرَد. وحانَ وقتُ الإفطار، فصلّيت المغربَ ونوافله، فجعلتْ نفسي تنازعني وأُنازعها، فغلبني عيناي، فرأيت في النّوم حَوراءَ لم ترَ عيني مثلَها حُسناً وجمالاً، فتحيّرت فيها، فقلت: لِمَن أنتِ؟ فقالت: لمَن لا يبيعني بشُربةِ ماء بارد في كوزٍ جديد. ثمّ ركَلَتْ الكوزَ برِجْلها وكسرتْه وصبّتِ الماءَ، فانتبهتُ، فإذا الكوز مكسور والماء مصبوب[3].

(١) قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام: كيف أصبحت، يا بن **رسول الله**؟ قال: أصبحت مطلوبا بثمان: الله (تعالى) يطلبني بالفرائض، و**النبيّ** بالسنة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان باتباعه، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فأنا بين هذه الخصال مطلوب الأمالي للطوسي٦٤١ / مجلس يوم الجمعة الثاني من رجبَ سنةِ سبعٍ وخمسين وأربعِمئة، ح١٣٣٠. الدعوات للراوندي١٢٧، ح٣١٦.

(٢) أُنظر: مجمع البيان٦: ٤٠٦. تفسير الماورديّ٣: ٣٥٨. المصباح المنير١: ١٢٧ (حرب).

(٣) أُنظر: حلية الأولياء١٠: ١٢١.

ولبعضهم:

مَن كان عند هواه في منازعةٍ فكلُّ أرضٍ له ثَغْرٌ وطَرْسوسُ[١]

١٣٠. الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ تَعَالى[٢].

الكيّس: الفَطِن[٣]، وقد بيّنّا معناه فيما مضى.

وقوله: «**من دان نفسَه**»؛ قيل: معناه من حاسَبَ نفسَه[٤]؛ فإنّ الدّين جاء بمعنى الحساب في قوله: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٥]؛ أي: الحساب المستقيم[٦].

وقيل: معناه من أَذَلَّ نفسَه في طاعة الله[٧].

وقيل: مِن (ساس نفسَه)، يُقال: دان المَلِكُ الرّعيّةَ إذا ساسهم، ودانت

---

(١) تفسير السمعاني٣: ٤٥٨ وفيه:

يا ربِّ إنّ جِهادي غيرُ منقطعٍ وكُلُّ أرضِك لي ثَغْرٌ وطَرْسوسُ

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٤٠، ح١٨٥. سنن الترمذي٤: ٥٤، ح٢٥٧٧. سنن ابن ماجة٢: ١٤٢٣ / باب ذكر الموت والاستعداد له، ح٤٢٦٠، عن شداد بن أوس. الأمالي للطوسي٥٢٩، قطعة من ح١١٦٢، عن أبي ذرّ.

(٣) أُنظر: الصحاح٣: ٩٧٢ (كيس).

(٤) تفسير السمعانيّ٤: ٢٤٠. تهذيب اللغة١٠: ١٧٢.

(٥) سورة التوبة٩: ٣٦. سورة يوسف١٢: ٤٠. سورة الروم٣٠: ٣٠.

(٦) تفسير الثعلبي١: ١١٥. روضة الواعظين٣٩١. مجمع البيان٥: ٥١.

(٧) أُنظر: تهذيب اللغة١٤: ١٢٨. الصحاح٦: ٢١١٨ (دين).

الرّعيّةُ المَلِكَ إذا أطاعتْه[١]. وقد مرَّ بيانه فيما مضى من أبيات الأعشى، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾[٢]؛ أي: غيرَ مَسُوسِينَ، وقد أخطأ مَن فسّر بالمَجْزِيّينَ[٣]؛ لأنّ معنى الآية لا يُلائِمُه.

(وعمِل لِما بعدَ الموت)؛ أي: لِما يَنفَعُه بعد الموت، ويُجازىٰ به يومَ القيامة.

والعاجز في الحقيقة ضدّ القادر، ولو كان للعجز[٤] معنى، لكان ضدّاً للقدرة، إلّا أنّ العرب تستعمله في معنى فَقْد الهداية إلى طلب الرزق ومصالح النفس، ولذلك جعله في مقابله الكياسة، قال:

متى ما يَرَى الناسُ الغَنِيَّ وجارُه فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وجَليدُ

وليس الغِنَى والفقرُ من حيلةِ الفَتىٰ ولكنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ[٥]

ومثله في المعنى قولُ الآخر:

يَشقىٰ أُناسٌ ويَشقىٰ آخرون بهم ويُسعِدُ اللهُ أقواماً بأقوامِ

وليس رزقُ الفتى من حسن حيلته بل من جدودٍ وأرزاقٍ وأقسامِ

---

(١) أُنظر: أساس البلاغة٢٠٠.

(٢) سورة الواقعة٥٦: ٨٦.

(٣) أُنظر: مجاز القرآن٢: ٢٥٢. التبيان في تفسير القرآن٩: ٥١٢. تفسير الطبري١: ١٠٢.

(٤) في نسخة (أ): (العجز).

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة٣: ٢١٢. زهر الآداب وثمر الألباب٢: ٥٤١، والأبيات للمعلوط بن بَدَل القُرَيعيّ.

كالصيد يَحرَمه الرّامي المُجيدُ وقد يَرمي ويرزقه من ليس بالرّامي![١]

«**من أتبع نفسه هواها**»؛ أي: جعلها تابعةً لهواها؛ أي أطاعها في متابعة الهوىٰ، يُقال: تَبِعَه وأتْبعَهُ وتتَبَّعَهُ وأتبعَه بمعنىً، وأَتْبَعَه غيرَه يتعدّى إلى مفعولين، وفي الخبر بهذا المعنى.

«**وتمنّى على الله**»؛ الجنّة والمغفرة، والتمنّي قول القائل لِما كانَ: ليته لم يكن، أو لِما لم يكن: ليته كان. وقد جعله قومٌ معنى في القلب سوى الإرادة[٢].

وقال بعضهم: كلّ إرادة لم يوجَدْ مرادُها، فهو تمنٍّ[٣]، وليس بصحيح؛ لأنّ التمنّي من قبيل الكلام، والعرب تَعُدّه في أقسام الكلام، فقالوا: أقسام الكلام سبعة: أمرٌ ونهي وخبر واستخبار وعَرْض وجَحْد وتمنٍّ[٤].

وقال عليّ عليه السلام: «**لا تتّكِلْ على المُنى؛ فإنّها بَضائع النَّوْكىٰ**»[٥].

وقال الشاعر:

إذا تمنّيتَ بِتَّ اللّيلَ مُغتَبِطاً إنّ المُنىٰ رأسُ أموال المفاليس[٦]

---

(١) الرسالة الموضحة٥. التمثيل والمحاضرة٧٨، والأبيات لأبي الحسن النّحويّ.

(٢) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٣: ١٨٤، سورة النساء.

(٣) أُنظر: الفروق اللغوية١٤٢. الأمالي للمرتضى٤: ١٨٤.

(٤) أُنظر: شرح الورقات في أصول الفقه٤: ١٣. شمس العلوم١١: ٧٣٢١.

(٥) نهج البلاغة / الكتاب ٣١. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٤ / باب النوادر، ح٥٨٣٤. العقد الفريد٣: ١٠٢، باختلاف يسير.

(٦) عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٧١. المحاسن والمساوئ١٢٧. مجمع الأمثال٢: ٢٠٤.

وقال آخر:

اللهُ أصـــدقُ والآمـــال كاذبـــةٌ وجُلُّ هذي المُنىٰ في الناس وسواسُ[(١)]

وقال آخر:

أنت أحلىٰ[(٢)] من المُنىٰ ومـن المـاء أعـذبُ[(٣)]

ومعنى الخبرين: أنّ الكيّس حقَّ الكيّسِ من كان سائساً نفسَه حافظاً لها عن اتّباع الهوى عاملاً لمرجِعه ومآبه، والعاجز كلَّ العاجز من أتبع نفسَه الشّهواتِ، ويقول: ليت الله غفر لي وأدخلَني الجنّةَ!

١٣١. المَرءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ[(٤)].

المرءُ: الرّجلُ، ولا جَمْعَ له مِن لفظه، وجَمعُه: الرِّجالُ، وكذلك المرأةُ لا جَمْعَ لها من لفظها، وجَمعُها: النِّساءُ والنِّسوةُ.

ومعناه: أنّ المرءَ يَتَكثّر بأخيه المؤمنِ ويَتَقوّىٰ به، والمراد به الجَمْعُ وإنْ كان اللّفظُ لفظُ وحدةٍ؛ لأنّ هذا المعنى يُستفاد من لام الجنس. ومِثلُ هذا قولُ **عليّ**عليه السلام: «**مَن يَطُلْ أَيْرُ أَبِيه، يَنْتَطِقْ به**»[(٥)]؛ أي مَن يَكْثُرْ إخوانُه من جِهة

---

(١) ربيع الأبرار٣: ٢٨٠. بَهجة المجالس٢١.

(٢) في نسخة (ج) و (د): (أهنى).

(٣) لم نعثر عليه في المصادر.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٤١، ح١٨٦. الأمثال لأبي الشيخ١: ٣٠، ح٤٦، عن أنس بن مالك. الإخوان لابن أبي الدنيا١٠٩ / باب الرغبة في لإخوان، والحث عليهم، ح٢٤، عن سهل بن سعد الساعدي. تحف العقول٣٦٨، عن **الإمام الصادق** .

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٤٥. جمهرة الأمثال٢: ٢٥٤. نثر الدر ١: ٢٠٩.

النّسَب، يَشتدُّ بهم ويتقوّىٰ بنصرتهم[١]، فهم له كالمِنطقة التي تَشُدُّ أَزْرَه وتُقَوّي ظَهْرَه، فجعل طولَ العَضِّ كنايةً عن كَثرة النِّكاحِ، فيَكثُرُ به الأولادُ، وأولادُ الرّجلِ إخوةٌ يَقْوىٰ بعضُهم ببعض. وكَنّىٰ بالانتطاق عن تَناصُرِهم وتعاوُنِهم، وهو من غريب الحديثِ.

وقال **النبيُّ** ﷺ: **«أكثِرْ مِن الإخوانِ؛ فإنّ ربَّك حَيِيٌّ كريمٌ يَستحيي أنْ يُعذِّبَ عبدَه يومَ القيامةِ بينَ إخوانه»**[٢].

وقال **عليٌّ** عليه‌السلام: **«من كان له صديقٌ حميمٌ، فإنّه لا يُعَذَّبُ، ألا ترى كيف أخبرَ اللهُ عن أهل النّار:** ﴿فَما لَنا مِنْ شافِعينَ * وَلا صَديقٍ حَميمٍ﴾[٣][٤].

وقال **النبيُّ** ﷺ: **«مَن نظر إلى أخيه نظَرَ مودّةٍ لم يكنْ في قلبه عليه إِحْنةٌ، لم يَطْرِفْ حتّى يَغفِرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذنبه»**[٥].

وقيل: لِقاءُ الإخوانِ رَوحُ الجَنانِ[٦]. وقيل: لا يُباع الصَّديقُ الأَلُوفُ بالأُلوف[٧]. وإذا كاتَبتَ الصَّديقَ، فَلْيَكُنِ المِدادُ مِن سُوَيداءِ الفؤادِ.

---

(١) أُنظر: النهاية١: ٨٥ (أيد).

(٢) ربيع الأبرار١: ٣٥٥. التذكرة الحمدونية٤: ٣٥٠.

(٣) سورة الشعراء٢٦: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٤) ربيع الأبرار١: ٣٥٥.

(٥) المعجم الأوسط٨: ١٥٥، عن ابن عمر.

(٦) اللطائف والظرائف١٦٠.

(٧) ربيع الأبرار١: ٣٦١.

وقال الشاعر:

تَكَثَّرْ مِن الإخوان ما اسطعتَ إنّهم عِـمادٌ إذا ما استُنجِدوا وَظُهُورُ[١]

وعارَضَه ابنُ الرّوميُّ، فقال:

عَـدوُّك مِـن صَـديقِك مسـتفادٌ فـلا تَسـتكثِرَنَّ مـن الصَّـحابِ

فـإنّ الـدّاءَ أكثـرُ مـا تـراه يكـون مـن الطّعـام أو الشّـرابِ[٢]

١٣٢. المَرْءُ عَلى دِينِ خَلِيلِهِ[٣].

أي: على عادتِه وطريقتِه، ومن وجوه الدّين: العادة والطريقة، كما قال المُثقِّب العَبْديُّ:

تقولُ إذا دَرَأتُ لها وَضيني أهـذا دِينُـه أبداً وديني؟![٤]

---

(١) الأمالي للصدوق ٦٦٩/ المجلس الخامس والتسعون، ح٦. الموشّى١٩، والبيت منسوبٌ إلى الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) جَمهَرة الأمثال١: ٤٦٥. زَهر الآداب٤: ٩١٥.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٤٢، ح١٨٨ و١٤١، ح١٨٧. سنن أبي داود٢: ٤٤٢ / باب من يؤمر أن يجالس، ح٤٨٣٣، وزاد في الأخيرة (فلينظر أحدكم من يخالل)، عن أبي هريرة. الكافي٢: ٣٧٥ / كتاب الايمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، قطعة من ح٣، عن عمر بن يزيد. الأمالي للطوسي٥١٨، قطعة من ح٤٢، عن محمّد بن جعفر، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) الموشح١٢١. الزاهر٢٠٦. الصحاح٥: ٢١١٨ (دين).

أي: طريقته وطريقتي، وقال الشاعر في هذا المعنى:

عَنِ الْـمَرْءِ لا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فكُلُّ الْقَرينِ بِالْمُقارَنِ يَقْتَدي[1]

ومثله:

وقـارِنْ إذا قارَنْتَ حُرّاً فإنّما يَزينُ ويُزْري بالفتى قُرَناؤُهُ[2]

وقال آخر:

إذا كنـتَ فـي قـومٍ فقـارِنْ سَـراتَهُم فإنّـك منظـورٌ إلـى مَـن تُقـارِنُ[3]

ولا تَـكُ ذا وجهَـينِ تُبـدي بَشاشـةً وفي الصّدر ضَبٌّ صادقُ الحقد كامنُ[4]

ولآخر:

و إذا صاحبتَ فاصحَبْ ماجداً ذا عَفـــافٍ وحيــــاءٍ وكـــــرَمْ

قَولُـــهُ لِلشّـــيءِ لا إنْ قُلـــتَ لا و إذا قُلـتَ نَعَـم قـال نَعَـم[5]

ولِآخَرَ:

ولا تَصحَبْ أخا الجهـ ــــلِ و إيّـــاك و إيّـــاهْ!

فَكم مِن جاهـل أردىٰ حليمــاً حــين آخــاهْ!

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة٦: ١٢١، ح٣. التبيان في تفسير القرآن٣: ١٩٨، والبيت لعَديّ بنِ زيدٍ.

(٢) الزهرة١٧١. الموشّى١٦. تاريخ دمشق٢٣: ٣٥٤، والبيت ليحيى بنِ أكثمَ.

(٣) المحاسن والمساوئ٢٤١. أي: صاحِبْ واقترِنْ بشرفائهم. سَراة جمع سَرِيّ بمعنى شريف. فإنك منظور؛ أي: ينظرون إليك مَن تُصاحبه.

(٤) معجم ديوان الأدب٣: ٢، باختلاف يسير. و(الضَّبُّ): الحِقْد.

(٥) الإخوان لابن أبي الدنيا١٢٩، والبيتان لمحمد بن النّضر الحارثيّ.

يُقـاسُ المـرءُ بـالمر ءِ إذا مَـا المـرءُ ماشـاهْ
ولِلقلـب علـى القلـْ بِ دليلٌ حينَ يَلقاهْ[1]

ويَقرُب معنى هـذا الحـديثِ مـن قولـه ﷺ: «**الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ**»[2]، وسيأتي شرحُه إن شاء الله.

١٣٣. المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ[3].

معنى (مع) المصاحَبة، وللخبر مَعنَيان:

أحدهما: ما ذكرنا في الخبر الّذي تَقَدَّمَهُ، يعني المرءُ مُصاحِبٌ مَن أحبّه لا يُفارِقه ما استطاعَ؛ لأنّ نفْسَه لا تُساعده على مُفارَقَته ومُخالَفَته، ولو فارَقَه بشخصه، لا يُفارِقُه بقلبه، ألا ترى إلى قول الشاعر:

ولمّـا رأيـتُ البِشْـرَ أعـرضَ دونَنـا وحالَتْ بناتُ الشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا
تَلَفَّتتُ نحوَ الحَيِّ حتّى وَجَدْتُني وَجِعْتُ من الإصغاءِ لِيتاً وأَخْدَعا[4]

(١) دُستور معالم الحكم ٢٠٠. عيون الأخبار٣: ٩١.

(٢) صحيح البخاري٤: ١٠٤، عن عائشة. صحيح مسلم٨: ٤١، عن أبي هريرة. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٠ / باب النّوادر، ح٥٨١٨.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٤٢، ح١٨٩. صحيح البخاري٧: ١١٢، عن عبد الله بن مسعود. الأمالي للصدوق٢٥٢، قطعة من ح٢٧٦، عن حبيب بن الجهم، عن الإمام عليّ عليه السلام. الكافي٢: ١٢٦، كتاب الايمان والكفر، باب الحبّ في الله والبغض في الله، قطعة من ح١١، عن جابر الجعفي، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٤) الزهرة٧٨. الأمالي للقالي١: ١٩٤، والبيتان ليزيدَ بنِ الطَّثْرِيَة (بسكون الثاء وفتحها).

والمعنى الآخر: أنّه أراد أنّه معه في الآخرة. وهذا أولى، لما جاء في الخبر رواه أنَس أنّ رجلاً أتى **النبيّ** فقال: يا **رسول الله**، متى السّاعةُ؟ فقال: «**ما أعددتَ لها؟**» قال: ما أعددت لها كثرةَ صلاة وصوم، إلّا أنّي أُحبّ اللهُ ورسولَه، **فقال**ﷺ: «**المرء مع مَن أحبّ**»[1].

وسُئِل رسول الله عن الرجل يحبّ قوماً ولم يلحق بهم، **قال**: «**المرءُ مع مَن أحبّ**»[2].

وروي أنّ الحارثَ بنَ الأعورِ الهمْدانيَّ قال لأمير المؤمنين : إنّي أُحبّكم وأخاف حالتين من حالاتي: وقتَ النَّزْع، وحالة المَمَرّ على الصراط. فقال له **عليّ**عليه السلام: «**لا تَخَفْ يا حارُ، فما من أحدٍ من أوليائي أو أعدائي إلّا وهو يراني في هاتين الحالتين وأراه، ويعرفني وأعرفه**». ثمّ أنشأ هذه الأبيات:

يا حارُ هَمْدانَ مَن يَمُتْ يَرَني ... مِن مؤمنٍ أو مُنافقٍ قُبُلا

يَعرفُني طَرْفُه وأعرفه ... بنعته واسمِه وما فعلا

و(البِشر): اسم جبل. (بنات الشوق): مُسبِّبات الشوق. (تلفتت): صرفت وجهي. يقول في البيت الأول: لمّا تباعدنا عن نجد، وحجز بيننا وبينه البِشرُ، تحرّكتْ مسبِّبات الشوق نوازعَ تِحنُّ. ويقول البيت الثاني: ومِن شدّة تلفُّتي، وجع منّي اللِّيت والأخدع، وهما عِرقان في جانبَي العنق.

(١) صحيح مسلم، ٨: ٤٢. المصنف لابن أبي شيبة٨: ٦٦٥، ح١٠٧. مسند ابن حنبل٣: ١٦٥، ح ٢٠٠.

(٢) صحيح البخاري٧: ١١٢. صحيح مسلم٨: ٤٣، عبد الله بن مسعود. المنتخب من مسند عبد بن حميد١٩٥، ح٥٥٢، عن أبي موسى.

وأنـت عنـد الصـراط مُعترِضـي فـلا تَخَـفْ عثـرةً ولا زلَـلا
أقـول للنّـار حـين توقـف للعـرضِ: ذَرِيـهِ لا تَقرَبـي الـرّجُلا!
ذَريـه لا تقرَبيـه إنّ لـه حَبْلًا بِحَبْلِ الْوَصِي مُتَّصِلا
أسـقيك مـن بـاردٍ علـى ظَمَـأٍ تخالـه فـي الحَـلاوة العسـلا
هـذا لنـا شـيعةٌ وشـيعتُنا أعطـانيَ اللهُ فـيهم الأمـلا[1]

١٣٤. كَرَمُ المَرْءِ دِينُهُ، وَمُرُوَّتُهُ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ خُلْقُهُ[2].

قد مرَّ تفسير مثل هذه الأحاديث، يعني أنّ المرء إنّما يكون كريماً إذا كان ديّناً؛ فإنّ أصل الكرَم هو الدِّين القويم، ومثله قوله: «**الكرم**

(١) أُنظر: الأمالي للمفيد٧ / المجلس الأول، ح٣. الأمالي للطوسي٦٢٧ / مجلس يوم الجمعةِ الثامنَ عشرَ من جُمادَى الآخرة سنةَ سبعٍ وخمسين وأربعِمئةٍ، ح١٢٩٢، عن الأصبغ بن نباتة.

ونُسبت هذه الأبياتُ إلى السّيّد الحِميريّ وهو إسماعيل بن محمّد الحِميَريّ. لُقِّب بالسَّيِّدِ ولم يكن علويّاً ولا هاشميّاً. عَدَّه الشَّيخُ في رجاله من أصحاب الصّادق وقال: إسماعيل بن محمّد الحِمْيَريُّ السّيّدُ الشّاعرُ يُكَنّى أبا عامرٍ، وكان كَيسانيّاً، فاستَبصَرَ وحَسُنَ إيمانُه.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٤٣، ح١٩٠. المستدرك على الصحيحين١: ١٢٣ و٢: ١٦٣، وفيهما (المؤمن) بدل (المَرْءِ)، عن أبي هريرة. الكافي٨: ١٨١، قطعة من ح٢٠٣. الأمالي للطوسي١٤٧، قطعة من ح٢٤١، عن سدير الصيرفي، عن الإمام الباقر عليه السلام وفيهما «إنّ حسب الرجل دينه ومروءته خلقه وأصله عقله».

التقوى»[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢][٣].

ويكون عاقلاً إذا كان ذا مروّة؛ لأنّه إذا كان ذا مروّة، أدّى حقَّ الله من ماله، فلا يكون لله عليه حقٌّ من جِهة المال، ويواسي النّاسَ بفضل ماله، فيكتسبُ بذلك الأجرَ ومودّةَ الناس وحمْدَهم، فهو مستعمِلٌ عقلَه فيما يُكسِبه خيرَ الدُّنيا والآخرة.

وحَسَبُه، يعني: ما يُحسب ويُعَدّ في مفاخره أو معايبه على حَسَب خلقه[٤]؛ حسناً كان أو سيّئاً، فإن كان حسناً، يُحكَ منه ويُثنَ به عليه؛ وإن كان سيّئاً، يُفشَ عنه ويُعَبْ به عليه ويُذَمَّ.

ومَورد هذه الأخبار ومعانيها مُبالَغة في جعْل هذه الأشياء أعيانَ ما بعدَها، كأنّه قال: لا كرم إلّا الدِّينُ، ولا مروّة إلّا العقلُ، ولا حسب إلّا الخُلقُ.

١٣٥. مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ[٥].

يعني: من أشرف خصال المرء المسلم وأجلِّها وأحسنِها أن يَترُك الرّجلُ

---

(١) التواضع والخمول١٥١، ح١١٥، عن يحيى بن أبي كثير. الكافي٨: ٢٢٠، حديث الصَّيحة، ح٢٧٢، عن جميل بن دراج، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) سورة الحجرات٤٩: ١٣.

(٣) تفسير الثعلبي٩: ٨٨، سورة الحجرات.

(٤) أُنظر: النهاية١: ٣٨١ (حسب).

(٥) مسند الشّهاب١: ١٤٣، ح١٩١، عن زيد بن ثابت و١٤٤، ح١٩٣. سنن الترمذي٣: ٣٨٢، ح٢٤٢٠، عن ابن شهاب. الأمالي للمفيد٣٤، ح٩، عن أبي زياد الفقيمي، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن ابيه والثلاثة الأخيرة، عن الإمام السجاد عليه السلام.

ما لا يَعنيه، ولا يتعرّض له ممّا لا تَعلُّق له به، ولا يكون له فيه ناقةٌ ولا جَملٌ، ولا يعود إليه خيرُه وشرّه ونفعه وضَرُّه، بل يكون مشتغلاً بنفسه لا يتفرّغُ من نفسه إلى غيره، فالعاقل لو أغرق عمرَه فيما يعنيه، لم يتفرّغْ لما لا يعنيه.

يروى: أنّ لقمانَ الحكيمَ دخل على داودَ النّبيّ وهو يصنع دِرْعاً ويَسرِدُها، فأراد أن يسأله عن ذلك؛ لأنّه لم يرها قبل ذلك، فصبر عليه ولم يسأله، حتّى إذا فرغ منه، قام ولبسها، وقال: (نِعْمَ لَبوسُ الحرب هذه!) فحَمِدَ رأيَه في ترك سؤاله، وأنّ المقصود حصل من غير مسألة بالصبر[1].

وقيل: إنّ أحداً رأى نُزُلاً[2] مُعَدّاً حملهُ جماعة إلى بعض الولاة، فقال له إنسان: ما هذا؟ قال: ما لي ولهذا؟! لا أدري، قال: إنّه يُحمل إليّ، قال: ما لي ولذلك؟! قال: يُحمَل إليك؟ قال: ما لكَ ولذلك؟![3]

١٣٦. النَّاسُ كَأَسْنَانِ المشْطِ[4].

---

(١) الكشّاف٣: ٤٩٣. مجمع البيان٨: ٨٣، سورة لقمان.

(٢) النُزْلُ: ما يُهيَّأُ للنّزيل، والجمع الأَنْزالُ. الصحاح٥: ١٨٢٨ (نزل).

(٣) لم نعثر عليه في المصادر.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٤٥، ح١٩٥. الأمثال لأبي الشيخ١: ٩٩، قطعة من ح١٦٦، عن أنس بن مالك. من لا يحضره الفقيه٤: ٣٧٩، ح٥٧٩٨. تحف العقول٣٦٨، عن الإمام الصادق عليه السلام.

١٣٧. النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ[١].

١٣٨. النَّاسُ كَإِبِلٍ مَائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَاحِدَةً[٢].

اللّام في النّاس للجنس، يَعُمّ هذا الجنسَ المعلوم. وهذه الأحاديث الثلاثة مختلفة ـ كما ترى ـ اختلافاً يوهِم التناقضَ؛ لأنّ تشبيههم بأسنان المِشط يُفيد التماثُلَ ونفيَ التفاوت، وتشبيهُهم بمعادن الذهب والفضّة يفيد الاختلافَ الظاهر والتفاوتَ البيّنَ، وتشبيههم بقطيعٍ من الإبل لا تكون فيها واحدةٌ تَصلُح للرّكوب وصْفُهم بغاية الرَّداءة وقلّة الخير، فهو مناقِض لكونهم معادنَ الذهب والفضّة.

والجمع بين هذه الأخبار من جهة المعنى واختلاف الأحوال، وذلك أنّ تشبيههم بأسنان المشط إنّما هو من جهة الخِلقة، وأنّهم كلّهم مخلوقون من أصلٍ واحد وهو التراب، ومن أبٍ واحد وهو آدم ، وأُمٍّ واحدة وهي حوّاءُ، فلا فخرَ لأحدٍ منهم على الآخر من جِهة النَسَب، كما قال بعض الحكماء:

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٤٥، قطعة من ح١٩٦. صحيح مسلم٨: ٤١، عن أبي هريرة. من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٠، ح٥٨٢١. الكافي٨: ١٧٧، ح١٩٧، عن بكر بن صالح رفعه، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٤٦، ح١٩٧ وح١٩٨. صحيح البخاري٧: ١٨٩. صحيح مسلم٧: ١٩٢. سنن الترمذي٤: ٢٢٩ / باب ما جاء مثل ابن آدم وأجله وأمله، ح٣٠٣٢، عن ابن عمر.

النّـاسُ مـن جِهـةِ التِّمثـال أكْفـاءُ   أبـوهُمُ آدمٌ والأمُّ حـــواءُ
فـإن يكـنْ لهـمُ مـن أصـلهم نسـبٌ   يُفـاخرون بـه فـالطّينُ والمـاءُ
مـا الفضـلُ إلا لأهـل العلـم إِنّهُـمُ   على الهُدى لِمَن اسْتهدىٰ أدِلّاءُ[1]

فهم من جِهة الخلقة متساوون لا مزيّةَ لأحدٍ منهم على غيره، كما أنّه[2] لا تَفاوُتَ في أسنان المِشْط بعضِها على بعض.

وأمّا تشبيههم بمعادن الذهب والفضّة، فهو من جهة الأوصاف والخصال الحميدة والذميمة؛ فإنّ الناس يختلفون غاية الاختلاف في الطِّباع والأخلاق حتّى لو جرّبتَهم، لوجدت بينهم من التفاوت ما تجده بين الذَّهَب والشَّبَه[3] والفضّة والرصاص، بل التفاوت بين الذّهب والفضّة، فإنّ التفاوت بينهما إنّما يكون إلى حدّ، إلّا أنّه قال ذلك؛ «**إذ الناس ناسٌ والزمانُ زمانُ**»[4].

قيل للحسن: كيف ترانا مع أصحاب رسول الله؟ قال: لو رأيتموهم، قلتم

---

(١) الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين ٣٦. تاريخ بغداد٥: ١٥٧، الرقم ٢٥٩٤، مع اختلاف ونُسبت الأبيات كذلك إلى أبي عبدالرحمن مؤذّن المأمون.

(٢) من هنا سقط عدة اوراق يشمل شرح عدة احاديث من نسخة (د) و نسخة (ه).

(٣) الشَّبَه: ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر، و سمي شَبَهَا، لأنه شُبِّهَ بالذهب، كتاب العين٣: ٤٠٤ (شبه).

(٤) الأغاني٤: ٤٧٤. يتيمة الدهر٤: ٣١٠. ورد في ضمن البيت:

بـلادٌ بهـا كـنّا وكنّا نُحبُّها   إذِ النّاسُ ناسٌ والزّمانُ زمانُ

هـؤلاء مجـانين، ولـو رأوكـم، لقـالوا هـؤلاء زنـاديقُ، ثـمّ مـرّت علـيهم الـدُّهورُ والأعصار وكلّ عصرٍ عصرُ أهله، فذهب بعصيره وترك عصارته[١].

قال أبو الطّيّب:

أتى الزّمانَ بنوهُ في شبيبته　　　فَسَرَّهُمْ وأتَيناه على الهَرَمِ[٢]

ثمّ قال: هم بأجمعهم كإبلٍ؛ أي: قطيعِ إبلٍ عددُها مئةٌ، ومع ذلك لا يكون فيها واحدةٌ تَصلُحُ للرّكوب والسّفر.

والراحلة: فاعلة من رحلة إذا ذهب به، يُقال: رحلته فارتحل، والرَّحلة اسمٌ للارتحال، والرُّحلة ـ بالضمّ ـ القوّة[٣]، ورحل متعدٍّ ومطاوعته الارتحال.

قال أبو الطّيّب:

إذا ترحّلتَ عن قومٍ وقد قَدَروا　　　أنْ لا تُفارِقَهم فالرّاحلون هُمُ[٤]

أي الحاملون على الارتحال، ويجوز أن تكون الراحلة بمعنى ذاتِ رحْل وهو القَتَب، من باب لابن وتامر، وأبلغ من ذلك قوله ﷺ: «**ليس شيء خيراً من ألْف مِثلِه إلّا المؤمنُ**»[٥]، فإنّه ربما يكون مؤمن واحدٌ خيراً من ألْفِ مؤمنٍ لاجتماع خِصال الخير فيه وكثرة الثواب عند الله ﷻ.

---

(١) أُنظر: قوت القلوب١: ٤٢٤. حلية الأولياء٢: ١٣٤.

(٢) يتيمة الدهر١: ١٦٣.

(٣) النهاية٢: ٢٠٩. معجم مقاييس اللغة٢: ٤٩٧ (رحل).

(٤) يتيمة الدهر١: ٢٣٨.

(٥) المعجم الصغير١: ١٤٧. مسند الشِّهاب٢: ٢١٦، ح١٢١٦، عن ابن عمر.

١٣٩. الغِنى اليَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ[١].

الغِنىٰ: ضدّ الفقر[٢]، واليأس نقيض الطمع[٣]؛ يعني أنّ الرّجل إذا كان منقطِعَ الطّمع ولا يكونَ معلَّق القلب ولا ممتدَّ العين إلى ما في أيدي النّاس ولا يكون غائظاً ولا حاسداً أحداً على حاله أو ماله، كان من أغنى النّاس، وأرفهِهم وأطيبِهم عَيشاً، وأفرغِهم بالاً، ولهذا قيل: اليأس أحد الرّاحتينِ[٤].

ومن أحسن ما قيل فيه قولُ ابن حازمٍ:

لِلنّاس مالٌ ولي مالان ما لهما إذا تَحارَس أهلُ المال حُرّاسُ

مالي الرضا بالذي أصبحتُ أملِكُه وما ليَ اليأسُ ممّا يملك النّاسُ[٥]

وهذا إنّما يَحصُل بالقَناعة بما رزقه الله سبحانه، وهذا يجري

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٤٦، ح١٩٩. المعجم الأوسط٦: ٥٥، عن عبد الله بن مسعود. نهج البلاغة / الحكمة٣٤٢. الكافي٢: ١٤٩ / كتاب الايمان والكفر، باب الاستغناء عن الناس، ح٦، عن نجم بن حطيم الغنوي، عن الإمام الباقر عليه السلام، باختلاف يسير.

(٢) جَمهرة اللغة٢: ٧٨٤ (فقر).

(٣) أُنظر: تهذيب اللغة٢: ١١٤ (طمع).

(٤) يتيمة الدهر٤: ٩٥، نسب لأبي القاسم الكسروي:

فرأى الشيخ مولى المجد في أن يشرفني بإحدى الحسنيين

بنقد أرتجيه أو بيأس فإن اليأس إحدى الراحتين

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة٣: ٢٠٥. الزهرة١٩٣.

مجرى **قوله**ﷺ: «**القَناعةُ مالٌ لا يَنفَدُ**»[١].

ولابن حازم أيضاً:

كَنَنتُ بحُسْن اليأس وجهي فصانه	بـه اللهُ عـن إتيـان كـلّ بخيـلِ
ولـم يتعرّفنـي بخيـل ولـم أَقُـمْ	علـى بابـه يومـاً مَقـامَ ذليـل
وإنّ قلـيلاً يَسـتُر الوجـه أن يُـرىٰ	إلى النّاس مبذولاً ولا لغير قليل[٢]

ولآخر:

وألزمتُ نفسي اليأس حتّى كأنّني	عـدوٌّ لِمـن أثـرىٰ خليـلُ عـديمِ
لَطَـيٌّ ثَـلاثٍ واصـطبارٌ علـى أذًى	من الـدّهر خير من نوالِ لئيمِ[٣]
ألا رُبّ عُسرٍ قـد أتـى اليُسرُ دونـه	وغمرةُ كَرْب[٤] فُرّجت لِكظيمِ[٥]

١٤٠. رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ[٦].

يُقـال: فـلانٌ تَـوَدَّد إلـى فـلانٍ إذا فعـل فِعْـلاً يَـوَدُّه بـه، وبِنـاء التّفعّـل

(١) نهج البلاغة / الحكمة ٥٧. تحف العقول١٠٠.

(٢) ربيع الأبرار٥: ٣٣٧، مع اختلاف والأبيات لسليمان بن المهاجر البجلي.

(٣) الآمل والمأمول٢.

(٤) وفي النسخ التي بأيدينا (وكربة همّ).

(٥) روضة العقلاء١٦٠.

(٦) مسند الشِّهاب١: ١٤٧، ح٢٠٠، عن أبي هريرة. قضاء الحوائج ٢٤، ح١٧، عن سعيد بن المسيب وفيه (مداراة الناس) بدل (التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ). الخصال١٥، قطعة من ح٥٥، عن حسين بن زيد، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام وفيه (التحبّب) بدل (التَّوَدُّد). عيون أخبار الرضا ٢: ٣٨، قطعة من ح٧٧، عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة عليها السلام.

فيه ضرْبٌ من التكلّف؛ كالتّطبُّع والتّجشُّم، قال:

.... غلب التّطبّعُ شيمةَ المطبوع[(١)]

ويكون أيضاً مُطاوَع فَعَلَ؛ نحو: قطَعته فتَقطَّع وكسَرته فتَكسَّرَ، وهو في الحديث من القسم الأوّل؛ أي: مَن تَعَمَّد في هذا الباب وتَعملُ وأفرغ الجهد في اكتساب صديقٍ صدوق، فقد استعمل جُلَّ العقل بل كُلَّه. وقيل: التّودُّد إلى الناس بالمَبرّة إليهم والإنعام عليهم بما يَقدِر بنفسه أو بماله أو بجاهه؛ فإنّ بذل الجاه كبذل المال. قال:

وإذا امْرُؤٌ أسدىٰ إليك صنيعةً مِن جاهه فكأنّها من ماله[(٢)]

وهذا معلومٌ عقلاً وحسّاً وعرفاً، ومنه قول **عليّ**ﷺ: «**بالبِرّ يُستعبَدُ الحُرُّ**»[(٣)]. وقال بعضهم: الإنسان عبيد الإحسان[(٤)].

وأقلّ ذلك السّلامُ والبِشر وطَلاقة الوجه وحُسن الخُلق ولِين الكلام وخفْض الصوت. وكلّ هذا من باب التحبّب إلى الناس واكتساب الأصدقاء والأحبّاء، إلّا أنّ الصَّديق الصّدوقَ في زماننا أعزُّ من الأبلق العَقوقِ، ومن بَيض الأَنوق[(٥)]،

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتقدمة، أُنظر: الوافي بالوفيات٢: ٢٧٨.

(٢) الأغاني١٦: ٥٢٧. درر الحكم٤٩، والبيت لأبي تمّام.

(٣) المناقب للخوارزمي٣٧٥.

(٤) جَمهَرة الأمثال٢: ٢٩٧. الأمثال المُولَّدة١٢٧، باختلاف يسير.

(٥) العَقوق: الحام من النُّوق، والأبلق من صفات الذكور، والذَّكر لا يَحمل، فكأنه قال: طلب الذّكرَ الحاملَ وبَيضَ الأنوق، مثل يضرب للذي يطلب المحال الممتنع، النهاية١: ٧٧ (أنق).

والأنوق على فَعول: طائره وهو الرخمة. وفي المثل: (أعز من بَيض الأنوق)؛ لأنها تُحرزه

وكيف تُصادِقُ مَن لا يُصادقك وتُوافِق من لا يوافقك؟!

قيل: الصداقة كالأُخُوّة لا يستقيم من جانبٍ واحد. قال:

تَغَرَّبتُ أسأَلُ مَن قد أرى مِن النّاس: هل مِن صديقٍ صدوقْ؟!

فقالوا: عزيزانِ لن يوجدا صديقٌ صدوقٌ وبيضُ الأُنوقْ[1]

وأعجب من ذلك ما قاله أبو بكرٍ الخوارزميُّ:

قد كنتُ ألتمسُ الصديـ ـقَ أخا المحافَظَة الصدوقا

فكأنّني أرتاد أبـ ـلَقَ ليس في الدُّنيا عَقوقا

فرضيتُ أن ألقىٰ عدوْ واً لي صحيحاً لا مذيقا

فكأنّني أبغي به بَيض الأَنوق ولا أنوقا

فنَفَيتُ من نَيل الجميـ ـع فلا عدوَّ ولا صديقا[2]

١٤١. كُلُّ امْرِئٍ حَسِيبُ نَفْسِهِ[3].

فعيل يجيء في كلام العرب بمعنى فاعل كالكريم والظريف، وبمعنى

فلا يكاد يُظفَر به؛ لأنّ أوكارَها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة، الصحاح٤: ١٤٤٧ (أنق).

(١) الصداقة والصديق١٩٣. رسائل الثعالبي٢٦. ربيع الأبرار١: ٣٨١، باختلاف يسير.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) مسند الشّهاب١: ١٤٧، ح٢٠١. مسند ابن حنبل٢: ٣٠٥. مسند أبي يعلى١: ٢٩٢، قطعة من ح٦٣٩٩. شرح معاني الآثار٤: ٢٢٩، عن أبي هريرة.

المفعول كالقتيل والجريح، وبمعنى المُفاعِل كالأكيل والنّديم[١]، وههنا قيل فيه وجهان:

أحدهما: مُحاسبٌ نفسَه، وعلى هذا قوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[٢].

وقيل: هو بمعنى الكافي[٣]، ويُقال: فلانٌ حسبي من النّاس وحسيبي؛ أي: كافيّي، وكذلك في الآية؛ أي: كفىٰ بنفسك اليوم كافياً[٤]، والمعنى على الوجه الأوّل أنت محاسبٌ نفسَك، فانظر في حسابك بينك وبين الله وبين الناس، فإن وجدته موافقاً، فاعلم أنّه كذلك يوم الحساب، وإن وجدته على خلاف الاستقامة فاصلحه.

والمعنى الآخر: أنت كافي نفسك؛ أي: لا نصيرَ لك ولا مُعينَ لك، بل تُحاسَب وحدك.

ومَورد الحديث مورد التهديد والوعيد لِمُناقَشة الحساب وقراءة ما في الكتاب.

١٤٢. كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ[٥].

(ما) ههنا نكرة موصوفة؛ أي كلّ أمرٍ يأتي ولابدّ من إتيانه فهو قريبٌ،

---

(١) بمعنى المُؤاكل والمُنادِم.

(٢) سورة الإسراء١٧: ١٤.

(٣) أُنظر: شمس العلوم٣: ١٤٤١.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة٢٥٣.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٤٨، ح٢٠٢، عن زيد بن خالد. سنن ابن ماجة١: ١٨ / باب اجتناب البدع والجدل، قطعة من ح٤٦. الكافي٨: ٨٢، ح٣٩، عن عبد الله بن مسعود. الأمالي للصدوق٥٧٧، قطعة من ح٧٨٨، عن أبي الصباح الكناني، عن الإمام الصادق عليه السلام.

ومثلُه قولُ الشّاعر:

رُبَّ ما تَكْرَهُ النُّفوسُ من الأَمـ ـرِ له فَرْجـةٌ كحـلِّ العِقالِ[١]

وكذا قوله جلّ جلاله: ﴿هذا ما لَـدَيَّ عَتيـدٌ﴾[٢]؛ أي: رُبّ أمرٍ تكرَهـه النفوسُ وهذا شيء لديّ عتيدٌ.

ويجب أن يكون في الكتابة منفصلة عمّا قبلها، و إذا كانت بمعنى الظرف، تُكتَب متّصلة بكلّ في نحو قوله تعالى: ﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلودُهُمْ﴾[٣] وما أشبه ذلك.

وقوله: «آتٍ» مَجاز؛ ومعناه المُشْرف على الإتيان؛ فإنّ الذي أتىٰ وحضر لا يقال إنّه قريب الإتيان، وتسمية الشيء باسم ما قارَبَه كثيرٌ؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[٤]، وهذا ونحوه مَجاز من طريق المبالغة، وأبلغ منه قولهم: كُلُّ ما هو آتٍ آتٍ، ومعناه: كلُّ شيء عُلِم إتيانُه وتحقُّقُه فهو بمنزلة الآتي الحاضر.

وروي أنّه رأى قيسَ بنَ ساعدةَ بسوق عُكاظٍ على جَمَلٍ له أَورَقَ[٥] يَعِظ

---

(١) كتاب سيبويه٢: ١٠٩. تهذيب اللغة١١: ٣٣. الصحاح١: ٣٣٤(فرج)، والبيت لأمية بن أبي الصّلْت.

(٢) سورة ق٥٠: ٢٣.

(٣) سورة النساء٤: ٥٦.

(٤) سورة الزمر٣٩: ٣٠.

(٥) إذا لم يخالط حمرة البعير شيء، فهو: أحمر. فإن خالطها السواد، فهو أرمك. فإن كان أسود يخالط سواده بياض كدخان الرمث، فهو أورق، فقه اللغة١١٧.

النّاسَ ويقول: أيّها النّاسُ، ألا إنّ من عاش مات، ومن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ[١].

ومعنى الخبر: وعْظ الناس وتخويفُهم بالقيامة والحساب وما وعد الله فيها من الثواب وأوعد به من العقاب، وأن لا يُستَبعَدَ؛ فإنّها عن قريب تأتي.

١٤٣. كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ[٢].

لفظ الكلّ يجب أن يُخَصَّ، ويقال إنّها ليست على العموم؛ لأنّ من عصمه الله بألطافه المتتابعة، فاختار عندها الامتناعَ من المعاصي والقبائح، خارج من هذا المعنى؛ فإنّ أعيُنَهم مصونة عن النظر إلى ما حرّم الله عليهم. وإضافةُ الزّنا إلى العين ووصْفها به مَجاز من باب إضافة الفعل إلى آلة الفاعل؛ نحو قوله: ﴿بِما قَدَّمَتْ يَداكَ﴾[٣] و﴿بِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٤]، والفاعل على الحقيقة الجملةُ، وإنّما حَقَّق تعالى بذلك

---

(١) الأمالي للمفيد٣٤٢، المجلس الأربعون، ح٧. الأحاديث الطوال٥٨، قطعة من ح٢٢. البيان والتبيين١٦٣.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٤٨، ح٢٠٣. سنن الترمذي٤: ١٩٤ / باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، قطعة من ح٢٩٣٧. مسند ابن حنبل٤: ٣٩٤، عن أبي موسى الأشعري. المجازات النبوية٨٩، ح٥٦.

(٣) سورة الحج٢٢: ١٠.

(٤) سورة الشورى٤٢: ٣٠.

إضافةَ الفعل إلينا؛ لأنّه من المُحال أن يفعل الإنسان بآلةِ غيره وجارحته، وإنّما أراد النهيَ عن النظر إلى ما لا يَحلّ لناظره أن ينظر إليه وجعله بمنزلة الزِنا؛ لأنّه من مقدّماته ومسبّباته، وإلّا فالزاني على الحقيقة الرّجلُ، فالعين تنظر والقلب يهوىٰ والرّجل يزني، عصمنا الله بفضله عمّا لا يرضاه!

١٤٤. كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى العَجْزُ وَالكَيْس[١].

القَدْر والقَدَر لغتان بمعنى التقدير. قال الشاعر في القدر المخفَّف[٢]:

كُلُّ شيء حتَّى أخيكَ مَتاعٌ ... وبقَدْرٍ تَفَرُّقٌ واجْتماعُ[٣]

وقال آخر في القدر:

نالَ الخلافة إذ كانت له قَدَراً ... كما أتى ربَّه موسى على قدرِ[٤]

ولفظة (كلّ) في الخبر مخصوص أيضاً محمول على ما دلّ عليه الدليلُ مما يجوّز أن يكون بقدَر الله من أفعاله جلّ جلاله، ومن أفعالنا ما يقارِن رضا الله ويجب علينا الرِّضا به، ألا ترى أنّ الذي أُنهيَ الكلامُ إليه بـ«**حتّى**» من

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٤٩، ح٢٠٤. صحيح مسلم٨: ٥٢. الموطأ٢: ٨٨٩، ح٤. صحيح ابن حبّان١٤: ١٧، عن عبد الله بن عمر.

(٢) أي: (القدر) بسكون الدال.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم٦: ٣٠٠ (قدر). غريب الحديث لابن قتيبة١: ٦١، والبيت بلا نسبة.

(٤) الأغاني٨: ٢٥٩. الأمالي للسيّد المرتضى٣: ١٤٥، والبيت لجرير بن عطيّةَ.

العجز والكَيْس من فعله عزّ اسمُه؟! ومثله من كلامهم: جاءني القومُ حتّى أميرُهم، وقدِم الحاجُّ حتّى المُشاةُ، ولا تمسُّكَ لأصحاب القدر بهذا الحديث وأمثالِه من أنّ أفعال العباد من الكفر والمعاصي والمناهي بقدر الله على وجه لا انفكاكَ لهم منه، لِما دلّت عليه أدلّة العقول والقرآن والسنّة المقطوعُ عليها.

وكفى بيان أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الشّاميّ عن هذا المعنى بياناً شافياً حاسماً لموادِّ كلّ شبهة يمكن أن تَخطُرَ ببال أحد، وذلك ما روته الرُّواةُ الثِّقاتُ أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام لمّا انصرف من صفِّين، قام إليه رجلٌ من أهل الشام فقال:

يا أمير المؤمنين، أخبِرْنا عن مسيرنا إلى هؤلاء القوم، أكانَ بقضاءٍ من الله وقدَرٍ؟ **فقال** عليه السلام: «**والله ما عَلَونا تَلعةً ولا هَبَطنا وادياً إلّا بقضاءٍ من الله وقدَرٍ**». فقال الشاميُّ: فعند الله أحتسبُ عَنائي يا أمير المؤمنين، وما أظنّ أنّ لي فيه أجراً؟! فقال : «**إنّ الله أعظَمَ لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون، وعلى مُقامكم وأنتم مُقيمون، ولم تكونوا في شيءٍ من حالاتكم مُكرَهين ولا إليها مُضطرّين ولا عليها مُجبَرين**».

فقال الشامي: كيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرُنا وانصرافُنا؟ فقال عليه السلام: «**يا أخا أهلِ الشّام، لعلّك ظننتَ قضاءً لازماً وقَدَراً حتْماً، لو كان ذلك كذلك، لَبَطَل الثّواب والعقاب والأمر والنهي وسقط الوعد والوعيد، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء،**

ولا المسيءُ أولى بعقوبة الذّنب من المحسن، تلك مقالة عَبَدة الأوثان وحزب الشيطان وخُصَماء الرحمن وشهداء الزّور وقدَريّةِ هذه الأُمّة ومجوسِها. إنّ الله أمر عبادَه تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلّف يسيراً ولم يُلزِمْ عسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يُطَعْ مُكرَهاً ولم يُعصَ مغلوباً ولم يَخلُقِ السماء والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا، فويلٌ للّذين كفروا من النّار!»

فقال الشّاميُّ: فما القضاءُ والقدَرُ الّذي ذكرتَه يا أميرَ المؤمنين؟

قال: «**الأمر بالطّاعة والنّهي عن المعصية والتّمكُّن من فعل الحسنة وتركُ السّيّئة والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، كلُّ ذلك قضاءُ الله في أفعالنا وقَدَرُه لأعمالنا، ثمّ قرأ:** ﴿وكانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[1]، **فأمّا غيرُ ذلك، فلا تَظُنَّه؛ فإنّ الظّنّ له مُحبِطٌ للأعمال**».

فقال الشّاميُّ: فرّجتَ عنّا يا **أميرَ المؤمنين**، فرّج الله عنك! ثمّ أنشأ يقول:

أنت الإمامُ الّذي نَرجو بطاعتِه ... يومَ المآب من الرّحمن غُفرانا

أوضحتَ مِن دينِنا ما كان مُلتبِساً ... جزاكَ ربُّك عنّا فيه إحسانا![2]

---

(١) سورة الأحزاب٣٣: ٣٨.

(٢) الكافي١: ١٥٥ / كتاب التوحيد، باب الجبر والقدَر والأمرِ بينَ الأمرين، ح١، عن سهل بن زياد وإسحاق بن محمّد وغيرهما رفعوه. التوحيد للصدوق٣٨٠، ح٢٨، عن علي بن جعفر الكوفي، عن الإمام الهادي عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام. تاريخ دمشق٤٢: ٥١٢، عن عكرمة، مع اختلاف.

ورُوِي أنّ بعضَ فقهاء العَراقِ[1] دخل ذاتَ يومٍ على الصّادق جعفرِ بنِ محمّدٍ عليهما السلام ولَبِثَ عنده ما شاء اللهُ، فلمّا خرج من عنده، رأى ابنَه موسى بنَ جعفرٍ وهو صبيٌّ في المكتب، فأراد أنْ يَمتحِنَه، فقال: يا ابنَ رسولِ الله، أين يَحدُث الغريبُ عندكم إذا أراد ذلك؟ **فقال: «يَجتنبُ شُطوطَ الأنهارِ، ومَساقِط الثِّمارِ، وأفْنِيةَ الدُّورِ، والطُّرُقِ النّافذةَ، والمساجدَ، ويرفع ويضع».**

قال: فلمّا سمعت ذلك منه، نَبُلَ في عيني وعظُم في قلبي، فقلتُ: يابن رسول الله، ممّن المعصية؟ فنظر إليَّ وقال: **«اجلس حتّى أُخبرَك»**، فجلست، فقال: **«إنّ المعصية لا تخلو من أن يكون من العبد أو من ربّه، أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله، فهو أعدل وأنصف مِن أن يأخذ العبدَ بما لم يفعله؛ وإن كان منهما جميعاً، فهو شريكه؛ والقويّ أولى بإنصاف عبدِه الضّعيف؛ وإن كان من العبد، فعليه وَقَع الأمرُ وإليه تُوَجَّه النّهيُ، وله حقّ الثواب والعقاب، ووجبت له الجنّة والنار»**، قال: فلمّا سمعت منه قلت: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾[2]، وقد نظم بعض أهل العلم هذا المعنى، فقال:

لم تَخْلُ أفعالُنا اللّاتي نُذَمَّ بها ... إحدى ثلاثِ خِصالٍ حين نأتيها

إمّا تَفَرَّدَ بارينا بصنعتها ... فيَسقُط اللَّومُ عنّا حين يُنشيها

---

(١) المراد: أبو حنيفة، النعمان بن ثابت كما في المصادر.

(٢) سورة الأنعام٦: ١٢٤.

أو كـان يُشـرِكنا فيهـا فيَلحقُـه ما سوف يَلحَقُنا مِن لائمٍ فيها

أو لـم يكـنْ لإلهـي فـي جنايتها ذنبٌ فما الذّنبُ إلا ذنبُ جانيها[١]

١٤٥. كُلُّ صَاحِبِ عِلْمٍ غَرْثانٌ إِلى عِلْمٍ آخَرَ[٢].

صاحبُ الرّجل: مُلازِمه، ومنه أصحابُ رسولِ الله ـ رضي الله عنه ورضي عنهم ـ مُلازمو خدمتِه، وأصحاب الجنّة وأصحاب النّار[٣]. والمراد بصاحب العلم الرّجل العالم المُلازم العلمَ.

وغَرْثانُ عبارةٌ عن كَونه حريصاً عليه وطالباً له كالجائع المشتهي للطّعام[٤]، ومنه **قوله**ﷺ: **«منهومانِ لا يَشبعانِ: طالبُ علمٍ وطالبُ دنيا»**[٥]، وذلك أنّ الرّجل إذا اشتغل بالتّعلّم، شَقَّ ذلك عليه وكابَدَ منه عَناءً ومَشقّةً من الطلب والتّردّد والأخذ والتّكرار والإتقان والحفظ والضبط

(١) الأمالي للسيّد المرتضى١: ١٠٥. روضة الواعظين٤٠. دلائل الإمامة٢٢. بحار الأنوار ٤٨: ١٠٦.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٥٠، ح٢٠٥. مسند أبي يعلى٤: ١٣٢، ح٢١٨٣، عن جابر بن عبد الله. سنن الدارمي١: ٨٧، عن طاوس.

(٣) أُنظر: كتاب العين٣: ١٢٤ (صحب).

(٤) أُنظر: كتاب العين٤: ٤٠٠ (غرث).

(٥) الكافي١: ٤٦ / كتاب فضل العلم، باب المُستأكِل بعلمه والمُباهي به، قطعة من ح١، عن سليم بن قيس، عن الإمام عليّ عليه السلام. المستدرك على الصحيحين١: ٩٢، عن أنس. نهج البلاغة / الحكمة ٤٥٧.

وفهم المعنى والغَوص فيه، فإذا فهمه وعلمه وبلغ حدَّ التّخريج، وجد حَلاوةً زادت على تلك المَشَقّات والمُقاساة، فيَصيرُ العلمُ عنده كالشيء المشتهىٰ، فيشتاق إليه كالغرثان إلى الطّعام والعطشان إلى الشّراب، وإنّما نُكِّر العلمُ في المَوضعَين لِيَعُمَّ ويَشمِلَ كلَّ علمٍ بل كلَّ مسألةٍ لِيكون أبلغَ فيما أشار إليه، ومن وَجد حَلاوةَ العلم وعلِم شرفَه، لم يصبر عنه ساعةً؛ فإنّه في الدُّنيا جمالٌ وفي الآخرة نجاةٌ.

١٤٦. لِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ، وَعِمَادُ هذَا الدِّينِ الفِقْهُ[١].

العِماد: ما يُعمَد به الشّيءُ[٢] لِيَعتمد عليه ويقِفَ ويَثبُتَ. فلو زال أو ضَعُفَ، انهدم البناءُ وانْهدّ، فكذلك الفقه في الدِّين عمادٌ له، وهو في اللّغة العلم، يُقال: فَقَهتُ الشّيءَ إذا علمته، وكذلك فقِهت وفهِمت[٣]، وفي الشرع عبارة عن العلوم الشرعيّة ممّا يتعلّق بالمصالح الدينيّة من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد، أو بالمصالح الدنيويّة من المعاملات كالبيع والرهن والإجارة وغير ذلك، أو بما لا غِنىٰ للمكلَّف عنه ويحتاج إليه وإلى العلم به، كالعلم بالنكاح والطلاق والعِتاق وغير ذلك.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٥٠، ح٢٠٦ و١٥١، ح٢٠٧، وفيه (قوام) بدل (عماد) في الموضعين. سنن الدارقطني٣: ٦٦، قطعة من ح٣٠٦٦. المعجم الأوسط٦: ١٩٤، عن أبي هريرة.

(٢) الصحاح٢: ٥١١ (عمد).

(٣) النهاية٣: ٤٦٥ (فقه).

ثمّ إنّ العبادات تختلف على العلوم وأنواعها لاختلاف أحوالها، فأعمُّها العلمُ؛ لأنّه يَعُمّ أنواعَها، فما مِن نوعٍ من أنواعها إلّا ويُطلَق عليه هذا الاسمُ، ويجري علينا وعلى الله جلّ جلاله. وذكرنا أنّه ما اقتضى سكونَ النفس والمعرفة والفهم والدراية.

والفقه من أسماء العلم إلّا أنّها يُستعمل في علم مُستطرَف يَحصُل بعد أن لم يكن حاصلاً، ولذلك لا يجري على الله تعالى.

واليقين العلم الحاصل بعد الشّكِّ.

والطّبّ في اللّغة العلم أيضاً، يقول القائل: اِعمَلْ لي هذا الأمرَ عَمَلَ مَن طَبَّ لِمَن حَبَّ، وفي العرف يختصّ بالعلم بمعالَجة الأبدان، ولا يجري على الله تعالى لمنعٍ سمعيٍّ.

والشّعر العلم أيضاً. تقول: شعَرت بهذا؛ أي: علمتَه[١]، قال الله تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْعُرونُ﴾[٢]، وفي العرف عبارة عن كلام موزون مقفًّى دالٍّ على معنى[٣].

ويُكنّىٰ عن العلم بالوقوف على الشيء، يُقال: وقفت على هذا الأمر؛ أي: علمته[٤]؛ وذلك لأنّ الشّاكّ متردّد بين إثبات الشيء ونفيه، فهو يذهب تارةً

(١) معجم مقاييس اللغة ٣: ١٩٣ (شعر).

(٢) في القرآن الكريم: ﴿ولكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾. سورة الأعراف ٧: ١٨٧، وفي سورة العنكبوت ٢٩: ٥٣: ﴿وهُمْ لا يَشْعُرونَ﴾.

(٣) رسائل الشريف المرتضى ٢: ٢٧٤.

(٤) الصحاح ٤: ١٤٣٩ (وقف).

إلى هذا وتارةً إلى ذاك، فإذا علِمه، وقف عليه وزال التّردُّدُ.

والخبر وارد في عِظَم شأن الفقه، وأنّه في الدِّين بمنزلة العماد للسقف، فكما أنّ السقفَ لا يقف إلّا على العماد، فكذلك الدِّينُ لا يستقيم إلّا بالفقه.

١٤٧. كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ[١].

الشراب والمسكر المُجمَعُ على تحريمه عصيرُ العنب الذي اشْتَدَّ وأَسكَرَ. وبه قال الشافعيُّ وأبو يوسفَ. وزاد أبو حنيفةَ الزَّبَدَ، وقال: إذا اشْتَدّ وأَزبَدَ وأَسكَرَ، حَرُم وصار نَجِساً ووجب على شاربه الحدُّ، والازديادُ ليس بشرطٍ عندنا وعند الشافعيّ، وكلّ شراب أسكَرَ كثيرُه، فقليلُه حرامٌ عندنا وعند الشافعيّ ومالكٍ والأوزاعيّ وأحمدَ و إسحاقَ، سَواءٌ عُمِلَ من عنب أو تمْر أو زبيب أو عسل أو حِنطة أو شعير[٢].

وقيل: الخبر وارد على سببٍ روى طارقُ بن سُوَيدٍ قال: قلت: يا رسول الله، إنّ بأرضنا أعناباً، نعتصرها؟ **قال: «لا»**، قال: فراجعته[٣]،

---

(١) لم نجده في مسند الشِّهاب. صحيح البخاري٥: ١٠٨، عن أبي موسى الأشعري. صحيح مسلم٦: ٩٩، عن بريدة. الكافي٦: ٤٠٨ / كتاب الأشربة، باب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حرّم كلّ مسكر قليله وكثيره، ح٣، عن عطاء بن يسار، عن الإمام الباقر عليه السلام و٤٠٧، ح١، عن كليب الصيداوي، عن **الإمام الصادق** .

(٢) الخلاف٥: ٤٧٤ / كتاب الأشربة، باب المراد من الخمر المحرّم.

(٣) أي: عاودتُ سؤالي وكرّرتها.

قال: «**لا**»، قلت: يُستشفى به المريض! قال: «**ذاك داءٌ لا يَشفي**»[1].

وقال أبو عُبيدٍ: إنّ نفراً من اليمن قدِموا على رسول الله، فسألوه عن نبيذ المِـزْر[2] وقـالوا: إنّ أرضـنا أرضٌ عَشَـمة ونحـن قـومٌ نحترث ولا نَقوى على عملنا إلّا به، فقال **رسول الله** ﷺ: «**كلّ مسكرٍ حرامٌ**»[3].

وقال ﷺ: «**ما أسكر الفَرَقُ فالحُسْوة[4] منه حرام**»[5]. وقوله: عَشَمة أي: يابسة[6]، والفَرَق: ستّةَ عشَرَ رَطْلاً في قول الهيثم[7].

وأصل الكلمة من السُّكر وهو النبيذ. والسِّكْر ما سُكِر من مجاري الماء، فإذا فُتِح بَثَقَ [الماءُ]، ويقال: سَكِر يَسكَر سُكْراً وسَكَراً كالبُخل والبَخَل[8].

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١١٥٧ / باب النهى أن يتداوى بالخمر، ح٣٥٠٠. مسند ابن حنبل٤: ٣١١. صحيح ابن حبّان٤: ٢٣١، باختلاف يسير.

(٢) المِزْرُ بالكسر: نبيذ يتّخذ من الذّرة. و قيل: من الشّعير أو الحنطة، النهاية٤: ٣٢٤ (مزر).

(٣) مسند ابن حنبل٤: ٤٠٢، عن أبي موسى مع اختلاف وذكر أنّ المراد من نبيذ المِزْر نبيذ العسل.

(٤) الحُسوة بالضمّ: الجرعة من الشراب بقدر ما يُحسى مرة واحدة. والحَسوة بالفتح: مرة، النهاية١: ٣٨٧ (حسا).

(٥) سنن البيهقي٨: ٢٩٦. سنن أبي داود٢: ١٨٦ / باب النهى عن المسكر، قطعة من ح٣٦٨٧. سنن الترمذي٣: ١٩٤ / باب ما أسكر كثيره فقليله حرام، قطعة من ح١٩٢٨، باختلاف يسير ، عن عائشة.

(٦) الصحاح٥: ١٩٨٥. النهاية٣: ٢٤١ (عشم).

(٧) الصحاح٤: ١٥٤٠ (فرق).

(٨) أُنظر: النهاية٢: ٣٨٣. الصحاح٢: ٦٨٧ (سكر).

وقال بعض المفسّرين في قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذونَ مِنْهُ سَكَراً﴾[١]؛ أي: مُسكِراً[٢]، على سبيل الذّمّ لهم والتهجين، ثمّ قال: ﴿سَكَراً ورِزْقاً حَسَناً﴾[٣] كالدِّبْس والزبيب. وقال بعضهم: سَكَراً أي: طعماً[٤]، قال الشاعر:

جعلتَ عيبَ الأكرمين سَكَراً[٥].

١٤٨. كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّ رَاعٍ مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ[٦].

الرّعْي والرعاية لازم ومتعدّ. يقال: رعت الماشيةُ ورعيتُها أنا، ومنه راعي المواشي والرعاية الحفظ أيضاً[٧]، والراعي يرعى من الوجهين. والراعي في هذا الحديث متعدّ، والرّعيّة فعيلة بمعنى مفعولة.

أراد به عِيال الرجل ومن يُعوِّله ويجب عليه نفقتُه ورعايته؛ فإنّه يُسئَل عنه يوم القيامة: أساء إليه أم أحسنَ؟ حفظ أم ضَيّعَ؟ أنفق عليه أم أمسك؟

---

(١) سورة النحل١٦: ٦٧.

(٢) الوجوه والنظائر للدامغاني ١: ٤٣٧. روض الجنان٣: ٢٠٣.

(٣) سورة النحل١٦: ٦٧.

(٤) مجاز القرآن١: ٣٦٣. معاني القرآن٤: ٨٣. التبيان في تفسير القرآن٦: ٤٠١.

(٥) معاني القرآن٤: ٨٣. تفسير الفخر الرازي٢٠: ٦٨.

(٦) مسند الشِّهاب١: ١٥٢، ح٢٠٩. صحيح البخاري١: ٢١٥ و٣: ٨٧. صحيح مسلم٦: ٧. سنن أبي داود٢: ١٣ / كتاب الخراج والامارة والفئ، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية، قطعة من ح٢٩٢٨، عن ابن عمر وفيها (كُلُّكُمْ) بدل (كُلُّ رَاعٍ).

(٧) أُنظر: تهذيب اللغة٣: ١٠٣ (رعي).

ولذلك قيل صاحب العيال لا يَفرَحُ وحقيقٌ به أن لا يَفرَح؛ لأنّ انقسام قلبه بهم و بمُؤَنهم[(١)] لا يَدَعُه يفرح، وكيف يفرح وهو مأخوذٌ بهم في الدُّنيا مسؤولٌ عنهم في الآخرة، وصاحب العيال مقيَّد بعياله لا يمكنه أن يجيء ويذهب فيما يريده ويهواه؟!

وقال بعض المحدّثين وأراد أن يسافر، فمنعه عن ذلك شَغْل عِياله:

ما لِلمُعيل ولِلمَعالي؟! إنّما يسعى إليهنّ الفريدُ الواحدُ
كالشمس تجتاب السماءَ فريدةً وأبو بنات النعش فيها راكدُ[(٢)]

أراد بـ(أبي بنات النعش) القطب الذي يدور بناتُ النّعش حوله، فهو ثابت لا يزول كقطب الرَّحىٰ.

وقال بعضهم وهو يهوىٰ طول الحياة لعياله:

لقد زاد الحياةَ إليّ حُبّاً بناتي أنّهن من الضّعافِ
مَخافةَ أن يَرَيْنَ البؤسَ بعدي وأن يَشرَبن رَنْقاً بعد صافي
وأن يَعرَيْنَ إن كُسِي الجواري فَتَنبُو العينُ عن كرم عِجافِ
ولولاهنّ قد سوّمتُ مُهري وفي الرحمان للضعفاء كافِ[(٣)]

---

(١) هكذا في نسخة (أ) و نسخة (ج) و سقط في غيرهما.

(٢) يتيمة الدهر٥: ١٦٤. الفقيه والمتفقه٢: ١٨٢. الأبيات لأبي الفرج علي بن الحسين بن هندو باختلاف يسير فيهما.

(٣) الأغاني١٨: ٣٢٩، والأبيات لعمران بن حطان.

١٤٩. لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعرَفُ بِهِ[١].

ويروى: «**تُعرَف به غَدرَتُه**»، الغادر: الخائن، يقال: غَدَرَ به يَغدِر غَدْراً، فهو غادر، وأصله الترك؛ كأنّه تاركٌ بعضَ ما يجب عليه من الوفاء والأمانة، ومنه غدير الماء، فعيل بمعنى مفعول؛ لأنّ الماء يُترك فيه[٢]، ومنه قوله: ﴿لا يُغادِرُ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً إلّا أَحْصاها﴾[٣].

والمراد باللّواء العلامة؛ ولذلك سمّي اللّواء عَلَماً، إلّا أنّ اللِّواء أكبر من العَلَم، فذَكَر اللّواء دون العلم للمبالغة، وفي الخبر: إنّ كلّ من يَرِدُ القيامةَ من مطيعٍ أو عاصٍ له علامةٌ تعرفه الملائكة بها[٤]. قال الله تعالى: ﴿سيماهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجودِ﴾[٥]، وقال: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمونَ بسيماهُمْ﴾[٦]. وقيل: أراد الغَدْرَ بِمَن آمنه بعضُ المسلمين، فأجاره، فغَدَرَ به أحد. وروي أنّه قال ﷺ: «**ذِمّة المسلمين واحدة، فإن**

(١) مسند الشِّهاب١: ١٥٣، ح٢١١، عن أنس و١٥٢، ح٢١٠، عن عبد الله. سنن الترمذي٣: ٣٢٧ / باب ما أخبر **النبيّ** أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، قطعة من ح٢٢٨٦. المستدرك على الصحيحين٤: ٥٠٦. مسند ابن حنبل٣: ٦١، عن أبي سعيد الخدري و٢: ١٢٦، عن ابن عمر وفي الخمسة الأخيرة (بقدر غدرته) بدل (يُعرَفُ بِهِ).

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٤: ٤١٣. كتاب العين٤: ٣٩٠ (غدر).

(٣) سورة الكهف١٨: ٤٩.

(٤) أُنظر: مجمع البيان٢: ٢٠٦.

(٥) سورة الفتح٤٨: ٢٩.

(٦) سورة الرحمن٥٥: ٤١.

أجارت عليهم جاريةٌ، فلا تُخفِروها، فإنّ لكلّ غادرٍ لِواءً يوم القيامة»[١].

وروي أنّ أُمّ هاني بنتَ أبي طالب ـ رحمة الله عليها ـ أجارت جماعةً من المشركين في بيتها يومَ فتْح مكّةَ لمّا استجاروا بها، فلمّا دخل رسول الله ﷺ مكّةَ، جاء عليُّ بن أبي طالب دارَ أُمّ هاني وكان مُقنَّعاً في السلاح، **فقال: «أخرِجوا مَن عندكم مِن أعداء الله»**. فخرجت إليه أُمُّ هاني ولم تعرفه، وقالت: يا عبد الله، أنا ابنة عمّ رسول الله وأُختُ عليّ بن أبي طالب، فاحترِمْني. فقال لها **عليّ** عليه السلام: **«أخرِجي مَن في بيتكِ»** فقالت: والله! لَأشكُوَنّك إلى رسول الله ﷺ، فكشف عليّ عليه السلام عن وجهه، فعرَفتْه والتزمتْه، وقالت: فَدَيتك! حلِفتُ لَأَشكُوَنّك إلى رسول الله ﷺ، **فقال لها: «رسول الله بأعلى مكّةَ، فاذهبي إليه وأبِرّي قسمكِ»**. فجاءت إلى رسول الله ﷺ وهو يغتسل، وقالت: يا رسول الله، ما لقينا اليوم من عليّ! فقالت لها **فاطمة** عليها السلام: **«أما تستحْيينَ جئتِ تشتكين عليّاً أن أخافَ أعداءَ الله؟»** فقال **النبيّ** ﷺ: **«اذهبي، إنّي أَجَرتُ مَن أجرتِ لمكانكِ من عليّ»**[٢].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢: ١٤١. مسند أبي يَعلى ٧: ٣٥٦، ح٤٣٩٢، عن عائشة باختلاف يسير.

ومعنى الحديث: (إذا أجار واحدٌ من المسلمين شريفٌ أو وضيعٌ كافراً؛ أي: أعطاه ذمّتَه... لا تَنقُضوا عهدَه وأمانَه، بل اِمضوا وإن كان عبداً أو ضعيفاً أو أنثى). فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٣: ٧٥٦. وأما (فإن لكل غادرٍ...)، (المراد النهي عن نقضها، وأنّ مَن نقض ذمّةَ غيره، فكأنّه نقض ذمّة نفْسه). السابق.

(٢) الإرشاد ١: ١٣٧، باختلاف يسير.

١٥٠. أَوَّلُ مَا يُقضى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ[١].

القضاء بمعنى الحكم ههنا[٢]، أخبر أنّ أوّل حكومة يَحكمها اللهُ الحُكمَ في الدماء؛ لأنّه أعظم شيء عند الله.

روى عمر بن دينار، عن **محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب** عليه السلام أنّه قال: «**إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ من قِبل الله: عبادي و إمائي، هاتوا أعمالَكم وخذوا جزاؤكم، فوعزّتي وجلالي!** ﴿ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلّامٍ لِلْعَبيدِ﴾[٣]، **فأوّل حكومة في القيامة حكومتُنا؛ إذ تجيء فاطمةُ بقميص الحسين مُلَطَّخاً بدمه. ويُنادى في المحشر: يا أهل الموقف، غُضّوا أبصاركم حتّى تجوزَ فاطمةُ. فجاءت حتّى تَعَلّقتْ بقائمة العرش وتقول: يا جبّارُ، اُحكُم بيني وبين قاتل ولدي. فيقول الله عزّ وجلّ: ألم يَكفِك أنّي أجمعهم حتّى من بَرى لهم قلماً أو ألاقَ لهم دواةً؟! فأُكبُّهم على مناخرهم في النار، فالويلُ لِمن شفعاؤه خصماؤه وأولياءه في القيامة أعداؤه!**»[٤]

وقال بعض نساء آل محمّد:

ما ذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتُمُ وأنتم آخِرُ الأُمَم؟

---

(١) مسند الشّهاب١: ١٥٣، ح٢١٢. صحيح البخاري٧: ١٩٧. صحيح مسلم٥: ١٠٧. سنن ابن ماجة٢: ١٧٣ / باب التغليظ في قتل مسلم ظلما، ح٢٦١٥ وح٢٦١٧، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) كتاب العين٥: ١٨٥ (قضي).

(٣) سورة ق٥٠: ٢٩.

(٤) الأمالي للصدوق٦٩، المجلس الخامس، قطعة من ح٣٦، مع اختلاف.

بعترتـي وبـأهلي بعـد مُفتَقَـدي مِـنهُمْ أُسـارى ومـنهم ضُـرِّجوا بـدمِ
مـا كـان ذاكَ جزائـي إذ نصـحتُ لكـم أن تَخلُفـوني بسـوءٍ فـي ذوي رحمـي[١]

١٥١. أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ العَبْدُ بِهِ الصَّلَاةُ[٢].

وذلك لأنّ الصلاةَ أوّلُ عبادة من عبادات الشرع، وأوّلُ ركن من أركانه، وهي تتكرّر في اليوم واللّيلة خمسَ مرّات، وهي أقوى علامات الإيمان، وما يُحكَم به على إيمان صاحبه. وأصل الكلمة من الصِّلِيّ وهو اللّزوم[٣]. يُقال صَلِيتُ النّارَ وبالنّارِ، ومن ههنا قيل لِثاني خَيل السِّباق المُصّلي[٤]، ومنه قوله ﷻ: «**تَصْلىٰ ناراً حامِيَةً**»[٥]؛ أي: تُلازِمُ[٦]، وهي في اللّغة

---

(١) وقعة الطف: ٢٧٣. عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣١١. شرح الأخبار٣: ١٩٩، والأبيات لزينب بنت عَقيل بن أبي طالب وهي زينب الصغرى ترثي أهلها ومن قُتِلَ بالطّفِّ.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٥٤، ح٢١٣، عن عبد الله بن مسعود. سنن أبي داود١: ١٩٨ / باب قول **النبيّ** كلّ صلاة لا يتمّها صاحبها تتمّ من تطوّعه، قطعة من ح٨٦٤، عن أبي هريرة. الكافي٣: ٢٦٨ / كتاب الصلاة، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها، قطعة من ح٤. تهذيب الأحكام٢: ٢٣٩، قطعة من ح٩٤٦، عن أبي بصير، عن الإمام الباقر عليه السلام من دون إسناد إليه ، باختلاف يسير.

(٣) تفسير ابن فورك٢٠٠.

(٤) المغرب١: ٤٨٠ (صلو).

(٥) سورة الغاشية٨٨: ٤.

(٦) التبيان في تفسير القرآن١٠: ٣٣٤، سورة الغاشية.

الدّعاء[١]، قال:

وصَلّى على دنّها وارتسم[٢].

وهي من الأسماء المنقولة نُقلت من الدّعاء إلى القيام والقعود والرّكوع والسجود وغيرها من الأركان والأفعال. وحسابُ الله العبدَ سؤالُه إيّاه ما فعل وكيف فعل ولِمَ فعل وما أراد بما فعل.

وعن **عليّ** عليه السلام: **«لا يُترَك كلّ أحد يوم القيامة يرفع قدمه عن موقفه حتّى يُسئَل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أينَ اكتسَبَه وفيمَ أنفَقَه، وعن ولايتنا أهلَ البيت»**[٣].

١٥٢. أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي المِيزَانِ الخُلُقُ الحَسَنُ[٤].

الميزان: آلة الوزن[١]، ومِفعَل ومِفعال كثير في آلة الفعل، كالمفتح

(١) الصحاح٦: ٢٤٠٢ (صلا). غريب الحديث لابن قتيبة١: ١٥.

(٢) المحبر٣٢١. الصحاح٦: ٢٤٠٢ (صلا). معجم مقاييس اللغة٣: ٣٠٠ (صلي). والمعنى: دعت الريح للخمر أن لا تَحمُضَ ولا تَفسُدَ والشاعر: الأعشى.

(٣) الخصال٢٥٣، ح١٢٥. تحف العقول٥٦. سنن الترمذي٤: ٣٥ / باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ح٢٥٣١، عن ابن مسعود مع اختلاف.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٥٤، ح٢١٤، عن أمّ الدرداء. سنن أبي داود٢: ٤٣٦ / باب في حسن الخلق، قطعة من ح٤٧٩٩. سنن الترمذي٣: ٢٤٥ / باب ما جاء في حسن الخلق، قطعة من ح٢٠٧١، عن أبي الدرداء. عيون أخبار الرضا ٢: ٤٠، ح٩٨، عن داوود بن سليمان الفرّاء، عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام.

والمفتاح والمغلق والمغلاق. واختلف العلماء في الميزان، فذهب بعضهم إلى أنّه ميزان له كفّتان ولسان كميزان أهل الدُّنيا[٢]، والأخبار في هذا المعنى كثيرة، والقرآن به ناطق. فأمّا سؤالهم كيف توزَن أعمال العباد وهي أعراض والأعراض لا تدخل في الوزن؟ فالجواب عنه: أنّ الموزون في ميزان القيامة الصحائف والقرآن ناطق به أيضاً في قوله: ﴿و إذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[٣]، وقوله: ﴿اقْرَأْ كِتابَكَ﴾[٤]، ولا يمتنع أن يكون الكتب والصحائف في الوزن والشكل والخفّة والثّقل على حدٍّ واحد وما يُكتَب فيه كذلك من تفريج الكتابة وتضييقها.

وذهب بعضهم إلى أنّ ذكر الوزن والميزان عبارة عن العدل والإنصاف، وأنّ الله تعالى يُعامل المكلّفين مُعامَلَة من يأخذ ويعطي بالميزان على وجهٍ لا حيفَ فيه ولا شطط ولا نقصاً[٥].

والمراد بالخُلق الحَسَن العادة الحميدة وحُسن المُخالَطة مع الناس على وجه لا يمنع الشرع منه ولا الطبيعة التي جُبِلَ الإنسان عليها؛ فإنّها لا تتعلّق به وهي من فعل الله سبحانه، وفعلُه تعالى لا يوضع في ميزان العبد ولا يحاسب عليه ولا يُثاب ولا يعاقب لأجله؛ لأنّه

---

(١) تهذيب اللغة١٣: ١٧٦ (وزن).

(٢) تهذيب اللغة١٣: ١٧٦. المحكم والمحيط الأعظم ٩: ١٠٩ (وزن).

(٣) سورة التكوير٨١: ١٠.

(٤) سورة الإسراء١٧: ١٤.

(٥) أُنظر: تصحيح اعتقادات الإمامية١١٤ / فصل في الحساب والموازين.

ينافي العدل والحكمة.

١٥٣. أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ هذِهِ الاُمَّةِ الحَيَاءُ وَالأَمَانَةُ[١].

كأنّه أخبر عن زماننا هذا؛ فإنّه لم يبقَ في أحدٍ شيء من هاتين الخصلتين إلّا في الشاذّ النادر.

أمّا الحياء فقد قال: «**إنّه من الإيمان**»[٢]؛ يعني: بعضَ الإيمان. فمن لا حياء له كان كمن لا يكون له بعض الإيمان.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[٣]. فالرّجل إذا فَقَد منه هذا، فكأنّه لا إيمان له، وذلك محمولٌ على استحلال الخيانة في الأمانة.

والحديث يكون على ضربٍ من التغليظ.

وضدّ الحياء القِحَة، وضدّ الحيِيّ الوقِحُ، فهو كما قال الشاعر[٤]:

إذا رُزق الفتي وجهاً وَقاحاً ... يُقلّب في الأمور كما يشاء[٥]

(١) مسند الشِّهاب١: ١٥٥، ح٢١٥. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا٨٨، ح٢٦٥. مسند أبي يعلى١: ٥١١، ح٦٦٣٤. مكارم الأخلاق للخرائطي٧٤، ح١٧٨، عن أبي هريرة.

(٢) صحيح البخاري٧: ١٠٠، عن عبد الله بن عمر. دلائل الإمامة٦٦، قطعة من ح١، عن ابن مسعود، عن فاطمة عليها السلام. الكافي٢: ١٠٦ / كتاب الايمان والكفر، باب الحياء، قطعة من ح١، عن أبي عبيدة الحذاء، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) مسند ابن حنبل٣: ١٣٥. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا٩١، ح٢٧٨. سنن البيهقي٤: ٩٧، عن أنس بن مالك.

(٤) من هنا سقط عدة أوراق في نسخة (د) و نسخة (هـ).

(٥) رجل وقاح الوجه صلبه: قليل الحياء، كتاب العين٣: ٢٥٦ (وقح).

فـلا والله! مـا فـي العـيش خيـرٌ ولا الــدُّنيا إذا ذَهَــبَ الحيــاءُ[١]

وقال آخر:

إذا قـلّ مـاءُ الوجـه قـلّ حيـاؤُه ولا خيـر فـي وجـهٍ إذا قـلّ مـاؤه
حَيـاؤُك فاحفظْـه عليـك فإنّمـا جمال الفتى في المسلمين حياؤُه
وأقلِـلْ إذا مـا قُلـتَ قـولاً فإنّـه إذا قـلَّ قـولُ المـرء قـلَّ خُطـاؤه
وقــارِن إذا قارنــتَ حــرّاً فإنّمــا يــزين ويُــزري بــالفتى قُرَنــاؤُه
ولــن يَهلِـكَ الإنسـانُ إلّا إذا أتـى مـن الأمـر مـا لـم يَرضَـهُ حُلَمـاؤُه
إذا قـلَّ مـالُ المـرء قـلّ بهـاؤُه وضــاق عليــه أرضُــه وســماؤُه
فأصبح لا يدري وإن كـان حازمـاً أقُدّامَــــه خيــــرٌ لــــه أم وراؤه
وإن مـات لـم يُعبـأ بـه وبِفَقْـده وإن عاش لم يُفرِحْ صديقاً لقاؤه
وإن غـاب لـم تَشـتَقْ إليـه نسـاؤُه وإن آب لـم يَفـرَحْ بـه أصـدقاؤُه[٢]

وهـذه الأبيـات وإن لـم تكـن كلّهـا فـي الحيـاء، إلّا أنّهـا لمّـا كانـت جامعةً للحِكَم، كتبتُها.

وأمّـا الأمانـة، فمـن عِظـم شـأنها مـا قـال الله فيهـا: ﴿إِنّـا عَرَضْـنَا الْأَمانَـةَ عَلَـى السَّـماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبـالِ فَـأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهـا وَحَمَلَهَـا الإِنْسـانُ﴾[٣]؛

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا٤١، الرقم٩٥. أدب الدنيا والدين٢٥٠. بَهجة المجالس١: ١٢٩، مع اختلاف والبيت لأبي تمّام.

(٢) الفاضل٤٣، مع اختلاف. روض الجنان١٤: ٢١٦.

(٣) سورة الأحزاب٣٣: ٧٢.

ومعنى الآية الإخبارُ عن عظم شأن الأمانة، وأنّ السماواتِ مع رِفعتها والأرضَ مع بَسطتها والجبالَ مع صلابتها، لو كانت أحياءً عقلاءَ، فعُرضتْ عليها الأمانةُ، أشفقتْ منها وأبَتْ أنْ تَحمِلَها وتَقبلَها، وحملها الإنسانُ.

فإن قيل: إذا حَمَل الإنسانُ ما لم تَحمِل السّماواتُ والأرضُ والجبالُ، لِمَ وُصِف بالظلم والجهل؟ قلت: لأنّه حملها ولم يتحمّلْها، وقبِلها ولم يحفظْها، حمَلَها ثمّ اطّرَحها، ادّعى رعايتَها فلم يَفعلْ وخانها، كما قال تعالى في اليهود: ﴿مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً﴾[1].

واختلف العلماء في هذه الأمانة، فقال بعضهم: الطهارة والغُسل من الجنابة[2]، وقال بعضهم: الصلاة في السرّ، وقال بعضهم: الصوم، وقال بعضهم: الوديعة، وهي الأمانة بعينها[3]، والحمل على العموم أولى.

وقال المبرّد: أودَعَ حمزةُ بن بِيضٍ مالاً عند متفتّي[4] ومالاً عند مُتَقرّئ[1]،

(١) سورة الجمعة٦٢: ٥.

(٢) تاريخ دمشق٣٥: ١٣٩، والقائل: محمّد بن شعيب.

(٣) أُنظر: تفسير الطبري٢٢: ٦٦، سورة الأحزاب.

وروى الكليني بإسناده: عن إسحاق بن عمار، عن رجل عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: (هي ولاية **أمير المؤمنين**)، الكافي١: ٤١٣ / كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح٢.

(٤) المتشبّه بالفِتيان، من تفتّي فلانٌ؛ أي: تشبّه بالفِتيان. كتاب العين ٨: ١٣٧ (فتو).

فلمّا استردّ[٢]، ردّ المتفتّئُ، ولم يَرُدِّ المتقرّئُ، فأنشأ حمزةُ يقول:

ألا لا يَغُرَّنْــك ذو سَــجدةٍ   يظــلّ بهــا دائبــاً يَخــدَعُ

ومــا للتُّقــى لزمَــتْ وجهــهُ   ولكــن ليــأتي مُســتودِعُ[٣]

ثلاثون ألفاً حواها السجود   فليســت إلــى ربّهــا ترجــعُ

وردّ أخـو الكـأس مـا عنـده   ومـا كنـتُ فـي ردّه أطمـعُ[٤]

وقال آخر:

أمّــا النّبيــذُ فــلا يَــذْعَرْك شــاربُه   واحفظْ ثيابَك ممّن يشرب الماءَ

---

(١) المتعبّد المتفقّه، من تقرّأ بمعنى تنسّك وتفقّه. لسان العرب ١: ١٣٠ (قرأ).

(٢) أي: طلب ردّه.

(٣) أي: إن الحَبّة التي برزتْ في جَبهته ليست بسبب التقوى وكَثرة السجود، بل لأن يخدع بها الناس؛ حيث يرون آثار العبادة في وجهه، فيأتونه ليستودعوا لديه أموالهم. يذكر أن بيتاً قبل هذا البيت كان في بعض النسخ يلزم ذكره لإيضاح هذا البيت. وهو: كأنّ بجَبهته حِليةً / يُسبّح طَوراً ويسترجِعُ. العقد الفريد٨: ٧٧. لكن كلمة (الحلية) هذه غريبة وأغلب الظن أنها تصحيف؛ فقد جاء في الأغاني: (كأنّ بجبهته جُلْبةً)، وهو الصحيح؛ فإن (الجُلبة) قِشرة رقيقة تَعلو الجُرح عند البُرْء. فمن هنا يظهر مرجع الضمير المستتر في (لزمت)، وهو (الجلبة). كذلك جاء المصراع الثاني في الأغاني هكذا: (ولكن لِيغتَرَّ مستودِع). وأما قصة هذه الأبيات كما في الأغاني أنه كان لابن بِيض صديقٌ عاملٌ من عمّال ابن هُبَيرةَ. فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين ألفَ درهم، واستودَع مثلَها رجلاً نبيذيّاً [شارب النبيّذ]. فأمّا النّاسك فبنى بها داره، وتزوّج النّساء، وأنفقها وجحده! وأمّا النبيّذي فأدّى إليه الأمانة في ماله، فقال حمزةُ بنُ بيض هذه الأشعار فيها ذكر المؤلف أربعةَ أبيات منها فقط.

(٤) العقد الفريد٨: ٧٧. الأغاني١٦: ٤٠٣.

قـومٌ يُـوَرّون[١] عمّـا فـي نفوسـهم حتّى إذا استمكنوا كانوا هُمُ الداءَ
مُشـمِّرون إلـى أنصـافِ سُـوقِهم هُـمُ الـذِّئاب وهـم يُـدعَون قُـرّاءَ[٢]

ومن عظم شأن الأمانة أنّ الله تعالى أمرنا بتأديتها إلى أهلها، مؤمناً كان أو كافراً، في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٣].

وروي: إنّ سبب نزول الآية أنّ رسـول الله ﷺ لـمّا فتح مكّةَ، أرسل إلى بني شـيبةَ، فسـألهم مفتـاحَ الكعبة، فأبَوا عليه، فبعث عليّاً عليه السلام وقال لـه: «**خُـذ المـفتاحَ عـنهم عَنوةً**». فخـرج إليهـم وأخـذ المـفتاح منهم. فلمّا دخلها رسول الله ﷺ وطرح الأصنامَ وكسرها، أتاه العبّاسُ وقال: يا رسول الله، ادفع المفتاح إليَّ ليكون لي سِقايةُ الحاجّ وسَدانة الكعبة، فأراد رسولُ الله أن يدفعَه إليه، فنزلت هذه الآيةُ. فدفع المفتاح إلى عليّ عليه السلام وقال له: «**رُدّه إلى مَن أخذتَ منه**». فجاء عليّ عليه السلام بالمفتاح، وردَّه إلى مَن أخذ منه. فقال له الرّجلُ: عجباً منك يا ابن أبي طالب! أخذت المفتاح بجَفوَةٍ وغِلظةٍ، ثمّ رددته معتذراً ممّا كان منك؟! فقال: «**إنّ الله أنزل في ذلك قرآناً**»؛ وقرأ الآيةَ عليه. فتَعجّب الرّجلُ من كرم الله، وصار ذلك سبباً لإسلامه[٤].

(١) أي: يُخفون.

(٢) العقد الفريد٨: ٧٧. الأشربة لابن قتيبة١: ٢٠٦.

(٣) سورة النساء٤: ٥٨.

(٤) أُنظر: تفسير الماتريدي٣: ٢٢١.

١٥٤. أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ الصَّلَاةُ[١].

هذا الحديث يدلّ على أنّ زمانَنا هذا آخِرُ الزمان؛ لأنّا ما أدركنا مَن كانت له أمانةٌ إلّا ما شاء الله، فهي مفقودة منذ زمنٍ طويل، والآن فقدنا الصّلاةَ وأهلَها، فالصّلاة متروكة والمساجد معطَّلة والجماعة متفرِّقة، فالمساجد لا تُدخَل إلّا لمعاملةٍ أو مُصادرة، كأنْ لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، وعمارة المسجد لا تكون بتجصيصها وتذهيبها وتعليق القناديل فيها، إنّما يكون عمارتُها بإقامة الصّلاة فيها والتّوفّر على صلاة الجماعة.

ومن السّنّة المؤكّدة أنّ الرّجل إذا دخل في مسجدٍ من المساجد، لا يدخله إلّا بتحيّةٍ، وتحيّة المسجد ركعتان بمنزلة تحيّة أحدِنا لصاحبه[٣].

ومعنى الحديث: إعلامه النّاسَ بأعلام آخر الزمان، وتخويفه إيّاهم فِتنتَها لِيجِدّوا ويجتهدوا، ويكونوا على حذرٍ منها، أعاذنا الله من فتنة آخر الزمان!

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٥٥، ح٢١٦ و١٥٦، ح٢١٧. الفوائد لتمام الرازي١: ٨٤، ح١٩١. مكارم الأخلاق للخرائطي١: ٧٢، ح١٧١، عن أنس بن مالك. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا٨٩، ح٢٦٧، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) سورة البقرة٢: ١١٤.

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة٥: ٢٤٨ / كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب استحباب تحية المسجد وهي ركعتان.

١٥٥. الحُبُّ يُتَوَارَثُ، وَالبُغْضُ يُتَوَارَثُ[١].

التفاعل يكون في الأغلب بين الجماعة، نحو: التخاصم والتقاتل، كما أنّ المفاعلة أكثرها بين اثنين، نحو: المُخاصَمة والمُقاتَلة وغيرهما. والتوارث أن يرِث كلُّ واحدٍ منهم صاحبَه وصاحبُه يرِثه أيضاً؛ يعني أنّ الرجلين إذا كان بينهما صداقة أ وعداوة وماتا، ولهما أولاد عرفوا ذلك من أبويهم، جرَوا على عادتهما؛ كأنّهم ورثوا ذلك من آبائهم!

وبيّنّا أنّ الحبّ إرادةُ الخير والنفعِ بالغير، والبغض بالعكس من ذلك: إرادة الشّرّ أو كراهة الخير بالغير. وقيل: صداقة الآباء قرابة الأبناء[٢].

١٥٦. حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ[٣].

المَحبّة تشتبه بالشهوة، من حيث إنّ الرّجل يريد كلّ الخير بمحبوبه. والمَحبّة في الحديث بمعنى الشهوة، والفرق بينهما أنّ الشهوة من فعل الله

(١) مسند الشِّهاب١: ١٥٦، ح٢١٨. المستدرك على الصحيحين٤: ١٧٦. المعجم الكبير١٧: ١٨٩. الأمالي لابن بشران١٩٨، ح٤٥١، وفيها (الودّ) بدل (الحُبّ) كلّها عن عفير.

(٢) في المصادر: (مودة الآباء) أُنظر: مجمع الامثال للميداني ٢: ٣٣٠، و كذا عن **أميرالمؤمنين** أُنظر: نهج البلاغة / الحكمة٣٠٨، باختلاف يسير.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٥٧، ح٢١٩. سنن أبي داود٢: ٥٠٥ / باب في الهوى، ح٥١٣٠، عن أبي الدرداء. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٠، ح٥٨١٤. الكافي٢: ١٣٦ / كتاب الايمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها، قطعة من ح٢٣، عن أبي جميلة، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن الإمام عليّ عليه السلام من دون إسناد إليه وفيه (الدنيا) بدل (الشَّيْءَ).

تعالى، ولا كسب للعبد فيها، والمحبّة من فعل العباد، لا صُنع لله فيها، وإنّما قلنا: إنّ المحبّة في الخبر بمعنى الشهوة، والفرق بينهما من حيث إنّ الشهوة هي التي تغلب على الطبع ولا اختيار للإنسان معها؛ وذلك لأنّها فعلٌ يَحصُل فيه لا مِن قِبله على وجه لا يمكنه دفعه من نفسه، وكذلك النّفرة التي هي ضدّها لا اختيار لصاحبها معها، فلو أراد أن يشتهي ما لا شهوةَ له به، لم يقدر عليه، أو يَنفِر عن بعض المشتهيات مع تعلّق شهوته به، لم يمكنه[1].

والعشق من هذا الباب؛ لأنّه شهوة شديدة تتعلّق بمشتهىً مخصوصٍ، ويُشبه أن يكون المحبّة في الحديث الشهوةَ على هذا الوجه الذي يمنع سمعَه وبصره من أن يرى ويسمع عيبه؛ فكأنّه أعمى أصمُّ عن عيب ما يحبّه ويشتهيه. يُقال: عمَي الرّجلُ وأعماه اللهُ، وصَمّ وأصمّه الله[2].

١٥٧. الهَدِيَّةُ تَذْهَبُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ[3].

الهديّة فعيلة بمعنى مفعولة، وهي اسمٌ للشيء المُهدىٰ[4]. والسمع والبصر آلتا السَّماع والرؤية وحاسّتاهما، والفعل منه سَمِع وأبصر.

---

(١) أُنظر: الفروق اللغوية / الرقم١٢٣٠، الفرق بين الشهوة والمحبة.

(٢) أُنظر: المحرر الوجيز٢: ٢٢١.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٥٧، ح٢٢٠، عن أنس. المعجم الكبير١٧: ١٨٣. معرفة الصحابة لأبي نعيم٤: ٢١٤٦، ح٥٣٨٢، عن عصمة وفيهما (القلب) بدل (البصر).

(٤) أُنظر: الفروق في اللغة١٦٢.

ومعناه يَقرُب من معنى الخبر المقدّم؛ لأنّ الرّجل إذا أهدى إلى غيره هديّةً في أمرٍ من الأمور، تَمنَعُه تلك الهَديّةُ من أن يَسمع الحقَّ في ذلك الأمر أو يُبصِر الإنصافَ، فهو في ترك إبصار الحقّ وسَماعه بمنزلة الأصمِّ الأعمى الذي لا سمْعَ له ولا بصرَ. وكأنّ الإشارة في الحديث إلى الرّشوة؛ لأنّ إذهاب السمع والبصر من أعظم الآفات، فهو بالرَّشوة المحرّمة والسُّحت المحظور أليَقُ.

١٥٨. الخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[١].

اللّام في الخير والخيل للجنس. معقود: أي منوط[٢]. وفي رواية أخرى: «**الخيل معقود بنواصيها الأجرُ والمَغنَمُ إلى يوم القيامة، وأهلها مُعانون عليها، والمُنفِق عليها كباسط يده بالصّدقة**»[٣].

والنواصي جمع ناصية: وهي شَعْر الجَبهة[٤]، وخَصَّ النّاصيةَ؛ لأنّ

(١) مسند الشِّهاب١: ١٥٨، ح٢٢١، عن ابن عمر وح٢٢٣. صحيح البخاري٣: ٢١٥، عن عروة البارقي. ثواب الأعمال١٩٠ /ثواب ارتباط الخيل، عن عمر بن أبان، عن الإمام الصادق عليه السلام. الكافي ٥: ٩/ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، قطعة من ح١٥، عن معمر، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) أي ملازم لها كأنّه معقود فيها؛ النهاية٣: ٢٧١. أُنظر: كتاب العين١: ١٤٠ (عقد).

(٣) كتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٨٣/ كتاب الحج، ح٢٤٥٩. سنن الدارمي٢: ٢١١. مسند ابن حنبل ٤: ٣٦١، عن جرير بن عبد الله و١٨٠، عن سهل بن الحنظلية وفي الثلاثة الأخيرة بعضها.

(٤) كتاب العين٧: ١٥٩. المفردات٨١٠ (نصو).

الخير والراحة في استقبالها، تقول العرب: فلانٌ معصوب الناصية؛ أي مَيمون؛ كأنّ اليُمنَ عُصِب بناصيته. وتقول: أرى في ناصيته خيراً أو شرّاً.

وروى أبو قِلابَةَ[١]: أنّ رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّي أريد أن أشتريَ فرساً، فأيَّها أشتري؟ قال: **«اِشترِ أدهمَ أرثَمَ مُحَجّلاً مُطلَق اليُمنىٰ»**[٢].

وقال ﷺ: **«يُمْنُ الخيل في الشُّقْر»**[٣]، و**«عليكم بكلّ كُمَيتٍ أغرَّ مُحجَّلٍ أو أشقرَ مُحجّلٍ»**[٤]، **«ولا تَقُصّوا أعرافَها وأذنابَها»**[٥].

وعن وهب بن مُنبّهٍ أنه قال: لمّا أراد الله أن يخلق الخيلَ، قال للرّيح الجَنوب: «**إنّي خالق منك خلْقاً أجعله عِزّاً لأوليائي وإجلالاً لأهل طاعتي**»، فقبض قبضةً من ريح الجَنوب، فخلق منها فرساً، فقال: «**سمّيتك فرساً وجعلتك عربيّاً، وجعلت الخيرَ معقوداً بناصيتك، والغنائمَ تُحاز على**

(١) الظاهر أنّه تصحيف والمراد منه أبو قتادة الأنصاري كما في المصادر.

(٢) سنن الدارمي ٢: ٢١٢. سنن البيهقي٦: ٣٣٠، عن أبي قتادة الأنصاري باختلاف يسير.

(٣) سنن الترمذي ٣: ١٢٠/باب ما يستحب من الخيل، ح١٧٤٦، عن ابن عبّاس. المغازي٢: ١٠٤٢، عبد الله بن عمرو بن العاص باختلاف يسير.

(٤) سنن أبي داود ١: ٥٧٣/ باب في ما يستحب من ألوان الخيل، ح٢٥٤٣. سنن النسائي٦: ٢١٨. مسند ابن حنبل ٤: ٣٤٥، عن أبي وهب الجشمي.

(٥) سنن أبي داود ١: ٥٧٢/ باب في ما يستحب من ألوان الخيل، قطعة من ح٢٥٤٢. مسند ابن حنبل ٤: ١٨٤، عن عتبة بن عبد السلمي. المصنف لابن أبي شيبة٧: ٥٧٣، ما ذكر في حذف أذناب الخيل، قطعة من ح١، عن الوضين بن عطاء.

ظهْرك، وجعلتك تطير بلا جناح، فأنت للطّلب وأنت للهرَب»[١].

وقال بعض العلماء[٢]: دخلتُ على تميمٍ الدّاريّ وهو أمير بيت المَقْدِس وهو يُنقّي شعيراً لفرسه، ثمّ قام وعلّقه عليه. فقلت: لو فعل هذا غيرُك! فقال: سمعت **رسول الله** ﷺ يقول: «**من نقّى شعيراً لفرسه، ثمّ قام حتّى يعلِّقَه عليه، كتب الله له بكلّ شعيرة حسنة**»[٣].

وقال أنس: إنّي سمعت **رسول الله** ﷺ يقول: «**رِباط يوم في سبيل الله خير من عبادة الرّجل في أهله سنةً ثلاثَمئةٍ وستّين يوماً كلُّ يوم ألف سنة**»[٤].

وروي عن ابن عبّاس أنه قال: إذا استصعب دابّة أحدكم، فليقرأْ في أذنها: ﴿أَفَغَيْرَ دينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾[٥] الآية[٦].

وروى عليُّ بن ربيعةَ قال: شهدت عليّاً عليه السلام وأُتي بدابّة ليركبها، فلمّا وضع رِجله في الرّكاب قال: «**بسم الله**»، فلمّا استوىٰ على ظَهرها قال: «﴿الحمدُ للهِ الَّذي سَخَّرَ لَنا هذا وما كُنّا لَهُ مُقْرِنينَ و إنّا إلى رَبِّنا لَمنقلِبونَ﴾[٧]، **الحمد لله** ـ

---

(١) العظمة لأبي الشيخ ٥: ١٧٧٧. تفسير الثعلبي٣: ٢٦، عن **الإمام الحسن**، عن أبيه .

(٢) هو روح بن زنباع الجذامي كما في المصادر.

(٣) مسند ابن حنبل٤: ١٠٣. المعجم الكبير ٢: ٥١. الاستيعاب ٢: ٥٠٣.

(٤) سنن ابن ماجة٢: ٩٢٥/ باب فضل الرباط في سبيل الله، ح٢٧٧٠. مسند أبي يعلى ٧: ٢٦٧، ح٤٢٨٣، باختلاف يسير.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٨٣.

(٦) تفسير الثعلبي ٣: ١٠٧. الدعوات الكبير ٢: ٢٦٤، ح٦١٥.

(٧) سورة الزخرف ٤٣: ١٣.

ثــلاث مــرّات ـــــــ، والله أكــبر ـ ثــلاث مــرّات ـ ». ثــمّ قــال: «**ســبحانك! إنّــي ظلمــتُ نفســي، فــاغفِرْ لــي إنّــه لا يَغفــر الــذّنوبَ إلّا أنــت**». ثــمّ ضــحِك. فقلــتُ: يــا أميــر المــؤمنين، مــن أيّ شــيءٍ ضــحكتَ؟ قال: «**رأيت رسول الله فعل مثلَ ما فعلت، فقلت: يا رسول الله ضحكتَ؟! قال: إنّ الله يَعجَب من عبده إذا قال: اِغفِرْ لي ذنوبي، ويعلم أنّه لا يغفر الذّنوبَ غيري**»[١].

١٥٩. يُمْنُ الخَيْلِ فِي شُقْرِهَا[٢].

اليُمن ضدّ الشُّؤم، والميمون نقيض المشؤوم[٣]. وقيل: أصله من اليَمَن والشّام[٤]. و**الشُّقر** جمع أشقر؛ وهو الأحمر الخالص الحُمْرةِ[٥]، وفُعل في جمع أفعَلَ صفةً، قياسٌ مستمرّ؛ كأصفرَ وصُفرٍ وأخضرَ وخُضرٍ.

وقيل: إنّ رسول الله ﷺ قال هذا ردّاً على العرب؛ فإنّهم كانوا يتشائمون بشُقر الخيل. و**قال**ﷺ: «**لو جُمعتِ الخيلُ في صعيدٍ ما سبِقها إلّا الأشقر**»[٦].

---

(١) سنن أبي داود ١: ٥٨٥/ باب ما يقول الرجل إذا ركب، ح٢٦٠٢. مسند ابن حنبل ١: ٩٧. الدعاء للطبراني٢٥٠، ح٨٧٥.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٥٩، ح٢٢٤. سنن أبي داود١: ٥٧٣/ باب في ما يستحب من ألوان الخيل، ح٤٥٤٥. مسند ابن حنبل١: ٢٧٢. المعجم الكبير١٠: ٢٨٦، ح١٠٦٧٦، وقطعة من ح١٠٦٧٧، عن ابن عبّاس.

(٣) أُنظر: تهذيب اللغة ١١: ٢٩٩ (شأم). الصحاح ٦: ٢٢٢٠ (يمن).

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة ١٥: ٣٧٨ (يمن).

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة ٨: ٢٤٩. كتاب العين ٥: ٣٦ (شقر).

(٦) عيون الأخبار ١: ٢٤٢. العقد الفريد ١: ١٣٥.

وسُئل بعض العلماء[١]: لِمَ خَصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الأشقرَ باليُمن؟ فقال: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سَرِيّةً، فأوّل من جاء بالفتح صاحبُ فرسٍ أشقرَ[٢].

١٦٠. السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ[٣].

هذا ممّا عَلِمه ضرورةً مَن كابدَ وَعْثاء السّفر وقاسىٰ مَشاقَّه. وأصل السّفر الكشفُ؛ لأنّه يُظهِر أخلاقَ صاحبه ويكشف عنها، يقال: سفرتُ الموضعَ إذا كنستَه، والمِسفر: المِكنسة؛ لأنّه آلة السفر، وسَفَرتِ المرأةُ إذا ألقتْ قِناعها عن وجهها[٤]، وأسفر الصبحُ إذا أضاء[٥]، والسفير: المُصلِح بين اثنين بصلحٍ[٦]، والسِّفْر: الكتاب لما فيه من البيان[٧].

و**القِطعة**: فِعلة بمعنى مفعولة. و**العذاب**: استمرار الألم، ومنه عذْبة

---

(١) هو: عقيل بن شبيب كما ذكر في الرقم التالي.

(٢) سنن أبي داود ١: ٥٧٣/ باب في ما يستحب من ألوان الخيل، ح٢٥٤٤. السنن الكبرى ٦: ٣٣٠.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ١٥٩، ح٢٢٥. صحيح البخاري٢: ٢٠٥ و٦: ٢٠٨، عن أبي هريرة. كتاب من لا يحضره الفقيه٢: ٣٠٠، ح٢٥١٥. المحاسن٢: ٣٧٧/ باب آداب المسافر، ح١٤٧، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه .

(٤) أُنظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٢: ٢٤٧. كتاب العين ٧: ٢٤٦(سفر). الفايق في غريب الحديث٢: ١٤٤.

(٥) النهاية ٢: ٣٧٢ (سفر). التبيان في تفسير القرآن ١٠: ٢٧٢.

(٦) المفردات٤١٢ (سفر).

(٧) أُنظر: الفروق اللغوية٢٧٨، الفرق بين السفر والكتاب.

اللّسان؛ لاستمراره على الكلام، والماء العَذْب لاستمراره في الحلق[١].

وقال ﷺ: «**السّفر قطعة من العذاب، يمنع أحدُكم نومَه وطعامَه وشرابَه، فإذا قضى أحدُكم نَهْمَتَه**[٢]**، فليعجَلْ إلى أهله**»[٣].

وعنه ﷺ: «**إذا قدِمَ أحدُكم من سفره، فليُهدِ إلى أهله وليُطرِفْهم**[٤] **ولو كانت حجارةً**»[٥].

ورأى النبيّ ﷺ رجلاً في سفرٍ فقال: «**شيطان**»، ثمّ رأى رجلين فقال: «**شيطانان**»، ثمّ رأى ثلاثة فقال: «**سفرٌ**»[٦].

وقال ﷺ: «**خيرُ الرّفقاء أربعةٌ**»[٧]. ونهى أن يُسافر الرّجلُ وحْدَه،

---

(١) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ١: ٦٦.

(٢) النهمة: بلوغ الهمة في الشيء. النهاية ٥: ١٣٨ (نهم).

(٣) صحيح البخارى٢: ٢٠٥. مسند ابن حنبل ٢: ٤٤٥. سنن الدارمي ٢: ٢٨٦، عن أبي هريرة.

(٤) أي: فليُتحِفْهم بطرفة؛ أي: هديّة.

(٥) سنن الدارقطني ٢: ٢٦٣، ح٢٧٦٥. شعب الإيمان٣: ٥٠٢، ح٤٢٠٤، وفيه (فليطرقهم) بدل (وليُطرِفْهم)، عن عائشة باختلاف يسير.

(٦) المصنف لعبد الرزاق١٠: ٤٣١، ح١٩٦٠٨، عن الحسن. سنن أبي داود ١: ٥٨٧/ باب في الرجل يسافر وحده، ح٢٦٠٧، عن عبد الله بن عمرو. الكافي٨: ٣٠٢، ح٤٦٣، عن إسماعيل بن جابر، عن الإمام الصادق عليه السلام، دون إسناد إليه، باختلاف يسير.

(٧) سنن ابن ماجة٢: ٩٤٤/ باب السرايا، قطعة من ح٢٨٢٧. المعجم الأوسط ٧: ١٤، عن أنس بن مالك. الكافي ٥: ٤٥/ كتاب الجهاد، قطعة من ح١، عن عمرو بن أبي نصر، عن الإمام الصادق عليه السلام.

فقال ﷺ: «إنّ الشيطان مع الواحد، ومن الاثنين أبعدُ»[١]. **وقال ﷺ: «إنّ الشيطان لَيَهُمّ بالواحد والاثنين، فإذا كانوا ثلاثةً، لا يَهُمُّ بهم»**[٢].

وكلّ هذا نهيُ شفقةٍ لا نَهيُ تحريمٍ؛ والمراد كَراهة أن يكون وحْده[٣]، فإنّه إذا كان في رِفقةٍ، كان آمَنَ مِن اللّصوص وقُطّاع الطريق.

وقال ﷺ: «إذا خرج أحدُكم في سفر، فليُودّعْ إخوانَه؛ فإنّ دعاءَهم له بركة»[٤].

١٦١. طَاعَةُ النِّسَاءِ نَدَامَةٌ[٥].

الطاعة: امتثال الأمر أو الإرادة؛ لأنّه لا فرق بين أن يقول السيّد لغلامه: اِسقِني الماء، فأطاعه، وبين أنْ قال: أُريد منك أن تَسقِيني الماء. والطَّوع: الانقياد[٦]، وطاع يطوع طَوْعاً وطاعةً وأطاع، بمعنىً، وألف **الطاعة** منقلِبة

(١) الكافي ٨: ٣٠٣/ كتاب الروضة، قطعة من ح٤٦٥. المحاسن ٢: ٣٥٦/ كتاب السفر، باب كراهة الوحدة في السفر، قطعة من ح٥٦، عن محمّد بن خالد، عن الإمام الكاظم، عن آبائه عليهم السلام، وفي صدرهما (لا تخرج في سفر وحدك).

(٢) الموطأ ٢: ٩٧٨، ح٣٦. سنن البيهقي ٥: ٢٥٧، عن سعيد بن المسيب.

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة١١: ٤٠٨/ أبواب آداب السفر إلى الحج وغيره، باب كراهة الوحدة في السفر، واستصحاب رفيق واحد أو اثنين مع الحاجة إلى الزيادة.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع ٢: ٢٣٨، ح١٧٢٠. تاريخ مدينة دمشق٥٧: ٣٧٢، عن زيد بن أرقم.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٦٠، ح٢٢٦، عن عائشة. الكافي٥: ٥١٧/ كتاب النكاح، باب في ترك طاعتهنّ، ح٤، عن السكوني، عن **الإمام الصادق** وفيه (المرأة) بدل (النِّسَاءِ).

(٦) كتاب العين ٢: ٢٠٩. المفردات٥٢٩ (طوع). الفروق اللغوية٣٣٥، الفرق بين الطاعة والتطوع.

عن الواو؛ بدلالة الطَّوْع. وبيّنّا حقيقة النَّدَم و**النَّدامة**؛ يعني من أطاعهنّ، ندِم على طاعتهنّ، ولهذا **قال**ﷺ: «**شاوِروهنّ وخالِفوهنّ**»[١]، وكيف يشاوَر أو يطاع من كان ناقصَ العقل ناقصَ الدّين؟!

وروي: أنّ إبليس وسوس إلى حوّاءَ، فأكلتْ من الشّجر، فتابَعَها آدمُ على ذلك[٢].

وقيل: «**إيّاك ومشاوَرةَ النّساء! فإنّ رأيهنّ إلى أفَنٍ، وعزمَهنّ إلى وهَن**»[٣].

وقيل: «**أكثِروا لهنّ من قول "لا"؛ فإنّ "نعم" تُغريهنّ بالمسألة**»[٤].

وقيل: «**لا تُطمِعوهنّ في المعروف؛ لئلّا يَطمَعْنَ في المُنكر**»[٥].

وقال الأجدع:

تُعيّرني بالغزْو عِرْسي وما دَرَتْ   بأنّي لها في كلّ ما أَمَرتْ ضدُّ[٦]

(١) رسائل إخوان الصّفاء وخُلّان الوفاء٢: ٣٤٤. إحياء العلوم ٤: ١٣٨.

(٢) أُنظر: تفسير الطبري ١: ٣٣٩.

(٣) الكافي ٥: ٣٣٨/ كتاب النكاح، باب ما يُستحبّ من تزويج النّساء عند بلوغهنّ وتحصينهنّ بالأزواج، ح٧، عن عبد الرحمن بن كثير، عن الإمام الصادق عليه السلام. نهج البلاغة / الكتاب ٣١، عن الإمام عليّ عليه السلام. أنساب الأشراف١٣: ٧٦، فيما قاله أكثم لابنه.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٧٧، عن عمر. محاضرات الأدباء ٢: ٢٣٨.

(٥) الكافي ٥: ٥١٧/كتاب النكاح، باب في ترك طاعتهنّ، قطعة من ح٥، عن الحسين بن المختار، عن الإمام الصادق عليه السلام. الأمالي للصدوق٣٨٠، قطعة من ح٤٨٣، عن أبي الجارود، عن الإمام الباقر عليه السلام. نهج البلاغة / الخطبة٨٠، عن الإمام عليّ ، وفيها: «إنْ أمرْنكم بالمعروف، فخالِفوهنّ كي لا يَطمعْنَ منكم في المنكر».

(٦) محاضرات الأدباء ٢: ٢٣٨، نسبه لأجدع الهمداني.

وقيل: إذا وُصِفت المرأةُ بالعقل، فهي غيرُ بعيدة من الجهل. وقيل: لا تدعِ المرأة تضرب صبيّاً؛ فإنّه أعقل منها[١].

وقيل: «**تَعَوَّذوا بالله من شِرار النساء، وكونوا من خيارهنّ على حَذَر**»[٢].

١٦٢. البَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ[٣].

البلاء: المحنة، يقال: بَلوت الرّجل وابتليتُه إذا امتحنتَه[٤] و**المنطق**: النطق، ويُروى «**بالقول**»[٥]؛ وذلك لأنّ الرجّل لا يزال سالماً ما دام يسكتُ، فإذا صار كلامُه حجّةً عليه، فربما جرى على لسانه ما جرَّ عليه بلاءً.

وروي **عنه** صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**ما قال عبد لشيء: واللهِ! لا أفعله أبداً، إلّا ترك الشيطان كلَّ عملٍ يولَع به حتّى يُؤثِمَه**»[٦]. «**ولو أنّ رجلاً عيّر رجلاً برِضاع كلبةٍ، لرضعها**»[٧].

---

(١) محاضرات الأدباء ٢: ٢٣٨.

(٢) الكافي ٥: ٥١٦/كتاب النكاح، باب في ترك طاعتهنّ، قطعة من ح٢، عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام. الاختصاص٢٢٦. الأمالي للصدوق٣٨٠، قطعة من ح٤٨٣، عن أبي الجارود، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن الإمام عليّ عليه السلام، باختلف يسير.

(٣) مسند الشّهاب١: ١٦١، ح٢٢٧. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٧٩، ح٥٧١٧.

(٤) أُنظر: النهاية ١: ١٥٥. كتاب العين ٨: ٣٤٠ (بلو).

(٥) الصمت وآداب اللسان١٥٨، ح٢٨٦، عن الحسن. الأمثال لأبي الشيخ١: ٣٢، ح٥٠، عن أبي الدرداء.

(٦) تاريخ بغداد ٧: ٤٠٠، الرقم ٣٩٢٣، عن أبي الدرداء وروى في صدره (إنّ البلاء موكّل بالقول).

(٧) تاريخ بغداد ١٣: ٢٨٠، الرقم ٧٢٤٣. جَمهَرة الأمثال ١: ٢٠٧، عن عبد الله بن مسعود.

وقال بعضهم[١]: لو رأيتُ رجلاً يُرضع شاةً فسخرتُ منه، خشيتُ أنْ لا أموت حتّى أُرضِعها[٢].

وقال:

اِلزَمْ سكوتَك في المواطن كلِّها   إنّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطق[٣]

وقال آخر:

لا تنطِقَنّ بما كرهتَ فربّما   نطق اللِّسانُ بحادثٍ فيكونُ[٤]

وقال آخر:

لا تَمزَحَنّ بما كرهتَ فربّما   ضُرِب المِزاح عليك بالتحقيق[٥]

١٦٣. الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ وَعَلى كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الجَسَدِ الصِّيَامُ[٦].

الصّيام: مصدر صام يصوم، كالقيام في مصدر قام يقوم، والصوم: الاسم، وهو في اللّغة الإمساك، وفي الشرع كذلك[٧]، إلّا أنّه إمساك مخصوص على ما بيّنّا القولَ فيه، وهو من الأسماء المخصوصة.

---

(١) هو أبو موسى الأشعري أو أبو ميسرة أُنظر: المصادر التالى.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٦: ١١٥، الرقم١٠. جمهرة الأمثال٢: ٤٠٠. الطبقات الكبرى ٦: ١٠٦.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) تنبيه الغافلين٢١٧. جَمهَرة الأمثال ١: ٢٠٧.

(٥) جَمهَرة الأمثال ١: ٢٠٧، والبيت للقاضي بن بهلول.

(٦) مسند الشِّهاب١: ١٦٢، ح٢٢٩. سنن ابن ماجة١: ٥٥٥/ باب في الصوم زكاة الجسد، ح١٧٤٥، عن أبي هريرة. من لا يحضره الفقيه٤: ٤١٦، قطعة من ح٥٩٠٤، عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام، وفيه «**الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ**».

(٧) المفردات٥٠٠ (صوم).

و**الصبر**: حبْس النّفس على ما تكره[١]، وقد سمّى الله الصّوم صبراً في آي من القرآن، فقال تعالى: ﴿اسْتَعينوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ﴾[٢]. قال المفسِّرون بالصوم[٣]. وقال: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ﴾[٤]؛ أي بما صُمتم، وكذا في قوله: ﴿وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا﴾[٥]؛ أي بما صاموا[٦].

وجعل الصّيام نصف الصبر؛ لأنّ الصائم يجب عليه الصبرُ والإمساكُ عن المفطرات إذا كان الصوم فرضاً، وكذلك إذا كان نفْلاً؛ بمعنى أنّ الصوم لا يصحّ معها.

والصبر على ثلاثة أوجُهٍ: صبرٌ على الطاعة، وصبرٌ على المعصية، وصبرٌ على المصيبة[٧]؛ فكأنّه جعل الصبر نصفين: جعل النصفَ الواحد في الصوم ـ لِما ذكرنا ـ والنصفَ الآخر في باقي الأشياء.

«**وَعَلى كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ**»؛ الشيء: ما يصحّ أن يُعلم ويُخبَر عنه، بهذا فسّره

---

(١) النهاية ٣: ٧. الصحاح ٢: ٧٠٦ (صبر).

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٥.

(٣) أُنظر: تفسير الطبري ١: ٣٧٠. تفسير القمّي ١: ٤٦.

(٤) سورة الرعد ١٣: ٢٤.

(٥) سورة الإنسان ٧٦: ١٢.

(٦) روض الجنان ٢: ٢٣٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩: ١٣٦.

(٧) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الصّبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطّاعة وصبر عن المعصية». الكافي ٢: ٩١/ كتاب الإيمان و الكفر، باب الصّبر، ح١٥.

الخليل[١] وسيبَويهِ[٢]، ولو أردت أن تجعلَه حَدّاً له، أسقطت منه الإخبار، فقلتَ: الشيء ما يصحّ أن يُعلم ليتميّز من المُحال؛ لأنّ المُحال ليس بشيء من حيث إنّه لا يصحّ أن يُعلم، أمّا الإخبار عنه فيصحّ، فهو زيادة في الحَدّ والشيء المعلوم في قرنٍ واحد.

والزكاة: النَّماء والطّهارة[٣]، يُقال: زكتِ الماشيةُ إذا زادت، وزكا المال إذا زاد[٤]. قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها﴾[٥]، وزكّيتُ فلاناً إذا حكمتَ بزكاته وطهارته، ومنه تزكية الشهود: الثّناء عليهم بالطهارة من الذنوب، وهو زكاة الجسد، فكما أنّ المال يُزكّىٰ ويطهَّر بالزّكاة، فكذلك الجسد يُطهَّر بالصّيام.

وقال بعض العلماء: على المال زكاة، وهو ما افترضه الله فيه شرعاً، وعلى الجاه زكاة، وزكاته بذْله لِمن يحتاج إليه، وعلى الحُليّ زكاةٌ، وزكاته إعارته مَن يحتاج إليه ممّن تَثِقُ به، وعلى العلم زكاةٌ، وزكاته بذْله لأهله، وعلى كلّ عضوٍ من أعضاء الإنسان زكاةٌ، وزكاته إعماله فيما يَصلُح له من طاعة الله تعالى[٦]، قال:

---

(١) أُنظر: كتاب العين ٦: ٢٩٥ (شيأ).

(٢) أُنظر: كتاب سيبويه ١: ١٤.

(٣) النهاية ٢: ٣٠٧. المفردات٣٨٠ (زكو).

(٤) كتاب العين ٥: ٣٩٤ (زكو).

(٥) سورة التوبة ٩: ١٠٣.

(٦) أُنظر: عيون الحكم والمواعظ٢٧٥.

وأدِّ زكـاةَ الـجاه واعلـمْ بأنّهـا كمثل زكاة المال تمّ نِصابُها[١]

١٦٤. الصَّائِمُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ[٢].

أراد بالدعوة دعاء العبدِ اللهَ ومسألتُه إيّاه حوائجَه. والردّ خِلاف الإجابة؛ يعني أنّ الصائم إذا سأل الله حاجةً، تُجاب إلى ذلك، ولا يجبه بالردّ، بشرط المصلحة.

ومعنى الحديث: حثُّ الصّائم على الدّعاء، وحثُّ ذوي الحاجات على الصيّام طمعاً في إجابة الدّعاء.

وسأل رجلٌ بعضَ الأئمّة عن الرّجل يَحضُره وقتَ الصلاة ووقتَ الإفطار، أيَّهما يُقدِّم؟ قال عليه السلام: **«الصلاة؛ لأنّ صلاة الرّجل صائماً على أضعاف صلاته مُفطِراً»**[٣].

١٦٥. الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ[٤].

قال القاضي ـ أعني مصنّف الكتاب ـ: الغنيمة الباردة التي لا قتالَ معها.

---

(١) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ ٥٣. العهود المحمدية ٣٦٠.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٦٣، ح٢٣٠. سنن الترمذي٥: ٢٣٦، قطعة من ح٣٦٦٨. سنن ابن ماجة١: ٥٥٧/ باب في الصائم لا ترد دعوته، قطعة من ح١٧٥٢، باختلاف يسير، عن أبي هريرة.

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة ١٠: ١٤٩/ كِتَابُ الصِّيَام، أَبْوَابُ آدَابِ الصَّائِم، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَقْدِيمِ الصَّلَاةِ عَلَى الْإِفْطَارِ.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٦٣، ح٢٣١. سنن الترمذي٢: ١٤٦/ باب ما جاء في الصوم في الشتاء، ح٧٩٤، عن عامر بن مسعود. معاني الأخبار ٢٧٢.

وقال شيخنا الإمام الزّمخشريُّ: التي لا يُصطلىٰ دونها بنار الحرب[١]. وإنّما أتى بلفظ البرد؛ لأنّ البرد عندهم راحةٌ، من حيث إنّ هواءهم وبلادهم الغالبُ عليها الحرارةُ، فهم يتأذّون بها، ويُكنُّون بالبرودة عن كلّ محبوب؛ ولهذا يقولون للميّت: بَرّدَ اللهُ مضجعَه[٢]!

ومنه قوله حين لقي أبا بَردةَ الأسلميَّ: «**من أنت**»؟ قال: أنا أبو بَردة، فقال: «**بَرَدَ بِكَ أمرُنا**»[٣]؛ أي طاب وصَلُح. والبارد: الثابت الحاصل[٤]، يُقال: ما بَرَد في يدي شيءٌ؛ أي ما ثبت وحصل[٥]، ومنه قول الشاعر:

اليوم يومٌ بارد سَمومُه   مَن جَزِع اليوم فلا نَلومه[٦]

أي ثابتٌ سَمومُه[٧]، ويُقال: ضربته ضربةً فبَرَدَ؛ أي مات[٨]؛ لأنّ الميّت لا يتحرّك ولا يزول.

وإنّما جَعل الصّومَ في الشِّتاء غنيمةً باردة؛ لأنّه لا يتأذّى بالصوم ولا تلتهبُ أحشاؤه عطشاً، وتحصل له غنيمة، كالمجاهد إذا وَجَد غنيمةً من غير مُقاساة الحرب واصطلاءه بنارها.

---

(١) الفائق في غريب الحديث ١: ٨٢ (برد).

(٢) أُنظر: غريب الحديث للخطابي١: ١٨١.

(٣) التمهيد ٢٤: ٧٣. نوادر الأصول ١: ٣٠٦. الفائق في غريب الحديث ١: ٨٢، باختلاف يسير.

(٤) المحيط في اللغة ٢: ٣٤٥ (برد).

(٥) الفاخر١٦. الزاهر في معاني كلمات النّاس١٤٨.

(٦) الفاخر١٦. الزاهر في معاني كلمات النّاس ١: ١٩٧. الصحاح ٢: ٤٤٦ (برد).

(٧) غريب الحديث للخطابي ١: ١٨١. الجليس الصالح٤٨٣.

(٨) كتاب العين ٨: ٣٠. معجم مقاييس اللغة١: ٢٤٣. النهاية ١: ١١٥ (برد).

١٦٦. السِّوَاكُ يَزِيدُ الرَّجُلَ فَصَاحَةً[١].

السَّواك: الخشَبة التي يُستاك بها؛ أراد استعمالَ السَّواك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه. وقيل: هو مصدر ساك الرّجلُ يَسوك سَوْكاً وسِواكاً، ويجوز أن يكون اسماً للاستياك[٢].

أخبر بإجراء الله تعالى العادةَ بأن يزيد فصاحةُ الرّجل باستعمال السِّواك وإن كان فصيحاً. ونَصْب **فصاحة** يَحتمل وجهين: أحدهما التمييز، والثاني المفعول الثاني للزيادة، عند مَن قال إنّها تتعدّى إلى مفعولين، وكذلك قوله: ﴿زِدْناهُمْ عَذاباً﴾[٣] و﴿وَزِدْناهُمْ هُدىً﴾[٤][٥].

١٦٧. جَمَالُ الرَّجُلِ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ[٦].

لأنّ الرّجل إنّما يتبيّن من غيره بفصاحة لسانه وبيانه، خصوصاً في العرب؛

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٦٤، ح٢٣٢. معجم ابن الأعرابي٢: ٦٣٩، ح١٢٦٩. الضعفاء الكبير للعقيلي٣: ١٥٦، ح١١٤٤، عن أبي هريرة.

(٢) أُنظر: كتاب العين ٥: ٣٩٢. النهاية ٢: ٤٢٥ (سوك).

يقول المناوي في شرح هذا الحديث: (لأنّه يُسهّل مجاريَ الكلام ويُصفّي الصَّوتَ ويُزكي الحواسَّ ويُنظِّف الأسنان والفَم واللّسان واللّهوات، فيجفُّ فَمُه ولسانُه، فيَسهُل نُطقُه وتَزيدُ فصاحتَه ويزدادُ جمالاً وبهاءً إذا تَكلَّمَ). فيض القدير ٤: ١٩٦.

(٣) سورة النحل ١٦: ٨٨.

(٤) سورة الكهف ١٨: ١٣.

(٥) التبيان في تفسير القرآن١: ٧٢، سورة البقرة.

(٦) مسند الشِّهاب١: ١٦٤، ح٢٣٣، عن جابر بن عبد الله. اللطائف والظرائف١٠٣. أُنظر: المستدرك على الصحيحين٣: ٣٣٠.

فإنّهم يتفاخرون بإنشاء الخطب والشعر والكلام البليغ. يقولون: فلانٌ شاعر مُفْلِق، وخطيب مِصقَع[١]، وقالوا: هو أفصح من قُسّ بنِ ساعدةَ[٢]، وفي خِلافه: أعيا من باقلٍ[٣]. والفصاحة: البيان[٤].

١٦٨. الإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ[٥].

الإمام: الذي يَؤُمّ الناسَ ويتقدّمهم في الصلاة، فِعال بمعنى مفعول؛ لأنّه يُؤتَمُّ به، كالكتاب والحساب.

يعني أنّ الرجل إذا كان إماماً لقومٍ، فهو ضامن لصلاتهم؛ لأنّ صلاتهم به تَتِمّ وقِراءتَه قِراءةٌ لهم؛ **لقوله** ﷺ: «**مَن صلّىٰ خلْف الإمام موافقاً له، فقِراءة الإمام له قِراءةٌ**»[٦]؛ فإنْ أخلَّ بشيءٍ من أركان الصلاة وأفعالها ومقدّماتها، كان ضامناً له ووِزْرُه ووبالُه عليه.

---

(١) أُنظر: البيان والتبيين: ٤٠٥.

(٢) أُنظر: يتيمة الدّهر: ٤١٨.

(٣) الصحاح ٤: ١٦٣٧ (بقل).

(٤) الصحاح ٥: ٢٠٨٢ (بين).

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٦٥، قطعة من ح٢٣٤. سنن أبي داود١: ١٢٧ / باب ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت، قطعة من ح٥١٧. سنن الترمذي١: ١٣٣ /باب ما جاء ان الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، قطعة من ح٢٠٧، عن أبي هريرة وزاد فيها (اللّهمّ أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين). تهذيب الأحكام٢: ٣٨٢، ح١١٢١، عن عيسى بن عبد الله الهاشمي، عن أبيه، عن جدّه، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٦) سنن ابن ماجة ١: ٢٧٧، ح٨٥٠. سنن الدارقطني ١: ٣٢١، ح١٢٢٠. سنن البيهقي ٢: ١٦٠، عن جابر.

والمؤذّن الذي يؤذّن بالصلاة؛ أي يُعْلِم، وكذا المُؤْذِن بالتخفيف. هذا من جهة اللّغة، فأمّا في عرف الشرع فهو الذي يؤذِّن بهذه الفصول[١] المعلومة من التكبيرات والشهادتين والدُّعاء إلى الصلاة والفلاح، فهو مؤتمَن على ما يقول لا عهدةَ عليه ولا ضِمانَ.

١٦٩. المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ[٢].

قال هذا على سبيل الإشارة لهم وأنّهم مُميَّزون يوم القيامة من سائر الناس. وطول الأعناق يمكن أن يكون على حقيقته، وأن يكون كنايةً عن الاشتهار. وانتصاب **أعناقاً** على التمييز.

قال بعض أهل المعاني: هذه كناية عن التقرّب إلى الله[٣].

وقال بعضهم: المعنى أنّهم أكثر الناس أعمالاً، يُقال: لفلان عُنقٌ من العمل وعنقٌ من الخير؛ أي قطعة منه[٤].

وقال بعضهم: طول الأعناق كناية عن اشرئبابهم[٥] ومَدِّهم أعناقَهم إلى دخول الجنّة[٦].

---

(١) في نسخة (د): (القول).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٦٦، ح٢٣٥، عن أنس بن مالك. صحيح مسلم٢: ٥، عن معاوية. عيون الأخبار٢: ٦١، ح٢٤٩، عن أبي محمّد الحسن بن عبد الله، عن **الإمام الرضا** ، عن آبائه .

(٣) أُنظر: النهاية ٣: ٣١٠ (عنق).

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة ١: ١٦٨ (عنق).

(٥) اشرأبَّ اى مَدَّ عنقه. كتاب العين ٦: ٢٥٨ (شرب). وفي نسخة (د) و (هـ): (أنيابهم).

(٦) أُنظر: الفائق في غريب الحديث ٢: ٤٠٣ (عنق).

وقيل: هم رؤساءُ يومَ القيامة، والعرب تصِف الرَّئيسَ بطول العنق وطول القامَة[١]، ألا ترى إلى قول الشاعر:

فجاءت به سَبْطَ العِظام[٢] كأنّما عِمامته بين الرِّجال لِواءُ[٣]

وروى بعضهم «**إعناقاً**» بكسرة الهمزة؛ أي إسراعاً، من العَنَق وهو السَّير السريع[٤]؛ وليس بشيء؛ لأنّ السَّير لا يُوصَف بالطول، و إذا وُصف بالطول كان عذاباً.

وقال ﷺ: «**إذا أذّن المؤذّنُ، هرِب الشيطان إلى الرَّوحاء**»[٥]، وهي على ثلاثين مِيلاً من المدينة.

وقال ﷺ: «**مَن أذّن لخمسِ صلاةٍ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**»[٦].

وقال ﷺ: «**مَن أذّن سَنةً من نيّةٍ صادقة، حُبس يومَ القيامة على باب الجنّة وقيل له: اشفع لِمن شئتَ**»[٧].

---

(١) أُنظر: المجازات النبوية٩٣، ح ٥٢.

(٢) المراد من (سبط العظام) أنه سويُّ الخَلق حسنُ القامة، شرح ديوان الحماسة٢٩٦.

(٣) البيان والتبين٤٣٨. الصحاح ٣: ١١٢٩ (سبط).

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة ١: ١٧٠. النهاية ٣: ٣١٠ (عنق). ضوء الشِّهاب ١: ٣٦٨، ح ١٦٨.

(٥) مسند ابن حنبل ٣: ٣١٦. المصنف لابن أبي شيبة ١: ٢٥٨، ح ١. سنن البيهقي ١: ٤٣٢، عن جابر باختلاف يسير.

(٦) سنن البيهقي ١: ٤٣٣. مسند أبى يعلى ١٠: ٣٧١. تفسير الثعلبي ٤: ٤٨٣، عن أبي هريرة باختلاف يسير.

(٧) تفسير الثعلبي٤: ٨٣. الترغيب في فضائل الأعمال١٦١، ح٥٦٥. الفوائد لتمام الرازي ٢: ١٣، ح٩٩٥، أنس بن مالك.

وقال ﷺ: «مَن أذّن سبعَ سِنينَ، كُتِب له براءةٌ من النار»[١].

وقال ﷺ: «المؤذِّن المحتسب كالشهيد المُتَشحِّط بالدّم ما دام في أذانه. يَشهدُ له كلُّ رطْبٍ ويابسٍ، فإذا مات، لم يُدَوَّدْ في قبره»[٢].

وعن أنس: قال **رسول الله : «إذا كان عند الأذان، فُتحت أبوابُ السماوات واستُجيب الدّعاء»**[٣].

وقال ﷺ: «اللّهمَّ اغفر للمؤذّنين»[٤]، يُكرّرها ثلاثَ مرّات.

---

(١) سنن الترمذي ١: ١٣٣ / باب ما جاء في فضل الاذان، ح٢٠٦. سنن ابن ماجة ١: ٢٤٠/ باب فضل الاذان وثواب المؤذنين، ح٧٢٧، عن ابن عبّاس. تهذيب الأحكام ٢: ٢٨٣/ كتاب الصلاة، باب الأذان والإقامة، ح١١٢٨، عن سعد الإسكاف، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) المعجم الكبير ١٢: ٣٢٢. تفسير الثعلبي ٤: ٨٤، عن ابن عمر.

(المحتسب)؛ أي: الذي أراد بأذانه وجهَ الله وثوابَه و(لم يُدَوَّدْ)؛ أي: لم يتعرض للدّيدان. يذكر أن جملة (مادام في أذانه) يمكن أن يتعلق بما قبلها ـ كما حددناها بوضع النقطة بعدها ـ ويمكن أن يتعلق بالجملة التالية لها؛ أي: (مادام في أذانه يشهد له كل رطب ويابس). فالحديث يجري فيه احتمالان، وتفريقنا لأجزاء الجملة ناظرة إلى ضبط آخر للحديث جاء في المعجم الكبير؛ فإنه جاء: (المؤذن المحتسب كالشهيد يتشخّط في دمه حتى يَفرُغ من أذانه، ويشهد له كل رطب ويابس ...).

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٦: ٢٣، ح٩٩٠٠. مسند أبي يعلى ٧: ١٤٢، ح٤١٠٩. المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٣٥، ح٧.

(٤) صحيح ابن خُزَيمة ٣: ١٦، ح١٥٣١. المعجم الأوسط ٤: ٣٣٦، عن أبي هريرة. الفوائد لتمام الرازي ٢: ٨٩، ح١٢١٢، عن واثلة بن الأسقع.

١٧٠. شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي[١].

الشَّفاعة مصدر شَفَع الرّجلُ فلاناً إذا كان شفيعاً له؛ أي ثانياً، والشَّفْع خِلاف الوَتْر[٢]، ومنه قول **عليٍّ**عليه السلام: «**الشفيع جَناح الطالب**»[٣].

ويُقال: شَفَع فلان إلى فلان، فالشفيع والشافع: الذي يَشفَع، والمشفوع فيه: الجاني، والمشفوع إليه: صاحب الحقّ على الجاني، والرتبة ثابتة بين الشافع والمشفوع إليه دون المشفوع فيه؛ لئلّا يلزم أنّ أحدَنا إذا سأل اللهَ للنبيّ الرِّفعةَ والوسيلة، أن يكون شافعاً له، كما أنّ الرتبة معتبَرَةٌ في الأمر بين الآمر والمأمور دون المأمور فيه، والدّاعي والمدعوّ دون المدعوّ في حقّه؛ ولهذا لا يصحّ أن يكون الرجل شفيعاً إلى نفسه، كما لا يصحّ أن يكون آمراً نفسَه.

فأمّا قول بعض الشعراء:

ونُبِّئتُ ليلىٰ أَرسلتْ بشفاعةٍ   إليّ فهلّا نفسُ ليلى شفيعُها؟![٤]

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٦٦، ح٢٣٦ و ١٦٧، ح٢٣٧. سنن الترمذي٤: ٤٥، ح٢٥٥٢، عن أنس وح٢٥٥٣، عن محمّد بن ثابت البناني، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن الإمام الباقر عليه السلام. الأمالي للصدوق٥٦، قطعة من ح١١، عن الحسين بن خالد، عن الإمام الكاظم عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام.

(٢) أُنظر: الصحاح ٣: ١٢٣٨ (شفع).

(٣) نهج البلاغة / الحكمة ٦٣.

معناه: أنّ الطالب بواسطة الشفيع يصل إلى مرامه ومطلبه، كما أنّ الطائر بواسطة جناحه يصل إلى مطعمه ومشربه.

(٤) الأغاني ١١: ٢٢٧. الزهرة ٤٩.

فهو على ضربٍ من التّوسّع والمجاز.

والخبر صريح بأنّ الشفاعة إنّما تكون في إسقاط العقاب والمَضارّ، بخلاف ما ذهب إليه أصحاب الوعيد، و إذا استُعملت في زيادة المنافع كان مجازاً[١].

ولو قيل إنّها حقيقة فيهما لم يضرّ، إلّا أنّ العرف حقّقها بإسقاط المضارّ.

والكبائر جمع كبيرة، وقد أكثر العلماء في ذكر الكبيرة وعددها[٢].

رُوي أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله سأل **النبيّ**ﷺ عن الكبائر، فقال: «**هنّ تسع، أعظمهنّ الشرك بالله**ﷻ**، وقتلُ نفسٍ مؤمنةٍ بغير نفس، والفِرار من الزّحْف، والسِّحر، وأكل مال اليتيم، وأكل الرِّبا، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، واستحلال بيت الحرام، فهو قِبلتُكم أحياءً وأمواتاً**». ثمّ قال: «**لا يموت رجل لم يعمل من هذه الكبائر شيئاً إلّا رافقَ محمّداً في بُحبوحة دارٍ مصاريعُ أبوابِها مِن ذهب**»[٣].

والصحيح أنّ المعاصي كلّها كبائرُ، من حيث إنّها كلّها قبائحُ ومعاصٍ لله، و إنّها تكون كبيرةً بالإضافة إلى ما دونها، وتكون صغيرةً بالإضافة إلى ما فوقَها، فالمعصية الواحدة تكون صغيرةً وكبيرةً بالإضافة على ما بيّنّا.

وعند المعتزلةِ الكبيرةُ: ما لا يَسقُطُ عِقابُها إلّا بالتَّوبة، والصغيرة: ما يُكفَّر

(١) أُنظر: روضة الواعظين٥٠١. التبيان في تفسير القرآن ١: ٢١٣، سورة البقرة. كشف المراد٥٦٦.

(٢) أُنظر: الكافي ٢: ٢٧٦/ كتاب الايمان والكفر، باب الكبائر.

(٣) المعجم الكبير ١٧: ٤٨. الأمالي لابن بشران ١: ٢٧/ ح٨، عن عمير بن قتادة. تفسير ابن أبي حاتم ٣: ٩٣١، ح٥٢٠٢، عن أبي هريرة ، مع اختلاف.

ويُحْبَط عِقابُها لاجتناب الكبائر[١]، فإذا بطل الإحباطُ، بطلتْ هذه الطريقةُ.

وهذا الحديث دليلٌ على أنّ **النبيّ** يَشفَع لأصحاب الكبائر ويُشفَع فيهم، ويُغْفَر لهم بشَفاعته، وإلّا لم يكن للخبر فائدةٌ، من حيث إنّ زيادة المنافع ورِفعة الدرجات لا يُتَصوّر لأصحاب الكبائر؛ لأنّهم يستحقّون عِقاب الأبد على مذهبهم.

فإن قالوا: نحمل الخبر على التائبين، قلنا: هذا حمْل الخبر على المذهب، والمذهب يُحمل على الآيات والأخبار، ثمّ إنّ التائب لا يُسمّى صاحبَ كبيرة؛ لأنّ بالتوبة قد زال هذا الاسم عنه.

١٧١. الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي[٢].

الأنصار: أهل المدينة الّذين آوَوا **رسولَ الله** ونصروه. و**الكَرِش** في أحشاء البطن معروف[٣]. و**العَيبة**: الحقيبة يضع الرّجل فيها ثيابه[٤]. قال:

.... ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ[٥]

---

(١) أُنظر: الكشاف ٤: ٤٢٥. تفسير البحر المحيط ٨: ١٦٢.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٦٧، ح٢٣٨. صحيح البخاري٤: ٢٢٧. صحيح مسلم٧: ١٧٤، عن أنس بن مالك. الإرشاد١: ١٤٦.

(٣) أُنظر: تهذيب اللغة ١٠: ١٠ (كرش). وضبطه: الكَرِش والكَرْش.

(٤) أُنظر: الزاهر في معاني كلمات الناس٥١٥.

(٥) البيان و التبيين٥٨. عيون الأخبار١: ٤١٦. الأمالي للمرتضى١: ٤٤، والبيت لنُصَيبِ بن رَباح، وتمامه:

فعاجوا فأثنَوا بالّذي أنت أهله ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

(عاجوا) أي: مالوا وعطفوا. فأثنوا؛ أي: مدحوك بما أنت أهله، وإن سكتوا عن مديحك،

وقال أبو عبيد: يُقال جاءني كِرشٌ من النّاس؛ أي جماعة، أراد أنّهم جماعتي وأصحابي الذين أثِقُ بهم وأعتمد عليهم[١].

وقال ابن الأنباريّ: معناه أنّهم دَخْلتي وبِطانتي وأصحاب سرّي[٢].

قال ابن دُرَيد: الكِرْش وِعاء الطِّيب[٣]. وقال بعضهم: إنّهم مَدَدي الذين أستهدي بهم؛ لأنّ الخُفّ والظِّلْف يستمدّ الجِرّة من كِرْشها[٤].

وروي أنّ النبيّ ﷺ لمّا انصرف من غزوة حُنينٍ وقسَّم الغنائم، أجزل قسمة المؤلَّفةِ قلوبُهم؛ لاستمالتهم إلى الإسلام، وجعل للأنصار شيئاً يسيراً، فشَقَّ ذلك عليهم، وجرى في ذلك مَقالٍ منهم، فأمر بأن يُنادىٰ فيهم لِيَحضُر جماعة الأنصار ولا يَحضُرَ معهم غيرُهم. فلمّا حضروا، جاءَ حتّى جلس وَسطَهم، ثمّ قال لهم: **«ألستُم كنتم ضالّين، فهداكم الله بي»**؟ قالوا: بلى، ولله المنّة ولرسوله، ثمّ قال: **«ألستم كنتم على شَفا حفرةٍ من النّار، فأنقذكم الله**

فالحقائب ناطقة بسخاءك وجودك. والشاعر شبهت الحقائب بإنسان له لسان يُثني مدح الممدوح. وكنى بإثناء الحقائب على الممدوح عن كونه يملأها من عطاياه فتُظهر للناس مكارمه؛ فكأنها قد أثنت عليه.

(١) غريب الحديث لابن سلام ١: ١٣٨. أُنظر: النهاية ٤: ١٦٣. تهذيب اللغة ١٠: ٩ (كرش).

(٢) أُنظر: النهاية ٣: ٣٢٧ (عيب). الفايق في غريب الحديث ٣: ١٤٨.

(٣) أُنظر: جمهرة اللغة ٢: ٧٣٣ (كرش).

(٤) أُنظر: جمهرة اللغة ٢: ٧٣٣. المحكم و المحيط الأعظم ٦: ٦٧٩ (كرش).

بي»؟ قالوا: بلى، ولله المنّة ولرسوله، ثمّ قال: «**ألستم أعداءً، فألّف الله بين قلوبكم بي**»؟ قالوا: بلى، ولله المنّة ولرسوله. ثمّ سكتَ هُنَيئَةً، ثمّ قال: «**أجيبوني**»! فقالوا: أجبناك بما عندنا يا رسول الله، فقال: «**وأنتم لو أردتم لقُلتم: ألستَ قد جئتَنا طريداً فآويناك، وقليلاً فكثّرناك، وخائفاً فآمنّاك، ومُكذَّباً فصدّقناك**»؟ قال: فارتفعتْ أصواتُهم بالبكاء، وقام ساداتهم وشيوخهم وقالوا: رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك، فاقسِمْها على قومك، وإنّما قال مَن قال منّا على غير وَغْر صدرٍ[1] وغِلٍّ في قلب، ولكنّهم ظنّوا ذلك سُخْطاً عليهم وتقصيراً بهم، وقد استغفَروا، فاستغفِرْ لهم يا رسول الله.

فقال: «**اللّهمَّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار! يا معشر الأنصار، أما ترضَون أن يرجع الناس بالشِّياه والنِّعم وترجعون أنتم وفي سهمكم رسولُ الله**»؟ قالوا: بلى رضينا، فقال: «**الأنصار كَرِشي وعَيبتي، لو سلك الناس وادياً وسلكتِ الأنصارُ وادياً، لسلكتُ شِعب الأنصار**»[2].

وقد كان رسول الله ﷺ أعطى العبّاسَ بن مِرداسٍ أربعةً من الإبل، فسَخِطها وأنشأ يقول:

أتجعل نهْبي ونهْب العُبَيـ ـدِ بين عُيَينةَ والأقرعِ

(١) وغْر الصدر: الحِقْد والعَداوة.

(٢) مسند ابن حنبل ٣: ٧٧. الإرشاد ١: ١٤٥، عن أبي سعيد الخدري، مع اختلاف.

فما كـان حِصـنٌ ولا حـابسٌ يفوقـان جـدِّيَ فـي مجمـعِ
وما كنـتُ دونَ امرئٍ منهمـا ومـن تضـعِ اليـوم لا يُرفَـعِ[(١)]

فبلغَ ذلك النبيَّ ، فاستحضره وقال: «أنت القائل:

أتجعل نهْبي ونهْب العبيـ ـــد الأقـــرع وعُـــيينـــهْ»[(٢)]

ثمّ قال **رسول الله** ﷺ لعليّ ؑ: «**اذهب به واقطع لسانه**». قال: فأخذ عليّ بيدي، ولو علمتُ أنّ أحداً يُغيثني، استغثتُ به، فقلت: يا عليّ، إنّك لَقاطِع لساني؟ فقال: «**إنّي لَمُمْضٍ ما أُمِرتُ فيك**»، فقلت له: والله! إنّك لَقاطع لساني؟!، فقال: «**إنّي فاعل ما أُمرت فيك**». فذهب بي حتّى أدخلني الحظائرَ التي فيها الإبلُ، فقال: «**اِعتَدِّ ما بينَ أربعةٍ إلى مئةٍ**»، فقلت: بأبي أنتم وأُمّي! ما أكرمَكم وأعلمكم وأحلمكم!، ثمّ قلت: أشِرْ عَليَّ بما فيه صلاحي!، قال: «**الصلاح أن تأخذ ما أمرك به رسول الله ﷺ وتكونَ مع أهلها ولا تكونَ من أهل المئة**». فأخذ ورضي به[(٣)].

---

(١) النّهْب: الغنيمة. عُبَيد: اسم فرس عبّاس بن مرداس. عُيَينة هو عُيَينةُ بنُ حِصنٍ الفزاريُّ والأقرع هو الأقرع بن حابس، فـ(حصن) و(حابس) اسم والدهما.

(٢) كما هو واضح، فهناك تغيير في ترتيب الأقرع وعيينه. والوجه الصحيح هو ما ذُكر أعلاه.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٠٨، عن رافع بن خديج. الإرشاد ١: ١٤٧، مع اختلاف.

١٧٢. يَدُ اللهِ عَلَى الجَمَاعَةِ[١].

اليد: الجارحة، واليد: القدرة، واليد: النعمة[٢]، والمراد باليد في الخبر النعمة؛ أي نعمة الله ومنّته على الجماعة بتوفيقه لهم في اجتماعهم على كلمة الإسلام، ومثله في المعنى: «**الجماعة رحمة والفُرقة عذاب**»[٣].

ويُروى: «**يد الله على الفُسطاط**»[٤]؛ أي على أهل الفسطاط، وهو المصر الجامعُ أهلَه[٥]، وفي حديث مُعاذٍ[٦]: «**أهل الكُفور هم أهل القبور**»[٧]؛

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٦٧، ح٢٣٩. سنن الترمذي٣: ٣١٦ / باب في لزوم الجماعة، ح٢٢٥٦، عن ابن عبّاس. سنن النسائي٧: ٩٢، عن عرفجة بن شريح الأشجعي. نهج البلاغة/ قطعة من الخطبة ١٢٧.

(٢) أُنظر: كتاب العين ٨: ١٠١ (يدي). الصحاح ٥: ٢٠٤١ (نعم).

(٣) السنة لابن أبي عاصم٤٤، ح٩٣. الأمثال لأبي الشيخ الأصبهاني ١: ٦٨، ح١١١. مسند الشِّهاب١: ٤٣، ح١٥، عن النعمان بن بشير.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤: ٥٠٢ (فسط). المجازات النبوية ٣٤، ح٣. الفائق في غريب الحديث ٣: ٢٩.

(٥) النهاية ٥: ٢٩٣ (يد). تهذيب اللغة ١٢: ٢٣٨ (فسط).

(٦) لم نعثر على روايته ولعله تصحيف (معاوية) لأنّ هذه الرواية روي عنه في: غريب الحديث لابن سلام ٤: ١٩١. و الفائق في غريب الحديث ٣: ١٦٣.

(٧) شرح السير الكبير ١: ٥٨. تفسير السمعاني ٢: ٣٤٠، عنه .

(الكفور) جمع الكَفْر؛ القرية، وأكثر من يتكلم به أهل الشام. وللزمخشري تفسير آخر لهذا الحديث، فهو يقول: أي: هم بمنزلة الموتى لا يشاهدون الأمصار والجمع؛ وكأنها سمّيت كفوراً؛ لأنها خاملة مغمورة الاسم ليست في شهرة المدن ونباهة الأمصار. الفائق في غريب الحديث ٣: ١٦٣.

يعني القُرى النّائية عن الأمصار ومجمعِ أهل العلم؛ لأنّه يكون الجهلُ عليهم أغلبَ، وهُم إلى البِدع أسرع، وفي الحديث: «**لَيُخرِجنَّكم الرّومُ منها كَفْراً كَفْراً**»[(١)]؛ أي: قريةً قريةً[(٢)].

وقال بعضهم في اليد بمعنى النعمة:

يد المعروف غُنمٌ حيث كانت ... تَحَمّلها كفورٌ أو شَكورُ

ففي شكر الشّكور لها جزاءٌ ... وعند الله ما كَفَرَ الكَفورُ[(٣)]

١٧٣. الصَّمْتُ حُكْمٌ، وَقلِيلٌ فاعِلُهُ[(٤)].

الصَّمت والصُّموت والسكوت واحد. والحُكم: الحِكمة، قال الله تعالى: ﴿وآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[(٥)].

ثمّ قال: الصمت حكمة، وأنّ هذه الحكمة قلَّ مَن يعمل بها من الناس، «**ومَن علم أنّ كلامه مِن عمله، لا يتكلّم إلّا بما يعنيه**»[(٦)]،

(١) الفتن لنعيم بن حماد٣٠٢، عن أبي الدرداء.

(٢) تهذيب اللغة ١٠: ١١٣. الصحاح ٢: ٨٠٧ (كفر).

(٣) شعب الإيمان ٦: ٥٢٢، ذيل ح٩١٣٩. بَهجة المجالس وأنس المجالس ٦٥، والبيت لعبد الله بن مبارك.

روضة الواعظين٣٧٢. تفسير القرطبي ٥: ٣٨٣.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٦٨، ح٢٤٠. الكامل لابن عدي٥: ١٦٩، عن أنس بن مالك. الزهد لابن أبي عاصم٣٥، ح٤٦، عن أبي نجيح، عن لقمان .

(٥) سورة مريم ١٩: ١٢.

(٦) نهج البلاغة٥٣٦. كنز الفوائد ٢: ١٤.

قال تعالى: ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيدٌ﴾[(١)]. وقيل: رُبّ كلمةٍ أورثتْ ندماً طويلاً!

وقد أكثر العلماء والشعراء في مدح الصَّمت، وربّما فضّلوه على الكلام، فمن ذلك ما قال الحسن بن هاني:

خلِّ جنبيك لرامٍ   وامضِ عنه بسلامِ
إنّما السالم من ألـ   ـجم فاه بلجامِ
مُتْ بداء الصَّمْت خيرٌ   لك من ردّ الكلامِ
رُبَّ قولٍ جرَّ آجا   لَ قيامٍ فقيامِ[(٢)]

ولأبي العتاهية:

إذا كنتَ عن أنْ تُحسِن الصَّمْتَ عاجزاً   فأنت عن الإبلاغ في القول أعجزُ
يَخوض أُناسٌ في الكلام لِيُوجزوا   ولَلصَّمْتُ في بعض الأحايينِ أوجَزُ![(٣)]

ولآخر:

ما أحسن الصّمتَ ولو في الطير!   وأجمَعَ[(٤)] الصّمتَ لكلّ الخير![(٥)]

ولآخر:

ولَلصَّمتُ خيرٌ في أمور كثيرة   إذا لم يكن للناطقين سبيلُ

---

(١) سورة ق٥٠: ١٨.

(٢) البصائر والذخائر ٢: ٥٧. تاريخ بغداد ٧: ١٢٤. البيان والتبيين١٤٥.

(٣) الموشّى٦. ديوان أبي العتاهية٢٢٢.

(٤) أي: وما أجمعَ الصمتَ ... .

(٥) أُنظر: اللطائف والظرائف١٠٦.

وإنّ لسانَ المرء ما لم تكن له حصاةٌ[(١)] على عوراته لَدليلُ[(٢)]

ولآخر:

سكتُّ عن السّفيه فظنّ أني عَيِيتُ عن الجواب وما عييتُ

إذا نطق اللّئيمُ فلا تُجِبْه فخيرٌ من إجابته السّكوتُ[(٣)]

ولآخر:

إن كان يُعجِبُك السكوتُ فإنّه قد كان يُعجب قبلك الأخيارا

ما إن ندمتُ على سكوتٍ مرّةً ولقد ندمت على الكلام مرارا[(٤)]

١٧٤. الرِّزْقُ أَشَدُّ طَلَباً لِلْعَبْدِ مِنْ أَجَلِهِ[(٥)].

حقيقة **الرزق** ما للحيّ أن يَنتفع به وليس لأحد منعُه منه. **وقال** ﷺ: **«الرزق رزقان: رزقٌ تطلبه ورزقٌ يطلبك»**[(٦)]، وهذا من القسم الأخير.

---

(١) يقال: حصاة العقل، لأنّ المرء يحصي بها على نفسه، فيعلم ما يأتي وما يذر، وناس يقولون: أصاة؛ كتاب العين ٣: ٢٦٨ (حصى).

(٢) الصمت وآداب اللسان٥٥. الشعر والشعراء ١: ١٩٠، والبيت الأخير لطرفة.

(٣) الزهرة ١٩٩. أمثال الحديث١٠٠، والبيت لأبي الدُّلَف مع اختلاف.

(٤) الموشّى٨. شعب الإيمان ٤: ٢٧١. اللطائف والظرائف١٠٨، والبيتين لأبي العتاهية.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٦٨، ح٢٤١، عن أمّ الدرداء. مسند الشاميين ١: ٣١٨، ح٥٦٠.

(٦) الأمالي للصدوق٣٦٩، قطعة من ح٤٦٠، عن مرازم بن حكيم، عن الإمام عن آبائه باختلاف يسير. نهج البلاغة / الكتاب ٣١. كتاب من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٦، ح٥٨٣٤.

والرازق هو الله تعالى وقبْضه وبسْطه بيده، قال الله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾[١]، يقسم على عباده بحسب المصلحة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾[٢].

و**الأجَل**: الوقت، ودَينٌ مؤجّل؛ أي مؤقّت، يعني: أُجِّل وفاتُه ووُقِّت موتُه[٣]، وقد قسم الله الأرزاق بين عباده وقدّر آجالهم، فالعبد يطلب الرزقَ والأجلُ يطلبه.

ومعنى الحديث: أنّ الرزق المقسوم المقدّر لابدّ أن يصل إلى المُرتزِق، كما أنّ الأجل لابدّ أن يُدركه.

١٧٥. الرِّفْقُ فِي المَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التِّجَارَةِ[٤].

الرفق ضدّ العنف، يقال رَفَق به فهو رفيق، والرفيق: المُرافق لصاحبه[٥]، من حيث إنّه يَرفُق به. وأراد بالمعيشة **النفقة**: ما يتعيّش به الرّجل ويقوت أهلَه[٦]، و**التجارة**: المبايعة والمُشاراة.

---

(١) سورة الرعد ١٣: ٢٦. سورة الإسراء ١٧: ٣٠.

(٢) سورة الشورى ٤٢: ٢٧.

(٣) أُنظر: تهذيب اللغة ١١: ١٣٢ (أجل).

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٦٩، ح٢٤٢. المعجم الأوسط٨: ٣١٧. الأمثال لأبي الشيخ١: ٥٥، ح٨٨، عن جابر.

(٥) أُنظر: كتاب العين ٢: ١٥٧ (عنف). الصحاح ٤: ١٤٨٢ (رفق).

(٦) أُنظر: كتاب العين ٢: ١٨٩. معجم مقاييس اللغة ٤: ١٩٤ (عيش).

ومعنى الحديث: أنّ ترك الإسراف في النفقة و إعمالَ القصد الذي هو الواسطة بين الإسراف والتقصير خيرٌ من بعض التجارة؛ لأنّ ما في يدك تكون واثقاً به، والتجارةَ ربّما تكون رابحةً وربما تكون خاسرةً، فذاك معلومٌ وهذه مظنونةٌ، والمعلوم خيرٌ من المظنون.

١٧٦. التَّاجِرُ الجَبَانُ مَحْرُومٌ، وَالتَّاجِرُ الجَسُورُ مَرْزُوقٌ[١].

التاجر: مَن يُعامل الناسَ بالبيع والشّراء. قال بعض الصحابة[٢]: كنّا نسمّي التاجر بالمدينة سِمساراً، فلمّا أتانا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، سمّانا باسمٍ هو خيرٌ من ذلك، وهو التاجر[٣]. **وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «التاجر فاجر والفاجر في النار، إلّا من أعطى الحقّ وأخذ الحقّ»**[٤].

و **الجبان:** الخائف الضعيف القلب[٥]، و**الجسور** خِلافه، وهو الجريء في الأمور، يقال: جَبُن الرّجل يجبُن جُبناً فهو جبان، وجسَر يَجسُرُ جَسارةً فهو جسور. و**المحروم:** الممنوع الرزق، وهو خلاف المرزوق[٦]، يقال: حُرِم

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٦٩، ح٢٤٣. الفردوس ٢: ٧٩، ح٢٤٤٧، عن أنس بن مالك.

(٢) المراد منه: قيس ابن أبي غرزة كما في المصادر.

(٣) أُنظر: سنن أبي داود ٢: ١٠٨/ باب في التجارة يخالطها الحلف واللغو، ح٣٣٢٦.

(٤) الفردوس ٢: ٧٩، ح٢٤٤٨، أنس بن مالك. الكافي ٥: ١٥٠/ كتاب المعيشة، باب آداب التّجارة، ح١. تهذيب الأحكام ٧: ٦/ كتاب التجارات، باب فضل التجارة، ح١٦، عن الأصبغ بن نباتة.

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة ١: ٢١٥ (شجع).

(٦) أُنظر: المحكم و المحيط الأعظم٣: ٣٢٩ (حرم). الفروق اللغوية١٨٤، الفرق بين الحرمان والحرف.

الرّجل فهو محروم، ورُزق فهو مرزوق، ومصدره الحِرمان، والحُرمة بمعنى الحرمان، يقال: حُورِف الرّجل فهو مُحارَف. وشكا إليَّ بعضُ الأدباء حِرمانَه، فقلت: كان هذا من حُرفة الحِرفة[١].

ومعنى الحديث: أنّ التاجر الجبان الذي لا يَجسُر على معامَلة الناس لا يربَح، والتاجر الجسور الذي يشتغل بالبيع يربح، فهذا مرزوق وذاك محروم.

١٧٧. حُسْنُ المَلَكَةِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ المَلَكَةِ شُؤْمٌ[٢].

المَلَكة: المِلك، وقيل: التملّك[٣]، يقال: هو مالك بيّن المِلك والمَلَكة. و**النَّماء**: الزيادة، يُقال: نمىٰ المالُ يَنمي نُمُوّاً ونَماءً، إذا زاد. و**الشؤم** خلاف اليُمن[٤].

ومعنى الحديث: أنّ من أعطاه الله وملّكه مالاً ناطقاً ـ من عبيدٍ وإماء ودوابّ ومواشٍ ـ فأحسن إليها وحافظ على حُسن رعايتها، أنماها الله وزادها وبارك له فيها، وإذا أساءَ إليها وأجحف بها، كان ذلك شؤماً عليه، وحرمه الله ذلك المال وحَرَبه.

---

(١) الحُرفة: الحِرمان.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٧٠، ح٢٤٤ وح٢٤٥. سنن أبي داود٢: ٥١١/ باب في حق المملوك، ح٥١٦٢ وح٥١٦٣. مسند أبي يعلى٣: ١١٤، ح١٥٤٤. الأموال لابن زنجويه٢: ٧٦٠، ح١٣١٢، وفي الأربعة الأخيرة (الخلق) بدل (المَلَكَةِ) في الموضع الثاني، عن رافع بن مكيث.

(٣) أُنظر: الصحاح ٤: ١٦١١ (ملك).

(٤) أُنظر: لسان العرب ١٢: ٣١٤ (شأم) و١٥: ٣٤١ (نمي).

ومعنى الخبر: الحَثّ على الإحسان بالرعيّة والنهي عن الإساءة إليها، بما يميل طبع الإنسان إليه من النفع العاجل، والاحتراز من الضرر الحاصل، وهذا أبلغ بوجهٍ من **قوله**ﷺ: **«كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته»**[١].

١٧٨. فُضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ[٢].

الفضوح مصدر فضَح الرّجل فهو فاضح، والفَضْح مصدر فضحه فهو مفضوح[٣]، والفعل لازم ومتعدٍّ، وإنّما تَبيّن الفرقُ بينهما بالمصدر، كالرَّجْع والرجوع، يقال: رَجعته رجعاً ورجع هو رجوعاً، والافتضاح مُطاوَع فضح، يقال: فضحته فافتضح. و**أهون**: أسهل[٤].

ومعنى الحديث: أنّ الرّجل إذا وجب عليه حَدّ من حدود الله، فتقدّم إلى الإمام أو الحاكم وأقرَّ بين يديه بذلك لِيُقيم عليه الحَدَّ، وإن افتضح بذلك، فإنّ فضوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة.

وروي أنّ ماعز بن مالك أتى النبيّﷺ فقال: يا رسول الله، إنّي زَنَيت وأنا

(١) صحيح البخاري ١: ٢١٥. صحيح مسلم ٦: ٨. مسند ابن حنبل ٢: ٥٤، عن ابن عمر.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٧٠، ح٢٤٦. الضعفاء الكبير للعقيلي٣: ٤٨٣، قطعة من ح١٥٤١. تاريخ الطبري٢: ٤٣٤، عن الفضل بن عبّاس.

(٣) أُنظر: كتاب العين ٣: ١٠٧ (فضح).

(٤) أُنظر: المفردات٨٤٩ (هون).

مُحْصِن، فطهِّرْني، فكرِه ذلك رسول الله وحوّل وجهَه عنه، فرجع إلى الجانب الآخر وقال: يا رسول الله، إنّي زنيت وأنا محصن فطهّرني، حتّى قال ذلك أربعَ مرّات، فقال له **النبيّ**ﷺ: «**إنّك اعترفت أربعاً، هل باشرتَها**»؟ قال: نعم، قال: «**هل ضاجعتَها**»؟ قال: نعم، قال: «**هل فعلت بها كما يَدخل المِرود في المُكحُلة**»؟ قال: نعم. ثمّ أرسل رسول الله ﷺ إلى قومه: «**هل بصاحبكم مِن جُنّة**»؟ قالوا: لا يا رسول الله. فأمر به رسول الله ﷺ إلى الحَرّة، وبعث معه جماعة من أصحابه يَرجُمونه.

قال: فمسّته الحجارةُ، ففرّ يَعدو قِبل العقيق، فأدركه عبدُ الله بن أنيس بالمُكَيمِن[1]، فلم يزَل يضربه بوظيف[2] حمارٍ حتّى قتله، فجاء إلى رسول الله فأخبره، فقال: «**هلّا تركتموه؟! لعلّه يتوب فيتوب الله عليه!**». ثمّ قال لهـَزّالٍ ـ وكان ماعزُ في حِجره أوصى أبوه به إليه ـ: «**يا هَزّالُ، بئس ما صنعتَ بيتيمك! هلّا سترته بفضل ردائك؟!**» فقال: يا رسول الله، لم أدرِ أنّ الأمر فيه سعةٌ إلّا أن يُرفَع إليك. ثمّ قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «**أيّها الناس، قد آنَ لكم أن تنتهوا عن هذه القاذورة التي نهى الله عنها، فمَن ألَمَّ بشيءٍ منها، فليستتِرْ بِستر الله، فإنّه من أبدى لنا صفحتَه، أقمنا عليه كتابَ الله**». ودعا رسول الله المرأة التي سمّاها ماعز، فقال لها: «**اذهبي**»، ولم يسألْها عن شيء، فأكثر الناس في ماعزٍ أنّه فضح نفسَه ولم يَتُبْ، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب**

(١) (تصغير مَكمَن. يقال له: مُكيمن الجَمّاء: في عقيق المدينة). معجم البلدان ٥: ١٨٨.

(٢) مستدقّ الذراع او الساق من الخيل و الإبل و غيرها؛ الصحاح ٤: ١٣٩.

ماعز تَوبةً لو تابها طائفةٌ من أمّتي، لاجزأتُ عنهم»[١].

١٧٩. الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى[٢].

قد بيّنّا أنّ **الصبر** حبس النفس عن المَكاره، و**الصَّدمة**: الفَعْلة، من صَدَمه الشيءُ إذا دقّه به[٣].

والمعنى: أنّ الرّجل إذا أُصيب بمصيبةٍ، فجَلْدُه وقوّتُه أن يصبر في أوّل تلك الحالة؛ فإنّه إذا جزع في أوّل الحال، ثمّ تسلّى بمرور الزمان، فلا يُحمَد عليه، ألا ترى إلى قول أبي الطّيّب:

إذا استقبلتْ نفسُ الكريم مُصابَها ... بخُبثٍ ثَنَتْ فاستدبرتْه بطيب

وللواجد المكروب من زفراته ... سكونُ عزاءٍ أو سكونُ لَغوب[٤]

(١) الكافي ٧: ١٨٥ / كتاب الحدود، باب صفة الرّجْم، ح٦، عن أبي العبّاس، عن الإمام الصادق . سنن أبي داود ٢: ٣٤٣، ح٤٤١٩، عن نعيم بن هزال، مع اختلاف. الطبقات الكبرى ٤: ٣٢٤، عن هزال الأسلمي.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٧٢، ح٢٤٩. صحيح البخاري٢: ٨٤. صحيح مسلم٣: ٤٠. سنن أبي داود ٢: ٦٣/ باب الصبر عند الصدمة، ح٣١٢٤، عن أنس.

(٣) النهاية ٤: ١٩ (صدم).

(٤) ديوان المتنبّي٢٦٥.

(المصاب) هنا اسم مفعول في الظاهر لكنه مصدر في الحقيقة، وهو من صيغ اسم المفعول التي جاءت بمعنى المصدر؛ مثل: الميسور والعسور. و(ثنت)؛ أي: راجعت النفسُ المصابَ. المراد من (الخُبث): الجزع ومن (الطيب): الصبر. والواجد: الحزين. يقول: كلّ جازع على مصيبة، فآخر أمره السُّلوة والسكون: إما صبراً واحتساباً، وإما تعباً وملالاً. المعري، معجز أحمد ١: ٢٦٨.

ولآخر:

تَعَـزَّ فـإن الصـبر بـالحُرّ أجمـلُ ولـيس علـى رَيـب الزمـان مُعَـوَّلُ

فلو كان يُغني أن يُرى المرءُ جازعاً لِنازلـةٍ أو كـان يُغنـي التـذلّلُ

لكـان التّعـزّي عنـد كـلّ مصـيبةٍ ونازلـةٍ بـالحرّ أولـى وأجمـل[1]

وروى أنس أنّ رسول الله ﷺ مرّ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فقال لها: «**اتّقي الله واصبري!**»، قالت: إليكَ عنّي! فإنّك لم تُصَب بمصيبتي ولم تعرفه. فقيل لها: إنّه النبيّ، فتبِعتْه وقالت: يا رسول الله، لم أعرفْك وتُبتُ ممّا قلت، وأمتثلُ أمرك وأصبر، **فقال** ﷺ: «**الصبر عند الصدمة الأُولى**»[2].

قال الأزهري: الصّدْم: ضرْب الشّيء الصّلب بمثله، والرّجلان يَعدُوان فيتصادمان[3]. والأُولى تأنيث الأوّل[4].

١٨٠. القَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ[5].

وذلك لأنّ للآخرة منازلَ ومراحلَ ومواقفَ، فأوّلها القبر، ثمّ موقِف العَرْض،

---

(١) الأمالي للقالي ١: ١٧٢. زهر الآداب وثمر الألباب ٤: ١٠٥٩. والشاعر هو إبراهيم بن كنف النبهاني الصنعاني.

(٢) أُنظر: نفس مصادر الحديث.

(٣) تهذيب اللغة ١٢: ١٠٥ (صدم).

(٤) في نسخة (أ): الأولىٰ.

(٥) مسند الشِّهاب ١: ١٧١، ح ٢٤٧ و ١٧٢، ح ٢٤٨. سنن الترمذي ٣: ٣٧٩، ح ٢٤١٠. الخراج لأبي يوسف ٢٥، عن عثمان. مصباح الشريعة ١٧٢، وفيه (الموت) بدل (القبر).

في قوله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾[١]، ثمّ موقف الحساب، ثمّ موقف تطاير الكتب وإيتاءِ كلّ إنسانٍ كتابَه بيمينه أو بشماله. ومنها موقف الصراط وهو جسر يوضَع على جهنّمَ، يمرّ كلّ أحد عليه حتّى يصلَ إلى منزله، إمّا في الجنّة أو في النار، وذلك قوله: ﴿وانْ مِنْكُمْ إِلّا وارِدُها﴾[٢]، على أحد القولين[٣].

قيل: كان بعض الصالحين إذا ذُكر عنده العرضُ والحساب والصراط والجنّة والنار لا يبكي، وإذا ذُكر القبرُ، بكى بكاءً شديداً، فقيل له في ذلك، فقال: كلّ موطنٍ وموقفٍ مع جماعة إلّا القبر؛ فإنّه منزلُ وحدةٍ ووحشة، لا يكون مع العبد فيه أحدٌ إلّا عملُه، خيراً كان أم شرّاً.

١٨١. دَفْنُ الْبَناتِ مِنَ الْمَكْرُماتِ[٤].

وذلك لأنّ العرب كانت تأنف من إنكاح بناتها، ولذلك كانت تَئِدُ البناتِ؛ أي تدفنهنّ أحياءً، ولهذا قال بعضهم:

تبغَّى ابنُ كُوزٍ ـ والسَّفاهة كاسمها ـ لِيَستادَ منّا أنْ شَتَونا لياليا[٥]

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٤٨.

(٢) سورة مريم ١٩: ٧١.

(٣) مجمع البيان ٦: ٤٤١.

(٤) مسند الشِّهاب ١: ١٧٣، ح٢٥٠. المعجم الأوسط ٢: ٣٧٢. المعجم الكبير ١١: ٢٩٠. معرفة الصحابة لأبي نعيم ٦: ٣١٩٧، ح٧٣٥١، عن ابن عبّاس.

(٥) تبغّىٰ: بمعنى تَفرَّد بالبغْي أو أصرّ على حصول بُغيته ومطلبوه، والشعر يحتمل المعنيَيْن... (والسَّفاهة كاسمها): اعتراضٌ دخل بين تبغّىٰ ومفعولِه، مُشعر بأنه كان ذلك من

فما أكبرُ الأشياء عندي حَزازةً بــأن أُبــتُ مَزريّــاً عليــك وزاريــا[(١)]

لا تطلُبَنْها يا ابنَ كوزٍ فإن غـذا النـاسُ مـذ قـام النبـيُّ الجواريـا[(٢)]

السفاهة، ومعناه أن مسمّى السفاهة كاسمها في القبح والكراهة. (لِيَستاد): من الاستياد، وهو طلب بنت السّيد للنكاح. (شَتَونا): بمعنى أشتَينا، والشّتاء الجَدْب والقحط. يُقال: شتا الرجلُ إذا دخل في الشّتْوة؛ أي: القحط. (أنْ شَتَونا) منصوبٌ أصلُه: لِأنْ شتونا. فلمّا حُذف الجارُّ، وصل الفعلُ، فعَمِلَ. حاصل المعنى: يقول: تبغّىَ ابنُ كوزٍ من سفاهة ـ وهي قبيحة شنيعة كاسمها ـ يطلب بنتَ سيّدٍ منّا؛ لأجْل أنْ دخلنا في القحط منذ عدة أيام، ولولا ذلك، لم يَجترئْ عليه. الحقاني، جِلاء الفراسة شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام ١: ١٥٦.

(١) فما: كلمة ما نافية مشبهة بليس. حزازة: الوجع في القلب من الغيظ ... بأن: الباء زائدة أُدخلت على خبر (ما) النافية. أُبتُ: ... بمعنى الرجوع. زاريا: صيغة اسم الفاعل من الزّري بمعنى العيب، يقال زرىٰ عليه؛ أي: عابه وقبّحه. حاصل المعنى: يقول: و إذا كان ذلك من السّفاهة، فليس أكبرُ الأشياء عندي وجَعاً في القلب من أن ترجع عنّا مَزرّياً عليك وزارياً علينا؛ أي: بحيث نَزري ونَعيب عليك، وتَزري وتَعيب علينا). جِلاء الفراسة شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام ١: ١٥٦.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١: ٢٤١. الأمالي لمبارك اليزيدى: ٥٩.

غذا بمعنى صار... حاصل المعنى: يقول: لا تَطلب الزواج بالمرأة التي خطبتَها، فلك في سائر الناس سَعةٌ؛ فإنّ النّاس قد كثُرْنَ بعد مبعث **رسول الله**، والعرب كانت قبلَ ذلك تَئِدُ البناتِ). جِلاء الفراسة شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام ١: ١٥٧. وهذا البيت شاهد المؤلف في قضية وأد البنات. ولابن الأثير كلام لطيف في استنطاق المعنى منه. يقول: (وهذا البيت الثاني يشتمل على المعنيَيْن: التّامّ والمقدّر، أما التام، فإن ابن كوز سأل أبا هذه الجارية أن يُزوّجه إياها في سَنةٍ، والسّنة: الجدْب، فردّه وقال: قد غذا الناسُ البناتَ مذ قام النبيّ ، وأنا أيضا أغذو هذه، ولولا ذلك، لَوَأدتُها كما كانت الجاهلية تفعل. وفيه وجه آخر، وهو أنهم كانوا يئدون البناتِ قبل الإسلام، فلما جاء **النبيّ** ، نهى عن ذلك،

وكانوا أيضاً يَئِدون البناتِ خشية الفقر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾[1] الآية، فإذا ماتت البنات ودفنها أبوها، سلِمَ من هذه الآفات، وقال بعض الشعراء:

سُروران ما لهما ثالثٌ حياة البنين وموت البنات[2]

لِقول النبيّ : «**دفن البنات من المَكرُمات**». وقال آخرُ وقد ملّح فيه:

القبر أخفى سُترةً للبنات ودفنها يُروى من المَكرُمات

أما ترى الرحمنُ سبحانه قد وضع النّعش بجنب البنات[3]

وقال آخرُ:

لكل أبي بنتٍ إذا هي أدركتْ ثلاثةُ أصهارٍ إذا ذُكِر الصِّهْرُ

فزَوجٌ يُراعيها وبيتٌ يَكُنُّها وقبرٌ يُواريها وخيرُهم القبرُ[4]

فقوله: (غذا الناس مذ قام النبيّ الجواريا)؛ أي: في النساء كثرة، فتَزوَّجْ بعضَهنّ وخَلِّ ابنتي، وهذان المعنيان هما اللذان دلّ عليهما ظاهرُ اللفظ، وأما المعنى المقدّر الذي يُعلَم من مفهوم الكلام، فإنه يقول: إن النبيّ ﷺ أمر بإحياء البنات، ونهى عن الوأْد، ولو أنكحتُكَها، لَكُنتُ قد وأدتها؛ إذ لا فرق بين إنكاحك إياها وبين وأْدها، وهذا ذمٌّ للمخاطب، وهو معنى دقيق.) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١: ٦٢.

(١) سورة الإسراء ١٧: ٣١.

(٢) اللطائف والظرائف١٨٢. ربيع الابرار ٥: ١٤٨.

(٣) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار١: ٧٤. ذيل تاريخ بغداد ٣: ١٩٤.

(٤) المحاسن والمساوئ٢٤٠. الزهرة١٦٥، باختلاف يسير.

وعن ابن عبّاس قال: لمّا دَفن صلى الله عليه وآله وسلم ابنتَه رقية قال: **«الحمد لله، دفن البنات من المَكرُمات»**[١].

وقال بعضهم:

فلم أرَ نعمةً شَمِلت كريماً   كعورة مسلمٍ سُتِرت بقبرِ[٢]

وقال **الحسين بن علي** عليهما السلام: **«البنون نِعم والبنات حسنات، والنِّعَم مسؤولٌ عنها، والحسنات مُثابٌ عليها»**[٣].

ونُعيَ إلى ابن عبّاس ابنتُه، فاسترجع وقال: عورةٌ سترها الله، ومؤونة كفاها الله، وأجرٌ ساقه الله. ثمّ قام وصلّى ركعتين وقال: فعلنا ما أمرَنا الله ﴿واسْتَعينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ﴾[٤][٥].

وماتت ابنةٌ لجعفرٍ البرمكيّ فقال: تقديم الحُرَم من النِّعم[٦].

وقال رجلٌ لبعض العلماء: مات بعض أقاربي، فأنشأ يقول:

لا تغضبنَّ على الزمان وصَرفه   مادام يرضى عنك بالأطراف[٧]

---

(١) أُنظر: نفس مصادر الحديث.

(٢) الزهرة١٦٥. عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٦٢.

(٣) الكافي ٦: ٦/كتاب العقيقة، باب فضل البنات، ح٨، عن أحمد بن عبد الرحيم. ثواب الاعمال٢٠١، عن أبان بن تغلب. محاضرات الأدباء١: ٣٩٦، عن الإمام الصادق عليه السلام، باختلاف يسير.

(٤) سورة البقرة ٢: ٤٥.

(٥) أُنظر: العقد الفريد ٣: ١٤٥. تنبيه الغافلين للسمرقندي ٢٥٩. الآحاد والمثاني ١: ٢٩٤.

(٦) أُنظر: الزهرة ١٦٥. اللطائف والظرائف ١٨١. (والحُرَم) جمع الحُرمة هنا بمعنى البنات. والتقديم بمعنى الدفن.

(٧) يتيمة الدهر ٤: ٩٩، والبيت لأبي الفضل أحمد بن محمّد.

وقال ﷺ: «إذا مات ولد العبد، يقول الله للملائكة: قبضتم ولَدَ عبدي؟ قالوا: نعم، قال: فما قال؟ قالوا: حَمِدَكَ واسترجع، قال: ابْنوا له بيتاً وسمّوه بيت الحَمد»[١].

وعن أبي ذرّ: أنّ **النبيّ** ﷺ قال: **«ما من مسلِمَين يموت لهما ثلاثة أولادٍ لم يَبلُغوا، إلّا أدخلهم الله الجنّةَ»**[٢].

وعن **عليّ** عليه السلام قال: **«ما من مسلمٍ يموت له ولدٌ في الإسلام فيشكُر الله على ذلك، إلّا كان الله قائده إلى الجنّة»**[٣].

١٨٢. مُعْتَرَكُ المَنَايَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ[٤].

المُعتَرك: موضع الاعتراك[٥]، وهو افتعال من العَرْك، وهو اللّيّ بالعنف، وصار بالعرف معروفاً بموضع الحرب، وكذلك المعركة مَفعَلة منه، والمأزِق

(١) الكافي ٣: ٢١٨ /كتاب الجنائز، باب المصيبة بالولد، ح٤، عن السكوني، عن **الإمام الصادق**. مسند ابن حنبل ٤: ٤١٥. سنن الترمذي ٢: ٢٤٣، عن أبي موسى الأشعري، ح١٠٢٦.

(٢) مسند ابن حنبل ٥: ١٥٣، عن أم سليم. المعجم الكبير ٢٠: ١٤٧، عن معاذ بن جبل. ثواب الأعمال: ١٩٦، عن أبي ذرّ الغفاري.

(٣) أُنظر: سنن ابن ماجة ١: ٥١٢/ باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده.

(٤) مسند الشّهاب ١: ١٧٤، ح٢٥١. مسند أبي يعلى ١: ٤٢٢، ح٦٥٤٣. أمثال الحديث ٦٢، ح٢٦، عن أبي هريرة. معاني الأخبار ٤٠٢، ح٦٦، عن محمّد بن عبد الحميد.

(٥) كتاب العين ١: ١٩٧ (عرك).

والمأقِط مَضِيق الموضع من المعركة. و**المنايا** جمع منيّة، فعيلة بمعنى مفعولة، من مَنىٰ إذا قَدّر[١]. قال:

.... حتى تَبَيّن ما يَمني لك الماني[٢]

يعني أنّ مَظِنّة[٣] موت الرّجل ما بين هذين العقدين.

١٨٣. أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ[٤].

هذا الخبر يجري مجرى الخبر الأوّل في المعنى؛ يعني أعمار هذه الأُمّة في الأغلب ما بين هذين العقدين.

---

(١) (مَناه اللهُ يَمنيه [مَنْياً]: قدّره. ويقال: منى اللهُ لك ما يَسُرّك؛ أي: قدّر الله لك ما يَسُرّك... وقد منَى الله الموتَ يَمني). لسان العرب١٥: ٢٩٢ (مني).

(٢) الأمالي للمرتضى ٢: ٣٧، والبيت لسُويد بن عامرٍ المُصطَلَقيّ وتمام البيت:

واسلُكْ طريقك فيها غيرَ مُختَشِعٍ حتّى تَبيَّن ما يَمني لك الماني

أي: اسلُك طريقَك كما يليق بك حيث لا يصيبك ذُلٌّ حتى ظهر ما قدّر لك المقدِّر وهو الله. أي: حتى يأتيك الموتُ.

(٣)أي: موضع.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٧٤، ح٢٥٢. سنن الترمذي٥: ٢١٣، ح٣٦٢٠. سنن ابن ماجة٢: ١٤١٥، باب الأمل والأجل، ح٤٢٣٦، عن أبي هريرة وزاد فيها (وأقلهم من يجوز ذلك). المجازات النبوية٣٣٦، ح٢٦٠.

١٨٤. المَكْرُ وَالخَدِيعَةُ فِي النَّارِ[١].

المَكر في اللّغة: الشّدّ والإحكام، ومنه قولهم: جاريةٌ ممكورة، إذا كانت مُحكَمةَ الخِلقة، وهو في العرف كيد الرّجل بصاحبه على خِفيةٍ منه[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾[٣].

والخَدع و**الخديعة** أصلهما التّغيّر والفَساد[٤]، من قول الشاعر:

أبيضُ اللونِ لذيذٌ طعمُه   طيّبُ الرّيق إذا الرّيق خَدع[٥]

أي: فسد.

والمعنى: صاحب المكر والخديعة على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه على سبيل المبالغة؛ لأنّهما إذا كانا في النار، فصاحبهما لا يفارقهما؛ لأنّ معنى المصاحَبة الملازَمةُ كما بيّنّا.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٧٥، ح٢٥٣ وح٢٥٤، عن عبد الله. المستدرك على الصحيحين٤: ٦٠٧، عن أنس بن مالك. الكافي٢: ٣٣٦ / كتاب الايمان والكفر، باب المكر والغدر والخديعة، ح١، عن هشام بن سالم، عن **الإمام عليّ** . الأمالي للصدوق: ٣٤٤، ح٤١٣، عن الحسين بن خالد، عن **الإمام الرضا** ، عن آبائه .

(٢) أُنظر: كتاب العين ٥: ٣٧٠. تهذيب اللغة ١٠: ١٣٦ (مكر).

(٣) سورة آل عمران ٣: ٥٤.

(٤) تهذيب اللغة ١: ١١١ (خدع).

(٥) الصحاح ٣: ١٢٠٢ (خدع). المجازات النبوية٤٢، ذيل ح٣٢، البيت لسويد بن أبي كاهل. وهذا بيت في وصف ثغر امرأة، يقول إن ثغره حتى وقت السحر ــ وهو زمان يغلظ الريق فيه فيَيبِس ويَنتِن ـ طيّبٌ.

١٨٥. اليَمِينُ الفَاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ[١].

اليَمين: اليد اليُمنى[٢]، وإنّما سُمّي الحِلْف يميناً؛ لأنّها تُؤخَذ وقتَ الاستحلاف[٣]. و**الفاجرة**: الكاذبة، يقول العرب: كَذِب وفَجَر. ووصف اليمين بالفاجرة من باب قوله: ﴿عِيشَةٍ راضِيَةٍ﴾[٤]؛ أي ذات رضىً[٥]، والمراد ذات فجورٍ.

تَدَع: أي تترك[٦]، وهذا الفعل يخالف سائر الأفعال، من حيث إنّه لم يُستعمل منه إلّا المضارع، والأمر والنهي المأخوذان من المضارع، وكذلك يذر، تقول: هو يَذَر ويَدع، وذَرْ ودَعْ، ولا تَذَرْ ولا تَدَعْ، ولا يجيء منه الماضي والمصدر والفاعل والمفعول استغناءً عنها بالترك والتارك والمتروك. و**البلاقِع** جمع بَلْقَع؛ وهي الأرض الخالية الخَرِبة[٧].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٧٦، ح٢٥٥. المعجم الأوسط٢: ١٩، عن واثلة بن الأسقع. ثواب الأعمال٢٢٦، عن جابر بن يزيد، عن **الإمام الباقر** . الكافي٧: ٤٣٥ / كتاب الايمان والنذور والكفارات، باب اليمين الكاذبة، ح٢، عن ابن القداح، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) كتاب العين ٨: ٣٨٧ (يمن).

(٣) أُنظر: تهذيب اللغة ١٥: ٣٧٧ (يمن).

(٤) سورة الحاقة ٦٩: ٢١. سورة القارعة ١٠١: ٧.

(٥) أُنظر: كتاب سيبويه ٣: ٣٨٢. تهذيب اللغة ٥: ٦ (رحل).

(٦) النهاية ٥: ١٦٦ (ودع).

(٧) أُنظر: تهذيب اللغة ٣: ١٩١ (بلقع ـ عقبل). وجمع (الخَرِبة): الخَرِب، والضبط الآخر لـ(الخَرِبة): الخِرْبة وجمعها خِرَب.

١٨٦. اليَمِينُ الكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ[١].

اليمين الكاذبة أيضاً من باب قولهم: ماء دافق، وعيشة راضية من طريق النسبة، كما ذكرنا في الفاجرة، وكذلك قولهم: امرأةٌ حاملٌ وحائضٌ وطاهرٌ؛ أي ذات حملٍ وحيضٍ وطُهر، هذا هو الصحيح، وهو قول البصريّين. وقال الكوفيّون: ماء دافق وعيشة راضية، الفاعل فيها بمعنى المفعول؛ يعني ماء مدفوق وعيشة مرضيّة[٢]، وقولهم: حامل وحائض، لم يدخلوا تاء التأنيث فيها؛ لأمنهم الالتباسَ بالمذكّر؛ لاختصاص هذه الأوصاف بالإناث.

مَنفَقة: من النَّفاق، وهي ضدّ الكَساد، وأصله الخروج[٣]، وهو خروج المتاع من يد البائع على السّرعة، ونَفَقت الدابّة إذا ماتت وخرج روحُها، والنَّفَق سَرَبٌ له مَنفذٌ يُخرَج منه والمَحْق: إذهاب الأثر[٤]، أراد إذهاب البركة[٥]؛ يعني أنّ اليمين الكاذبة نفعُها أن تُنفِّق المتاع، وضَرُّها إذهاب البركة عن الكسب.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٧٧، ح٢٥٦ و١٧٨، ح٢٥٨. صحيح البخاري٣: ١٢. صحيح مسلم٥: ٥٦، عن أبي هريرة باختلاف يسير. الكافي٥: ١٦٢ / كتاب المعيشة، الحلف في الشراء والبيع، قطعة من ح٢، عن أبي حمزة، عن الإمام عليّ عليه السلام من دون إسناد إليه وفيه (أقلوا الايمان فإنها منفقة للسلعة ممحقة للربح).

(٢) أُنظر: الصحاح ٢: ٦١١ (جرر). غريب الحديث للحربي ٢: ٧٩٥.

(٣) أُنظر: جمهرة اللغة ٢: ٩٦٧. معجم مقاييس اللغة ٥: ٤٥٥ (نفق).

(٤) في نسخة (د): (إذهاب الآثار).

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة ٤: ٥٢. الصحاح ٤: ١٥٥٣ (محق).

١٨٧. اليَمِينُ عَلى نِيَّةِ المُسْتَحْلِفِ[١].

اليمين نوعان: يمينُ حقٍّ، ويمينُ باطلٍ[٢]، فيمين الحقّ على **نيّة المُستحلِف**، ويمين الباطل على نيّة الحالف، والمستحلِف طالب الحلف[٣]، وإنّما قال ذلك لئلّا يتأوّل الحالفُ، فينويَ في وقت الحلف أنّه ليس لزيدٍ عليه حقٌّ، وينوي زيداً آخر غيرَ المُدّعي، فنيّته هذه لا تُغنيه ولا تُخرجه عن الحِنث؛ لأنّ الاعتبار بنيّة المدّعي المستحلِف دون الحالف.

١٨٨. الحَلْفُ حِنْثٌ أوْ نَدَمٌ[٤].

وذلك أنّ الحَلْف لا يخلو إمّا أن يكون صدقاً أو كذباً، فإن كان كذباً،

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٧٨، ح٢٥٩. صحيح مسلم٥: ٨٧. سنن ابن ماجة١: ٦٨٥ / باب من ورى في يمينه، ح٢١٢٠، عن أبي هريرة. دعائم الاسلام٢: ٩٦، ح٣٠١، مع اختلاف.

(٢) كذلك يمكن أن يُقرأ: يمينٌ حقٌّ ويمينٌ باطلٌ لتكون العبارة وصفية.

(٣) أُنظر: المبسوط للسرخسي٣٠: ٢١٥.

المستحلِف هو المحلوف له. أي: يجب أن تكون يمينُ من يَحلف مطابقةً لما يَطلُب منه المحلوفُ له. مثلاً المحلوف له المسمى بزيد يدعي أن الحالف مدينٌ به وهو ينكر. فيطلب منه أن يحلف بأنه لا يدين به. فإذا حلف قائلاً: (لستُ مديناً بزيدٍ) ونوى زيداً آخر غيرَ زيدٍ هذا والذي طلب منه الحلفَ، فهذا لا يجوز؛ لأن نية المستحلِفِ أو المحلوفِ له وهو زيدٌ الحاضر في المجلس أن يحلف الحالف بعدم دينه به لا بزيدٍ آخرَ؛ لهذا لا يحق للحالف أن يتمسّك بالتَّورِية ويقصد من زيدٍ الذي قال زيداً آخر.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٧٩، ح٢٦٠. سنن ابن ماجة١: ٦٨٠ / باب اليمين حنث أو ندم، ح٢١٠٣. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٠٣. المصنف ابن أبي شيبة٣: ٥١٢، ح١، عن ابن عمر.

يَحنَثْ صاحبُه به، وإن كان صدقاً، يَندَمْ عليه؛ لأنّه ربما يُظنّ به أنّه حَلَف كاذباً، فيُنسب إلى الكذب[١].

ومعنى الحديث: النهي عن الحَلْف صدقاً كان أو كذباً.

١٨٩. السَّلَامُ تَحِيَّةٌ لِمِلَّتِنا، وَأَمَانٌ لِذِمَّتِنَا[٢].

السلام تحيّة الإسلام؛ يعني أهلَ الإسلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامه؛ يعني تحيّة أهل ملّتنا وأمان أهل ذمّتنا، وهو عَلامة السِّلم والسّلامة، ولذلك **قال** ﷺ: «**السلام للرّاكب على الرّاجل، وللقائم على القاعد**»[٣]؛ لأنّ الراكب في أمانٍ من الراجل، وكذلك القائم مع القاعد، وهو علامة السِّلْم، وأنّ المسلم جاء مسالماً لا مُحارباً، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿قالوا سَلاماً قالَ سَلامٌ﴾[٤].

ويقال: رمانا بسهم الإسلام؛ أي بالسلام، ولقينا بتحيّة الإسلام، فرددنا عليه مقتضى الإسلام.

وروي أنّ بين المُسلِّم والمُجيب مئةَ جزءٍ من الثواب، تسعةٌ وتسعون

---

(١) في نسخة (د): (الاعراض).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٧٩، ح٢٦٢. الفردوس ٢: ٣٤٠، ح٣٥٣٦، عن أنس بن مالك.

(٣) صحيح البخاري ٧: ١٢٧. صحيح مسلم ٧: ٢، عن أبي هريرة. الكافي ٢: ٦٤٧/ كتاب العِشرة، باب من يجب أن يَبدأ بالسّلام، ح٤، عن ابن القداح، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) سورة هود ١١: ٦٩.

للمسلِّم وواحدٌ للمجيب[١]، مع أنّ السّلام سُنّة والجواب فرضٌ[٢]؛ وذلك لأنّ المرء المسلم إذا ابتدأ بالسلام على مسلمٍ مثله، فكأنّه غضّ عن قدره، ووضع رداء الكِبر من عنقه، فهو بالابتداء يستحقّ هذا الأجر، أمّا المُجيب فكالمضطرّ في جوابه شرعاً وعرفاً.

والذّمّة: الحرمة[٣]، يقال: أذمّه إذا أجاره، وفلانٌ في ذمّته؛ أي: في جِواره وحمايته.

١٩٠. عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ[٤].

يعني أنّ العالم إذا كان بخيلاً بعلمه على أهله من طالبيه، فهو كصاحب كنز؛ أي: مال مدفون في الأرض، وإنّما شبَّهَه بالكنز المدفون لأنّ صاحبه لا ينتفع به، ولا تصل يده إليه في كلّ وقت، والعلم إذا لم يَعمل به صاحبه ولا يعلّمه أحداً، فهو علم لا ينفعه، وفي دعاء

---

(١) قال الإمام الحسين عليه السلام: «لِلسّلام سبعون حسنةً، تِسْعٌ وستّون للمبتدئ وواحدة للرّادِّ»، تحف العقول٢٤٨.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «السّلام تطوُّعٌ والرّدُّ فريضةٌ». الكافي ٢: ٦٤٤/كتاب العِشرة، باب التّسليم، ح١، عن السكوني.

(٣) أُنظر: كتاب الماء ٢: ٤٩٠ (ذمم).

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٨٠، ح٢٦٣، عن عبد الله. سنن الدارمي١: ١٣٨. العلم لزهير بن حرب: ٨، ح١٢. المصنف ابن أبي شيبة٨: ١٧٩، ح١١، عن سلمان، باختلاف يسير.

النبيّ ﷺ: «اللّهمّ إنّي أعوذ بكَ من علم لا ينفع»[١]. وفي دعاء الأئمّة: **«اللّهمّ ارزقني علماً نافعاً»**[٢].

١٩١. الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ[٣].

الطّاعم: آكل الطعام[٤]، يقال: طَعِمت الطعامَ وأطعمتُه غيري وأنا مُطعِمٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾[٥] على ما قرئ به في الشواذّ[٦]؛

---

(١) كنز الفوائد١٨١. مسند ابن حنبل ٣: ٢٥٥، عن أنس بن مالك. صحيح مسلم ٨: ٨٢، عن زيد بن أرقم.

(٢) الكافي ٢: ٥٨٤/ كتاب الدعاء، باب دعوات موجزات لجميع الحوائج للدنيا والآخرة، قطعة من ح١٨، عن عمرو بن أبي المقدام، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ١٨٠، ح٢٦٤. سنن ابن ماجة١: ٥٦١ / باب فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر، ح١٧٦٥، عن سنان بن سنة الأسلمي. الكافي٢: ٩٤ / كتاب الايمان والكفر، باب الشكر، قطعة من ح١، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام باختلاف يسير.

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة ٢: ١١٤. شمس العلوم ٧: ٤١١٧ (طعم).

(٥) سورة الأنعام ٦: ١٤.

(٦) فإن الآية على قراءة حفص عن عاصم بل إجماع القرّاء: (ولا يُطعَمُ). وقال الشيخ الطوسي فيه: أجمع القرّاءُ على ضمّ الياء وفتح العين من قوله: لا يُطعَمُ، وقرئ في الشّواذّ: وهو يَطعَمُ بفتح الياء والعين معاً. فمن ضمّ الياءَ، أراد أنّ غيرَه لا يُطعِمه في مقابَلَة قوله: وهو يُطعِم. ومن فتح الياءَ، أراد أنّ نفسه لا يَطعَمُ)؛ التبيان في تفسير القرآن ٤: ٨٧.

يعني أنّ من يأكُل الطعام ويشكرُ الله على ذلك، يُعطىٰ مثلَ ثواب الصائم الصابر المُمسك عمّا يُفسد صومَه. ساوىٰ في هذا الحديث بين الشكر والصبر، وفضّل الشكرَ على الصبر، في قوله: «**رُبَّ طاعمٍ شاكر أعظمُ أجراً من صائمٍ صابر**»[1].

١٩٢. الصَّلَاةُ قُربَانُ كُلِّ تَقِيٍّ[2].

القُربان: مصدر قَرّب يُقرّب قرباناً، كقولك: سبّح يُسبّح سُبحاناً، وفصّل الأمر فصلاناً[3].

ومعنى الحديث: أنّ المرء المتّقيَ إذا أراد أن يتقرّب إلى الله سبحانه وإلى رضاه بطاعةٍ من الطاعات، فلا شيء أبلغَ له في باب التقرّب إلى الله تعالى من الصلاة.

---

(١) المعجم لابن الأعرابي ٢: ٨٤٢، ح١٧٣٤. مسند الشِّهاب ٢: ٣١٠، ح١٤٢٧، عن أبي هريرة.

(٢) مسند الشِّهاب ١: ١٨١، ح٢٦٥، عن عبد الله بن الزبير، عن الإمام عليّ عليه السلام. نهج البلاغة / قطعة من الحكمة ١٣٦. الكافي ٣: ٢٦٥ / كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة، ح٦، عن محمّد بن الفضيل، عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٣) لم نجد مصدر (الفصلان) لباب التفعيل من مادة (ف ص ل) في المعاجم التي بأيدينا، بل الفُصلان هو جمع فصيل، والفصيل ولد الناقة إذا فُصل عن أمّه، الصحاح ٥: ١٧٩١ (فصل).

١٩٣. بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ[١].

يعني أنّ المؤمن إنّما يُعرف من الكافر بالمواظبة على الصلاة، فإذا[٢] ترك الصلاة ولم يداوم عليها، فلا فرق بينه وبين الكافر من حيث الظاهر والحُكم؛ لأنّا إنّما نحكم بالظاهر ولا نقطع على إيمان أحدٍ ولا كُفره؛ لأنّهما من أفعال القلوب على المذهب الصحيح، ولا تعلُّق بشيء من أفعال الجوارح بهما، فمن ترك الصلاة معتقداً أنّها ليست واجبةً عليه أو هو مصيبٌ في تركها، فهو كافرٌ بالإجماع، ومن تركها كسَلاً وتوانياً وهو يعتقد وجوبَها عليه وأنّه مخطئ في تركها، فهو فاسق يُؤدَّب على ذلك ويُعزَّر، ولا يجب عليه القتل.

وقال مالك وأبو حنيفةَ: يُحبس حتّى يُصلّي[٣].

وقال الشافعيُّ: يجب عليه القتل بعد أن يُستتابَ كما يجب على المرتدّ، فإن لم يُصلِّ بعد الاستتابة قُتِل[٤]، والمذهب الصحيح ما ذكرناه من قبل[٥].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٨١، ح٢٦٦ و١٨٢، ح٢٦٧. سنن أبي داود٢: ٤٠٨ / باب في ردّ الارجاء، ح٤٦٧٨. سنن الترمذي٤: ١٢٥/ باب ما جاء في ترك الصلاة، ح٢٧٥٣. ثواب الأعمال: ٢٣١، عن عبد الله بن ميمون، باختلاف يسير.

(٢) في نسخة (د) و نسخة (هـ): (و مَنْ).

(٣) بداية المجتهد ١: ٧٧. المغني لابن قدامة ٢: ٢٩٩.

(٤) كتاب الأمّ ١: ٢٩١. مختصر المزني٣٤.

(٥) أُنظر: الخلاف ٥: ٣٥٩.

١٩٤. مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ[١].

أراد تفضيل الصلاة على سائر العبادات الشرعيّة، كما أنّ الرأس مفضَّل على سائر الأعضاء، وعلى هذا قول الشاعر:

إذا احتَمَلوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودِر عند الملتقى ثَمّ سائري[٢]

و إنّما قال ذلك لأنّ الحواسّ في الرأس.

١٩٥. صَلَاةُ القَاعِدِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَلَاةِ القَائِمِ[٣].

لأنّ القاعد يصيبه من المشقّة نصفُ ما يُصيب القائمَ؛ ولذلك قلنا: من أراد أن يُصلّيَ النوافل جالساً، ينبغي أن يُصلّيَ مكانَ كلّ ركعة ركعتين[٤]، فأمّا في الفرائض، فلا يجوز إلّا القيام مع القُدرة،

(١) مسند الشِّهاب١: ١٨٢، ح٢٦٨. المعجم الأوسط٢: ٣٨٣. المخلصيات٣: ٢٨٨، قطعة من ح٢٥٢٩، عن ابن عمر.

(٢) البخلاء١٤٦. الأغاني ٢١: ١٢٠. الشعر والشعراء١: ٨١، والبيت للشنفري.

(احتملوا) بمعنى حملوا. (وفي الرأس أكثري) يعني أكثر الحواس في الرأس، فالحاسة والشامة والذائقة والسامعة في الرأس أو مبالغة في أهمية الرأس. (غودِر) بمعنى تُرك. الملتقى؛ أي: موضع ملاقاة الأعداء والمراد معركة الحرب. (ثَمَّ) بفتح الثاء أي: هناك. (سائري) أي: سائر جسدي ـ غير الرأس ـ تُرك في المعركة.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٨٣، ح٢٦٩. السنن الكبرى للنسائي١: ٤٢٨، قطعة من ح١٣٦١. سنن ابن ماجة١: ٣٨٨، ح١٢٢٩، باختلاف يسير، وح١٢٣٩، عن أنس بن مالك.

(٤) أُنظر: المقنعة: ١٤٢. المبسوط ١: ١٣٢.

ومـــع العجـــز الجلـــوس والاضـــطجاع أو الاســـتلقاء علـــى مـــا يمكنـــه ويتيسّر له[١].

١٩٦. الزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ الإِسْلَامِ[٢].

بيّـــنّا أنّ **الـــزّكاة** هـــي النَّـــماء والطَّهـارة فـــي اللّـــغة[٣]، وفـــي الـــشرع ما يخرج من الأموال الصامتة والناطقة[٤] عن كلّ جنس مقداراً معيّناً إذا بلغ النِّصابَ، فإذا بلغ الذهبُ المضروب المنقوش دنانيرَ عشرين ديناراً، ففيه نصف دينار، وإذا زاد عليه أربعةُ دنانيرَ[٥]، ففيه عُشْر دينارٍ بالغاً ما بلغ.

---

(١) أُنظر: وسائل الشيعة ٥: ٤٨١/ كتاب الصلاة، أبواب القيام، باب وجوبه في الفريضة مع القدرة، فان عجز ... .

(احتملوا) بمعنى حملوا. (وفي الرأس أكثري) يعني أكثر الحواس في الرأس، فالحاسة والشامة والذائقة والسامعة في الرأس أو مبالغة في أهمية الرأس. (غودِر) بمعنى تُرك. الملتقى؛ أي: موضع ملاقاة الأعداء والمراد معركة الحرب. (ثَمَّ) بفتح الثاء أي: هناك. (سائري) أي: سائر جسدي ـ غير الرأس ـ تُرك في المعركة.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٨٣، ح٢٧٠. المعجم الأوسط٨: ٣٨٠. جزء ابن فيل١١٢، ح٨٥، عن أبي الدرداء. الأمالي للطوسي٥٢٢، قطعة من ح١١٥٧، عن أبي موسى المجاشعي، عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام .

(٣) أُنظر: كتاب العين ٥: ٣٩٤. تهذيب اللغة ١٠: ١٧٥ (زكا).

(٤) أُنظر: المقنعة: ٢٣٨.

(٥) في نسخة (د) و نسخة (هـ): (دينار).

وأمّا الفضّة، [فـ]إذا[١] كانت مضروبةً منقوشةً دراهمَ وبلغت مائتَي درهمٍ، ففيها خمسةُ دراهم، وكلّما زادت أربعون درهماً، وجبَ فيها درهمٌ واحد بالغاً ما بلغ.

وأمّا الحِنطة والشعير والتّمر والزبيب، [فـ]إذا بلغت خمسةَ أوسُقٍ ـ والوَسْق[٢] ستّون صاعاً، والصاع أربعة أمدادٍ، والمُدّ مائتا درهمٍ واثنانِ وتسعون درهماً ونصفُ درهمٍ[٣] ـ يُخرج منها العُشْر ان كان سُقي سَيْحاً[٤] أو شرب بعلاً[٥]، وإن كان سُقي بالغَرْب[٦] والدّوالي[٧] وما يلزم عليه مُؤَن[٨]،

---

(١) يجب أن تكون العبارة: (فإذا)؛ لأن جواب (أما) التفصيلية الشرطية، يجب أن يكون مع الفاء. فيحتمل أن أخطأ النسّاخ.

(٢) والوِسْق أيضاً ضبط آخر له.

(٣) أُنظر: الخلاف ٢: ٥٨، مسألة ٦٩. وسائل الشيعة ٩: ٦٤/ كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة وما تستحبّ فيه، باب مقدار النصب في الاقسام التسعة وما يجب فيها، وجملة من أحكامها.

(٤) السَّيْح: الماء الجاري. الصحاح ١: ١٧٧ (سيح).

(٥) الْبَعْلُ: النخلُ الذي يَشرب بعروقه، فيَسْتغني عن السَقْي. يقال: قد اسْتَبْعَلَ النخلُ. قال أبو عمرو: الْبَعْلُ و العَذْيُ واحد، و هو ما سقَتْه السّماءُ. و قال الأصمعيّ: العَذْيُ: ما سقتْه السماء. الصحاح ٤: ١٦٣٥ (بعل).

(٦) الغرْب: أعظم من الدَّلْو، وهو دلو تامّ، وجمعه: غُروب. كتاب العين ٤: ٤٠٩ (غرب).

(٧) جمع الدّالِية، وهي الدّلْو ونحوها. تاج العروس ١٩: ٤١١.

(٨) جمع المُؤْنَة، بمعنى الثِّقْل، المصباح المنير٢٢٤ (المئونة)، وفي الاصطلاح التكاليف والمصاريف، وهنا المصاريف التي تُصرف للزراعة حتى تكتمل.

ففيه نصف العُشر، وما زاد عليه فبحساب ذلك، ولا نصاب فيه بعد النصاب الأوّل.

وأمّا زكاة الحيوان، فلها تفصيلٌ طويل وهو مشروحٌ في كتب الفقه، وهذا الذي ذكرناه كافٍ هاهنا. فأمّا مذهب الفقهاء، فهو مذكور في مسائل الخلاف لا يَحتمل هذا الكتاب ذكرَه[١].

و**القنطرة**: ما يُبنى على الأنهار الجارية أو يوضع عليها من الأشجار لممرّ السابلة[٢]؛ يعني أنّ الزكاة طريقٌ لنا إلى الحكم بإسلام المزكّي، كما ذكرنا في الصلاة، وأنّها علَم الإيمان.

١٩٧. طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ[٣].

يعني: ينبغي أن يتطيّب الرّجال بما يَظهر ريحُه ويَخفى لونه، كالمسك والعنبر والنَّدّ[٤] والعود وما تفوح ريحُه، وطيب النِّساء ينبغي أن يكون ظاهرَ

---

(١) ولمزيد الاطلاع على أحكامه فراجع: الكتب الفقهية.

(٢) أي: المارّة.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٨٤، ح٢٧١ وح٢٧٢. سنن أبي داود١: ٤٨٣/ باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله، قطعة من ح٢١٧٤. سنن الترمذي٤: ١٩٥ / باب ما جاء في طيب الرجال والنساء، ح٢٩٣٨، عن أبي هريرة. الكافي٦: ٥١٢ / كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب الطيب، ح١٧، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) النَّدُّ: طِيْب يُدَّخَنُ به. كتاب الماء ٣: ١٢٤٣ (ندد).

اللّون خفيَّ الرّيح، كالزعفران والوَرْس وما أشبههما؛ لئلّا تفوح منه رائحة تُشهّي الرّجال وتهيِّجهم. فأمّا ظهور اللّون، فإنّهنّ يستُرْنه بالجلابيب والثياب إذا خرجن، ويُظهرن لأزواجهنّ إذا كُنَّ في بيوتهنّ، فيكون زينة لهنّ وطيباً. وأمّا طيب الرِّجال، فلا زينة فيه، وإنّما هو رائحة يَتروَّح[1] بها مَن يجالسهم.

ومعنى الخبر: الأمر بهما؛ يعني ينبغي أن يكون كذلك.

١٩٨. التُّرَابُ رَبِيعُ الصِّبْيَانِ[2].

معناه أنّ الصبيان يلعبون به ويستطيبونه، فيكون ربيعاً لهم وراحةً وطيباً، كفصل الرّبيع للشّبّان بالتنزّه في البساتين والتلذّذ بالنظر إلى الأنوار والأزهار[3].

---

(١) في نسخة (د): (يتروج) و الأرج أيضاً نفحة الريح الطيبة. لسان العرب ٢: ٢٠٧ (أرج).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٨٥، ح٢٧٣، عن ابن عمر. المعجم الكبير٦: ١٤٠، عن سهل بن سعد.

(٣) قال أبو الرضا الرّاوندي ذيل هذه الرّواية: و قال بعض أهل الإشارات: إنّه إشارة إلى أنّ التراب ممّا يُعجِب الصبيانَ و الأغرار، فينبغي أن لا يَعجَب به العقلاء فيطلبوه ـ يعني المساكن و المنازل و الدور و القصور و الأشقاص و الحصص ـ كما قال:

إذا نِلتُ منك الوُدَّ فالمال هَيِّن   و كُلُّ الّذي فوق التراب تراب

فإنّ جميع ذلك تراب لا قدر له و لا قيمة، و هو ممّا يُعجِب الصبيان لا العقلاء المُدرِكين. ضوء الشِّهاب ١: ٤٠٦.

١٩٩. الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ؛ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ[١].

الأرواح جمع رُوحٍ، وهي النفس المتردّد المتّصل بالحَيَوان التي تحتاج الحياة إليها في وجودها[٢]، وهي من باب فِعل وفُعل باتّفاق معنىً[٣]، فإذا كان في الجوّ، يُسمّى هواءً إذا كان ساكناً، وإذا تحرّك، فهو ريح، وإذا اتّصل بالحيوان، يسمّى روحاً وما ذكروه من جعلها نفْساً وإنساناً وشيئاً سوى ما ذكرناه، وزعموا أنّها هي المكلَّفة والمخاطَبَة والمأمورة والمنهيّة والقالَب[٤] بمنزلة الظرف لها، فهو دعوًى لا برهان عليها ولا طريق إليها، ودونها خرْط القتاد، وسلوك طريق الجهل أو العناد.

وما ذكروه أنّها كانت قبل الأجسام على صور الذّرّ، وفسّروا الخبر بأنّها حين كانت كذلك، فما وقع منها متقارِباً متعارِفاً هناك صار ههنا مؤتلفاً، وما وقع منها متناكِراً متباعِداً هناك فهو هاهنا متناكر، ذهب إليها بعض الأوائل وبعض متكلِّمي الإسلام[٥]، وهذا لا أصل له؛ لما بيّنّاه من فقْد الطريق إليه وتعذّر البرهان عليه.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٨٥، ح٢٧٤. صحيح البخاري٤: ١٠٤، عن عائشة. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٠، ح٥٨١٨. الأمالي للصدوق٢٠٩، قطعة من ح٢٣٢، عن معاوية بن عمار، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) أُنظر: كتاب العين ٣: ٢٩١ (روح).

(٣) أي: الروح والريح تتفقان معنىً وإن اختلفتا وزناً، فالأولى على وزان الفُعْل والثانية على وزن الفِعْل.

(٤) أي: الجسم.

(٥) أُنظر: المسائل السروية ٥٣ـ ٥٤.

فأمّا معنى الخبر: فالمراد بالأرواح ذوو الأرواح على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامه، كما بيّنّا في غير موضع، وذكرنا أمثلته من القرآن والشِّعر، منها قوله تعالى: ﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾[(١)]؛ المعنى: إلّا كخلق نفسٍ واحدة[(٢)]، وعلى هذا قول الخنساء:

ما أُمُّ سَقْبٍ على بَوٍّ تُطيف به   قد ساعدتْها على التَّحنان أظئارُ
تَرتَعُ ما رَتَعتْ حتّى إذا ادَّكَرتْ   فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ[(٣)]

أي: ذاتُ إقبال وإدبار[(٤)]؛ يعني: ذوو الأرواح على تقدير حذف المضاف. جنودٌ مجنّدة؛ أي مجموعة مُعَدّة.

فإنْ قيل: على هذا الوجه ما معنى الخبر وفائدته؟ قلت: معنى الخبر المثَل السائر: كلّ طائرٍ يطير مع شكله[(٥)]؛ يعني كلّ حيوان يستأنس بمثله

(١) سورة لقمان ٣١: ٢٨.

(٢) مجاز القرآن ٢: ١٢٨. تفسير الطبري ٢١: ٩٩. تفسير الثعلبي ٧: ٣٢٢.

(٣) الشعر والشعراء ١: ٣٣٥. أمالي السيد المرتضى ٢: ١٤٦.

السَّقْب: ولد الناقة الذكر. البَوّ: جَلْد ولد الناقة إذا مات حين تَلِده أمُّه؛ فيُحشىٰ تِبناً وهي لا تراه ويُدنىٰ منها فتَشُمّه وترأَمُه فتدرّ عليه اللبنُ. التَّحنان: الحنان. الأظئار جمع الظِّئر: التي تعطف على ولد غيرها. يقول: إن هذه الناقة ترعىٰ ما دامت ناسيةً ولدَها الذي ذُبح، فإذا تذكرتْه، أخذتْها رِعْدةٌ واضطرابٌ، فصارتْ تُقبِلُ وتُدبِرُ. شبّهتْ الشاعرةُ نفْسَه بها.

(٤) المقتضب ٣: ٢٣٠. أمالي السيد المرتضى ٢: ١٤٦.

(٥) ذم الثقلاء ٤٧. إحياء علوم الدين ٥: ١٤٩.

ويستوحش من ضدّه ومخالفه، وهذا معنىً لطيف وطريقة مستقيمة على كلام العرب، لا يحتاج معه إلى تعمّلٍ ما لا طريق إلى إثباته.

وروي أنّ مخنّثاً قدِم المدينة وكان فيها مخنّث، فنزل إليه وألِفه، فذُكر ذلك **للنبيّ** فقال: «**الأرواح جنودٌ مجنّدةٌ**» الخبر[١].

وهذا يدلّ على صحّة ما ذهبنا إليه في تفسير الحديث؛ لأنّه لو قال بدل ما قال من الخبر: كلّ طائرٍ يطير مع شكله، لكان الكلام مطّرداً والمعنى مستقيماً، والله وليّ التوفيق، وأخذ الشاعر هذا المعنى ونظمه، فقال:

إنّ القلوب لَأجنادٌ مجنّدةٌ ... لله في الأرض بالأهواء تختلفُ
فما تعارف منها فهْو مؤتَلِفٌ ... وما تناكر منها فهْو مختلفُ[٢]

٢٠٠. الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ[٣].

الصّدق: خبرٌ يوافق المُخبَر عنه، والكذب خلافه، وهو خبر يخالف المُخبَرَ عنه[٤]. و**الطمأنينة**: السكون، وكذلك الاطمئنان[٥]. و**الرِّيبة**: التّهمة،

(١) أُنظر: مسند أبي يعلى ٧: ٣٤٤، ح ٤٣٨١. شعب الإيمان ٦: ٤٩٧، ح ٩٠٣٧. إحياء العلوم ٥: ١٤٨.

(٢) العقد الفريد ٢: ١٧٨. الصداقة والصديق١٠٩. الموشّى٣٠.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٨٦، ح٢٧٥. سنن الترمذي٤: ٧٧، قطعة من ح٢٦٣٧. المستدرك على الصحيحين٤: ٩٩. مسند ابن حنبل١: ٢٠٠، أبي الحوراء، عن الإمام الحسن عليه السلام.

(٤) أُنظر: كتاب العين ٥: ٥٦ (صدق).

(٥) أُنظر: الصحاح ٦: ٢١٥٨ (طمن).

والرَّيْب: الشكّ[١]. يقول: الصدق سكون القلب؛ لأنّ من أخبر عمّا يعلمُ ويتيقّن كَونَه، لابدّ أن يكون خبره صدقاً، والعلم يقتضي سكونَ النفس. **والكذب رِيبةٌ**؛ فإنّ الكاذب يرتاب بما يقول ولا يطمئنّ، كأنّه يظنّ أنّ السامع يعلم أنّه كاذب، فهو متّهِم نفسه.

٢٠١. الْقُرْآنُ غِنىً لَا فَقْرَ بَعْدَهُ، وَلَا غِنىً دُونَهُ[٢].

القرآن مصدر قرأتُ قِراءةً وقُرآناً، والقرآن المقروء أيضاً[٣]، وبالعرف اختُصّ بالمقروء، وأجمعت الأُمّة على أنّ ما بين الدّفّتين هو القرآن، وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على سيّد المرسلين وخاتم النبيّين عليه الصّلاة والسلام، وهو الذي بيننا، نقرأه ونفسّره ونُفتي به ونعمل عليه.

و**الغِنى** بالكسر والقصر: الاستغناء، وبالفتح والمدّ: الكَفاف والكفاية، وبالكسر و المدّ الشِّعر الذي يُتغنّىٰ به بترجيع الصّوت[٤]، و**الفقر**: الحاجة[٥].

---

(١) كتاب العين ٨: ٢٨٧ (ريب).

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٨٦، ح٢٧٦. مختصر قيام الليل ١٧٥. مسند أبي يعلى٥: ١٥٩، ح٢٧٧٣، عن أنس. الكافي٢: ٦٠٥/ كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، ح٨، عن معاوية بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام من دون إسناد إليه وفيه (من قرأ القرآن فهو غني ولا فقر بعده وإلا ما به غنى).

(٣) المحيط فى اللغة ٦: ٨. المفردات٦٦٨. النهاية ٤: ٣٠ (قرأ).

(٤) أُنظر: كتاب العين ٤: ٤٥٠ (غنى).

(٥) كتاب العين ٥: ١٥٠. تهذيب اللغة ٩: ١٠٢ (فقر).

ومعنى الحديث: أنّ من تعلّم القرآن وعلم معناه وتفسيره وعمل بأحكامه، فهو غنيّ في الدِّين لا يحتاج إلى شيءٍ غيرِه، ومنه حديث عبد الله بن مسعود: (مَن قرأ سورة آل عمرانَ، فهو غنيّ)[١]، والحديث الآخر: «**نِعْمَ كنزُ الصُّعلوك**[٢] **سورةُ آل عمران يقوم بها الرّجل في آخر اللّيل!**»[٣].

ثمّ قال: هو غنىً لا فقر بعده؛ يعني غاية الغِنى ونهايته ولا غِنىً دونه. قيل: أراد غيره، وقيل: أراد فوقه.

٢٠٢. الإيمَانُ بِالْقَدَرِ يُذْهِبُ الهَمَّ وَالحَزَنَ[٤].

قد ذكرنا في **القَدَر** ما فيه كفاية ومُقنِع لِمَن تأمَّله. و**الهمّ** والغمّ واحد[٥]، وهو من الإبدال كالمدح والمدّ؛ لأنّ الهاء والغين من حروف الحلق. و**الحُزن** والحَزَن لغتان بمعنىً[٦]، كالبُخل والبَخَل.

---

(١) سنن الدارمي ٢: ٤٥٢. شعب الإيمان ٢: ٥٢٩، ح٢٦١٥. الأمالي للمرتضى ١: ٢٤.

(٢) أي: الفقير. الصحاح ٤: ١٥٩٥ (صعلك).

(٣) سنن الدارمي ٢: ٤٥٣. المصنف لعبد الرزّاق ٣: ٣٧٥، ح٦٠١٥. الأمالي للمرتضى ١: ٢٤.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٨٧، ح٢٧٧. تفسير الثعلبي٩: ١٧٣، عن أبي هريرة.

(٥) أُنظر: الفروق اللغوية٢٦١، الفرق بين الهم و الغم.

(٦) الحُزْن و الحَزَن، لغتان إذا ثقلوا فتحوا، و إذا ضحوا خففوا، يقال: أصابه حَزَن شديد، وحُزْن شديد، كتاب العين ٣: ١٦٠ (حزن).

ومعنى الحديث: أنّ من علم واعتقد أنّ ما قضاه الله عليه وقدّره له من منافعه ومضارّه من فعل الله تعالى من الصحّة والسُّقم[١] والغِنى والفقر والخِصْب والجَدْب وسَعة الرِّزق وضيقه لا مَحالة كائن لا مَصرِف له ولا محيص عنه، لم يهتمّ به ولم يحزن له؛ لأنّه علم أنّ صلاحه فيه من حيث لا يعلم، فإيمانه بالقدَر على هذا الوجه ينفي الهمّ والحزن، وهذا كما قيل: «**القضاء كائنٌ والهمّ به فضلٌ**»[٢].

٢٠٣. الزُّهدُ فِي الدُّنيا يُريحُ القَلبَ وَالبَدَن والرَّغْبَةُ فِيها تُكْثِرُ الهَمَّ وَالحَزَنَ[٣].

الزّهد ضدّ الرغبة، وهو البُعد عن الشيء[٤]، يُقال: زَهِد فيه إذا رَغِب عنه ولم يُرده، قال الله تعالى في قصّة يوسف وإخوته: ﴿وكانُوا فيهِ مِنَ الزّاهِدينَ﴾[٥]؛ أي الراغبين عنه الكارهين لصحبته، بل لوجوده.

---

(١) السَّقْم أيضاً صحيح.

(٢) التمثيل والمحاضرة٣٢٨. الإعجاز والإيجاز٦٩. تفسير الفخر الرازي ١٠: ١٧٧، وفيها: (المقدور) بدل (القضاء). أي: ما قُدِّر واقعٌ لا محالة؛ فالهمّ ـ أي: اضطراب النفس ـ أمر زائد وبلا جدوى.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٨٨، قطعة من ح٢٧٨، عن عبد الله بن عمرو. تنبيه الغافلين للسمرقندي٢٢٧، ح٢٨٧، عن الإمام الحسن عليه السلام. ذم الدنيا١٣٠، ح٢٨٩، عن الفضيل بن عياض. الخصال٧٣، ح١١٤، عن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، عن أبيه مع تقديم وتأخير بين الجزئين.

(٤) أُنظر: الصحاح ٢: ٤٨١ (زهد).

(٥) سورة يوسف ١٢: ٢٠.

«**يُريحُ القَلبَ وَالبَدَن**»؛ أي يورث الراحةَ والدّعة، ومعناه المثل السائر: اِطرَحْ وافرَحْ[(١)].

و**الرغبة** فيها ـ أي في الدّنيا ـ تُكثِر الهمّ والحزن. وسأل رجلٌ جعفر بن محمّد الصادق : يا ابن رسول الله، ما بالُنا لا نفرح في الدّنيا؟ **قال:** «**لأنّكم تطلبون في الدّنيا شيئاً لم يُخلق فيها**»، قال: وما هو؟ قال: «**الرّاحة**»[(٢)].

وطالب الدّنيا كيف يستريح وهو في طلب زيادةِ ما هو فيه، ولا نهاية للزيادة، ووجودُ ما لا نِهاية له مُحال، ومن طلب المُحال لم يزَل في دأبٍ وتعب وهَمٍّ وحزن، ولم يحصل إلّا على بأس ويأس، فدعْها قبل أن تَدَعَك، وطلِّقْها قبل أن تُطلّقك، فإنّها غدّارة غرّارة تَغُرّ وتَضُرّ وتمرّ، فأنت في طلبها بين أمرين: إمّا أن تدركها، أو لا تدركها، فإن أدركتَها، لم تزدك إلّا كدّاً أو مشقّة في إصلاح ما لا يُصلَح وحفظ ما لا يُتَحَفّظ. فافعل بها ما فعل رجلٌ من الرّجال وبطلٌ من الأبطال على ما روى ضِرار بن عبد الله في حديث طويل، قال: دخلت على معاوية بعد قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال لي: ما فعل عليّ بن أبي طالب؟ قلتُ: كان عبداً لله سبحانه مُطيعاً، دعاه الله

(١) خاص الخاص٣٣. مجمع الأمثال ١: ٤٥٨. أي: اترك الأمور ودعْ ما يشغُل بالَك، تفرحْ نفسُك وتسترِحْ.

(٢) قال الإمام الصادق ـ لمّا سُئل عن طريق الرّاحة ـ: «في خِلاف الهوى». قيل: فمتى يجد عبدٌ الرّاحةَ؟ فقالَ : «عند أول يوم يصير في الجنّة» تحف العقول٣٧٠. وأُنظر: الخصال٦٤، ح ٩٥، عن الإمام زين العابدين .

فأجابه. قال لي: صِف لي بعض أخلاقه؟ قلت: لو أعفيتني عن ذلك، قال: لابدّ. فأخذتُ في الحديث وقلت بعض ما فيه، وكان ممّا قلت: فأَشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيلُ سُدولَه قابضاً على لحيته يتململ تململَ السّليم، ويبكي بكاء الواله الحزين، يخاطب نفسه ويُناجي ربَّه، ويقول: «**يا دنيا، يا دنيا، ألي تعرّضتِ أم بي تشوّقتِ؟ هيهات! هيهات! لا حان حينُكِ، أُغرُبي عنّي، فقد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي فيكِ إليكِ، فعمركِ قصير، وعيشكِ حقير، وخطرك يسير**»[١].

وقيل: مَثل الدّنيا مَثل ظلّ الرّجل، إذا أراد أن يدركه بالسّعي، لم يدركْه، وإن تولّى عنه تبعه[٢].

وقال أبو العتاهيَة:

طلبتكِ يا دنيا فأعذرتُ في الطّلبْ	فما نِلتُ إلّا الهمَّ والغمَّ والنَّصَبْ
فلمّا بدا لي أنّني لستُ واصلاً	إلى لذّةٍ إلّا بأضعافها تعَبْ
وأسرعتُ في ديني ولم أقضِ حسرتي	هربت بديني منكِ إنْ نَفَع الهربْ
تسربلتُ أخلاقي قنوعاً وعِفّةً	فعندي بأخلاقي كنوزٌ من الذّهبْ[٣]

(١) خصائص الأئمّة٧١. الأمالي للصدوق٧٢٤، المجلس الحادي و التسعون، ح٩٩٠. نهج البلاغة / الحكمة ٧٧.

(٢) حاتمٍ الأصمّ: مَثل الدنيا كمَثل ظلّك: إن طلبتَه تُباعدْ و إن تركتَه تُتابعْ، حلية الأولياء١٠: ٤٩ / الرقم٤٧٠.

(٣) التبصرة لابن الجوزي ٢: ٢٩٢، مع اختلاف.

٢٠٤. البِطَالَةُ تُقْسِي القَلْبَ[١].

البطالة مصدر قولهم: بَطَل الرجل يَبطُل فهو بطّال بيّن البطالة[٢] غيرُ مشتغِل بعمل، وتقول: بطل الشيءُ يَبطُل بُطلاً وبُطولاً وبُطلاناً، والبِطالة والبُطولة مصدر بَطُل الرّجل يَبطُل، بمعنى شَجُع، فهو بَطَل، وفي العرف تحقّقت البطالة بتتبّع الباطل واعتياده، والمراد في الحديث هذا المعنى[٣].

والشجاع أيضاً لا يخلو من هذه الآفة في أغلب الأحوال، لذلك قال ﷺ: «**آفة الشجاعة البغْي**»[٤]. والقَسوة: شدّة القلب وغِلَظه[٥]؛ وذلك لأنّ من اعتاد ألّا يشتغل بعملٍ من الأعمال ـ لا دينيّ ولا دنيويّ ـ قسا قلبُه، وقَساوة القلب من أعظم الآفات، ولذلك خاطبَ الله الكفّار وذمّهم بها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[٦].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٨٨، قطعة من ح٢٧٨، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) بالباء المثلثة.

(٣) أُنظر: المفردات١٢٩. تهذيب اللغة ١٣: ٢٣٩ (بطل).

(٤) المحاسن ١: ١٧/كتاب القرائن، باب١٠، وصايا النبيّ ﷺ، قطعة من ح٤٧، عن السرى بن خالد. الخصال: ٤١٦، قطعة من ح٧، عن مسعدة بن صدقة الربعي، عن الإمام الصادق ﷺ، عن آبائه . المعجم الكبير ٣: ٦٩، قطعة من ح٢٦٨٩، عن الحارث، عن الإمام عليّ ﷺ.

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة ٩: ١٨٠ (قسا).

(٦) سورة البقرة ٢: ٧٤.

٢٠٥. العَالِمُ وَالمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ[١].

لأنّ الخير كلّه في العلم وهو عند العالم، والمتعلّم مقتبسٌ منه آخِذ منه بنصيب، فهما إذاً شريكان في الخير، وما من خيرٍ إلّا وهو في العلم، وكيف لا يكون كذلك؟! وفيه شرف الدنيا ونَجاة الآخرة.

روى كميل بن زياد قال: أخذ أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بيدي، فأخرجَني من الكوفة، فلمّا أصحرْنا[٢]، تَنَفّس الصُّعَداءَ[٣]، **وقال لي: «يا كميلُ، إنّ هذه القلوبَ أوعيةٌ، فخيرها أوعاها[٤]، اِحفظْ عنّي ما أقول لك: النّاس ثلاثة: عالمٌ ربّانيّ، ومتَعلِّم على طريق نَجاة، وهَمَجٌ رَعاعٌ[٥] أتْباعُ كلّ ناعقٍ[٦]، يميلون مع كلّ ريحٍ، لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيق. يا كميل، العلمُ يَحرُسك وأنت تَحرُس المال، والمال يَنقُصه الإنفاقُ،**

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٨٨، قطعة من ح٢٧٩، عن أبي الدرداء. سنن ابن ماجة١: ٨٣، قطعة من ح٢٢٨. المعجم الكبير٨: ٢٢٠. أخلاق العلماء للآجري٤١، عن أبي أمامة وفيها (الأجر) بدل (الخير).

(٢) أصحر الرجلُ: أي خرج إلى الصحراء. الصحاح ٢: ٧٠٨ (صحر).

(٣) أي: تَنَفَّس تنفُّساً ممدوداً طويلاً. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٣٤٩.

(٤) وعاه، أي: حفظه. الصحاح ٦: ٢٥٢٥ (وعي)، وأوعاها؛ أي: أحفظها للعلم وأجمعها. بحار الأنوار ١: ١٩٠.

(٥) الهَمَج جمع هَمَجَة ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحَمير وأعيُنِهما. الصحاح ١: ٣٥١ (همج). رَعاع: سَفِلة الناس، معجم مقاييس اللغة٢: ٣٧٥ (رع).

(٦) النعيق صوت الراعي بغنمه، وحكى ابن كيسان: نعِق الغراب أيضاً. الصحاح ٤: ١٥٥٩ (نعق).

والعلم يزكو على الإنفاق، والعلم حاكم، والمال محكومٌ عليه، مَحبّة العالم دِين يُدان به[(١)]**، وبه تكملة الطاعةِ في حياته وجميل الأُحدوثة**[(٢)] **بعد موته. يا كميل، مات خُزّان الأموال، والعلماء باقون ما بقي الدّهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة**[(٣)]**، ها! ها! إنّ هيهنا لَعِلماً جَمّاً ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أَصبتُ**[(٤)] **له حَمَلَةً! بلىٰ، أصبتُ لَقِناً**[(٥)] **غيرَ مأمون يَستعمل آلة الدِّين في الدّنيا**[(٦)]**، ويستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده**[(٧)]**»**[(٨)]، في كلامٍ طويل.

وروى ابن عبّاس عن **النبيّ** صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**نِعْمَت العطيّةُ أو نِعمَت الهَديّةُ**

---

(١) أي: طاعة يُطاع الله بها. وقال ابن أبي الحديد في شرحه ما نصُّه: فإن قلت: ما معنى قوله : معرفة العلم دين يدان به، وهل هذا إلا بمنزلة قولك: معرفة المعرفة أو علم العلم، وهذا كلام مضطرب؟! قلت: تقديره: معرفة فضل العلم أو شرف العلم أو وجوب العلم دين يدان به؛ أي المعرفة بذلك من أمر الدين؛ أي: ركن من أركان الدين واجب مفروض. شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٤٩.

(٢) الأحدوثة: ما يُتحدَّث به. الصحاح ١: ٢٧٩ (حدث).

(٣) أي: أشباحهم وصورهم متَمثِّلة في قلوب المحبين لهم. بحار الأنوار ١: ١٩٢.

(٤) أصابه، أي: وجده، الصحاح ١: ١٦٥ (صوب).

(٥) غلام لَقِن: سريع الفهم. والاسم أي: المصدر: اللِقانة. الصحاح ٦: ٢١٩٦ (لقن).

(٦) أي: يجعل العلم الذي هو آلة ووصلة إلى الفوز بالسعادة الأبدية آلة ووسيلة إلى تحصيل الحظوظ الفانية الدنيويّة. بحار الأنوار ١: ١٩٢.

(٧) أي: يستعين بهؤلاء ويأخذ منهم العلومَ ليُظهِر هذا العلمَ للناس. بحار الأنوار ١: ١٩٢.

(٨) نهج البلاغة / الكتاب ١٤٧. الخصال ١٨٦، ح ٢٥٧. الدعوات ٢٧٦، ح ٧٩٣.

كلمةُ حكمةٍ تسمعها، فتنطوي عليها، ثمّ تحملها إلى أخٍ لك مسلمٍ تُعلِّمها إيّاه، تَعدِل عبادةَ سنة»[1].

وعن كعب الأحبار، قال: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: «**تعلَّمِ الخيرَ وعلِّمْه النّاسَ؛ فإنّي منوِّرٌ لمعلّمي الخير ومتعلّميهم قبورَهم حتّى لا يَستوحِشوا بمكانهم»**[2].

وعن الأوزاعيّ قال: بَلَغَني[3] أنّه ذُكر عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رجلان من بني إسرائيل أحدهما يُصلّي المكتوبةَ، ثمّ يجلس ويعلّم الخيرَ، وكان الآخر يقوم اللّيلَ ويصوم النّهارَ، **فقال** صلى الله عليه وآله وسلم: «**فضلُ هذا الذي لا يزيد على المكتوبة ثمّ يُعلِّم النّاسَ الخيرَ على الذي يصوم النّهار ويقوم اللّيل كفضلي على أدناكم»**[4].

وعن أنس قال: قال **رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا أُخبركم عن أجود الأجواد**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الله أجود الأجواد، وأنا أجود وُلدِ آدمَ، وأجودهم من بعدي رجلٌ عَلِمَ علماً فنشره، يُبعَث يوم القيامة أمّةً واحدةً، ورجلٌ جادَ بنفسه في سبيل الله حتّى قُتِل»**[5].

وعن مُعاذ بن جبل **عنه** صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**من علّم علماً، فله أجر ذلك**

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١: ٢٢. المعجم الكبير ١٢: ٣٤، مع اختلاف.

(٢) حلية الأولياء ٦: ٥، الرقم٣٣٣. جامع بيان العلم وفضله ١: ٦١. الدعوات٢٧٦، ح٧٩٤.

(٣) سنن الدارمي ١: ٩٧. سنن الترمذي ٤: ١٥٤/ باب في فضل الفقه على العبادة، ح٢٨٢٦. الفوائد لتمام الرازي ٢: ٩٨، ح١٢٤٣، عن أبي أمامة الباهلي.

(٤) رواه عن الحسن في: سنن الدارمي.

(٥) مسند أبي يعلى ٥: ١٧٦، ح٢٧٩٠. مفيد العلوم ومبيد الهموم٣٣٤. جامع بيان العلم وفضله ١: ١٢٣.

ما عمِلَ به عامل، لا يُنقَص من أجر العامل شيء»[١].

وقال ﷺ لعليّ: **«لَأَن يَهديَ الله على يديك رجلاً خيرٌلك ممّا طلعتْ عليه الشّمس»**[٢].

وقال **عيسى بن مريمَ** عليهما السلام: **«من علم وعمل وعلّم، كان في ملكوت السماوات عظيماً»**[٣].

وعن حمّادٍ عن إبراهيمَ، قال: تُوضَعُ الموازينُ القسطُ يومَ القيامة، فيُؤتىٰ بعمل الرّجل، فيوضَع في ميزانه، ثمّ يُؤتىٰ بشيءٍ مثلِ الغَمام أو مثلِ السّحاب، فيُقال له: أتدري ما هذا؟ فيقول: لا، فيُقال: هذا العلم الذي علّمتَه النّاسَ، فعملوا به بعدك[٤].

٢٠٦. عَلَى اليَدِ مَا أَخَذَتْ حَتّى تُؤَدِّيهِ[٥].

على متعلّق بمحذوفٍ وهو الوجوب؛ أي يجب على اليد ما أخذتْ؛

(١) سنن ابن ماجة ١: ٨٨، ح٢٤٠. المعجم الكبير ٢٠: ١٩٨.

(٢) الكافي ٥: ٢٨/ كتاب الجهاد، باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السّرايا، ح٤. المستدرك على الصحيحين٣: ٥٩٨، عن أبي رافع.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢: ٥. تاريخ بغداد ٢: ٢٢٧. الكافي ١: ٣٥/ كتاب العقل والجهل، باب ثواب العالم والمتعلم، ح٣، عن حفص بن غياث، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١: ٤٦. تاريخ بغداد ٢: ٢٢٧، باختلاف يسير.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٨٩، ح٢٨٠ وح٢٨١. سنن أبي داود٢: ١٥٥/ باب في تضمين العارية، ح٣٥٦١. سنن الترمذي٢: ٣٦٨/ باب ما جاء في أن العارية مؤداة، ح١٢٨٤. الخلاف للطوسي٣: ٤٠٨، عن سمرة بن جندب.

أي: ردُّ ما أخذت[١]، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامه، حتّى تؤدّيَه؛ لأنّ الأخذ ليس بواجب، فإذا أخذ، وجِب الرّدُّ.

ومعناه: الحَثّ على ردّ الأمانة والوديعة وقضاء الدَّين. وأراد باليد: صاحبَ **اليد**، وكنّى عنه باليد[٢]؛ لأنّها آلة الأخذ.

٢٠٧. الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلعَاهِرِ الحَجَرُ[٣].

أي: لصاحب الفِراش، على حذف المضاف. و**العاهر**: الزاني[٤]، يُقال: عَهَر فلانٌ بفلانةَ، وأصله المشي بسرعة على خِفيَة، يُقال: عهَر فلانٌ إلى فلانةَ يَعهَر عُهراً وعُهوراً وعَهْراناً، إذا أتاها ليلاً للفجور بها، والتركيب على ما يُستعمل من تصرّفه يدلّ على الإسراع في نَزَق. ويُقال للفاجرة التي لا تستقرّ نزَقاً في مكان: عَيهَرة وهَيعَرَة وهَيرَع، وقد تَعَيهَرَت وتَهَيعَرَت. والإهراع: الإسراع، قال الله تعالى: ﴿فَهُمْ

(١) أي: يجب ردُّ ما أخذتْ.

(٢) في نسخة (د): (باليد يأخذها).

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٩٠، ح٢٨٢ وح٢٨٣. صحيح مسلم٤: ١٧١، عن أبي هريرة. الكافي٥: ٤٩١ / كتاب النكاح، الرجل يكون لها الجارية يطؤها فيبيعها ... ، قطعة من ح٣ الخصال٢١٣، قطعة من ح٣٥، عن ابن عبّاس.

(٤) تهذيب اللغة ١: ١٠٠ (عهر).

عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعونَ﴾[١]. ورجلٌ هَرِعٌ: سريع المشي[٢].

والمعنى: أنّ الرّجل إذا كان تحته امرأةٌ أو جاريةٌ، فاتّهمها، فجاءت بولدٍ، فالولد لا يُنسَب إلى الزاني، إنّما يُنسَب إلى صاحب الفِراش، بشرط أن يكون الفِراش مستعمَلاً، فأمّا إذا كان مسافراً أو محبوساً أو مفرَّقاً بينه وبين زوجته مدّةَ الحمل أو أكثرَ بحيث لا يبقى شكٌّ في أنّ الولد ليس لصاحب الفراش، فلا يُلحَق الولد به عندنا.

واختلف الفقهاء[٣] في إمكان الوطئ والتمكين، فعندنا يُعتبر في لحوق الولد إمكانُ الوطئ، ولا يكفي التمكين فقط، وبه قال الشافعيّ.

وقال أبو حنيفةَ: المعتبر في ذلك قدرته وتمكينه من الوطئ دون إمكان الوطئ، وعلى هذا حكى الشافعيُّ عنه ثلاثَ مسائلَ في القديم[٤]:

أحدها: إذا نكح رجلٌ امرأةً بحضرة القاضي وطلّقها في الحال ثلاثاً، ثمّ

(١) سورة الصّافّات ٣٧: ٧٠.

(٢) الفائق في غريب الحديث ٢: ٤١٣ (عهر).

(٣) أُنظر: الخلاف ٥: ٤٩.

(٤) إن الشافعي عندما كان في العراق، يفتي بفتاوى، ولما ذهب إلى مصر، أصبح يفتي بخلاف ذلك؛ ولهذا يقال إن للشافعي مذهبين: مذهب في العراق وهو المذهب القديم، ثمّ إنّه عندما انتقل إلى مصر، تراجع عن كثير مما كان عليه بالعراق، وهو ما أصبح يُعرف بالمذهب الجديد. وكلمة (القديم) هنا إشارة إلى هذا الموضوع، وهو صفة لموصوف محذوف يمكن أن يكون في الأصل: المذهب القديم أو القول القديم.

أتتْ بولدٍ من حين العقد لستّة أشهر، فإنّ الولد لاحِق به ولا يمكنه نفيه [إلا] باللِّعان.

والثانية: قال ولو تزوّج مشرقيٌّ بمغربيّة، ثمّ أتتْ بولد من حين العقد لستّة أشهر، فإنّه لاحقٌ به وإن كان العِلم حاصلاً أنّه لم يُمكنه وطْؤها بعد العقد بحال.

والثالثة: إذا تزوّج رجلٌ بامرأة، ثمّ غاب عنها وانقطع خبره، فقيل لامرأته: إنّه مات، فاعتدّت وانقضتْ عدّتها، فتزوّجت برجلٍ، فأولدها أولاداً، ثمّ عاد الزّوج الأوّل. قال: هؤلاء الأولاد كلّهم للأوّل ولا شيء للثاني(١).

وذكر عمرو بن شعيبٍ أنّ الخبر ورد على سببٍ، وذلك أنّ رجلاً قام، فقال: يا رسول الله، إنّ فلاناً ابني عاهَرَ بأَمَةِ فلانٍ في الجاهليّة. **فقال ﷺ: «لا دِعوةَ في الإسلام، ذهب أمر الجاهليّة(٢)، الولد للفراش وللعاهر الحجر»**(٣).

وقوله: «**وللعاهر الحجر**» له وجهان(٤):

---

(١) المغني لابن قدامة ٩: ٥٤. المبسوط ٥: ٢٣٢.

(٢) أي: أُلغي وأُبطل.

(٣) مسند ابن حنبل ٢: ٢٠٧. سنن أبي داود ١: ٥٠٧/ باب الولد للفراش، ح٢٢٧٤.

أو العِهْر: الفجور والزنا، والعاهر مشترك بين الذكر والأنثى ويميَّز بينهما بالهاء للأنثى وعدمها للرجل. حواشي الشرواني والعبادي على تحفة المنهاج ٨: ٢٠٤.

(٤) أُنظر: النهاية ١: ٢٤ (أثلب) و ١٨٤ (ترب) و٣٤٣ (حجر).

أحدهما: أنّه أراد به العاهرَ المُحصَنَ، وبالحجر أحجارَ الرَّجم، وأُطلق القول للتغليب والتغليظ.

والثاني: على وجه التهجين[١] له وإبعاده منه، كما يُقال: له التراب، وبيده الحجر، وعلى رأسه التراب، وما أشبه ذلك.

٢٠٨. الضِّيَافَةُ عَلى أَهْلِ الوَبَرِ، وَلَيْسَتْ عَلى أَهْلِ الْمَدَرِ[٢].

الضيافة: اسمٌ لإضافة الرّجل غيرَه إلى رَحلِه ومنزله للإطعام، يُقال: أضفتُ[٣] الرّجلَ أُضيفه إضافةً وضيافةً، إذا أنزلتَه بك، وضِفتُه إذا نزلتَ[٤] به، واسم النّازلِ الضّيفُ[٥]، ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث؛ لأنّه بلفظ المصدر وصورته.

ولو قيل: إنّه مصدرُ (ضافه)، إذا نزل به ضيفاً، فهو كـ (العدل) للعادل و(الزَّور) للزائر في تسمية الفاعل باسم الفعل للمبالغة[٦].

---

(١) أي: التقبيح.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٩٠، ح٢٨٤. الكامل لابن عدي١: ٢٧٣، عن ابن عمر.

(٣) في نسخة (د): (اضعفت).

(٤) في نسخة (د): (انزلت).

(٥) أُنظر: الصحاح ٤: ١٣٩٢. كتاب العين ٧: ٦٦(ضيف).

(٦) (الفعل) هنا بمعنى المصدر، والمقصود استعمال المصدر وإرادة معنى الفاعل منه.

وأخرجه على لفظ الفِعالة وصفاً لِمن يَكثُر ذلك منه حتّى صار كالحِرفة له، مثل: الصّياغة والحياكة.

والمراد بأهل الوَبَر أهل البادية[١]؛ لأنّهم أصحاب أخبية من الوبر[٢]؛ لأنّهم أصحاب إبلٍ ذاتِ وبر. والمراد بأصحاب المدر أهل الحضر[٣].

وقوله: (على)، يؤذن بالوجوب، والعرب يوجبون ذلك عليهم لِمَن ينزل بهم؛ وذلك أنّ الرّجل الغريب إذا نزل ببعض أحياء العرب ولا يكون هناك سوق يُباع فيه الطعام، فإن لم يضيّفوه بما عندهم هلكَ، وإلى هذا المعنى ذهب الشاعر في قوله:

اللّؤم داءٌ لِوَبْرٍ يُقتَلون به   لا يُقتلون بداءٍ غيرِه أبداً[٤]

قالوا: كيف يُقتل الرّجل باللّؤم؟ قلنا: للأمر الذي ذكرناه، وذلك أنّ الرّجل إذا نزل[٥] بهم [و] لم يُطعِموه، فارتحل عنهم جائعاً فمات في الطريق، فحيث وجدوا رجلاً منهم[٦]، قتلوه بقصاص الرّجل الهالك، مِن لُؤمهم.

---

(١) أُنظر: النهاية لابن الأثير ٥: ١٤٥ (وبر).

(٢) أي: خيام من الشَّعْر.

(٣) أُنظر: المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٣٢٩ (مدر).

(٤) الكامل في اللغة والأدب ٣: ٥٨. حلية المحاضرة ١: ٥٢. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي١٨٢. و(الوبْر) اسم قبيلة.

(٥) في نسخة (د): (انزل).

(٦) أي: من أفراد تلك القبيلة.

قيل: كان أبو العيناءِ[١] معروفاً بهذا المعنى، فاعترضه رجلٌ فقال له: السلام عليك، قال: كلمة مقولة[٢]، قال: أَنزِلُ؟ قال: وراءك أوسع، قال: هل عندك طعام؟ قال: نعم، قال: أطعِمْني منه، قال: عيالي أحقّ بذلك منك، قال: ما رأيتُ ألأَمَ منك! قال: نسيتَ نفسَك[٣]. وكان معروفاً بسرعة الجواب[٤].

٢٠٩. لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَإِنْ جَاءَ عَلى فَرَسٍ[٥].

يُحرّض الناس على إعطاء السّائل وإن كان فارساً، فإنّه ربّما احتاج إلى طعامٍ أو كُسوةٍ، وفرسهُ لا يُغني عنه في الحال، وهو كَلٌّ عليه أيضاً يحتاج إلى العَلَف، فإذا بَذَل وجهَه لك، وأراق ماءَ وجهِه لديك، وعرضَ حاجتَه عليك، فالواجب أن لا تَرُدّه لأجْل أنّه صاحب فرس!

وروي: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتاه ذاتَ يومٍ أعرابيٌّ، فأراد أن يسأله،

---

(١) هذا وفي المصادر: أبو الأسود، وروى هذا المعنى أبو العيناء عن أبي الأسود في (البخلاء).

(٢) ربّما يقصد أن هذا الكلام ليس بمعناه المتعارف، بل كناية عن شيء آخر وهو الضيافة.

(٣) البخلاء١٧٣، الرقم٢٣٨. الأغاني ١٢: ٤٨٥. الأمالي للمرتضى ١: ٢١٤.

(٤) نسخة (د) من دون (بسرعة الجواب).

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٩١، ح٢٨٥. سنن أبي داود١: ٣٧٥، باب حق السائل، ح١٦٦٥. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا١١٩، ح٣٩١. مسند ابن حنبل١: ٢٠١، عن فاطمة بنت حسين، عن أبيها.

فقال: «**يا أعرابيُّ، هل تُحسِن أن تكتب**»؟ فقال: نعم، فقال: «**اكتب حاجتك على الأرض؛ لئلّا أرى ذُلَّ السؤال في وجهك**». فكتبَ الأعرابيّ على الأرض:

فقيـرٌ ومسـكينٌ وطالـبُ حاجَـةٍ فما أنتَ فيها ـ يا فتى الجود ـ صانعُ؟!

فـإن تقضِـها يومـاً فإنّـك أهلُهـا وإلّا فــرزقُ الله للعبــد واســعُ

فقال **عليٌّ** عليه السلام لغلامه: «**أُكْسُه الحُلّةَ التي كسانيها رسول الله** ». فكساه الحلّة، فأنشأ الأعرابيّ يقول:

كسـوتَني حُلّـةً تَبلـىٰ محاسـنُها فسوف أكسوكَ مِن حُسن الثّنا حُلَلا

إن نِلتَ حُسنَ ثنائي نِلتَ مَكرُمةً ولسـتَ تبغـي بمـا قدّمتَـه بـدلا

إنّ الثّنـاء لَيُحيـي ذكـرَ صـاحبه كذلك الغيثُ يُحيي السّهلَ والجبَلا

فقال : «**يا قنبر، ما بقي من نفقتنا**»؟ قال: مائتا دينارٍ، قال: «**اِدفَعْها إلى الأعرابيّ**». فدفعها إليه، فلمّا أخذها، أنشأ يقول:

بـدأتَ بإحسـانٍ وثنَّيـتَ بالعَطـا وثلّثتَ بالحسنى وربّعتَ بالكرمْ

فمَن ذا له جودٌ كجودك في الورى ومن ذا له فضلٌ كفضلك في الأُممْ؟![1]

ولقد أحسن مَن قال:

مـا اعتـاض بـاذلُ وجهِـه بسـؤاله عِوَضـاً ولـو نـال الغِنـى بسـؤالِ

وإذا السـؤالَ مـع النّـوال وَزَنتَـه رَجَـح السـؤالُ وخـفّ كـلُّ نَـوالِ

(١) الأمالي للصدوق ٣٤٧/ المجلس السادس والأربعون، ح١٢، عن أحمد بن أبي المقدام العجلي. روضة الواعظين ٣٥٧. ديوان دعبل الخزاعي ١٦٧، مع اختلاف.

وإذا ابتُليتَ ببذلِ وجهِك سائلاً فابذُلْـه للمُتَكـرّم المِفضـالِ
إنّ الكـريم إذا حَبـاك بموعـدٍ أعطاكـه سَلِسـاً بغيـر مِطـالِ[1]

٢١٠. أيُّ دَاءٍ أَدْوى مِنَ البُخْلِ[2].

البخل: منع الواجب؛ لأنّه اسمُ ذمٍّ، ولا يُذمّ الرجل إلّا على ترك الواجب أو فعل القبيح، والعرب ترى القِرى واجباً[3] لِما ذكرناه.

وروي أنّ بني قيس وفدتْ على **النبيّ**ﷺ فقال: «**مَن سيّدكم يا بني قيسٍ؟**» قالوا: الجَدّ بن قيس، على أنّا نُبخّله، فقال: «**أيُّ داءٍ أدوىٰ من البخل؟، بل سيّدكم الجَعْد القَطَط**[4] **عمرو بن الجُموحِ**»[5]. فقام خطيبهم وأنشأ يقول:

وسُوِّدَ عمرو بنُ الجُموح لِجوده وحقٌّ لِعمروٍ ذي النَّدىٰ أن يُسوَّدا!

---

(١) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ ١٣٤. الموشّى٤٥. حلية الأولياء ٢: ٢١٠، وفيهما بعض الأبيات.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٩٢، ح٢٨٦ وح٢٨٧. صحيح البخاري٤: ٥٦ و٥: ١٢١، عن جابر. الكافي٤: ٤٤ / باب البخل والشح، قطعة من ح٣، عن إسحاق بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ٣٧٩، ح٥٧٩٩.

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ٩: ٣١٠. الرسائل للمرتضى ٢: ٢٦٥.

(٤) أي: شديدة الجعودة.

(٥) الأدب المفرد ٧١/ باب البخل، ح٢٩٩، عن جابر. المستدرك على الصحيحين ٣: ٢١٩. المعجم الأوسط ٤: ٧٥، عن أبي هريرة. روي ما بعده في الرقم التالي مع اختلاف.

إذا جاءه السَّائل أنهبَ مالَه وقال خذوه إنّه عائدٌ غدا
وليس بخاطٍ خُطوةً لِدنيّةٍ ولا باسطٍ يوماً إلى سَوءةٍ يدا
فلو كنتَ يا جدَّ بنَ قيس على الّتي على مثلها عمرٌو لَكُنتَ المُسوَّدا[١]

وقيل: دخل إسحاقُ بن إبراهيمَ المَوصليُّ يوماً على الرشيد وأنشده:

وآمرة بالبخل قلتُ لها اقصُدي فذلك شيءٌ ما إليه سبيلُ
وإنّي رأيت البخل يُزري بأهله فأكرمتُ نفسي أن يُقال بخيلُ
أرى الناس إخوانَ الجواد ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليلُ
عطائي عطاءُ المُكثِرين تكرُّماً ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخاف الفقر أو أُحرَمُ الغنى ورأي أمير المؤمنين جميلُ؟!

فالتفت هارونُ إلى جلسائه وقال: لله دَرُّ أبياتٍ أتى بها إسحاقُ بنُ إبراهيمَ! ما أتقن أُصولَها وأجْوَدَ فُصولَها وأبرق نُصولَها وأكثر محصولها! فقال إسحاق: إنّ نثرك أحسنُ من شِعري. وأمرَ له بعشْرة آلافِ درهم[٢].

٢١١. العَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ[٣].

أراد بالعائد المُستردِّ، لتعديته بـ«في»، يُقال: وهبَ لي فلانٌ كذا ثمّ عادَ

---

(١) الفائق في غريب الحديث ١: ٣٨٥. البخلاء ٥٨. المعجم الصغير ١: ١١٥.

(٢) الأمالي للقالي ١: ٣٢. تاريخ بغداد ١٤: ١١، الرقم ٧٣٤٧، باختلاف يسير.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ١٩٢، ح ٢٨٨. صحيح البخاري ٣: ١٤٢ و ١٤٣. صحيح مسلم ٥: ٦٣ و ٦٤، عن ابن عبّاس وفي الأخيرين، عن عمر بن الخطاب أيضا. سنن ابن ماجة ٢: ٧٩٧، ح ٢٣٨٤، عن أبي هريرة باختلاف يسير.

فيـه؛ أي اسـتردّه، وعـاد إليـه كـذا إذا رجـعَ إليـه عَـوداً، وعـادَ المـريضَ يعـود عِيـادةً[١]. والهِبَـة مصـدر وَهَـبَ، كالعِـدَة والزِنَـة فـي مصـدر وَعَـد ووَزِن. والهِبَـة: العطيّـة[٢]، ويتعـدّى إلـى المفعـول الأوّل بـاللّام، تقـول: وهب فلانٌ لي كذا، قال الله تعالى: ﴿فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً﴾[٣]، وهذا أبلغ في باب البخل.

والهبـة فـي الشـرع علـى ضـربين: ضـربٌ لِواهبهـا الرّجـوعُ فيهـا، وضربٌ لا يكون لـه الرّجوعُ فيهـا، فالضرب الأوّل: كلّ هِبة يَهَبها لأجنبيّ ولـم يُقبِضْـه إيّاهـا، ولـم يعـوّض منهـا عِوضـاً، فلـه أن يَرجـع فيهـا إن أراد. والـذي لا يكـون لـه الرّجـوع فيهـا كـلُّ هبـة وهبهـا لأحـد مـن ذوي أرحامه وأقبضه إيّاها وإن لم يأخذ منها عِوضاً، أو لأجنبيّ أقبضه إيّاها وأخذ منها عِوضاً[٤].

فشبّه الواهب المستردّ بالكلب إذا قذف القيءَ ثمّ أكلَه، وهذا تشبيهٌ بأشنع شيء وأبشعه.

---

(١) أُنظر: جمهرة اللغة ٢: ٦٦٦. النهاية ٣: ١١٧ (عود).

(٢) النهاية ٥: ٢٣١ (وهب).

(٣) سورة مريم ١٩: ٥.

(٤) أُنظر: المقنعة ٦٥٨.

٢١٢. النَّظَرُ فِي الخُضْرَةِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ، وَالنَّظَرُ فِي المَرْأَةِ الحَسْنَاءِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ[١].

النّظر في كلام العرب جاء على معانٍ مختلفة؛ يكون بمعنى تقليب الحدقة الصحيحة نحوَ المرئيّ طلباً لرؤيته، وبمعنى الفكر[٢] في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ﴾[٤]، ونظائره كثيرة في القرآن، وبمعنى الانتظار[٥] في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٦]، وفي قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾[٧]، ونظائره أيضاً كثيرة، وبمعنى المقابلة في قولهم: جبلان يتناظران؛ أي يتقابلان[٨].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٩٣، ح٢٨٩، عن جابر بن عبد الله. ذكر أخبار إصبهان٢: ٣٦٦، عن ابن عبّاس. المحاسن٢: ٦٢٢ / باب النزهة، ح٧. الخصال: ٩٢، ح٣٥، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن الإمام الكاظم عليه السلام وفي الثلاثة الأخيرة (ثلاث يجلين البصر النظر إلى الخضرة والنظر إلى الوجه الحسن والنظر إلى الماء الجاري) والأخيرين من دون إسناد إليه مع تقديم وتأخير بين الفقرات.

(٢) أُنظر: الفروق اللغوية٦٧. المفردات٨١٢ (نظر).

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٨٥.

(٤) سورة الروم ٣٠: ٥٠.

(٥) التبيان في تفسير القرآن ١٠: ١٩٧.

(٦) سورة النمل ٢٧: ٣٥.

(٧) سورة البقرة ٢: ٢١٠.

(٨) التبيان في تفسير القرآن ٤: ٣٦١.

فإذا كان بمعنى تقليب الحَدَقة، يُعدّىٰ بـ (إلى)، وإذا كان بمعنى الفكر، يعدّى بـ (في)، وإذا كان بمعنى الانتظار، يتعدّىٰ بنفسه، يُقال: نظرته إذا انتظرتَه، وأنظرتُه إذا أمهلتَه[١]، وهو من باب حفرتُ بئراً، وأحفرتُ زيداً بئراً؛ لأنّ الذي أَمهل، جُعِل ناظراً لانقضاء مدّة المَهْل.

والمناظَرة: المقابَلة[٢]، وهو في الحديثين بمعنى تقليب الحدقة.

ومعنى الخبرين أنّه لا يمتنع أنّ الله تعالى أجرى العادة بأن يزيد في الشّعاع عند النظر إلى الخُضرة وإلى المرأة الحسناء. والمراد بالبصر الشعاع، والعين تنفتح وتلتذّ بالنظر إليهما.

٢١٣. أُمَّتي الغُرُّ المُحَجَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ[٣].

الغُرّ جمع أغرّ؛ وهو الفرس الأبيض الجَبهة[٤]. و**المُحَجّل**: الذي يَبْيضّ قوائمُه تشبيهاً لبياضها بالحِجل[٥] وهو الخلخال؛ وذلك لأنّ الرّجل إذا كان مواظباً على غَسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرِّجلين للصلاة على ما بيّنه الله في محكم كتابه، يُحشَر يوم القيامة مُبْيَضَّ الوجه واليدين والرِّجلين

(١) أُنظر: كتاب العين ٨: ١٥٤. المفردات: ٨١٢. النهاية ٥: ٧٧ (نظر).

(٢) أُنظر: كتاب العين ٨: ١٥٦ (نظر).

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٩٤، ح٢٩٠. صحيح مسلم١: ١٤٩. مسند ابن حنبل٢: ٣٦٢. مسند أبي يعلى١١: ٢٩٤، ح٦٤١٠، عن أبي هريرة.

(٤) أُنظر: المحيط في اللغة ٤: ٥١٠ (غر). النهاية ٣: ٣٥٣. كتاب العين ٤: ٣٤٥ (غرر).

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة ٤: ٨٨. الصحاح ٤: ١٦٦٦ (حجل).

مُنَوَّرها، وذلك على التشبيه بالفرس الأغرّ المُحجّل؛ وذلك لأنّه مشتهرٌ بين الخيل، ميمونُ النقيبة يُتيمَّنُ بها ويُستحسَنُ.

فروى أبو هريرةَ أنّه قيل للنبيّ ﷺ: يا رسول الله، أتعرف أُمّتك يوم القيامة؟ قال: «**أرأيتَ لو كان لرجلٍ خيلٌ غُرٌّ محجّلةٌ في خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ لا يَعرف خيلَه؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنّهم يأتون يوم القيامة غُرّاً محجّلين من الوضوء**»[١].

والدُّهم جمع أدهم، وهو الأسود[٢]. والبُهم جمع بهيم؛ وهو الذي لا شِيَة عليه يُعرَف بها[٣]. ولقد أحسن ابنُ نُباتةَ في وصف فرسٍ أغرَّ مُحَجَّلٍ وهبه له ممدوحُه:

يا أيّها الملِكُ الذي أخلاقُه[٤] ... من خَلقه ورُواؤه من رائه[٥]

قد جاءني الطِّرْفُ الذي أهديتَه ... هاديه يَعقِد أرضَه بسمائه[٦]

متجلّلاً والحسن من اكفائه[٧] ... مُتَبرقعاً والبرق من أسمائه

فكأنّما لَطَم الصّباحُ جبينَه ... فاقتصّ منه فخاض في أحشائه

(١) الموطأ ١: ٢٩، ح٢٨. مسند ابن حنبل ٢: ٣٠٠. سنن ابن ماجة ٢: ١٤٣٩، ح٤٣٠٦.

(٢) أُنظر: كتاب العين ٤: ٣١ (دهم).

(٣) أُنظر: النهاية ١: ١٦٧ (بهم). الفايق في غريب الحديث١: ١٢٢.

(٤) في النسخة (أ) و نسخة (د): (عزماته).

(٥) أي: أخلاقه مخلوقة له، ورواؤه ومنظره من رأيه. وببيان آخر، هو في خَلقه وخُلقه كأنه كوّن نفسه وخلقها كما يرى ويحبّ من الكمال.

(٦) الطِّرْف: الكريم من الخيل ونحوه، والهادي: العنق، يغلو الشاعر في وصف الفرس بالطول.

(٧) في النسخ: (الدوائه)، ولم يتبين وجه ورود هذه الكلمة ومعناها؛ لأن (أدواء) جمع داء. والمصادر التي روت هذا الشعر، جاؤوا بـ(أكفائه) بدل (أدوائه).

وأدهــم يَســتمدّ الليــلُ منــه وتَطلَـع بـين جَبهتـه[١] الثّريّـا[٢]
سـرى نحـوَ الصّـباح يطيـر مشْـياً ويَطـوي نحـوَه الأفـلاكَ طَيّـا
فلمّـا خـاف وَشْـكَ البَـيْن منـه[٣] تَشـبَّث بـالقوائم والمُحيّـا[٤]

٢١٤. التَّصفيحُ لِلنِّسَاءِ، وَالتَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ[٥].

التصفيح: ضرب اليدين إحداهما على الأُخرى، وكذلك التصفيق، يُقال: صفقةٌ رابحة وصفقةٌ خاسرة[٦]. **والتسبيح**: قول الرّجل: سبحان الله؛ ومعناه تنزيه وتقديسه عمّا لا يَليق به من التشبيه والتجويز[٧].

ومعنى الحديث: أنّ المرأة إذا كانت في الصلاة وعرضَتْ لها حاجةٌ تخاف فَوتَها، فأرادت أن تُنبّه إنساناً، تضرِب بإحدى يديها على الأُخرى ليعلم ذلك

---

(١) في المصادر: (عينه).

(٢) هذا البيت وما يليه أيضاً لابن نُباتة.

(٣) في المصادر: (الفوت).

(٤) يتيمة الدّهر ٢: ٤٦٢. التحف والهدايا: ٤١، مع اختلاف.
(الثّريّا) إما إستعارة لغُرّته أو لما يكون فوقَ الرأس من الحِلية. (سرى) بمعنى مشى ليلاً. (يطوي) أي: يقطع. والضمير في (خاف) عائد إلى الصبح. (الوَشْك): السرعة والقرب. يعني أن الصباح تعلق بذلك الأدهم.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٩٤، ح٢٩١. مسند الحميدي ٤٤١. المعجم الكبير٦: ١٧٦. مسند ابن حنبل٥: ٣٣٠، عن سهل بن سعد. أُنظر: سنن أبي داود١: ٢١٣/ باب التصفيق في الصلاة.

(٦) أُنظر: تهذيب اللغة ٤: ١٥١. الصحاح ١: ٣٨٣ (صفح).

(٧) أُنظر: تهذيب اللغة ٤: ١٩٦. الصحاح ١: ٣٧٢ (سبح).

الشخصُ ويقوم بها، والرّجل يرفع صوتَه بالتسبيح لهذا الغرض.

وقيل: إنّ الرّجل إذا صلّى بقومٍ وسها في الصّلاة، فأراد المأموم تنبيهه على ذلك، سبّح إن كان رجلاً، وصفّق إن كان امرأة[1].

وعن الشافعي أنّه قال: إنّما أمر النساء بالتصفّيح دون التسبيح؛ لأنّ صوتهنّ يُفتِّن الرِّجال، فكَرِهَ أن يكون ذلك في الصلاة، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذي في قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾؟![2][3].

وروي: أنّ بعض النساء الصالحات كانت إذا احتاجت إلى مكالمة الرجال، جعلت يدها في فيها ليغلُظَ صوتُها ويتجهّم[4].

٢١٥. النَّظَرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ[5].

النظرة: الواحدةُ من النّظر، قيل: أراد به النّظر من عين السوء[6]،

---

(١) أُنظر: الخلاف ١: ٣٩٠. المجموع ٤: ٨٢ و ٨٨.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٢.

(٣) آداب الشافعي١٠٥. التمهيد ٢١: ١٠٨.

(٤) لم نعثر عليه في المصادر.

(٥) مسند الشِّهاب١: ١٩٦، ح٢٩٣، عن ابن عمر. المعجم الكبير١٠: ١٧٣، قطعة من ح١٠٣٦٢، عن عبد الله بن مسعود. الكافي ٥: ٥٥٩/ كتاب النكاح، باب نوادر، قطعة من ح١٢. كتاب من لا يحضره الفقيه٤: ١٨/ باب ما جا في النظر إلى النساء، قطعة من ح٤٩٦٩، عن عقبة، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٦) أُنظر: كتاب العين ٨: ١٥٤. الصحاح ٢: ٨٣٠. معجم مقاييس اللغة ٥: ٤٤٤ (نظر).

تقول العرب: رماه بنظْرته وسَفَعه بها، ورجلٌ منظور ومسفوع؛ أي مضروب بعين السوء، وبه نظْرة من الشيطان وسفْعة من الشيطان. وقيل: أراد النظر إلى ما لا يَحِلّ له من المُشتَهَيات وما يكون نظرُه إليه سببَ افتتانه به، وإنّما أضاف ذلك إلى الشيطان من حيث إنّها تكون بإغرائه وإغوائه.

وفي رواية أُخرى: «**مَن تركها خوفاً من الله، آتاه الله إيماناً يجدُ حلاوته في قلبه**»[1].

وقال عليه السلام: «**النظرة الأُولى لكم، والثانية عليكم**»[2]؛ لأنّ الأُولى تكون عن غفلةٍ، والثانية لا تكون إلّا عن عمد.

٢١٦. الشُّؤْمُ فِي المَرْأَةِ وَالْفَرَسِ وَالدَّارِ[3].

قيل: إنّ الراوي سمع نصف الحديث ولم يسمع أوّلَه، وكان يقول: زعمت اليهودُ أنّ الشؤم في هذه الأشياء الثلاثة. وقيل: أراد أنّ الشؤم في هذه الأشياء عند مَن تطيَّرَ بها وتَشأَّم واعتقد ذلك، وذلك أنّ هذه الأشياءَ ممّا يَتفأّل به النّاس ويتطيّر.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤: ٣١٤. مسند الشِّهاب ١: ١٩٥، ح٢٩٢، عن حذيفة. المعجم الكبير ١٠: ١٧٣، ح١٠٣٦٢، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه ٤: ١٩/ بابُ ما جاء في النظر إلى النساء، ح٤٩٧١، عن الأصبغ بن نباته. مسند ابن حنبل ١: ١٥٩. سنن الدارمي ٢: ٢٩٨، عن سلمة بن أبي الطفيل، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ١٩٦، ح٢٩٤. صحيح البخاري ٦: ١٢٤. صحيح مسلم ٧: ٣٣، عن عبد الله بن عمر. الأمالي للسيّد المرتضى ٤: ١١١.

ورُوي أنّه ذُكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطِّيَرَة[١] فقال: **«لا طِيَرةَ ولا عَدوىٰ ولا هامَةَ ولا صَفَرَ[٢]، وإنّ شيئاً لا يَشأَمُ شيئاً[٣]، فإن يكن الشُّؤْم في شيء، ففي الفرس والمرأة والدار، ومن شؤم الفرس حِرانُها[٤] وشِماسها[٥] على راكبها، ومن شؤم الدار غِلاء ثمنها وضيقُ مسكنها وخُبثُ جيرانها، وفي المرأة ثِقلُ مَهرها وسوء خُلقها وقلّة نسلها»**[٦].

٢١٧. نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ[٧].

النّعمة: المنفعة اللّطيفة، فِعلة بمعنى مَفعولة[٨]، مِن أنعَم الدّواءَ،

(١) وبسكون الياء أيضاً صحيح.

(٢) الهامة طائر يسمى البومة، وصفر فهو الشهر المعروف الذي كان بعض أهل الجاهلية يتشاءمون به.

(٣) أي: لا يسبّب شؤماً لشيء آخر.

(٤) فرسٌ حَرُونٌ: لا ينقاد، و إذا اشتدَّ به الجريُ وقف. الصحاح ٥: ٢٠٩٧ (حرن).

(٥) شَمَسَ الفرسُ شُموساً و شِماساً، أي: منع ظَهْرَه، فهو فرس شَموسٌ و به شِماسٌ، الصحاح ٣: ٩٤٠ (شمس).

(٦) أُنظر: مسند ابن حنبل ١: ١٨٠. صحيح مسلم ٧: ٣٤. المصنف لابن أبي شيبة ٦: ٢٢٤، ح٥ ـ ٦. تهذيب الأحكام ٧: ٣٩٩/ كتاب النكاح، باب اختيار الأزواج، ح١٥٩٣.

(٧) مسند الشّهاب ١: ١٩٦، ح٢٩٥. صحيح البخاري ٧: ١٦٩. سنن الترمذي ٣: ٣٧٧، أبواب الزهد، عن **رسول الله** . الأمالي للطوسي ٥٢٦، قطعة من ح١١٦٢، عن أبي ذرّ.

(٨) أُنظر: الرسائل للمرتضى ٢: ٢٨٨.

إذا دقّه دقّاً ناعماً، وتقول: أنعمت النظر إذا بالغتَ فيه. والغُبن: الخسران والنقصان[١]، يُقال: غُبِن الرّجلُ في بيعه يُغبَن[٢] غَبناً، وغَبِن رأيُه إذا فسد يَغبَن غَبناً[٣]، وأصلهما واحدٌ؛ وذلك لأنّ الصحّة والفراغ لا يَعرف قدْرَهما أكثرُ الناس، ولا يستعملُهما بما ينفعه في الدِّين والدّنيا، فإذا فاتا عنه، تَحسَّر عليهما وعلم أنّه خَسِر وغُبِن في تضييعهما، وفّقنا الله لحفظهما واستعمالهما فيما يُرضيه عنّا بمنّهِ وفضله!

٢١٨. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ[٤].

الويل: كلمةٌ تقولها العرب عند نَكبةٍ أو مصيبةٍ[٥] تُصيبُ الرّجلَ،

---

(١) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٤: ٤١١ (غبن).

(٢) في نسخة (د): (الغبن).

(٣) الاستعمال المجهول هو عندما قصدنا أن الرجل تضرر في بيعه، والمعلوم إذا أردنا أن نقول إن الرجل أضرّ بشخص آخر.

(٤) مسند الشِّهاب١: ١٩٧، ح٢٩٦، عن أبي هريرة. صحيح البخاري٤: ١٠٩. صحيح مسلم٨: ١٦٥، عن زينب ابنة جحش. الغيبة للنعماني٢٠٠، ح١، عن أبي بصير و٢١٢، ح٧، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن الإمام الصادق عليه السلام من دون إسناد إليه وفيهما (ويل لطغاة العرب من شرّ قد اقترب).

(٥) أُنظر: كتاب العين ٨: ٣٦٦. تهذيب اللغة ١٥: ٣٢٦ (ويل).

تقول: ويلٌ له! ووَيْحٌ وبِئْسَ بمعنىً[١]، وهذا إنذارٌ للعرب من بلاءٍ دنا وقرُب، قد أعلم ذلك بوحيٍ من الله.

روَت زينب بنتُ جَحْشٍ أنّ رسول الله ﷺ دخل ذاتَ يوم، فدعا وقال: **«لا إلـه إلّا الله، ويـلٌ للعرب مِن شرٍّ قـد اقتـرب! فُـتِح اليـومَ مِـن رَدْم يـأجوجَ ومأجوج[٢] مِثلُ هذه»**، وحنا[٣] بإصبعه الإبهام على التي تليها. قلتُ: يا رسول الله، أوَ تلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كَثُر الخُبْثُ**»[٤].

قال ابن الأعرابي: الخَبَث أصله المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشّتْم، وإن كان من المِلَل[٥] فهو الكفر، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشّراب فهو الضارّ، وهو مصدر خَبُث الشيءُ خُبْثاً

(١) قال العينيُّ: ويل كلمة تُقال لِمن وقع في هلْكة ولا يُتَرحَّم عليها، وويح كلمة تقال لمن وقع في هلكة يُتَرَحَّم عليه، عمدة القاري ١٦: ١٣٦. وقال أيضاً: لفظ ويل مثل ويح إلّا أن ويلاً يقال لِمن وقع في هلْكة يستحقّها، وويحاً يقال لِمن لا يستحقّها، عمدة القاري ٢٤: ١٨١.

(٢) (قوله: مِن رَدْم يأجوج ومأجوج، الردم السّدّ الذي بيننا وبينهم). عمدة القاري ٢٤: ١٨١.

(٣) في بعض المصادر: (حلق).

(٤) صحيح البخاري ٤: ١٧٦. صحيح مسلم ٨: ١٦٦. مسند ابن حنبل ٦: ٤٢٨، باختلاف يسير. وفي صحيح البخاري: (وحلّق بإصبعه الإبهامَ والّتي تليها) والمعنى: (يعني جعل الإصبعَ السّبابةَ في أصل الإبهام وضَمَّها حتى لم يبقَ بينهما إلا خللٌ يسيرٌ) عمدة القاري ١٥: ٢٣٧؛ (للعرب، يعني للمسلمين؛ لأن أكثر المسلمين العربُ ومواليهم) السابق١٦: ١٣٦.

(٥) أي: إن كان مصطلحاً عقائديّاً.

فهو خبيث، وأمّا الخَبَث فهو ما ينفيه النار من رديء الفضّة والحديد[١].

٢١٩. الجُبنُ وَالْجُرْأَةُ غَرَائِزُ يَضَعُهُمَا اللهُ حَيْثُ يَشَاءُ[٢].

الجبن: الخَوْر[٣] وضعف القلب. **والجرأة**: الشَّجاعة وقوّة القلب[٤]. والغريزة:السجيّة والطبيعة، وجمعها غرائز وسجايا وطبائع[٥].

ومعنى الحديث: أنّهما ليسا ممّا يتعلّق بكسب الإنسان؛ لأنّهما لا يجتمعان عند قصده ودواعيه، ولا ينتفيان عند كراهته وصوارفه، فعُلم بهذه

---

(١) إصلاح غلط المحدثين٢٩. غريب الحديث للخطابي ٣: ٢٢١.

ابن الأعرابي محمّد بن زياد، أبو عبد الله مولى بني هاشم، يعرف بابن الأعرابيّ صاحب اللغة. كان أحد العالمين بها، والمشار إليهم في معرفتها، كثير الحفظ لها، ويقال: لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه. وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يُحسِنان قليلاً ولا كثيراً. أُنظر: تاريخ بغداد ٢: ٣٥٤. وفيما يتعلق بضبط كلمة (الخبث) جاء في عمدة القاري: (الخبث بفتح الخاء والباء الموحَّدة، وفسّره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: المراد الزنا خاصّةً، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً، وأن الخبث إذا كثُر، فقد يحصل الهلاك العامُّ وإن كان هناك صالحون) ١٥: ٢٣٧.

(٢) مسند الشِّهاب١: ١٩٧، ح٢٩٧. مسند أبى يعلى١١: ٣٣٣، قطعة من ح٦٤٥١، عن أبي هريرة. الموطأ ٢: ٤٦٣، قطعة من ح٣٥. المصنف لابن أبي شيبة٤: ٥٩٤، قطعة من ح٢١٥، عمر بن الخطاب.

(٣) أُنظر: زهر الأكم فى الأمثال والحكم٢: ٣٧.

(٤) الصحاح ١: ٤٠ (جرأ). الفروق اللغوية١٠١.

(٥) أُنظر: الصحاح ٣: ١٢٥٢ (طبع) و ٦: ٢٣٧٢ (سجا).

القضيّة أنّهما ليسا من فعله، بل يعطيهما الله من يشاء بحسب المصلحة، وإنّما **قال**ﷺ: «**يضعها الله**»؛ لأنّ محلّهما القلبُ، فيضعهما الله في قلب من شاء من النّاس.

٢٢٠. مِنْ كَنزِ البِرِّ كِتْمَانُ المَصَائِبِ وَالأَمْرَاضِ وَالصَّدَقَةِ[١].

الكنز: ما يدفنه الرّجل في الأرض من المال ذخيرةً له[٢]. و**البِرّ**: اسمٌ لكلّ خيرٍ معروف. و**الكتمان** ضدّ الإظهار، وكذلك الإسرار[٣]. و**المصائب** جمع مصيبة؛ وهي اسمٌ لما يُصيب الرّجلَ، واختُصّ بالعرف بالمساءة دون المسرّة. و**الأمراض** جمع مرض. و**الصّدقة**: ما يُعطَى الفقيرَ على سبيل التطوّع، وقد يُستعمَل في الزكاة أيضاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّما الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والْمَساكِينِ﴾[٤].

وقيل: البرّ من أسماء الجنّة، قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّى تُنْفِقوا مِمّا تُحِبُّونَ﴾[٥]، كأنّه قال: من كنز الجنّة، ويُروى: «**من كنوز البرّ**»[٦]. وإنّما

---

(١) مسند الشِّهاب١: ١٩٨، ح٢٩٨. مسند الروياني٢: ٤٢٦، ح١٤٤٧، عن ابن عمر. الأمالي للمفيد٨، ح٤، عن عبد الله بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه. تحف العقول٢٩٥، عن الإمام الباقر عليه السلام، باختلاف يسير وزاد فيهما (كتمان الحاجة).

(٢) أُنظر: الصحاح ٣: ٨٩٣ (كنز).

(٣) أُنظر: كتاب العين ٥: ٢٤٣ (كتم).

(٤) سورة التوبة ٩: ٦٠.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٩٢.

(٦) الأمالي للمفيد٨، ح٤، عن عبد الله بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه،

أراد أنّ الرّجل إذا أُصيب بمصيبةٍ أو مرضٍ، فكتَمَ ذلك وأخفاه ولم يَشْكُه إلى أحدٍ، كان أعظمَ لأجره بصبره عليه وإخفاءه.

وروي أنّ يعقوب شكا إلى بعض الناس ما كان يَلقاهُ من الشدائد في أمر يوسفَ، فأوحى الله تعالى إليه: «**يا يعقوب، شكوتني إلى عبادي؟**» فقال: «**يا ربّ تُبتُ من ذلك**»، ثمّ قال بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[1][2].

وروي أنّ **فاطمة الزهراء** لمّا ضاق قلبها ممّا كانت تُقاسيه من مِحَن الأيّام ونَكَبات الزّمان، قيل لها: أما تشتكين إلى عمّك العبّاسِ؟ فرفعتْ رأسها إلى السماء وقالت: «**يا من لا يَخفىٰ عليه أنباء المتَظّلمين، ولا يحتاج في قصصهم إلى شهادات الشاهدين، أشكو إليك ما لا يخفىٰ عليك**»[3].

وقيل: كان لبعض العلماء تلميذٌ، فدخل عليه ذاتَ يومٍ معصوبَ الرأس برقعة حُمَّى أو صداع، فقال له: ما لكَ عصَبت رأسك؟ قال: حُمِمتُ

عن جده. مسند الروياني ٢: ٤٢٦، ح١٤٤٧. شعب الإيمان ٧: ٢١٤، ح١٠٠٤٨، عن ابن عمر.

(١) سورة يوسف ١٢: ٨٦.

(٢) التمحيص ٦٣، ح١٤٣، عن جابر، عن الإمام الباقر. تفسير العياشي ٢: ١٨٩، ح٦١، عن إسماعيل بن جابر، عن الإمام الصادق. تفسير ابن أبي حاتم ٧: ٢١٧٦، ح١١٨٨٣، عن نضر بن عربي.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر ولكن وجدناه مرويّاً بعضها عن الإمام زين العابدين في الصحيفة السجادية، قطعة من دعاء ١٤.

البارحةَ، فقال: يا سبحان الله! إنّك طولَ عمرك في نعمة الله وعافيته لم تَشُدَّ على رأسك كتابَ شكر، فبحمًّى واحدةٍ شددتَ على رأسك كتابَ شكاية؟![1].

فأمّا كتمان الصّدقة، فهو ما ذكرناه من الخبر في خلق الجبال، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمّا هِيَ و إِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوها الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ﴾[2]، ولا شكّ أنّه إذا أخفاها، كان أخلصَ لله وأبعدَ من الرِّياء، فذلك أكثرُ ثواباً، وأوقعُ موقع القبول.

٢٢١. مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُشْبِهَ أَبَاهُ[3].

وذلك أنّه إذا أشبه أباه، كان أبعدَ من التّهمة، فلا يتّهمه أحد ولا يظنّه لغير أبيه، وفي المَثَل: مَن أشبه أباه فما ظَلَمَ[4]؛ أي: ما وَضَع الشَّبَه في غير موضعه، على ما قالوا في الظلم إنّه وضْع الشيء في غير موضعه.

وذكر الواقديّ: أنّ رسول الله ﷺ لمّا رجع من غزوة تبوكَ، كان معه عُوَيمِرُ بن الحارث العَجْلانيُّ، فقدِمَ على امرأته وهي حاملٌ، فأنكر حملها،

(١) أُنظر: الفروع وتصحيح الفروع ٣: ٢٥٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٧١.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٩٨، ح٢٩٩، عن أنس بن مالك.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة ١: ٢٠٢. الصحاح ٥: ١٩٧٧ (ظلم). مجمع الأمثال ٢: ٢٥٦.

وقال: ما قَرُبتُها منذ كذا[١]، فرماها بشَريك بن السّمْحاء[٢]، فجاء إلى رسول الله وهو في وسط الناس وقال: يا رسول الله، إنّ امرأتي زَنَت بشريك بن السمحاء، فأعرضَ رسول الله عنه، ثمّ عاد فقال ثانيةً، فجاءه الوحي، وأخذه ما كان يأخذه عند الوحي، ثمّ سُرِّي عنه[٣] والعرق يُسكَب عن جبهته، وقال: «**قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآناً، ايتِ بها**». فخرج يعدو مستبشِراً[٤] حتّى جاء بني عمرو بن عوف، فقال: أجيبي رسولَ الله. فلبِستْ ثيابها وخرجت معه، وخرج معها جماعة من بني عمرو بن عوف، فانتهَوا إلى مسجد رسول الله عليه السلام وقد صلّى العصرَ بالناس وجلس في صحن المسجد، وأتى الرّجل بامرأته.

قال جابر بن عبدالله: فأدنَيا من المنبر قائمَين، وقال لهما **رسول الله**: «**اِلْتَعِنا**»، فشَهِد عُويمرٌ أربعَ شهادات بالله إنّه لَمِن الصادقين فيما رماها به، والخامسةُ أنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به[٥]، قال **رسول الله**: «**ويحكَ! إنّها موجبةٌ**»[٦]. ثمّ قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قومي**».

(١) في بعض المصادر (منذ عفرنا). والعفر: أن يسقى النخل بعد اذيترك من السقي بعد الآبار بشهرين.

(٢) أي: قذف امرأتَه بشريك بن السمحاء؛ وبعبارة أخرى، ادّعى أن امرأته زنى بها شريك بن السمحاء.

(٣) أي: كشف عنه بالتدريج.

(٤) أي: فرِحاً.

(٥) أي: الشهادة الخامسة مع زيادة جملة (إن لعنة الله ...).

(٦) أي: موجِبة ومسبِّبة للعذاب الأليم إن كانت كاذبة.

فقامت قائمةً وقالت: أشهد بالله إنّه لمن الكاذبين فيما رماني به ـ أربع مرّات ـ ثمّ قالت في الخامسة: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماها به. ثمّ قال رسول الله: «**ويحكِ إنّها موجبة**». فلمّا فرغ، قال: «**انطلِق، لا سبيل لك عليها وحسابُكما على الله، أحدكما كاذب**»[١]. قال الرجل: مالي؟ قال: «**مالُك إن كنت صادقاً، فهو لها بما استحللتَ من فرجها، وإن كنت كذبت، فهو أبعد لك منه**»[٢]. ثمّ قال رسول الله ﷺ: «**بَيِّنْ**»[٣]، وكان زوج المرأة عُويمِرُ بن الحارث أحمسَ[٤] السّاقين والذراعين أصهب الشَّعْر أمغر[٥] سَبِطاً[٦]، فقال رسول الله: «**انظروا، فإن جاءت بها أُهَيدِبَ الأشفار أُدَيعِجَ جَعْداً قَطَطاً عَبْلَ الذِّراعين خَدْلَ الساقين مُسْتِهاً**»[٧]،

---

(١) أي: مُحاسَبَتُكما وتحقيقُ أمرِكما ومجازاته (على الله. أحدكما كاذبٌ) أي: في نفس الأمر ونحن نحكم بحسب الظاهر، عون المعبود ٦: ٢٤٧.

(٢) لا سبيل لك؛ أي: لا تسليط، وأما قوله: (مالي)، فإنه فاعل لفعل محذوف، كأنه لمّا سمع (لا سبيل لك عليها)، قال: أيذهب مالي؟ والمراد به الصداق... فأُجيب بأنك استوفيتَه بدخولك عليها وتمكينِها لك من نفسها، فتح الباري ٩: ٤٠٢.

(٣) أي: اللهم بيِّنْ حقيقةَ الأمر.

(٤) أحمس: الصَّلْب.

(٥) في النسخة (أ) و نسخة (د): (أمقر)، وكذلك في الموضع الآتي. والأمغر: هو الذي في وجهه حمرة مع بياض صاف، غريب الحديث للحربي ٣: ١٠٦٤.

(٦) صفة للشَّعْر والشَّعر السَّبِط أو السَّبْط ضد الجَعْد؛ أي: المسترسَل.

(٧) الأُهَيدِب مصغر أهدَب؛ أي: طويل شعر الأجفان. النهاية لابن الأثير ٥: ٢٤٩ (هدب). وكذلك الأُدَيعِج تصغير أدعج، (الدَّعَج والدُّعْجَة: السواد في العين وغيرها)، النهاية ٢: ١١٨ (دعج). رجل عَبْل الذراعين؛ أي: ضخمهما، الصحاح ٥: ١٧٥٧ (عبل). امرأة خدلاء... وهي الممتلئة

فهو للّذي يُتّهم به، وإن جاءت به أحمسَ الذّراعين والساقين أصهبَ الشعر أمغر سَبِطاً، فهو لزوجها». فجاءت به على الأمر السيّئ، فألحق **رسول الله** الولد بالمرأة، ثمّ قال: «**لا يُدعى لأبٍ ولا يُدعى إلّا لأمّه، ولا تُرمى أُمُّه، ومن رماه أو رمى أُمَّه، فإنّه يُجلَد».** وقضى أنّه لا قُوتَ لها عليه ولا سُكنى ولا عِدّة، ولم يَجلِد رسول الله عويمراً في قذفه شريكَ بن السمحاء، وتلا على الناس القرآنَ الذي أنزله الله في ذلك: ﴿وَالّذينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يأتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فاجْلِدُوهُمْ ثَمانينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وأُولٰئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ إلَّا الَّذينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ واصْلَحُوا فانَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ والَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إلّا أَنفُسُهُمْ فَشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللّهِ ...﴾ الآيات، إلى قوله: ﴿و إنَّ اللّهَ تَوّابٌ حَكيمٌ﴾[1][2].

و إنّما جئتُ بهذا الحديث هاهنا لقوله : فإن جاءت به على صفةٍ كذا فهو للّذي يُتَّهم به، وإن جاءت به على خلافها، فهو لزوجها.

٢٢٢. مِنْ سَعادَةِ الْمَرْءِ حُسْنُ الخُلُقِ[3].

لأنّ الرجل إذا كان حَسنَ الخلق يوافق طبعُه طبعَ كلّ مَن يرافقه

الساقين والذّراعَين، الصحاح ٤: ١٩٨٣ (عبل). أراد بالمُستِه الضخمَ الأَليَتَين. يقال: أَستَهَ فهو مُستِهٌ، وهو مُفعِل من الاِست؛ النهاية ٢: ٣٤٢ (ستة).

(١) سورة النور : ٤ ـ ١٠.

(٢) أُنظر: تفسير السمرقندي ٢: ٤٩٨. أحكام القرآن للجصّاص٣: ٣٧٢. مسند ابن حنبل ١: ٣٣٦.

(٣) مسند الشّهاب ١: ١٩٩، ح٣٠٠. مكارم الأخلاق للخرائطي ١: ٣٦، ح٤٢، عن جابر بن عبد الله.

ويصاحبه ويتّفق معه ويساعده على خُلقه وإن كان على خلاف خُلقه ـ لسلامة طبعه ـ فإذا كان كذلك، كان محبوباً إلى كلّ أحد، مرزوقَ المَحبّة من قلوب الناس، كما كان رسول الله ﷺ من خلقه العظيم وسجيّته الكريمة، قال تعالى: ﴿وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقال: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِن اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

٢٢٣. أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ[3].

المراد بالأهل الصاحب؛ يعني أنّ صاحب المعروف وصانعَه ومن كان المعروفُ خُلقَه وعادته، و**المعروف**: كلّ فعلٍ حسن يُعرف في الشرع، والعُرف حسّنه ولا يُنكره، ويُستعمل في العطيّة.

ومعنى الخبر أنّ من كان من أهل الخير والصّلاح في الدّنيا بأن يفعل ذلك ويستعمله، كان أهلاً لأن يُفعل به في الآخرة مثل ما فَعل بالناس في الدّنيا. ومعنى الأهل الثاني، كون الرّجل جديراً حقيقاً بذلك، يُقال: فلانٌ

(١) سورة القلم ٦٨: ٤.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

(٣) مسند الشِّهاب١: ١٩٩، ح٣٠١، عن أبي هريرة. الأدب المفرد٥٦، ح٢١١، عن قبيصة بن برمة الأسدي. الكافي٤: ٢٩ / باب أنّ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، قطعة من ح٣. الأمالي للصدوق٣٢٦، قطعة من ح٣٨٣، عن عبد الله بن الوليد الوصافي، عن الإمام الباقر عليه السلام.

أهلٌ لكذا؛ أي: حقيقٌ أن يُفعَل به ذلك من الخير أو الشّرّ، وأهّلته لكذا إذا جعلته أهلاً لذلك[١].

ومورد الخبر في إضافة الأهل إلى المعروف في الدّنيا والآخرة، مورد قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[٢]؛ أي الله ـ جلّ جلاله ـ أهلُ وحقيقٌ لأن يُتّقىٰ، وحقيقٌ بأن يَغفر الذنوب[٣].

٢٢٤. الخَازِنُ الأَمِينُ الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ أَحَدُ المُتَصَدِّقِينَ[٤].

الخازن فاعل من خَزَن المالَ إذا جعله في الخِزانة، ويجوز أن يكون من باب لابنٍ وتامرٍ[٥]؛ أي ذو خِزانة؛ لأنّ جاعل المال في الخِزانة صاحبُه.

ثمّ قيّده بالأمانة وخصّصه بها، فقال: الذي إذا أُمر بإعطاء شيء، أعطاه بطِيبة نفسٍ منه، ولا يَشُقُّ عليه ولا يخون فيه ـ كمَن كان بخيلاً بمال غيره لِخُبث طبعه ـ كان كَمَن تَصَدّق بمثله، وله ثواب المُتَصدِّقين.

وروي أنّ أعرابيّاً سأل **أمير المؤمنين** شيئاً، فكتب إلى خازنه: «**أعطِ الأعرابيَّ أَلْفاً**»، ولم يُبيّنْ، فرجع الخازن إليه فقال: يا **أمير المؤمنين**، كتبت

---

(١) أُنظر: المفردات: ٩٧ (أهل).

(٢) سورة المدّثّر ٧٤: ٥٦.

(٣) أُنظر: كتاب العين ٤: ٨٩ (أهل).

(٤) مسند الشِّهاب ١: ٢٠٠، ح٣٠٢ وح٣٠٣. صحيح البخاري ٣: ٤٧. صحيح مسلم ٣: ٩٠. سنن أبي داود ١: ٣٧٩/ باب أجر الخازن، ح١٦٨٤، عن أبي موسى باختلاف يسير.

(٥) أي ذو لبن وذو تمر.

للأعرابي بألْفٍ ولم تبيّن أمِنَ الدّراهم هو أم من الدّنانير؟ فقال: «**كلاهما عندي حَجران، فأعطِ الأعرابيَّ أنفعَهما له**»[١].

ويُحكىٰ أنّ سائلاً سأل سيف الدولة شيئاً، فكتب إلى الخازن: أعطِه مئة دينارٍ، فاستكثر الخازنُ وعلم أنّ ذلك سهوٌ جرىٰ به قلمه، فرجع إليه وقال: ما كتبتَ للسائل؟ قال: مئة درهم، فقال: في الخطّ مئة دينار! فقال: اِدفعه إليّ، فإذا فيه مئة دينارٍ، فقال: أعطِه ما في الخطّ. ثمّ قال: ما جاد به القلم القَصَبيُّ لا يَبخَلُ به الرّجل العربيُّ[٢].

٢٢٥. السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ[٣].

السلطان فُعلان من التّسلّط؛ لأنّه مُتَسلّط على رعيّته مُسَلّطٌ عليهم، وهو الحجّة أيضاً لهذا المعنى؛ لأنّها تتسلّط على الشّبهة، ويُقال للأئمّة الذين هم حجج الله على خلقه السلطانُ العادل، وإنّما قال: «**ظلّ الله**»؛ لأنّ بلاد العرب بلادٌ تغلب عليها الحرارةُ ويتأذّى بها أهلها من حَرّ الهواء وحرّ الشمس، فلا يَستروِحون إلّا إلى ظلٍّ[٤]. وفيه وجهٌ آخر، وهو أنّ الظّلّ كنايةٌ

(١) تفسير روض الجنان ١٩: ١٧. المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١١٨.

(٢) لم نعثر عليه. وفي نسخة (د): (الأعرابي).

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٠١، ح٣٠٤. مسند البزار١٢: ١٧، قطعة من ح٥٣٨٣. الفوائد لتمام الرازي١: ٢١٢، قطعة من ح٥٠٢، عن ابن عمر. الأمالي للطوسي٦٣٤، قطعة من ح١٣٠٧، عن حسين بن زيد، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) أُنظر: النهاية ٢: ٢٦٢ (رمح) و ٣: ١٦٠ (ظلل).

عن الحماية والمَنَعة، يقول الرّجل لغيره: أنا في ظلّك وذَراك وجِوارك، إذا كان في حمايته، وظلّك مبسوطٌ عليَّ بهذا المعنى، ويقوّي هذا الوجه قوله: «**يأوي إليه كلّ مظلومٍ**»؛ فإنّ المظلوم يلتجئ إلى كنَفِ مَن يحميه ويحفظه من ظلم الظَّلَمة، وهذا يدلّ على أنّ المراد بالسلطان السلطان العادل؛ لأنّ الظالم لا يُؤمَن جانبُه، فلا يُفزَع إليه، فإنّ مَن فزعَ من المظلومين إلى ظالمٍ، كان كمَن قال:

هربتُ من الأمطار كي لا تَبُلَّني ... فصِرتُ بحمدِ الله! تحت المتاعب![1]

وكما قال الآخر:

المستجير بعمروٍ عند كُربته ... كالمستجير من الرّمضاء بالنّار[2]

وكما قال الآخر:

فإنّي و إعدادي لدهري (محمّداً) ... كملتمسٍ إطفاءَ نار بنافخِ[3]

أراد محمّد بنَ عبد الملك الزّيّات

ومن الدليل على ذلك قوله: «**ظلّ الله**». أضاف الظلّ إلى الله، وذلك يدلّ على أنّه سلطانُ عدلٍ؛ لأنّ الله لا يُسلّط على عباده ظالماً، وهو لا يَظلِم فتيلاً ولا نقيراً ولا مثقالَ ذرّةٍ في قوله: ﴿لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ﴾[4]،

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.

(٢) الأغاني ٢٤: ٢٢٣. يتيمة الدهر ٣: ٦٢، والبيت لأبي نجدة.

(٣) الزهرة٢١٩. جَمهَرة الأمثال ٢: ١٦٠. ربيع الأبرار ٣: ٣٣٠، والبيت لإبراهيم بن العبّاس.

(٤) سورة النساء ٤: ٤٠.

ولا يريده في قوله: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾[١]، ولا يحبّه في قوله: ﴿واللهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾[٢]، ولا يرضاه في قوله: ﴿وَلا يَرْضىٰ لِعِبادِهِ الْكُفْرَ﴾[٣]، ولا يأمر به في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لا يأمُرُ بِالْفَحْشاءِ﴾[٤]، مع ما تقرّر في العقول من حسن العدل وقبح الظلم، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

٢٢٦. كَلامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أمْراً بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْياً عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرَ اللهِ تَعَالى[٥].

حقيقة **الكلام** عند المتكلّمين: ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة، إذا وقع ممّن يصحّ منه أو من قبيله للإفادة[٦]، وما سوى ذلك لا يُعقل ولا طريقَ إلى إثباته.

و**الأمر** هو قول القائل لِمن هو دونه: افعل، أو ما يجري مجراه إذا كان مُريداً لِما أمر به. و**النهي** بالعكس منه، وهو قول القائل لِمن هو دونه: لا تفعل، أو ما يجري مجراه إذا كان كارهاً لما نُهي عنه[٧].

---

(١) سورة غافر٤٠: ٣١.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٠٥.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ٧.

(٤) سورة الأعراف ٧: ٢٨.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٢٠٢، ح٣٠٥. المستدرك على الصحيحين٢: ٥١٢. المنتخب من مسند عبد بن حميد٤٤٨، ح١٥٥٤. مسند أبي يعلى١٣: ٥٦، ح٧١٣٢، عن أم حبيبة.

(٦) الرسالة العشر: ٧٢. التبيان في تفسير القرآن ١: ١٦٨.

(٧) الورقات: ١٣. عدة الأصول ١: ١٦٤. التبيان في تفسير القرآن ٢: ٧٢.

و**المعروف** ما عُرف في الشرع والعرف حَسَّنه، و**المُنكَر** بالعكس منه[١].

واعلم أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان من فرائض الإسلام، وهما من فرائض الأعيان عندنا[٢]. وقال قومٌ: هما من فروض الكفايات[٣].

والمعروف على ضربين: واجبٌ ومندوب؛ فالأمر بالواجب واجب، والأمر بالمندوب مندوب، والنّهي عن المنكر كلّه واجب؛ لأنّ المنكر كلّه قبيح، والنهي عن القبيح واجب.

ولهما ثلاث مراتب: باليد واللّسان والقلب، فمَن أمكنهُ بالجميع، وجبَ عليه أن يفعله بها، ومن لم يمكنه باليد، فَعَل باللّسان، فإن لم يمكنه، فبالقلب. ويجبان عند شروط:

أوّلها أن يَعرف المعروفَ معروفاً والمُنكَر منكراً.

[ثانيها:] وأن يجوّز تأثير إنكاره.

---

(١) أُنظر: النهاية ٣: ٢١٦ (عرف).

(٢) قال ابن إدريس: الأظهر بين أصحابنا أنّها من فروض الكفايات. وقوّاه العلّامة في القواعد والمنتهى، والمحقّق الكركي، وهو خيرة السيّد المرتضى والحلّي والشهيدين وغيرهم. وذهب بعضهم إلى أنّ وجوبهما على الأعيان، بل حكي عن الشيخ حكايته عن قومٍ من الأصحاب. وقال المحقّق في الشرايع: وقيل على الأعيان، وهو الأشبه. أُنظر: السرائر ٢: ٢٢. قواعد الأحكام ١: ٢٤. منتهى المطلب ٢: ٩٩٣. جامع المقاصد ٣: ٤٨٤. كفاية الأحكام٤٠٤. جواهر الكلام ٢١: ٣٥٩. شرايع الإسلام ١: ٢٥٨.

(٣) مصباح المتهجد٨٥٥. إحياء العلوم ١: ٧٢.

[ثالثها:] وأن لا يكون فيه مفسدة[١].

«وذكرَ الله تعالى» هو قِراءة القرآن والتسبيح والتهليل والاستغفار، وقوله: سبحان الله والحمدُ لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، فإنّها من الباقيات الصالحات على أحد القولين[٢].

ومعنى الحديث أنّ كلّ كلمةٍ يتكلّم بها الإنسان كانت وبالاً عليه، إلّا ما استثناه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذِكرِ الله.

وبيّنّا أنّ **«له»** نقيضُ **«عليه»**، فـ(له) للخير و(عليه) للشرّ، يقال: شهد له وعليه، ودعا له وعليه، وقال له وعليه، وهذا الأمر له أو عليه، وغير ذلك.

٢٢٧. التُّؤَدَةُ وَالإِقْتِصَادُ وَالصَّمْتُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ[٣].

التُّؤَدَة: السكون، وأصلها وُؤَدَة من الوَأْد؛ وهو دفن البنات أحياءً، كما كانت العرب تفعل في الجاهليّة[٤]؛ لأنّه إذا دفنها حيّةً، سكَنَت حرَكَتُها. ومثله تُخَمة وأصلها وُخَمة، من وَخُمَ الطعامُ إذا ثَقُل في المَعِدة، وطعامٌ وخيم؛ أي: ثقيل،

---

(١) مصباح المتهجد٨٥٥.

(٢) أُنظر: مسند ابن حنبل ٤: ٢٦٧. المعجم الكبير ٦: ٥١.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٠٢، ح٣٠٦. معجم ابن الأعرابي١: ٩١، ح١٣٦، عن ابن عبّاس. المنتخب من مسند عبد بن حميد١٨٣، ح٥١٢. المعجم الأوسط١: ٣٠٣، عن عبد الله بن سرجس المزني.

(٤) أُنظر: كتاب العين ٨: ٩٧ (وأد). الفروق اللغوية٧٥، الفرق بين الأناة والتؤدة.

ورجلٌ تُكَلة، وأصلها وُكَلَة، من وكلتُ الأمر إليه، والتاء للمبالغة. وتُراث أصله وُراث من الوراثة، وتِجاه وأصلها وِجاه من الوجه، فأُبدلت التاءُ من الواو. و**الاقتصاد** افتعال من القصد، وهو واسطة الأمور بين التقصير والإسراف. **والصَّمت:** السكوت؛ أراد أنّ النُّبوّة لو قُدِّرت أجزاؤها على هذا العدد الذي هو ستّةٌ وعشرون، لكانت هذه الخصالُ الثلاثة جزءاً منها.

ولأبي الحسن بن طلحةَ في هذا المعنى:

إن كنت ترغب في الخلاص من الأذى ... والكونِ في كَنَف السّلامة فارفُقِ

واطلبْ لنفسك منزلاً مُتوسّطاً ... بين الخَصاصة والغِنى واستوثِق

فالحُرّ لولا مالُه لم يُهتَضَمْ ... والنَّدُّ لولا ريحُه لم يُحرَقِ[1]

٢٢٨. الأَنْبِيَاءُ قَادَةٌ، وَالفُقَهَاءُ سَادَةٌ، وَمُجَالَسَتَهُمْ زِيَادَةٌ[2].

الأنبياء جمع نبيّ؛ وهو الرفيع، من النَّباوة وهي الرِّفعة[3]، ولهذا قال : **«لا تَنبِزوا باسمي»**؛ أي: لا تَهمِزوا[4]؛ لئلّا يكون من النبأ الذي هو الخبر، بل من الرِّفعة والعلوّ[5].

---

(١) دمية القصر ٢: ١١٦٣، وفيه (العود) بدل (النَّدّ)، وهما بمعنىً.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٠٣، ح٣٠٧. سنن الدارقطني٣: ٦٦، ح٣٠٦٧. الأمالي للطوسي٤٧٣، ح١٠٣٢، عن الحارث، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٣) المحيط في اللغة ٢: ٤٧٣. المفردات٧٩٠. النهاية ٦: ١١(نبو).

(٤) روض الجنان ٦: ١٢. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للطوسي ١: ٢٤٤.

(٥) وأيضاً ورد (لا تبروا باسمي) اي لا تَهمزوه. أساس البلاغة٦١٤ (نبر).

و**القادة** جمع قائد؛ وهو الذي يتقدّم الجيشَ ويقودهم. و**الفقهاء** جمعُ فقيهٍ؛ وهو العالم بأحكام الشرع. و**السادة** جمع سيّد، وأصله سَيوِد من ساد يسود، فقُلِبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء[1]؛ يعني أنّ كلّ نبيّ قائدُ أمّتِه ومُقدَّمُها، والفقهاء سادة قومهم لفضلهم عليهم في العلم والفتوى.

ومُجالَستهم، لو رددتَ الضمير إلى الفقهاء لِقُربه منها، كان وجهاً، ولو رددت إلى الأنبياء والفقهاء، كان أولى؛ لأنّه إذا كان مُجالَسة الفقهاء زيادةً في العلم والفوائد الدينيّة، فأنْ يكونَ مُجالَسةُ الأنبياء زيادةً، أولى وأحرى.

وقال شيخنا العلّامة أبو القاسم محمود بن عمرَ الزمخشريُّ:

وإنّي أرى مَثَل الفاضِلَيـ ـنِ إذا الْتَقَيا، الزَّنْدَ والزّندة

فهذا يُفيد بما عنده وذاكَ يُفيد بما عنده[2]

فهذا في المِثلَين، فما ظنّك بالعالم والمتعلّم والأنبياء وأُممهم؟!

---

(١) النهاية ٢: ٤١٨ (سود).

(٢) لم نعثر عليه فى ما لدينا من كتب الزمخشرى، نقله الشارح أيضا في: تفسير روض الجنان١٦: ١٧٠.

العرب تَقدح بِعودَين تَحكّ أحدَهما على الآخر، يُسمّون الأعلى الزّندَ والأسفل الزّندةَ، شبّهوهما بالفحل والطُّروقة، الكشّاف ٤: ٥٨.

٢٢٩. الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَم يعطَ، وَيُروى: بِمَا لَا يَمْلِكُ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ[١].

المتشبّع: المُتَصلّف الذي يرى من نفسه أنّه شبعانُ وليس به[٢]، وأبنية التفعّل أكثرها للتكلّف؛ كالتصنّع والتعسّف، وأراد **بثوبَي الزور**: الإزار والقميص، وقيل: أراد المُظاهَرة بين ثوبين أحدهما فوق الآخر[٣].

يعني أنّ الذي يتصلّف بما ليس عنده من المال والعلم وغير ذلك من خصال الخير ممّا يكون في الإنسان ولا يكون فيه، كان كمَن لبس ثوبَي كذبٍ وزور، كأنّه يشهد لنفسه بالزور، وشهادة الزور غير مقبولة.

ومعنى الحديث: التغليظ على من ادّعى ما ليس فيه، ونِسبته إلى الزور. وقيل: من ادّعى دعوًى بغير برهان، فضحتْه شواهد الامتحان[٤].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٠٤، ح٣٠٨ وح٣٠٩. صحيح البخاري٦: ١٥٦. صحيح مسلم٦: ١٦٩. سنن أبي داود٢: ٤٧٦ / باب في المتشبع بما لم يعط، ح٤٩٩٧، عن أسماء بنت أبي بكر.

(٢) النهاية ٣: ٤٤١ (شبع).

ربّما المقصود من (المظاهرة) هنا ما قال النووي في شرحه حيث يقول: وقيل من يلبس قميصاً واحداً، ويصل بكمَّيه كمَّين آخَرَين، فيظهر أن عليه قميصين، أُنظر: ١٤: ١١١/باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع ممّا لم يُعطَ.

(٣) أُنظر: الصحاح ٣: ١٢٣٥ (شبع).

(٤) وقد ذكر النووي في شرحه وجوهاً أخرى؛ منها: أنّ المراد الرجل الذي تُطلب منه شهادة زور [أي: كذب]، فيلبس ثوبيت يتجمّل بهما، فا تُردّ شهادتُه لحُسن هيئتة، أُنظر: ١٤: ١١١/ باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع ممّا لم يُعطَ.

وقال ابن حجر في إيضاح تثنية الثَّوب: وأما حكم التثنية في قوله: ثوبي زور، فللإشارة إلى أن كذب المتحلّي مثنًّى؛ لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ وعلى غيره بما لم يُعط؛ وكذلك

٢٣٠. الوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الفَقْرَ، وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ وَيُصِحُّ الْبَصَرَ[١].

الوُضوء بالضمّ اسم للتوضّؤ، وأصله: وَضُؤَ الرجلُ يَوضُؤُ وَضاءةً، وهو وضيء؛ أي حسن نظيف، كأنّ من غسل يديه ووجهه، وضّأ المغسولَ منه بالغَسل، وهو في الشرع عبارة عن غَسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرِّجلين للصلاة.

والوَضوء ـ بالفتح ـ الماء الذي يُتوضّأ به[٢]، ومثله الطُّهور والطَّهور والوُقود والوَقود في أنّ الضمّ للمصدر والفتحَ للاسم، قال الله تعالى: ﴿وأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهوراً﴾[٣]؛ أي طاهِراً مُطهِّراً[٤]؛ لأنّ فعولاً لمبالَغة الصفة، وقال: ﴿النّارِ ذاتِ الْوَقودِ﴾[٥]، وقال: ﴿وَقودُها النّاسُ والْحِجارَةُ﴾[٦].

وأراد بالوضوء في الخبر الوضوءَ اللّغويَّ دون الشرعيِّ، يعني غَسلَ اليدين قبل الاشتغال بالطّعام وبعد الفراغ منه؛ لأنّ الأمّة أجمعتْ على أنّ

شاهد الزور: يظلم نفسه ويظلم المشهودَ عليه. وقال الداودي: في التثنية إشارة إلى أنه كالذي قال الزور مرّتين، مبالغةً في التحذير من ذلك)، اُنظر: فتح الباري ٩: ٢٧٧/ باب التشبّع بما لم يَنَل وما يَنهى من افتخار الضَّرّة.

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٠٥، ح٣١٠، سهل بن إبراهيم المروزي، عن **الإمام الكاظم** ، عن آبائه . الكنى والأسماء لأبي بشر٣: ١٠٢٠، ح١٧٨٨، عن سلمان من دون إسناد إليه باختلاف يسير.

(٢) اُنظر: الصحاح ١: ٨١. النهاية ٦: ١٩٥ (وضأ).

(٣) سورة الفرقان ٢٥: ٤٨.

(٤) التبيان في تفسير القرآن ٧: ٤٩٦، سورة الفرقان. التمهيد ٢٤: ١٧.

(٥) سورة البروج ٨٥: ٥. فالوقود اسم لما تتّقد به النار وتشتعل.

(٦) سورة البقرة ٢: ٢٤.

الوضوء الشرعيّ كوضوء الصلاة لا يجب ولا يُستحبّ أيضاً عند الطعام وعند الفراغ منه، وعلى هذا قوله : «**تَوَضَّؤوا ممّا مسّته النار**»[١]؛ يعني: اغسلوا أيديَكم من الزُّهومات[٢].

واللَّمم: نوعٌ من الجنون، واللَّمم ما يُلِّم به الإنسان من الصغائر، واللّمّ: الجمع، يقال لَمّ شَعثَه يَلُمّه لَمّاً، وألَمَّ به إذا نزل به[٣].

ومعنى الحديث: الحَثّ على غَسل اليدين قبل الطعام وبعده، وما ذكره من نفي الفقر ونفي اللّمم، فإنّما عَلِم ذلك بوحي من الله جلّ جلاله.

٢٣١. القَاصُّ يَنْتَظِرُ المَقْتَ، وَالمُسْتَمِعُ إِلَيْهِ يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ[٤].

القاصّ: ذاكر القِصص، وأصله من قصّ أثَرَه إذا اتّبعه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾[٥]؛ أي: اتّبِعي أثَرَه[٦]؛

(١) المعجم الكبير ٢٣: ٢٣٧. سنن أبي داود ١: ٥٠، ح١٩٥، عن أم حبيبة. صحيح ابن حبّان ٣: ٤٢٦، عن أبي هريرة، باختلاف يسير.

(٢) جمع الزُّهومة والزُّهومة في اللحم: كراهية رائحته من غير تغيير ولا نتَن، لسان العرب ١٠: ١٤٨ (زهم). وفي نسخة (د): (الزهوة).

(٣) أُنظر: تهذيب اللغة ١٥: ٢٥٠ (لم). المفردات ٧٤٦ (لمم).

(٤) مسند الشِّهاب ١: ٢٠٥، ح٣١١. المعجم الكبير ١٢: ٣٢٦، عن العبادلة.

(٥) سورة القصص ٢٨: ١١. و(عن جنب) و(عن جنابة)؛ أي: عن بُعد. مجمع البيان ٧: ٤١٨.

(٦) معاني القرآن ٥: ١٦٢. تهذيب اللغة ٨: ٢١١. مجمع البيان ٧: ٤١٩.

والمَقْت: البُغض[١]؛ يعني بُغضَ[٢] الله؛ لأنّ القِصص أكثرها كذبٌ وتزيُّدٌ، فهو ينتظر مقْتَ الله إن كان يعلم أنّه كاذب بما يقصّه أو يظنّ.

والمستمع إليه ينتظر الرحمةَ من حيث إنّه يظنّ به خيراً، مع ما يلحق القاصَّ من التعب والمستمعَ إليه من الرّفاهية والراحة، كما قيل:

صِرتُ كأنّي ذُبالةٌ نُصِبت تُضيء للنّاس وهْيَ تحترق[٣]

وروي عن خَبّاب بن الأَرَتِّ وكان صحابيّاً، رأى ابنه ذات يومٍ في حلقة قاصٍّ، فضربه بالسّوط وقال: أمع العمالقة[٤]؟ هذا قَرنٌ قد طلع[٥].

وفي الحديث: **«لا يَقُصّ إلّا أميرٌ أو مأمورٌ أو مرائي يسأل الناس»**[٦].

---

(١) تهذيب اللغة ٩: ٧٠. المفردات٧٧٢. النهاية ٤: ٣٤٦ (مقت).

(٢) في النسخة: (الغضب) والظاهر من سهو النسّاخ.

(٣) الأغاني ٨: ٤٧٩. زهر الآداب وثمر الألباب٤: ١٠٩٢، والبيت لعبّاس بن الأحنف. والذّبالة: فَتيلة المصباح أو الشمعة.

(٤) العَمالقة: الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عادٍ، الواحد: عِمْليق وعِمْلاق. ويقال لِمن يخدَع الناس ويَخلُبهم: عملاق. والعَملَقة: التّعمُّق في الكلام، فشَبّه القُصّاصَ بهم، لما في بعضهم مِن الكبر والاستطالة على الناس، أو بالّذين يخدعونهم بكلامهم، وهو أشبَه، النهاية ٣: ٣٠١ (عملق).

(٥) المصنف لابن أبي شيبة ٦: ١٩٧، ح ٨. التمهيد ٤: ١٢.

وفيما يخص الجملة الأخيرة، فقد قال ابن الأثير: أراد قوماً أحداثاً نَبَغوا بعد أن لم يكونوا. يعني القُصّاصَ. وقيل: أراد بدعةً حدثتْ لم تكن في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، النهاية ٤: ٥٢ (قرن).

(٦) سنن ابن ماجة ٢: ١٢٣٥/ باب القصص، ح٣٧٥٣. مسند ابن حنبل ٢: ١٧٨. سنن الدارمي ٢: ٣١٩.

ورُوي أنّ ابن عمر دخل المسجد، ثمّ جلس، فرأى قاصّاً صَيّاحاً، فقال: اخفض من صوتك، إنّ الله يُبغض كلّ شَحّاج؛ أي: صيّاح، ثمّ جلس ناحيةً وخطّ خطّاً، فقيل له: ما هذا الخطّ؟ قال: لئلّا أكون في حلقة القاصّ[1].

وقيل في المثل: القاصّ لغيره مُشرِق ولنفسه مُحرِق.

وقال ﷺ: «من أفتى بغير علمٍ، لعنتْه ملائكة السماء والأرض»[2].

٢٣٢. التَّاجِرُ يَنْتَظِرُ الرِّزْقَ، وَالْمُحْتَكِرُ يَنْتَظِرُ اللَّعْنَةَ[3].

يعني: أنّ التاجر ينتظر بتجارته الرّزق ويرجوه ويطمع فيه؛ لأنّها حرفته ووجه مَكسَبه، والمحتكر عندنا من يحبس الطعام من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن في أيّام الجدْب من البيع، وحَدُّه في القحط

أي: لا ينبغي ذلك إلا لأميرٍ يعظ الناسَ ويُخبرهم بما مضى ليعتبروا به، وإما مأمورٌ به، فحُكمه حكم الأمير ولا يَقُصّ تكسُّبًا، أو يكون القاصُّ مختالًا يفعل ذلك تكبّراً على الناس، أو مُرائياً يُرائي الناسَ بقوله وعمله ولا يكون وعظه وكلامه حقيقةً، النهاية ٤: ٧١ (قصص).

(١) أُنظر: الفائق في غريب الحديث ٢: ١٨٥ (شحج). النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٤٨.

(٢) المحاسن١: ٢٠٥/ كتاب مصابيح الظلم، باب النهي عن القول و الفتيا بغير علم، ح٥٩، عن إسماعيل بن زياد، عن الإمام الصادق، عن أبيه عليهما السلام، وح٦٠. الكافي ١: ٤٢/ كتاب فضل العلم، باب النهي، عن القول بغير علم، ح٣، عن أبي عبيدة الحذاء، عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٠٥، ح٣١١. المعجم الكبير١٢: ٣٢٦، عن العبادلة.

والغلاء ثلاثة أيّام، وفي الرَّخْص والسِّعة أربعون يوماً، وعلى الإمام أن يُجبرهم على بيع هذه الأشياء عند احتياج الناس إليه، ولا يُجبرهم على سعرٍ بعينه، بل يبيعون بسعر الوقت[1].

وقال ﷺ: «من تمنّى الغلاء على أُمّتي ليلةً، أحبط الله عمله أربعين سنة»[2].

وقال ﷺ: «مُحتكِر الطعام يُحشر مع قَتَلَة الأنبياء»[3].

وقال ﷺ: «مَن تَربّص بطعامٍ أربعين يوماً يُريد به الغِلاء، ثمّ تصدّق به، لم يكن كفّارةً لِما فعل»[4].

و إنّما جعل ينتظر اللّعنة؛ لأنّه لا يخلو من تمنّي الغلاء، وينتظر أقصى الأحوال في علوّ الغلاء.

٢٣٣. السَّعَادَةُ كُلُّ السَّعَادَةِ طُولُ العُمُرِ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالى[5].

وذلك لأنّ العمر رأس مال المكلّف، به يتمكّن من تخليص نفسه، وبه يكتسب الطاعةَ التي هي سبب استحقاقه للثواب، فكلّما كان عمره أطولَ،

---

(١) أُنظر: النهاية في مجرد الفقه والفتاوى٣٧٤/ باب الاحتكار والتلقي.

(٢) تاريخ بغداد ٤: ٢٨٠، ح١٩٩٢، عن ابن عمر.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر الروائية ولكن جاء في ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاظرات واللغة لإبن الشيخ المالقي (المتوفى سنة ٦٠٤) في الجزء الأوّل: ٤٥٤.

(٤) الأمالي للطوسي٦٧٦، ح١٤٢٧، عن أبي مريم عن الإمام الباقر عليه السلام. المصنف لعبدالرزّاق ٨: ٢٠٤، ح١٤٨٩٦، عن كعب من دون إسناد إليه ، باختلاف يسير.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٢٠٦، ح٣١٢، عن ابن عمر. الجامع الصغير ١: ٣٠٧، ح ٢٠٠٨. تاريخ مدينة دمشق ٣٥: ٣٤٠.

كان أمكن من اكتساب ما يُنجيه من العقاب ويُوصِله إلى الثواب، ثمّ قيّده بقوله: «**في طاعة الله**»؛ لأنّ طول العمر في معصية الله هو الشَّقاوة البليغة، وطول العمر في غير طاعةٍ ولا معصيةٍ كقِصَره سَواء، إلّا أنّ الحجّة لله على المكلّف بطول العمر آكد وأبلغ، وعَمرَ الرّجل إذا طال عمره، وعُمِّر فهو مُعمَّرٌ إذا كان أبلغ من ذلك[1]، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[2]. قال لبيد:

وعُمِّرتُ حيناً بعد مجرى داحسٍ   لو كان للنفس اللّجوج خلودُ![3]

و**الطّاعة**: امتثال الأمر والإرادة.

٢٣٤. وَالشَّقِيُّ كُلُّ الشَّقِيِّ مَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّاعَةُ حَيّاً لَمْ يَمُتْ[4].

الشقيّ: ضدّ السعيد؛ ومعنى الشَّقاوة: التعب والمشقّة[5]، قال الله تعالى: ﴿طٰهٰ * ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ﴾[6]، و«**كلّ**» في مثل

(١) أُنظر: المفردات٥٨٦ (عمر).

(٢) سورة فاطر٣٥: ٣٧.

(٣) مجاز القرآن ١: ٢٨٩. الأغاني ١٨: ٣٥١. كمال الدين٥٦٥، باختلاف يسير.

داحس: اسم فرس كان أحد أسباب نشوب معركة داحس والغبراء، أُنظر: الصحاح ٣: ٩٢٧ (دحس).

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٠٧، ح٣١٣، عن عبد الله بن جراد. الجامع الصغير ٢: ٨٦، ح ٤٩٤٧.

(٥) أُنظر: المفردات٤٦٠ (شقا).

(٦) سورة طه ٢٠: ١ و٢.

هـذا الموضـع للتأكيـد، يُقـال: فـلانٌ أديـبٌ كـلُّ الأديـب، وعـينُ الأديـب وحقُّ الأديب.

يقول : الشَّقاوة البليغة أن يتّفق وجود الرجل في زمان تقوم فيه القيامة، وليس ذلك علّةً في شقاوته، بل علامةٌ؛ لأنّ ذلك ليس من فعله ولا باختياره، والمكلّف لا يَسعَد ولا يشقىٰ إلّا بما هو مِن فعله وكسبه باختياره وقصده ودواعيه، وذلك مثل ما روي أنّه ﷺ قال: «**يدخل من هذا الباب رجلٌ من أهل الجنّة أو أهل النّار**»[(١)]، فدخل في الحال رجلٌ[(٢)]، ليست العلّة في كونه من أهل الجنّة أو أهل النار دخولَه من الباب، بل هو علامة وإعلامٌ لأصحابه.

وإنّما حكم بشَقاوة من قامت به القيامة وهو حيٌّ بوحيٍ من الله تعالى.

٢٣٥. الوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لِمَنْ تَرَكَ عِيَالَهُ بِخَيْرٍ، وَقَدِمَ عَلى رَبِّهِ بِشَرٍّ[(٣)].

الويل: كلمةٌ يقولها المصاب المُتَفجِّع، ثمّ بالَغ في الويل باتّباع الـ«**كلّ**»

---

(١) مسند ابن حنبل ٢: ٢٢٢، عن عبد الله بن عمرو. الصمت وآداب اللسان٧٤، ح١١١، عن محمّد بن كعب. الغيبة للنعماني٤٩، ح٢، عن محمّد بن الحسين الأنصاري، عن أبيه، عن جده، عن الإمام السجاد عليه السلام.

(٢) اختلفت الروايات في الداخل، أُنظر المصادر و أيضاً: مسند الحميدي ٢: ٣٥٠. الشريعة للآجري ٥: ٢٤٤٣، ح١٩٢٤.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٠٧، ح٣١٤. الفردوس ٤: ٤٣٩، ح٧٢٧٥، عن ابن عمر. الجامع الصغير ٢: ٧٢٤، ح ٩٦٩٣.

كما ذكرنا؛ يعني أنّ الويل العظيم يَليق بمَن ترك عِياله بخير، أي بمالٍ.
والخير: المال وحُسن الحال في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾[١]؛ أي مالاً[٢]، والباء بمعنى مع؛ أي مع مال، اكتسب هذا الشقيُّ مالاً واحتقب وبالاً، فله وَبالان: المال والعيال، فالمال خيرٌ للعيال، وهو على المكتسب شرٌّ ووبالٍ.

وحكى الأصمعيّ عن الخليل أنّه قال: لم أرَ الرّجل يجمع المال إلّا لأحدِ ثلاثةٍ هُم أبغض الناس إليه: إمّا زوج امرأته، أو امرأة ابنه، أو زوج ابنته. قال: وكان يقال: إنّما مالُك لك، أو لجانحةٍ تَحدث فيه، أو للوارث، فلا تكُن أخسرَهم حظّاً![٣]

وقال **عليّ** : «**بشِّر مال البخيل بحادثٍ أو وارثٍ!**»[٤].

وأنشد العطويّ:

يا جامعاً مانعاً والدهر يَرمُقُه[٥] مفكِّراً أيَّ بابٍ منه يُغلقُه

جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له يا جامع المال أيّاماً تُفرّقه؟!

المال عندك مخزونٌ لوارثه ما المال مالك إلّا يومَ تُنفقه

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٨٠.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٢: ١٠٩، سورة البقرة. المصنف لعبد الرزاق ٩: ٦٣، ح١٦٣٥٢. سنن البيهقي ٦: ٢٩٠، عن عروة، عن الإمام عليّ عليه السلام.

(٣) الطيوريات ٣: ١٢٥٩. ارشاد القلوب ١: ٢٢.

(٤) نثر الدر ٣: ١٠٢. عيون الحكم والمواعظ ١٩٥. شرح نهج البلاغة ٢٠: ٨٠.

(٥) أي: ينظر إليه ويرقُبه.

إنّ القناعة مَن يَحلُل بساحتها لم يلقَ في ظلّها هَمّاً يؤرِّقهُ[١]

وفي الحديث: «**أشقى الأشقياء من رأى يوم القيامة مالَه في ميزان غيره**»[٢]؛ وذلك رجلٌ جمع مالاً من حِلّه وغيرِ حِلّه، ومنَعَه من حقوق الله ولا يتمتّع به، فإذا أتاه الموت، تَرك لوارثه، فأنفقه الوارث في طاعة الله، فيدخل به الجنّةَ، ويدخل الجامع له النّارَ، فذلك حسرةٌ لا توازيها حسرةٌ.

وقال : «**مَن في الدُّنيا ضيفٌ، وما في يديه عاريةٌ، فالضيف مرتحِلٌ والعارية مُؤدّاة**»[٣].

وقال بعضهم:

ويُحرز أموالاً رجالٌ أشِحّةٌ وتَشغَل عمّا خلفهنّ وتَذهلُ

لَعمرك! ما الدُّنيا بشيءٍ ولا المُنىٰ بشيء وما الإنسانُ إلّا معلَّل[٤]

وقال **عليّ**عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٥] قال: «**قُوتُكَ**

---

(١) القناعة والتعفف٦٢. البخلاء ٢٢١. إحياء العلوم ١٣: ٨١، مع اختلاف.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري٣٩، قطعة من ح١٦، عن الإمام عليّ عليه السلام. جامع بيان العلم وفضله ٢: ١١، عن الحسن.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٨: ١٦٤، ح ٤٢. الزهد لابن حنبل١٣٥، ح٩٠٦. المعجم الكبير ٩: ١٠١، عن ابن مسعود.

(٤) الوافي بالوفيات ٧: ٣٦، والبيت لابن مَندَوَيهِ الطبيب. المعلل: المشغول بالدنيا عما يجب أن يشغل به.

(٥) سورة القصص ٢٨: ٧٧.

وصحّتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب به الآخرة»[١].

٢٣٦. دعْوَةُ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإنْ كَانَ فَاجِراً فَفُجُورُهُ عَلى نَفْسِهِ[٢].

الدّعوة الواحدة من الدّعاء، وألفه منقلبة عن الواو بدلالة يدعو دعوةً.

و**المظلوم**: الذي أصابه الظلم.

ومعنى الحديث: التحذير من دعاء المظلوم وإن كان كافراً أو فاسقاً؛ فإنّ كفره وفسقه لَعلىٰ نفسِه يُعاقَب بهما إن لم يتُب.

وفي هذه المسألة خلاف بين المعتزلة والمرجئة، قالوا: لا يجوز إجابة دعاء الكافر والفاسق؛ لأنّ في ذلك تعظيماً لهما وهما يستحقّان الاستخفاف والإهانة[٣].

قلنا: لا يُمتَنع أن يعلم الله أنّ في إجابة دعائه ـ وإن كان فاسقاً ـ لطفاً له أو لغيره، فيتوب عند ذلك، وكذلك الكافر.

وفيه وجهٌ آخر: وهو أنّه ربّما كانت المصلحة في إهلاك ذلك الظالم؛ لأنّه مستحِقٌّ للهلاك والعقاب بظلمه، إلّا أنّ الله يؤخّره إلى وقت دعاء المظلوم عليه؛ فإنّ المصّالح تتغيّر بالأوقات والأشخاص والأسباب.

---

(١) معاني الأخبار ٣٢٥/ باب معنى النصيب من الدنيا، ح١، عن **إسماعيل بن موسى** ، عن الإمام الكاظم، عن آبائه عليهم السلام. مجمع البيان ٧: ٤٦٠. روضة الواعظين٤٧٢.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٠٨، ح٣١٥. مسند ابن حنبل٢: ٣٦٧. مسند الطيالسي٣٠٦. الأمالي للطوسي: ٣١١، ح٦٢٨، عن أبي هريرة.

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٤: ٣٦٢. مجمع البيان ٦: ١١٦.

٢٣٧. ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلى وَلَدِهِ[١].

الدعوات جمع دعوة، جمع السّلامة. واستجاب وأجابَ بمعنىً.

قال الشاعر:

وداعٍ دعا: يا من يُجيب إلى النَّدىٰ فلم يستجبه عند ذاك مُجيبُ[٢]

وقيل: استجاب؛ أي: طلب الجواب أو الإجابة[٣]، وأصله من الجواب وهو القطع[٤]؛ لأنّ عند جواب المُجيب ينقطع كلام السائل أو نداؤه.

و**الشكّ** ضدّ اليقين. والمراد **بالمسافر** الغريب. ودعاء الوالد على ولده دعاؤه بالشرّ واللعن له.

وهذه الدّعوات وغيرها إجابتها مشروطة بالمصلحة، فكلّ دعاء يُدعىٰ به، إن كانت المصلحة مقرونةً به، فهو لا مَحالة مُستجاب، وما لا مصلحة فيه فالداعي به يستحقّ الثواب إذا كان محقّاً في ذلك؛ **لقوله** صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدّعاء**

(١) مسند الشِّهاب ١: ٢٠٨، ح٣١٦. سنن أبي داود ١: ٣٤٣ / باب الدعاء بظهر الغيب، ح١٥٣٦. سنن الترمذي ٣: ٢١٠/ باب ما جاء في دعاء الوالدين، ح١٩٧٠. فضائل الأشهر الثلاثة ١٤٣، ح١٥٧، عن أبي هريرة.

(٢) تهذيب اللغة ١١: ١٤٩. الصحاح ١: ١٠٤ (جوب) والبيت لكعب بن سعدٍ الغَنَويّ.

(٣) أُنظر: الفروق اللغوية ٢١٧.

(٤) الصحاح ١: ١٠٤ (جوب).

هو العبادة»[١]، وإنّما خصَّ هذه الثلاثة بإجابة الدّعاء؛ لأنّ دعاءهم يصدر عن قلب خاشع ونيّة صادقة.

٢٣٨. القُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ[٢].

القضاة: جمع قاضٍ، نحو رامٍ ورُماةٍ وداعٍ ودُعاة، أمّا اللّذان هما من أهل النّار: فهو قاضٍ يقضي بما لا يدري، وقاضٍ لا يقضي بما يدري، وأمّا الذي هو في الجنّة، فهو قاضٍ يعلم القضاء وما يتعلّق به من الفقه، فيعمل به ويقضي به.

وقال : **«القاضي العدل يُجاءُ به يوم القيامة، فيَلقىٰ من شدّة الحساب ما يتمنّى ألّا يكون قضىٰ بين اثنين في تمرةٍ واحدة»**[٣].

وقال : **«من طلب القضاء، وُكِّل إليه، ومَن أُجبرَ عليه، نزل إليه مَلَكٌ يُسدّده»**[٤].

---

(١) مسند ابن حنبل ٤: ٢٦٧. سنن أبي داود ١: ٣٣٢ / باب الدعاء، قطعة ح١٤٧٩، عن النعمان بي بشير عنه . الكافي ٢: ٤٦٧/ كتاب الدعاء، بابُ فضل الدعاء والحثّ عليه، قطعة من ح٥، عن حماد بن عيسى، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٠٩، ح٣١٧، عن ابن عمر. سنن أبي داود٢: ١٥٨/ باب في القاضي يخطئ، ح٣٥٧٣. سنن ابن ماجة٢: ٧٧٦ / باب الحاكم يجتهد فيصيب الحقّ، ح٢٣١٥، عن بريدة. كتاب الخلاف٦: ٢٠٨.

(٣) صحيح ابن حبان ١١: ٤٣٩. مسند الطيالسى٢١٧. المعجم الأوسط ٣: ١٠٢، عن عائشة باختلاف يسير.

(٤) مسند ابن حنبل ٣: ٢٢٠. سنن أبي داود ٢: ١٥٩/ باب في طلب القضاء والتسرع إليه، ح٣٥٧٨. المعجم الأوسط ٦: ١١١، عن أنس بن مالك باختلاف يسير.

فأوّل من قضى عن **رسول الله** **عليّ بن أبي طالب** ، بعثه إلى اليمن فقال: «**"يا رسول الله، تبعثني للقضاء بين الناس وأنا حَدَثٌ؟" فدعاني ومسحَ يده على صدري وقال: "اللّهمَّ اهْدِ قلبه وثبِّتْ لسانه"، فما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين**»[(١)].

وقال : «**أقضاكم عليّ**»[(٢)].

وروي أنّ هارون الرشيد أراد أن يُولّي أحداً قضاء بغداد، فشاور أصحابه فقالوا: لا يصلح لذلك إلّا بُهلولُ، فاستدعاه وقال: أيّها الشيخ الفقيه، أعِنّا على عملنا هذا، قال: بأيّ شيءٍ أُعينك؟ قال: بعمل القضاء، قال: أنا لا أَصلُح لذلك، قال: أَطبقَ أهل بغدادَ على أنّك صالح لهذا العمل، فقال: سُبحان الله! أنا أعرَفُ بنفسي منهم، ثمّ إنّي في إخباري عن نفسي بأنّي لا أَصلح للقضاء، لا يخلو أمري من وجهين: إمّا أن أكون صادقاً أو كاذباً، فإن كنتُ صادقاً، فهو ما أقول، و إن كنتُ كاذباً، فالكاذب لا يصلح لهذا العمل. فألَحّوا عليه وشدّدوا

---

(١) شرح الأخبار ٢: ٣٠١، ح٦٢٠. سنن ابن ماجة ٢: ٧٧٤ / باب ذكر القضاة، ح٢٣١٠. المنتخب من مسند عبد بن حميد٦١، ح٩٤، عن أبي البختري باختلاف يسير.

(٢) الكافي ٧: ٤٠٨/ كتاب القضاء والأحكام، باب من حكم بغير ما أنزل الله‎ﷻ، قطعة من ح٥. تهذيب الأحكام ٦: ٢٢١/ كتاب القضايا والأحكام، باب من إليه الحكم وأقسام القضاة والمفتين، قطعة من ح٥٢١، عن سعيد بن أبي الخضيب البجلي، عن الإمام الصادق‎؈. تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين٢٩.

وقالوا: لا ندعك أو تَقبلَ هذا العمل، قال: إن كان ولابدّ فأمهِلوني اللّيلة حتّى أُفكِّر في أمري، فأمهَلوه، فخرج من عندهم، فلمّا أصبح في اليوم الثاني، تَجانَن وركِب قَصَبة ودخل السُّوق وكان يقول: طرِّقوا! خلّوا الطريق لا يطأْكم فرسي! فقال الناس: جُنَّ بُهلول. فقيل ذلك لهارون، فقال: ما جُنَّ، ولكن فرَّ بدينه منّا. وبقي على ذلك إلى أن مات هارون، وكان من عُقلاء المجانين [١].

ولو علِم القضاة أنّ فوقهم قاضياً لا يقضي إلّا بالحقّ ولا يحكم إلّا بالعدل، لَرَبعوا على ضِلعهم، وعَضّوا من أعِنّة مراكبهم، ولم يُطلقوا أعنانها، ولم يتغافلوا عن يوم فصل القضاء، وحُكم قاضي الأرض والسماء.

قال:

إذا خـان الأميـر وكاتبـاه ... وقاضي الأرض داهَن في القضاء

فويـلٌ ثـمّ ويـلٌ ثـمّ ويـلٌ ... لِقاضي الأرض من قاضي السّماء! [٢]

ولبعضهم في بعض قضاة السوء:

أبكـي وأنـدُب مُهجـة الإسـلام ... إذ صِـرتَ تقعُـد مَقعَـدَ الحُكّـامِ

إنّ الحـوادث مـا علمـتُ كثيـرةٌ ... وأراك بعـضَ حـوادث الأيّـام [٣]

---

(١) لم نعثر على مصدر متقدما على المؤلف (قدس سره)، أُنظر: عقلاء المجانين ٦٧.

(٢) ربيع الأبرار ٤: ٣١٣. التاريخ الكبير لابن أبي خَيثَمَة ٢: ١٠٠١.

(٣) البصائر والذخائر ٦: ١١٥. عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ١٣٦. تاريخ بغداد ١٠: ٣١، باختلاف يسير، والبيتان لعتّاهية ابن أبي العتاهية.

٢٣٩. خَصْلَتَانِ لَا تَكُونَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، وَ فِقْهٌ فِي الدِّينِ[١].

الخَصلة: الفَعلة من الخَصْل وهو الجمع، والخُصلة من الشَّعر[٢] قبضة منه مِلءَ الكفّ فُعلة بمعنى مفعولة. **والسّمت**: الطريقة[٣]، يُقال: فلانٌ حَسن السَّمت؛ أي: الطريقة والعادة، وهاتان الخصلتان لا يجتمعان في منافقٍ؛ لأنّ حسن السَّمت و إنْ اتّفق[٤] في بعضهم لحسن ظواهرهم، فالفقه في الدِّين أبعد شيءٍ منهم؛ لأنّهم لا يَدينونَ بدينٍ، ولا يعتقدون في الإسلام مذهباً.

والمنافق في اللّغة والشرع: الذي باطنه بخلاف ظاهره[٥]؛ يُظهِر الإسلام ويُبطِن الكفر، واشتقاقه من نافِقاء اليَربوع وهو جُحره الذي له منفذان يُسمّى أحدهما النّافِقاء والآخَر القاصِعاء، فإذا قصدهُ الصائد من أحدهما، خرجَ من الآخر[٦].

والنَّفَق: السَّرَب في الأرض له منفذ[٧]، قال الله تعالى: ﴿نَفَقاً في الأرض أَوْ سُلَّماً في السَّماءِ﴾[٨]، وأصل الباب: الخروج على ما بيّنّا.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢١٠، ح٣١٨، عن عبد الله بن سلام. سنن الترمذي٤: ١٥٤/ باب في فضل الفقه على العبادة، ح٢٨٢٥، عن أبي هريرة. الغارات١: ٢٤٨. تحف العقول١٧٩.

(٢) جمهرة اللغة ١: ٦٠٤ (خصل).

(٣) الصحاح ١: ٢٥٤. النهاية ٢: ٣٩٧ (سمت).

(٤) في نسخة (د): (اتق).

(٥) أُنظر: المجازات النبوية٣٣٨، ذيل ح٢٦٢.

(٦) كتاب العين ٥: ١٧٧. غريب الحديث لابن سلام ٣: ١٣. الصحاح ٤: ١٥٦٠ (نفق).

(٧) تهذيب اللغة ٩: ١٥٦. كتاب العين ٥: ١٧٧. النهاية ٥: ٩٨ (نفق).

(٨) سورة الأنعام ٦: ٣٥.

٢٤٠. خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ[١].

قد بيّنّا معنى الخَصلة وحقيقةِ البخل وسوء الخلق.

ومعنى الحديث: أنّ هاتين الخصلتين من خِصال السّوء لا تجتمعان في مؤمن، على طريق المبالغة لا على سبيل الحقيقة؛ فإنّ البخيل السيّئَ الخُلق لا يخرج بالبخل وسوءِ الخلق عن الإيمان إلّا إذا اعتقد أنّ الزّكاة وحقوق الله في المال من الأخماس والصدقات ليست واجبة، فيخرج بذلك من الإيمان؛ لأنّ أفعال الجوارح لا تَعلُّق لها بالإيمان.

٢٤١. عَينَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ[٢].

العين: من الأسماء المشتركة كما بيّنّا. العين الباكية في جوف اللّيل يدلّ بكاؤها على إيمان صاحبها، وإنّما قيّدها وخصّها بحالتين: إحداهما جوف اللّيل؛ لأنّه يَبعُد من الرِّياء والسمعة، والأخرى خشية الله؛ لأنّ من بكى

(١) مسند الشِّهاب١: ٢١١، ح٣١٩. سنن الترمذي٣: ٢٣١ / باب ما جاء في البخل، ح٢٠٢٨. الأدب المفرد٦٨/ باب الشح، ح٢٨٥. الخصال٧٥، ح١١٧، باختلاف يسير، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢١١، ح٣٢٠، عن العبّاس بن عبد المطلب و٢١٢، ح٣٢١، عن أنس. سنن الترمذي٣: ٩٦ / باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، ح١٦٩٠، عن ابن عبّاس. المستدرك على الصحيحين٢: ٨٢. المنتخب من مسند عبد بن حميد٤٢٢، ح١٤٤٧، عن أبي هريرة باختلاف يسير.

لغرضٍ آخر لا يدخل في هذا الباب، ولايستحقّ ما يستحقّه هذا الباكي في هذا الوقت لهذا الغرض، والرّجل إذا خلا في جوف اللّيل، وذكَر أحوالَه وذَهاب عمره في الأباطيل والأضاليل، وما سلفَ عنه من معاصي الله وطاعة الشيطان واتّباع الهوى، بكى من خشية الله، فتابَ منها، وصار ذلك سبباً لعفو الله عنه، وإسقاط عِقابه المستحِقّ بأفعاله، وحقَّ له البكاءُ، بل قلّ له البكاء، قال الشاعر:

أرضِيتَ أن تبكي ودمعُكَ ماءُ؟! كلّا، ودمع المذنبين دماءُ[١]

وروي أنّ الرجل إذا ذكر ذنبه وبكى من خشية الله، تبادرت الملائكة تختطف تلك الدمعاتِ، وتجعلها في قدح من نور، ويُختم بخاتمٍ من مِسك، فإذا كان يومُ القيامة وحُوسِب صاحبُها وزادت سيّئاتُه على حسناته فيُذهَب به إلى النار، فإذا أرادوا أن يُلقوه فيها، قال الله تعالى: لا تعجلوا على عبدي؛ فإنّ له عندي وديعةً، فيُؤمرُ بأن يؤتىٰ بتلك الدّمعات، فتُصبّ على النار، فتُطفي بحوراً من النيران[٢].

وأمّا العين التي باتت تَحرُس في سبيل الله، فهو الرّجل لا ينام باللّيل يحرس جيوش المسلمين وسراياهم المجاهدين في سبيل الله، وسبيل الله هو الجِهاد. وإضافة الفعل إلى العين في الموضعين ـ وهو في الحقيقة فعل لصاحبها ـ من باب إضافه الفعل إلى آلته، تحقيقاً للإضافة وتبييناً لها.

(١) لم نعثر عليه.

(٢) أُنظر: شعب الإيمان ١: ٤٩٥، ح٨١٢. نوادر الأصول ٣: ٢٤٣.

٢٤٢. مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا[١].

المنهوم: الذي نُهم بالطعام لا يَشبَع منه، يُقال: فلانٌ نُهِمَ بكذا ومنهوم[٢]؛ والمراد به الحريص البليغُ الحرص. وطالِبُو العلم على ثلاث طبقات: منهم مَن يطلب العلم للدُّنيا، ومنهم من يطلبه للآخرة، ومنهم من يطلبه حبّاً للعلم؛ فمن طلبه للدُّنيا، إذا وجدها، اشتغل بها وأمسك عنه، ومَن طلبه للآخرة، إذا تعلّم شيئاً منه، أراد أن يعمل به ويتعبّد، فاشتغل بالعبادة عن العلم، والذي يطلب العلم حبّاً للعلم، فهو الذي يبلغ منه ما يُريد، ويبلغ درجةَ العلماء، وهو المعنيّ في الخبر؛ فإنّه لا يكون نَهِماً به إلّا من كان حريصاً عليه حتّى كأنّه مجبولٌ عليه، ولذلك وصفه بالمنهوم، كأنّه نُهِمَ به من غير اختياره، على التوسّع والمبالغة، وكذلك طالب الدُّنيا لا يَشبع منها إلى أن يموت، كما **قال ﷺ: «ولا يملأ جوفَ ابن آدمَ إلّا الترابُ»**[٣].

ومعنى الحديث: الحكمةُ، وأنّ هذين الرّجلين ـ طالب العلم وطالب الدنيا ـ لا يمتنعان من الطلب إلى انقضاء آجالهما.

---

(١) مسند الشِّهاب ١: ٢١٢، ح٣٢٢، عن عبد الله. المستدرك على الصحيحين ١: ٩٢، عن أنس. الكافي ١: ٤٦ / كتاب فضل العلم، باب المستأكل بعلمه والمباهي به، قطعة من ح١. تهذيب الأحكام ٦: ٣٢٨، ح٩٠٦، عن سليم بن قيس، عن الإمام عليّ عليه السلام، والثلاثة الأخيرة باختلاف يسير.

(٢) أُنظر: كتاب العين ٤: ٦١. النهاية ٦: ١٣٨ (نهم).

(٣) صحيح البخاري ٧: ١٧٥، عن ابن عبّاس. صحيح مسلم ٣: ٩٩. مسند ابن حنبل ٣: ١٢٢، عن أنس.

٢٤٣. الشَّيْخُ شَابٌّ فِي حُبِّ اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ طُولِ الحَيَاةِ وَكَثْرَةِ المَالِ[(١)].

قوله: «**الشَّيْخُ شَابٌّ**»؛ معناه كالشُّبّان من حيث الأمل والحرص، يعمل ما يعمل الشابّ، ويأمُل ما يأمله، ثمّ بيّن ما أجمله فقال: «**فِي حُبِّ طُولِ الحَيَاةِ وَكَثْرَةِ المَالِ**»، وما ينفعه طولُ حياةٍ تُفضي إلى الموت وكثرةُ مالٍ تؤولُ إلى الانقطاع.

وروي عن الشَّعبي أنه قال: بعث إليّ عبد الملك بن مروان عليه اللعنة في شَكاته[(٢)] التى تُوفّي منها، فدخلتُ عليه فقلتُ: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ قال: أصبحتُ والله كما قال عمرو بن قَميئةَ:

كأنّي وقد جاوزت سبعين حِجّةً   خلعتُ بها عنّي عِنان لجامي[(٣)]

على الرّاحتين مرّةً وعلى العصا   أنوءُ ثلاثاً بعدهنّ قيامي[(٤)]

رمتْني بناتُ الدّهر من حيث لا أرىٰ   فكيف بمَن يُرمىٰ وليس برام؟!

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢١٣، ح٣٢٣. صحيح مسلم٣: ٩٩. سنن الترمذي٣: ٣٩٠/ باب ما جاء قلب الشيخ شاب على حب اثنتين، ح٢٤٤١. سنن ابن ماجة٢: ١٤١٥/ باب الامل والأجل، ح٤٢٣٣ وفيها (قلب الشيخ)، عن أبي هريرة.

(٢) الشَّكو والشكوى والشكاة والشكاية: المرض، النهاية٢: ٤٩٧ (شكو).

(٣) الحِجّة: السَّنة، جمعها حِجَج، كما في القرآن: ﴿إِنّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَك إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ على أنْ تَأْجُرَني ثَمانِيَ حِجَجٍ﴾. سورة القصص/٢٧. والمصراع الثاني بمعنى أني فقدت طاقتي ولا أستطيع أن أُمسك بزِمام أعمالي.

(٤) الرّاحتَين: الرِّجلين. أنوء ثلاثاً: أي أُلقي ثِقلي على الثلاثة: الرِّجلان والعصا. وبعدهنّ قيامي: أي وبعد الاتكاء على هذه الثلاثة أقوم.

فلـو أنّهـا نَبْـلٌ إذاً لَاتّقيتُهـا[1] ولكنّنـي أُرمـىٰ بغيـر سـهامِ
إذا ما رآني النّاس قالوا ألم تكن حديثاً حديد الطرفِ غير كَهام[2]؟!

فقال الشعبي: قلتُ لا يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال لَبيدٌ:

باتت تَشَكّىٰ إليّ النفسُ مُجهِشةً وقد حملتُكِ سبعاً بعد سبعينا
فـإن تُـزادى ثلاثـاً فـابلُغي أمـلاً وفـي الـثلاث وفـاء للثّمانينـا

فعاش والله حتّى بلغ تسعين سنة، فقال:

كأنّي وقد جاوزتُ تسعين حِجّةً خَلَعتُ بها عن مَنكَبَيّ رِدائيا

فعاش والله حتّى بلغ مئةً وعشرين سنة، فقال:

أليس في مئةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكامل عشرٍ بعدها عِبرُ؟!

فعاش والله حتّى بلغ مئةً وثلاثين سنة، فقال:

وعَمَرتُ حيناً بعد مُجرىٰ داحس لو كان للدّهر اللّجوج خلود!

فعاش والله حتّى بلغ مئةً وأربعين سنة، فقال:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤال هذا النّاس: كيف لبيدُ؟!

فقال عبد الملك: والله ما بي من بأس. واستوى جالساً وقال: يا

(١) أي: لو كان ما يُرمى إليّ سهمٌ واحد، لَحَميتُ نفسي دونها.

(٢) (كهم) الكاف والهاء والميم أصل يدل على كلال وبُطْء. من ذلك: الفرس الكهام: البطيء، والسيف الكهام: الكليل، واللسان الكهام: العَييّ. ثم يقولون للمسن: كهام، معجم مقاييس اللغة ٥: ١٤٥ (كهم).

شعبيُّ، اقعد ما بينك وبين اللّيل فحدِّثني؛ فكأنّه طمِع في أن يعيش ما عاش لبيد. قال: فقعدتُ عنده أُحدّثه حتّى أمسيتُ، ثمّ فارقته، فمات في جوف اللّيل[١].

وقيل: بلغت هذه الحالُ زِرَّ بن حُبَيش، فكتبَ إليه بهذه الأبيات:

إذا الرّجال ولدتْ أولادها وجعلت أوصابها تعتادها

واضطربت من كِبَرٍ أجسادُها تلك زروعٌ قد دنا حصادُها

فقال عبد الملك: والله لقد غرّني الشعبيّ، ونصحَ لي زِرّ بن حُبَيش[٢].

وأخبار المُعمَّرين معروفة، وأنّ أحدهم عاش ألف سنةٍ وأكثر، ولم ينفعهم طول عمرهم، ولم يُنجِهم من الموت إذا بلغوا آجالهم، وقال بعضهم:

المرء يهوىٰ أن يعيش وطول عيشٍ لا يَضرُّهْ تَبلىٰ بَشاشتُه ويبقىٰ بعد حُلو العيش مُرُّهْ

كم شامتٍ بي إن هلكتُ وقائلٍ لله دَرُّهْ! وتَسوؤه الأيّامُ حتّى ما يرى شيئاً يَسُرُّهْ[٣]

وأمّا حبّ كثرة المال، قيل: إنّ المال إنّما سُمّي مالاً لميله عن صاحبه، وأنّه لا يبقى معه، إمّا أن يفارقه و إمّا أن يفارق هو[٤].

---

(١) الأغاني ١٥: ٢٥١. كمال الدين٥٦٥. تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ١٦١-١٥٩.

(٢) العمر و الشيب٦٣. أنساب الاشراف٥: ٣٦.

(٣) أنساب الأشراف ٤: ٢٧١. تاريخ بغداد١٠: ٦١، الرقم ٥١٧٩. الأمالي للسيّد المرتضى ١: ١٩١، باختلاف يسير.

(٤) أُنظر: المحيط في اللغة ١٠: ٣٥٨ (مول).

٢٤٤. أَرْبَعَــةٌ يُبْغِضُــهُمُ اللهُ تَعَــالى: البَيَّــاعُ الحَــلَّافُ، وَالفَقِيــرُ المُخْتَــالُ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي، وَالإِمَامُ الجَائِرُ[١].

نُهينا[٢] في المبايعة عن خمسة أشياءَ: مدح المبيع، وذمّ المشترى، وكتمان العيوب، والبيع في المواضع المُظلمة التي لا يتبيّن العيب فيها، والحلف على البيع.

الحلّاف: الكثير الحِلف، والفعّال بناء المبالغة. و**المختال**: المتكبّر. و**الفقير** لا يكون مختالاً إلّا لحمقه، وإلّا فما للفقير والاختيال؟!

والشيخ الزّاني.

روي في التفسير أنّ ممّا أنزل الله على نبيّه في سورة النور قوله: الشيخ والشيخة إذا زنَيا فارجُموهما البتَّةَ فإنّهما قضَيا الشهوةَ جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم، ثمّ نُسخت التلاوة وبقي الحكم[٣].

و**الإمام الجائر**: هو العادل عن طريق العدل إلى طريق الجَور، يُقال: جارَ عن الطريق إذا مالَ عنه[٤]، والرّجل إذا جارَ عليه بعض الرعيّة،

(١) مسند الشِّهاب١: ٢١٣، ح٣٢٤. السنن الكبرى للنسائي٢: ٤٦، ح٢٣٥٧. صحيح ابن حبّان١٢: ٣٦٨، عن أبي هريرة.

(٢) في نسخة (د) و نسخة (هـ): (نهى).

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ١: ١٣. الناسخ والمنسوخ لابن حزم٩.

(٤) جمهرة اللغة ١: ٤٦٧. النهاية ٢: ٣١٣ (جور).

يفزع إلى الإمام، فإذا كان الإمام جائراً فإلى مَنْ يَفزَع؟! كما قيل:

بملحِ يُداوَى اللّحمُ إن كان مُنْتَناً فما حيلة الملح الذي قد تغيّرا؟![1]

وبغض الله تعالى لعباده إرادةُ العقاب المستحقَّة.

٢٤٥. ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ؛ فَالثَّلَاثُ المُهْلِكَاتُ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ. وَالثَّلَاثُ المُنْجِيَاتُ: خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ، وَالقَصْدُ فِي الفَقْرِ وَالغِنى، وَالْعَدْلُ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا[2].

بيّنَ للنّاس وميّز الخصالَ المهلكات من المُنجيات، فقال: هذه ثلاث وتلك ثلاث، فمن المُهلكات «**الشُّحّ المُطاع**»؛ والشحّ: البُخل مع الحرص[3]، يبخَل بما عنده ويحرُص على طلب ما ليس عنده.

وقيل: الشُّحّ أن يبخل بماله ويأمر غيره بالبُخل، وهو أبلغ من

(١) عقلاء المجانين٩٦، وفيه: يا ريشُ، كان اللحم إذا فسد، داويناه بالملح، فإذا فسد الملح، بأي شيء يداوىٰ؟!

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢١٤، ح٣٢٥ و ٢١٥، ح٣٢٧. الخصال٨٤، ح١١، عن أنس بن مالك. المحاسن١: ٣، ح٣، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق عليه السلام أو الإمام السّجاد عليه السلام باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: كتاب العين ٣: ١٣ (شح).

البُخل[١]، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ﴾[٢].

وإنّما قال: **مطاع**؛ لأنّ البخل مركوز في طباع البشر، فإذا جاهد الرّجل نفسه ولم يُطِعِ البُخل، فهو من المفلحين، وإذا أطاعه، فهو من الخاسرين، فآفتهُ في طاعة البخل لا في البخل نفسِه، وكذلك في الهوى المتّبَع؛ لأنّ الهوى ممّا جُبِلَ عليه الإنسان؛ لأنّه الشهوة، والشهوة لا يُلامُ عليها صاحبها، إنّما يُلامُ على اتّباعه لها على الوجه المنهيّ عنها، فمن خالفها، فقد أوجب [الجنّة له][٣]، قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوىٰ * فإنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْماوىٰ﴾[٤]، فالهوىٰ إنّما يضرّ إذا كان متّبَعاً على ما ذكرتُ.

وإعجاب المرء بنفسه؛ العُجب: الكِبر البليغ؛ وهو أنّه إذا بلغَ حدّاً يَعجَب من نفسه وتُعجبهُ نفسُه، ويظنّ في نفسه ما ليس فيها، وهو غاية الحمق، وهو الدّاء الذي لا دواءَ له.

قال الشاعر:

لكلّ داءٍ دواءٌ يُستطَبّ به   إلّا الحماقة أعيَتْ مَن يُداويها[٥]

---

(١) أُنظر: النهاية ٢: ٤٤٨ (بخل).

(٢) سورة الحشر ٥٩: ٩. سورة التغابن ٦٤: ١٦.

(٣) ما بين المعقوفتين أثبتناه لمقتضى السياق.

(٤) سورة النازعات ٧٩: ٤٠ ـ ٤١.

(٥) أدب الدنيا والدين ٢٨. ربيع الأبرار ٢: ٣٩.

وقال آخر:

وكلّ الدّاء مُلتَمَس دَواءُهْ وداءُ النَّوك ليس له دواءُ[١]

والثلاث المُنجيات اللّواتي يُنجين من عذاب الله: «**خشية الله في السِّر والعَلانية**»؛ وخشية الله في السّرّ من علامة التقوى، قال الله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾[٢]. تلك خشيةٌ خاليةٌ من الشوائب؛ لأنّ خشية العلانية تشوبها أمور.

و**القصد**: واسطة الأمور بين الإسراف والتقصير؛ يعني لا يسرف في الغِنى ولا يُقتّر في الفقر، ومَن اعتاد ذلك، لم يكد يفتقرُ. «**والعدل في الرِّضا والغضب**»؛ قصده إلى[٣] الشيء وضدّه من ذكر السّرّ والعلانية والفقر والغِنى والغضب والرِّضا، إشارة إلى جميع الأحوال؛ لأنّ أحوال الإنسان لا تخلو من هاتين الحالتين: من الشيء وضدّه؛ يعني يخشَى الله على كلّ حالٍ ويقصد على حالتيه: فقرِه وغناه، ويعدل في كلّ حال، سواءً كان راضياً أو غضبانَ، وأُسقط التاء عن (الثلاث) في الموضعين؛ لأنّه ذهب إلى الخَصلة[٤].

---

(١) التذكرة الحمدونيّة ٣: ٢٦٨. بَهجة المجالس: ١١٩. شرح ديوان الحماسة ٢: ٤٥، والبيت لقيس بن الخطيم.

(٢) سورة ق٥٠: ٣٣.

(٣) في نسخة (أ): كلمة لا تُقرأ وفي باقي النسخ: (إلى).

(٤) أي: قال: (ثلاثٌ) ولم يقل: (ثلاثة)؛ لأنها ناظرة إلى (خصلة). فكان الأصل: ثلاث خصال، لكن عبارة المصنف: (ذهب إلى) غريبة.

٢٤٦. المُسْتَبّانِ مَا قَالَا فَهُوَ عَلَى البَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ[1].

«**المُسْتَبّانِ**»: المتشاتمان، يُقال: سَبَّه يَسُبُّه سبّاً إذا شتمه[2]، واسْتَبَّ الرّجلان وتَسابّا، والسّبّ: الشَّتْم[3].

«**مَا قَالَا**»: ما جزائيّة، لدلالة الفاء في جوابه **فعلى البادئ**، ويُروى **فهو على البادي** مخفَّف الهمزة، وأصله الهمزة من البَدْء والبَدْأَة، يُقال: بدأ بالأمر وابتدأ، وبدا الشيءُ يبدو بُدُوّاً، غيرَ مهموز، إذا ظهر، وقُرِئ قولُه: ﴿بادِيَ الرّأْيِ﴾[4] على وجهين: بالهمز: أوّل الرّأي، وبغير الهمز: ظاهر الرأي[5].

«**مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ**»: ويُروى: حتّى يتعدّى المظلوم، ويُروى: حتّى يعتدي المظلوم[6]، والمعنى واحد؛ لأنّ الاعتداء والتعدّي مجاوزة الحَدّ.

والمعنى: أنّ المتشاتِمَين إذا تَسابّا، فوِزر ذلك ووباله وعقابه على المبتدئ بذلك؛ لأنّه هو السبّب، وهذا على طريق المجاز من باب إضافة

(١) مسند الشِّهاب ١: ٢١٦، ذيل ح٣٢٩. صحيح مسلم ٨: ٢٠. سنن أبي داود ٢: ٤٥٤ / باب المستبان، ح٤٨٩٤، عن أبي هريرة. الكافي ٢: ٣٢٢/ كتاب الإيمان و الكفر، باب السّفه، ح٣، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن الإمام الكاظم عليه السلام.

(٢) في نسخة (د): (أشتمه).

(٣) أُنظر: الصحاح ١: ١٤٤. النهاية ٢: ٣٣٠ (سبب).

(٤) سورة هود ١١: ٢٧. وقراءة الهمز قراءة الكسائيّ. مجمع البيان٥: ٢٦٠.

(٥) أُنظر: المفردات ١١٣ (بدأ).

(٦) أُنظر: مسند الشِّهاب ١: ٢١٦، ح٣٢٩. مسند أبي يعلى ٧: ٢٥٠، ح٤٢٥٩، عن أنس بن مالك. الفردوس ٤: ٢٠٢، ح٦٦١٨، عن عياض بن عمار.

الفعل إلى مُسبِّبه، وإلّا فالتالي يستحقّ الذمَّ والعقاب كالبادئ، إلّا أنّ البادئ أكثر ملامَةً وعقاباً من حيث إنّه ابتدأ به وسبَّبه، وهو يجري مجرى المَثَل المعروف: الشّرّ بالشّرّ والبادئ أظلم[(١)].

وقوله: «**مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ**»؛ ما للأمد؛ أي مادام المظلوم لم يتجاوز الحَدّ في الشتْم، فإنّه بزيادته وتعدّيه وباعتدائه وظلمه ساوَى البادئَ.

٢٤٧. أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ[(٢)].

الفارط والفَرَط: السابق المتَقدّم، وإذا بَدَرَت بادرةٌ من الرّجل قالوا: فرط منه أمرٌ، والمُفرِط: المُسرِف، وأفرط في كذا إذا أسرف فيه، والمُفرِّط: المقصّر، يُقال: فرّط في الأمر إذا قصّر فيه[(٣)]. يقول: أنا سابقكم إلى الحوض؛ يعني الكوثر.

وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن الحوض[(٤)]، **قال: «حوضٌ عرضهُ ما بين بُصْرىٰ إلى صنعاءَ، على حافّاته من القَدَحان عددُ نجوم السّماء»**[(٥)].

---

(١) روض الجنان ٣: ٧٦.

(٢) مسند الشّهاب١: ٢١٧، ح٣٣٠، عن عبيد بن عمير وح٣٣١، عن جندب بن سفيان البجلي. صحيح البخاري٧: ٢٠٦، عن عبد الله. صحيح مسلم٧: ٦٥، عن سهل. الخصال٦٦، قطعة من ح٩٨، عن حذيفة بن أسيد الغفاري.

(٣) أُنظر: الصحاح ٣: ١١٤٨. كتاب العين ٧: ٤١٨. النهاية ٤: ٤٣٤ (فرط).

(٤) في نسخة (د): (الكوثر).

(٥) مسند أحمد ٤: ٤٢٤. صحيح ابن حبان ١٤: ٣٧١، عن أبي برزة. المعجم الكبير ٣: ٦٦، ح٢٦٨١، عن زيد بن أرقم، باختلاف يسير.

٢٤٨. أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ. وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسطى.[١].

كافِلِ اليتيم؛ الذي يتكفّل[٢] بأمره ويقوم بأَوَدِه[٣] مُتَبرّعاً، يقول: لا يكون بين منزله ومنزلي في الجنّة من التفاوت إلّا كما بين السبّابة والوسطىٰ، وهذا على طريق المبالغة في وصف دُنوّ منزله من منزل **رسول الله** ؛ ومعناه الحَثّ على مراعاة اليتيم والقيام بمصالحه.

وقال : «**مَن مسحَ رأس يتيمٍ لم يمسحه إلّا لله، كانت له بكلّ شعرةٍ مرّت عليه يدُه عشْرُ حسناتٍ، ومَن أحسنَ إلى يتيمةٍ أو يتيمٍ عنده، كنتُ أنا وهو كهاتين**»، وقرنَ بين إصبَعَيه[٤].

وعن ابن عبّاس قال: جاء رجلٌ إلى **رسول الله**، قال: يا **رسول الله**،

بُصرى في موضعين - بالضم والقصر - : إحداهما بالشام من أعمال دِمَشقَ، وهي قصبة كورةِ حرّان، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، ذكرها كثير في أشعارهم... وبصرىٰ أيضاً من قرىٰ بغدادَ قربَ عُكبَراءَ، معجم البلدان ١: ٤٤١ (بصرىٰ).

(١) مسند الشِّهاب١: ٢١٧، ح٣٣٢. سنن أبي داود٢: ٥٠٨ / باب في من ضم اليتيم، ح٥١٥٠. سنن الترمذي٣: ٢١٥/ باب ما جاء في رحمة اليتيم، ح١٩٨٣، عن سهل بن سعد. صحيح مسلم٨: ٢٢١، عن أبي هريرة.

(٢) في النسخ (يكفل)، وما أثبتناه أصح؛ لأن كفَل يكفُل - ثلاثياً مجرداً - لا يستعمل بالباء، وإذا ذهب إلى باب التفعل، تجيء معه الباء.

(٣) أو (أَوْده) بسكون الباء، والأود هنا بمعنى الثِّقل، والقيام بالأود كناية عن تلبية الحاجات.

(٤) مسند ابن حنبل ٥: ٢٥٠. مسند ابن المبارك: ١٦٧، ح٢٠٧. المعجم الكبير ٨: ٢٠٢، عن أبي أمامة.

في حِجري يتيمٌ، أفأضربهُ؟ قال: «**ما كنتَ ضارباً منه ولدَك**»[١]. قال: يا **رسول الله**، أفآكُل من ماله؟ قال: «**غير متأثِّلٍ منه مالاً، ولا واقياً مالَك بماله**»[٢].

يُقال: تأثّل الرجل مالاً إذا اتّخذه قُنْيةً[٣] ذُخْراً ورأسَ مالٍ، من الأثْل وهو الدَّوحة العظيمة.

وروي أنّ رجلاً شكا إلى **رسول الله** قَسوة قلبه، قال : «**إن أردتَ أن يلينَ قلبُك، فأطعِم المسكينَ، وامسَحْ رأس اليتيم وأطعِمْه**»[٤].

٢٤٩. أَنَا النَّذِيرُ، وَالْمَوْتُ الْمُغِيرُ، وَالسَّاعَةُ المَوْعِدُ[٥].

النّذيرُ: المُنذِر[٦]، فعيل بمعنى مُفعِل، كالأليم بمعنى المؤلِم، وهو المُخبر بما فيه، تحذيرٌ وترهيبٌ، بالعكس من المُبشِّر، فإنّه مخبِرٌ بما يظهر أثر سروره على البَشَرَة.

---

(١) أي: بقدر ما تضرب ولدك لا أزْيَد.

(٢) تفسير الثعلبي ٣: ٢٥٩. المصنف لابن أبي شيبة ٥: ١٦٠، ح١، عن الحسن العرني.

(٣) قَنوتُ الغنمَ وغيرَها قُنْوةً وقِنْوةً، وقَنَيت أيضاً قُنْيَةً و قِنْيَةً: إذا اقتَنَيتها لنفسك لا للتجارة، الصحاح ٦: ٢٤٦٨ (قنا).

(٤) الرقة والبكاء٦٢، ح٤٧. المنتخب من مسند عبد بن حميد٤١٧، ح١٤٢٦. مسند ابن حنبل ٢: ٢٦٣، عن أبي هريرة.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٢١٨، ح٣٣٣. قصر الأمل٩٢، ح١١٨. مسند أبي يعلى١١: ١٠، ح٦١٤٩. المعجم الأوسط١: ٣٤، عن أبي هريرة.

(٦) أُنظر: تهذيب اللغة ١٤: ٣٠٣ (نذر).

«**وَالْمَوْتُ الْمُغِيرُ**»؛ أي: يُغِير على أرواحِ ذوي الحياة، من الغارة، يُقال: أغار فلان على فلان إذا شنَّ الغارة عليه.

عن أبي موسى قال: قال **رسول الله** : «**ما من بيتٍ إلّا ومَلَك الموت يقف على بابه في كلّ يومٍ خمس مرّات، فإذا وجد الإنسانَ قد فنِي رزقُه وانقطع أجلُه ونفِد أكلُه، ألقى عليه غمّ الموت، فمِن أهله الضاربةُ لوجهها، الناشرة شعرها، الباكية عليه، فيقول مَلَك الموت: فيم الفزع ومِمّ الجزع؟! ما أذهبتُ مِن رزق واحدٍ منكم، ولا قرّبتُ لأحدٍ منكم أجَلاً، وإنّ لي فيكم لَعودةً ثمّ عودةً ثمّ عودةً، حتّى لا يبقى منكم أحدٌ**». قال **النبيّ** : «**فوالذي نفسي بيده! لو يرون مكانه ويسمعون كلامه، لَذَهَلوا عن ميّتهم، ولَبكَوا على أنفسهم**»[1].

وعن العُتبيِّ قال: ماتَ رجلٌ صالح، فدفنّاه، فجاء مجنونٌ حتّى وقف على قبره يحرّك رأسه، ثمّ أنشأ يقول:

وصف الطّبيب دواءه فهمُ بذاك يعالجونهْ
يرجون صحّة جسمِهِ هيهات ممّا يرتجونهْ![2]

ومرِض بعض الصالحين، فقيل له: هل رآك طبيبٌ؟ قال: نعم، يراني كلَّ

(١) المنازل والديار ٩٠، عن أنس بن مالك مع اختلاف. أعلام الدين في صفات المؤمنين ٣٤٥.

(٢) صفوة الصفوة ٢: ٢٣٩. مصارع العشاق ٢: ٩٤، مع اختلاف.

وقتٍ، قيل: فما قال لك؟ قال: إنّي فعّالٌ لما أُريد[١].

والساعةُ: الموعد؛ يعني القيامة[٢]. قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْساها﴾[٣]، وسُمّيت القيامةُ الساعةَ؛ لدُنوّها منّا كأنّها تقومُ الآن[٤].

والموعد: موضع الوَعد، وبناء المَفعِل في الموضع كثير، كالمَجلِس والمَحفِل والمَشرِق والمَغرِب، قال الله تعالى: ﴿بَلِ السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسّاعَةُ أَدْهىٰ وأَمَرُّ﴾[٥].

---

(١) الزهد لهنّاد ١: ٢٣٠، ح٣٨٢. معرفة الصحابة لأبي نعيم ١: ٣٠.

(٢) أُنظر: إعراب القرآن للنّحّاس ٢: ٨٢.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٨٧.

(٤) أُنظر: تفسير جوامع الجامع ١: ٧٢٧. التسهيل لعلوم التنزيل ٢: ٥٦.

(٥) سورة القمر ٥٤: ٤٦.

فهرس المطالب

اَلبَابُ الأَوَّلُ